



المغيرة بن شعبة

تأليف

عبد الباقي قرنة الجزائري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



باسمه تعالى
الحمد لله ربّ العالمين،
وَصَلَّى الله على سَيِّدنا مُحَمَّد وآله الطَّيِّبين الطَّاهرين؛
اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةِ كَرِيمَةٍ
نُعْزِ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ،
وَنُذِلُّ بِهَا التَّفَاقَ وَأَهْلَهُ،
وَنَجْعَلُنَا فِيهَا مِنْ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ
وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ،
وَنَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

المغيرة بن شعبة

عبد الباقي قرنه الجزائرى

روشنای مهر

١٤٣١ هـ

كلمة المركز:

مع اتساع الآفاق الفكرية و تشعبها في زمن الثورة المعلوماتية الهائلة التي ألفت ظلالها على الكفر الإنساني كان لابد لكل صاحب تراث أن يتحرك للحفاظ على تراثه من العبث العلمي الذي ربما سيعصف بموروثه الفكري و الإنساني، و اللازم على كل ذي تراث أن يسعى للمحافظة على ما وصل إليه من السابقين كي ينقله إلى الجيل الذي يليه، محاولاً بذلك أن يبقى تراثه تقياً من فكرة فاسدة أو رأي سقيم مستولد عن فكر غير سوي يُخاف منه على تراثه نتيجة الفاصل الزمني الطويل في مراحل النقل، و التراث الشيعي أحد هذه الموروثات ليس خارجاً عن هذه المعادلة بل الاهتمام بالفكر الشيعي من حيث سلم الأولوية يقع بالصدارة، خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الموروث الشيعي كان منذ القدم مستهدفاً من أعدائه أيما استهداف لما يُشكل من قوة فكرية و منطقية و عقلية يهاجمها المزيّفون للتاريخ.

هؤلاء الذين لم يدخروا وسعاً في استهداف كل ما هو أصيل فحاولوا تشويه بُني المذهب و محاربته و طمس معالمه ظناً منهم أنهم قادرون على إخفاء الحقائق الجلية، و من هذا المنطلق تشكلت سياسة المعادة في ضمن لغة التخريب و الكذب المدروس و (فبركة) لقلب الحقائق لإعطائها طابعاً واقعياً كي تتطلي الحيلة على البسطاء من الناس، فاستأجروا الأقلام الرخيصة و الأنفس الضالة لهذه المهمة القذرة حتي نسبوا للطائفة الشيعية أموراً مقبحة.

فلم يقف أعداء المذهب عند هذا الحد بل استخدموا الكذب طريقاً للوصول إلى تحقيق مآربهم حتى في عصرنا الحاضر، والشيعية مع كل هذا لم يألو جهداً للرد على هذه الفئة بالطرق العلمية ليخرسوا ألسنتهم و يلزمونهم بالحجة بعدما كان دأب القوم الفرار من المنازلات العلمية والاكتفاء بإلقاء التهم من بعيد، ومن هنا نرى تصدي علماء الطائفة - رحم الله الماضيين منهم و وفق الباقين - لمثل هذه الأصوات الناشزة وردّ كيد الأعداء إلى نحورهم، لكن تبقى خفافيش الظلام ساعيةً إلى حجب ضياء الحق عن أعين الناس، فهؤلاء الذين يقتاتون الكذب سرعان ما تراهم في زاوية مظلمة من زوايا التاريخ لا يذكرهم الذاكر إلا و ذكر الكذب و الزيف معهم، و يبقى الفكر الشيعي متألقاً على مدى العصور والدهور، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

و من هذا المنطلق و على هذا الأساس و من واقع المسؤولية الملقاة على عاتقنا اتجاه تراثنا الشيعي و بتوفيق من المولى تبارك و تعالى و برعاية من إمامنا الحجة المهدي المنتظر (عج) قمنا بالتالي:

١ - قد تمّ بحمد الله و توفيقه و بمساندة بعض المؤمنين المهتمين بنشر معارف أهل البيت (عليهم السلام) تأسيس صرح علمي يهتم بنشر معارف الفكر الجعفري والذب عن حياض المذهب أمام الهجمة الشرسة التي تواجهها الطائفة اليوم والمتتمثلة بالشبهات و الافتراءات خصوصاً في مجالي العقائد و التاريخ، تحت أسم «مركز الثقافة الجعفرية للبحوث والدراسات» والذي بدء نشاطه عام ١٤٢٢ هـ ولم تكن فكرة إنشاء هذا

المركز إلا إيماناً منا بالدور الفاعل الذي تلعبه المؤسسات العلمية في وقتنا الحاضر، والمساهمة الجدية في ترتيب المنهج الفكري في خضم هذه الفوضى العلمية، إذ أخذنا على عاتقنا أن نضيف لبنة إلى تلك المسيرة العلمية الظافرة وأن نشارك في بناء عقيدة الفرد الشيعي و حمايته من جميع الشبهات، لما نراه من تكليف شرعي ملقى على عاتقنا و تلبية لنداء الضمير الديني فإننا لم ندخر و القارىء لتاريخنا الإسلامي يجد في الكثير من المواضع أنه قد أبتلي بالأهواء النفسية و النزعات الشخصية إلى الحد الذي ابتعد فيه عن جادة الموضوعية، و هذا مثل خطراً على الأمة و نقلها إلى منطقة الصراعات و التناحرات، حتى صار المتتبع يسير بخطى سريعة إلى مجهول مظلم لاتعرف عواقبه و صار العثور على الحقيقة ضرباً من الاستحالة.

إنها جريمة الاعتداء على الأمانة التاريخية، فمسخوا صورتها، و شوّوها حقيقتها، و رفعوا الذين ليس من شأنهم الرفعة، فلمعوا صورهم، و نسبوا إليهم كل عظيم، لتصل إلى اللاحقين ناصعة بيضاء مشرقة، و هذا ما فعلوه مع الشخصيات الرسالية التي كانت تدأب جاهدة في إثراء التاريخ بكل ما من شأنه أن يجعل التاريخ تاريخاً مشرفاً يفتخر المرء بأئه أحد المنتسبين إليه، فشوها صورهم الناصعة لتصل إلى اللاحقين صوراً مشوهة مزيفة.

إن هذه الأيادي التي استأجرت لتقلب الحقائق بقلمها المرتق إنما فعلت ذلك بعد ما باعت آخرتها بدنيا غيرها، و بعد ما باعت طاقاتها بجفنة من الدراهم المعدودة، و بعدما قبرت ضمائرها لتخلق من أقلامها و حوشاً تنهش الأمانة التي يجب أن تكون

موجودة عند كلِّ صاحب قلم و عند كلِّ ذي مادة علمية، فرفعت الداني، و أنزلت العالي، و نسبت و قالت و وضعت، حتَّى أصبح تاريخ المسلمين في كثير من المواضع موضع ريب و توقّف.

ناهيك عن التقية التي كان يعيشها الشيعة خوفاً من التنكيل و هرباً من ألوان العذاب الذي كان ينتظرهم لا لأجل جريمة اقترفوها هنا أو جريمة عمدوا إليها هناك، بل كانت لأجل موالاتهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام، فاعتبروا موالاته عليّ جريمة تستحق القتل و هم بذلك يريدون أن يقتلوا فكر عليّ في كل نفس شيعية.

وسعيّاً في إنجاز هذا المشروع بأكمل وجه سائلين المولى تبارك و تعالى أن يتقبل أعمالنا بأحسن القبول.

٢ - تمّ الاستعانة بالعالم الجليل العلامة الشيخ «محمدرضا الجعفري» حفظه الله تعالى للمساهمة في إثراء مجال البحوث و الدراسات و النهوض بالمركز من الجهة العلمية و الاشراف على الحركة العقائدية المتواصلة، و ذلك لما يحمله الشيخ من علم وافر و آراء دقيقة سديدة، خصوصاً وأنه قد صرف عمره الشريف في التحقيق و تقديم الدراسات و النظريات خدمةً للمذهب، و تلبيةً لهذا النداء قام سماحة الشيخ مشكوراً بالانتقال إلى مدينة قم المقدسة ليكون مشرفاً مباشراً على المؤسسة، فكان وجوده الرصيد الأكبر للمؤسسة، مما حفّز كثيرين للعمل بمجدّ و التسابق لتقديم الأفضل للمذهب، خصوصاً أن سماحة الشيخ قد قام متفضلاً بنقل مكتبته العامرة للمركز ليخلق بذلك

حافظاً آخر للنهوض بالمسيرة والخروج بنتائج علمية مشرقة.

٣ - طباعة مجموعة من الكتب التي تخدم المذهب في مواضيع متعددة، إحداها و هي التي بين يديك، كتاب مغيرة بن شعبة.

كتاب يتناول حياة المغيرة بن شعبة جاهلية وإسلاماً، ويتوقف عند المحطات المهمة في مسار هذه الشخصية، اعتماداً على روايات معتبرة لدى جمهور علماء أهل السنة. كيف أسلم المغيرة بن شعبة، وما هي المواقف والمميزات التي تميّزه من غيره من معاصريه؟

ما هو أثره في الحديث النبوي الشريف؟

ما هي المواطن المفصلية في سيرته؟

ذلك ما حاول الكاتب مناقشته في هذا الكتاب، معتمداً في معظمه على روايات جاءت على لسان المغيرة بن شعبة نفسه.

والكاتب هو الاستاذ عبدالباقي قرنه من الجزائر.

في نهاية سنة ١٩٨٦ كان الكاتب في طريقه إلى الهند ليلتحق بـ (دارالعلوم ندوة العلماء) عندما حصلت المفاجأة التي غيرت مجرى حياة الأستاذ عبد الباقي، وفتحت أمامه نافذة جديدة للإطلاع على عالم القيم.

حين وصل إلى دمشق كان تصوّر الكاتب لمذهب أهل البيت عليهم السلام هو نفس ما

يحملة كل مخالف لهم، يستقي معلوماته عنهم من طرف خصومهم، ولم يحاول أن يقرأ عنهم شيئاً من جهتهم، باعتبار أن شيوخ السلف قد كفوه مؤونة ذلك، وذات مساء لمحت عيناه في إحدى المكتبات كتاباً أحسّ بالانجذاب إليه، كان عنوان الكتاب «الإمام الصادق و المذاهب الأربعة» للمرحوم أسد حيدر. وأخذ الأستاذ عبد الباقي الكتاب و شرع في تصفّحه.

كان الأستاذ عبد الباقي حين قراءة الكتاب على مذهب مالك، كما هو شأن جميع أبناء المغرب العربي، وابن خلدون من فقهاء المالكية، وقد كان قاضي قضاة في زمانه و مات و هو على القضاء، ولكن، هل هذا يخول له أن يردّ مُحكم القرآن الكريم؟!... هنا كانت لحظة التأمل التي غيّرت مجرى حياة الكاتب عبد الباقي قرنه، وجعلته يعيد النظر في ما ورثه من تراث لا يبالى أصحابه بتكذيب القرآن الكريم انتصاراً منهم لشييوخهم و مذاهبهم...

من يومها، أحسّ الأستاذ عبد الباقي قرنه، أن في ذمّته أن يحاول قدر استطاعته أن يعرف الناس بما تعرّف عليه هو، وأن يجعل من ذلك شغله الشاغل وهدفه الأسمى في هذه الحياة الدّنيا، وعليه نرى أنه قام بتأليفات عدة

١ - قراءة في سلوك الصحابة.

٢ - حياة معاوية.

٣ - الذين في قلوبهم مرض.

٤ - الوهمي والحقيقي في سيرة عمر بن الخطاب.

٥ - مغيرة بن شعبه وهو هذا الكتاب الحاضر.

وفي الختام لابد أن نتقدم بالشكر الجزيل للذين كان لهم دوراً في مساعدة الأستاذ
في تهيئة وتقديم هذا الكتاب.

مركز الثقافة الجعفرية

للبحث والدراسات

قم المقدسة ١٤٣١

كلمة العلامة المحقق والمدقق الشيخ اليوسفي الغروي - حفظه الله تعالى -

باسمه تعالى

أخي عبد الباقي الجزائري جزاك الله عن دينه ونبيه خيراً كثيراً، والسلام عليك
ورحمة الله وبركاته.

وبعد؛ فقد أعددت فيما بين يديّ أربعمئة وأربعين صحيفة ، تصفّحت فيها ما جاء
من الأنباء بشأن ابن شعبة الثقفي، ثاقباً نقيباً، بخلاف ما قد يتوقعه المتوقّعون على
مُتنبّيات مدرسة الخلافة الرسمية ممّا أسموه بقاعدة (عدالة الصحابة) متوسّعين في
معنى الصحابي إلى أوسع معانيه اللغوية، بلا أي قيد أو شرط!

والأربعون صفحة من أوائل هذه الأربعمئة والأربعين ، قدّمَتها أمام هذا الكتاب
المستطاب كطائفة من البحث المقدمي التمهيديّ لإزالة مثل هذه العثرة ، بل العقبة
الكثود دون تحرّي حقائق الأمور، عسى ولعلّه يزيل تلك العقبة عن طريق القارئ
الفاحص الدقيق فيتخلّى عن ذلك الموروث التقليدي العتيق، ليصل بالتحقيق إلى
الحقائق والصواب في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وأنا في تسجيلي هذه الكلمات هنا لا أحاول أن أسجل على القارئ المتحقق شيئاً
قبل أن يجده بنفسه، وإنّما قيّدت بها ما شعرته في قرارة نفسي من تصفّحي وسيري
في مجهودك هذا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوك اليوسفي الغروي

١١/١ / ١٤٣٠ هـ. ق

بَلِّغْهُ سَالِي، أَيْ عِدَّةِ الْإِنْسَانِ الْبَرِّ الْأَمْرِى جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ دِينِهِ وَنَبِيَّتِهِ خَيْرُ أَنْسِرَاءٍ، وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَوَلَدُهُ وَوَلَدَاتُهُ
 وَبَعْدَهُ وَقَدْ أَعْدَدَتْ فَيَا بَيْنَ يَدَيْ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ مَجْدِيَّةً، نَصَحَتْ بِهَا مَا جَاءَ مِنْ الْأَنْبَاءِ، بَعَثَ ابْنُ مَرْيَمَ
 النَّصِيحَ، تَأَمَّلُوا تَأَمَّلُوا، عَلَى بَخْلَاتِ مَا قَدْ تَوَقَّعْتُمُ الْمَقُوتُونَ عَلَى مُبَيَّنَاتٍ مَدْرَسَةِ الْخَلَاءِ الْكَرِيمَةِ هِيَ بِحَالِهَا
 نَفَاعَةٌ «عَدْلُ الْوَحَايَةِ» سَوَاعِيهِ فِي مَعْنَى «الْوَحَايَةِ» إِلَى أَوْسَعِ مَعَانِيهِ لِلْفَوْزِ بِهَا أَيْ قَدَرِ أَوْسَطِهَا
 وَالْأَرْبَعُونَ صَفْحَةً مِنْ أَوَّلِ هَذِهِ الْأَرْبَعِينَ صَفْحَةً، فَدَرَسَهَا أَمَامَ هَذَا الْكَلْبِ الْمَسْطُورِ
 كَمَا تَقَعُّ مِنْ الْجِبِّ الْمَغْدَى (الْمَكِيدِ) لِإِزَالَةِ سُلْطَانِ هَذِهِ الْعَرِيقَةِ الْكُتُوبِ دُرُونَ كَرَى صَفَائِثِ الْأَسْوَرِ
 عَسَى وَلَهُ نَزِيرٌ عَلَى هَئِلِ تِلْكَ الْعَقِيَّةِ مِنْ طَرِيقِ الْكَارِئِ الْإِبَاهَةِ الْفَاصِحِ
 وَفِيهِ عَنِ ذَنْتِ الْمَوْرُوثِ الْقَلْبِي الْعَيْقِ، لِيَسْلُحَ بِالْحَقِيقِ إِلَى الْخَطَائِقِ وَالصُّوَابِ فِي هَذَا الْكَلْبِ، إِنْ سَعَى اللَّهُ هَالِكُ
 وَأَنَا فِي سَجَلِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ هَذَا لَا لِحَيْدٍ أَطْلُوكَ أَنْ أُسْجَلَ عَلَى الصَّارِ الْخَفِيِّ عَيْنًا مِثْلَ أَنْ يَجِدَ: نَفْسِي،
 وَإِنَّمَا قَدَرْتُ بِهَا مَا سَعَرْتُمْ عَلَى قَرَارَةِ نَفْسِي مِنْ نَصِيحِي وَسِرِّي فِي مَجْهُودِكَ هَذَا، وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ - أَخُو الْيُوسُفَ الْكَلْبِي
 ١١٠٠ - ١١٠٠

كلمة العلامة المحقق والمدقق السيد علي الحسيني الميلاني - حفظه الله تعالى -

بسمه تعالى

السلام عليكم

لقد أطلعت على هذا الكتاب في الجملة، وهو - إنصافاً - كتاب تحقيقي مفيد،
قد بذل مؤلفه المحترم جهداً كبيراً فيه، واستخرج مطالب قيّمة من المصادر
والمراجع المهمة.

طباعة ونشر هذا الكتاب في نظري أمر سوف يحظى بالشكر والتقدير من
طرف أهل التحقيق والبحث العلمي.

السيد علي الحسيني الميلاني

١٣٨٧ / ١٢ / ٢٣ هـ ش

بسمه تعالى
السلام عليكم

این کتاب را در الجمله ملاخذه نمودم، انصافاً
کتاب تحقیقی مفیدیست و مؤلف محترم زحمات
و مطالب ارزنده‌ای را از منابع مهم استخراج نموده، در
م نظریه‌ای جانب چاپ این کتاب موجب شکر محسوب می‌گردد.

علی حسین میلانی
١٣٨٧ / ١٢ / ٢٣

كلمة العلامة المحقق والمدقق الشيخ عليّ الكورانيّ العاملي - حفظه الله تعالى -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .
وبعد ، فإن الأخ العالم الفاضل الشيخ عبد الباقي الجزائري من عيون
الطلبة المغاربة الذين درسوا في حوزة قم المشرفة وتخرجوا منها .
وقد تميز بصفات جعلته من الباحثين المؤلفين والحمد لله ، ومنها الدأب
والمتابعة على طلب العلم ، وبذل الجهد في البحث والتتبع خاصة في علم
التفسير والحديث والتاريخ والعقائد ، وقد ألف عدة كتب مفيدة .
وفقه الله وكثر من أمثاله ، وجعله من خيار خدمة الإسلام ، ورسوله وأهل

بيته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم .


عَلِيّ الْكُرَانِيّ
١٢ ربيع الأول
١٤٣٠

مقدمة المؤلف

في البداية، أودّ أن أشير إلى بعض ما يتعلّق بترائنا الفكريّ: كيف دُوّن؟ وما هي القنوات التي وصل إلينا عبرها؟ علّنا نوفّق للتمييز بين الصّحيح والسّقيم. وفي تصوّري أنّ معرفة الحقّ لا تتأتّى إلّا بمعرفة الطّريق الصّحيح الموصل إليه، وهذا الطّريق وإن كان مبيناً - عندنا نحن المسلمين - في القرآن الكريم، بصفاته وخصائصه، إلّا أنّ تشخيصه من بين السّبل الأخرى ليس بتلك السّهولة؛ وخير شاهد على ذلك ما عليه أتباع الأديان من التمسك بما ورثوه عن آبائهم وأسلافهم، فإنّ كلّ واحد منهم يحسب أنّه على الحقّ، ويدافع عن معتقده بكلّ ما أوتي من قوّة، ويجتهد لغرس ذلك وترسيخه في أذهان أولاده وأحفاده، ليضمن استمرار ما يعتقد أنّه الحقّ. وهذا نفسه موجود عندنا في مذاهبنا المتوارثة.

هل يكفي القطع بشيء كيما يكون حقّاً أو يوصف بأثّه الحقّ؟ وهل يمكن أن يكون الإنسان لا مع الحقّ ولا مع غير الحقّ؟

محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة لا تقلّ أهميّة عن تعريف المصطلحات والخوض في الإيتيمولوجيا وأخواتها، هذا إذا كان الباحث يربط بين معرفة الحقّ واتباع الحقّ، فإنّ معرفة الحقّ وحدها غير موجبة لاتباعه إذا لم يكن هناك صوت للضمير، يواكب البحث مرحلة مرحلة، ومحطّة محطّة، وهذا ثابت في القرآن الكريم، جليّ لمن أمعن النظر في قول قائلهم كما حكى الذكر الحكيم: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ

فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم^(١). وكنت قد كتبت سابقاً فصلاً بخصوص معرفة الحق، وراجعته مراراً، فلم يسعني سوى إقرار ما كتبت، باعتبار أنني أستند فيه إلى مصاديق مأخوذة من القرآن الكريم تنطبق على مفاهيمها انطباق الظل على شخصه؛ ولا زلت على موقفي مما كتبت طالما لم يتبين لي فيه موضع خلل. قلت فيما كتبت: "محبة الحق مغروسة في النفوس، فلا تجد من يقول إنه لا يحب الحق. وما قام الكون إلا بالحق؛ لكن الدنيا دار تراحم، والإنسان يتعلق ببعض ما زين فيها، ولا يزال يحبه ويتعلق به ويزداد تعلقه به حتى يعميه ويصمه، فيغدو مستعداً للتضحية بالقيم التي يؤمن بها من أجل المحافظة على ما تعلق به نفسه. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في آيات عديدة، يفهم منها أن الإنسان المتكبر للحق لا يتنكر له عن جهالة، وإنما يفعل ذلك عن علم ويقين، والدافع إلى ذلك التنكر لا يعدو أن يكون تعلقاً بالمال، أو المنصب، أو السمعة وحب الرئاسة... قال الله تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾^(٤). و قال تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن

(١) ﴿إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

[الأفـال : ٣٢]

(٢) النمل : ١٤.

(٣) البقرة : ١٠٩.

(٤) البقرة : ٤٢.

فريقاً منهم ليكتمون الحقّ وهم يعلمون^(١)». وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ
الحقّ بالباطل وتكتمون الحقّ وأنتم تعلمون^(٢)».

فالحقّ بين لمن يطلبه إذا صفت النفس وحسنت السّريّة، لأنّ ذلك يؤدّي إلى
تحقّق البصيرة، ومن تحقّقت بصيرته شاهد الأمور على ما هي عليه، وتمّ له ما يريد
من انسجام بين نفسه ومعتقده. وليس الأمر كذلك إذا كان الهوى مستولياً على النفس
مستحكماً متمادياً، لأنّ قوى الإنسان الحسيّة والمعنويّة تصبح ساعتها مسخّرة لخدمة
الهوى، ولا أضّرّ على دين الإنسان من اتباع الهوى، فإنّه لا يزال بصاحبه حتى
يتّخذهُ إلهاً؛ شهد بذلك القرآن الكريم: ﴿أَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ
وَكِيلاً^(٣)».

يقول الشيخ محمّد عبده في شرح نهج البلاغة: «إنّ ما يمكن أن يكون عليه
الإنسان ينحصر في أمرين: الحقّ والباطل، ولا يخلو العالم منهما، ولكلّ من الأمرين
أهل، فللحقّ أقوامٌ وللباطل أقوامٌ. ولئن أمر الباطل أي كثر بكثرة أعوانه فلقد كان
منه قديماً لأنّ البصائر الزائفة عن الحقيقة أكثر من الثابتة عليها. ولئن كان الحقّ قليلاً
بقلة أنصاره فلربّما غلبت قلّته كثرة الباطل، ولعلّه يقهر الباطل ويحقّقه^(٤)». انتهى كلام
الشيخ.

ولا أنسى حديث شيخ كان يحدثنا أيّام الشّباب وضرب لنا - يوماً أثناء حديثه -

(١) البقرة: ١٤٦.

(٢) آل عمران: ٧١.

(٣) الفرقان: ٤٣.

(٤) شرح نهج البلاغة، محمّد عبده، ج ١ ص ٤٨.

مثلاً للتمييز بين الحقّ والباطل فقال: " انظروا إلى القطّ مثلاً، إذا أعطيتموه قطعة لحم أو شحم فإنه سيأكلها أماكم آمناً، ثمّ يبقى ينتظر المزيد إذا هو فرغ منها؛ أمّا إذا خطفها منكم فإنه سيفرّ منكم ويذهب بها إلى مكان بعيد، ولا يبدأ الأكل إلاّ بعد أن يتأكد أنه أصبح آمناً من ملاحقتكم. هذا حيوانٌ يتصرّف بالغريزة، لم يذهب إلى المدرسة، ومع ذلك يعرف ما له وما عليه، ويميّز بين الأخذ المشروع وبين الخطف بالقوة ! إذا كان هذا شأن القطّ فما ظنكم بالإنسان؟! وقد سهّل عليّ هذا المثال فهم كثير من الأمور، وإن كنت قد رأيت فيما بعد من يخطفون منك كما يخطف القطّ لكنهم يقولون أمامك يأكلون ما خطفوه منك وهم يحدّقون فيك بكلّ وقاحة وصلافة. ولو قلت إنّ سلوك القطّ أقرب إلى الحضارة والتّمدّن من سلوكهم ما ظلمتهم شيئاً.

نعم، ما من شكّ أنّ النفوس تعرف الحقّ بالفطرة، وبصفة خاصّة حينما يكون الإنسان مظلوماً. هناك يتجلّى له الحقّ كالشمس في رابعة النهار لا يحجبها شيء، وتستوثق الصّلة بين الحقّ والعدل بحيث لا تقبل التّفكيك. أمّا حينما يكون الإنسان متعلّقاً بحظّ من حظوظ النفس ويعترض طريقه شيء ما فإنّ تعامل التّاس مع الحقّ يختلف، ولا يثبت عليه إلاّ من كان بينه وبين الحقّ سخيّة قديمة لا تفني بوصفها العبارة.

في أيامنا، في عصر التّطور التّكنولوجيّ الواسع، لم يعد التّاس أحراراً في تشخيص مواطن الحقّ، وإلّا هناك تفصيلاتٌ مسبقةٌ للحقّ تُهيأ في كواليس مجهلة كثير من التّاس، ويتمّ العمل بها كما لو كانت حياً منزلاً من السّماء لا يقبل التّقاش. وأضرب لذلك مثلاً ما جرى ويجري في فرنسا وبعض البلدان الغريبة حيث التّاس أحرارٌ

يلبسون ما يشاءون ويأكلون ما يشاءون، إلى غير ذلك مما يدخل تحت العنوان العريض للحرية؛ في هذه البلدان، حينما ترتدي المرأة المسلمة الحجاب الإسلاميّ تتحوّل إلى خطر على أمن المجتمع! هذا مع أن قانون البلد يضمن الحرية؛ أين غابت الحرية؟! أين ذهبت حقوق المواطن؟! نعم، من حقّ المرأة أن تلبس ما تشاء طالما لم تلبس شيئاً يشير إلى العفاف والطهارة، لأنّ العفاف والطهارة في بلد تسهر فيه البنات في التوادي الليلية إلى طلوع الفجر معدود من مظاهر التخلف. هناك إذاً مقدمات مطوية خلف الشعارات. فالحقّ قد تحدّده الدولة، كما قد يحدّده مجلس الأمن الدولي. وأعظم من ذلك أن يحدّده موروث ثقافيّ يعود إلى مئات السنين، لم يأخذ المشرفون عليه بعين الاعتبار الأجيال التي تليهم، والتي قد تخالفهم في كثير مما يتبنّون. وليس من الإنصاف حرمان الأجيال من حقّها في تبنيّ المواقف أيّاً كان التبرير المقدم، لأنّ الأجيال تتساوى في الحقوق، خاصّةً حينما تكون تنتمي إلى دين واحد ولغة واحدة. وبالمناسبة تحضرنى في هذا المقام كلمة منسوبة إلى الإمام علي عليه السلام قال فيها: "لا تؤدّبوا أبناءكم بأدابكم فإنّهم خلقوا لزمان غير زمانكم". وبهذا الكلام وأمثاله يخرج الإمام علي عليه السلام من مجموعة الوصاية الفكرية، داعياً إلى الحرية الفكرية الصحيحة.

نعم، لا شكّ أنّ الإسلام احترام الإنسان، سواءً بلحاظ الفرد أم الأسرة أم القبيلة أم الأمة؛ لكن، هل احترام المسلمون الإنسان؟ هل سمحوا للأجيال أن تتبنّى ما تريد وأن تخطّط لنفسها ما تريد ضمن دائرة الإسلام؟

إنّ الواقع يوقفنا على خلاف ذلك، ويقدم لنا التماذج التي تكشف عن تجاهل الإنسان وحقّه في الكرامة التي لا تستقيم الحياة إلّا بها. فقد يتحمّل الإنسان الجوع

والفقر، وقد يتجمل السّجن، وقد يتحمّل التّقي، لكنه لن يتحمّل العيش الذّليل إلّا إذا انسلخ من كرامته وصار أخا البهيمة لا يبالى بما وراء الأكل والشّرب والتّوم. ولذلك حرص الإسلام على مسألة العزّة ولم يأذن للمسلم أن يخاطر بها ﴿والله العزّة ولسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾^(١).

حُرمت أجيالٌ إسلاميّةٌ كثيرةٌ من معرفة الحقيقة، كما حرمت أجيالٌ كثيرةٌ من حريّة التعبير واتّخاذ المواقف المنسجمة مع ضمائر أصحابها، ولم يحظ بالاحترام إلّا من حكم. الحاكم في التّاريخ الإسلاميّ هو وحده الذي يبقى فوق كلّ اعتبار حتى لو رمى الكعبة بالمنجنيق وأحرق أستارها، واستباح مدينة التّبي ﷺ وأعراض المؤمنين والمؤمنات، وسبح في بركة من الخمر، وقضى ليله بين الكأس والعود حتى مطلع الفجر. لا بدّ من احترام هذا الحاكم لأنّه خدم الإسلام بطريقة أو بأخرى! ولا بدّ من احترام الحاكم لأنّ الفقيه قال ذلك، لكن أيّ فقيه؟

قدم ناسٌ من الأندلس إلى الحجاز لأداء مناسك الحجّ، وتعرّفوا على مالك بن أنس الفقيه، فقال لهم هذا الأخير كلاماً مضمونه: "إنّ أميركم لا يظلم رعيّة!" وعاد الحُجّاج بعد أداء مناسكهم، وسمع الملك الأمويّ كلامهم فأعجب بمالك بن أنس، ومن يومها فرض مذهب مالك بن أنس نفسه في بلاد المغرب^(٢) كأنّما نزل بذلك وحيٌ من السّماء. هكذا وببساطة، أعجب الفقيه بالأمير، وأعجب الأمير بالفقيه، فنتج عن ذلك سيطرة مذهب الفقيه على تلك البلاد قروناً متطاولةً، ولا تزال السيّطرة ساريةً إلى

(١) المنافقون: ٨.

(٢) المغرب يومها كان يعني الأندلس وبلدان المغرب العربي في أيامنا.

اليوم. من ذا الذي يستطيع اليوم أن يناقش شرعية مذهب مالك في بلاد المغرب؟ إنها قضية لا تقبل النقاش، مع أن مالك بن أنس لم تطأ رجله أرض المغرب العربي لحظة فما فوقها!

هذه القصة من باب المثال على الوصاية الفكرية التي مارسها أشخاص وجماعات في حق الأجيال، والتي لا تزال من الملفات المطوية المستعصية. بل يكفي أن يتطرق الباحث إليها ولو بشكل عابر ليحكم عليه أنه يعاني من انحراف فكري، لأن في الحديث عن الوصاية الفكرية مساساً بالدين وتعرضاً لمن نقلوا إلينا القرآن الكريم والسنة الشريفة! وهذا يعني أن الوصاية الفكرية المفروضة تلبست بالشرعية ولا خوف ولا حزن عليها، وليهنأ مؤسسها ولينم قرير العين، رغم أن الذين نقلوا إلينا القرآن الكريم والسنة الشريفة عبدوا الأصنام قبل ذلك عشرات السنين!

ويبقى السؤال مطروحاً: من الذي سمح لأولئك أن يقرروا باسم أجيال جاءت بعدهم؟ ولماذا سكت العلماء عن ذلك؟ هل هو الخوف من العوام؟ أم رعاية المصالح الشخصية والمذهبية؟ أم أن طبيعة المسألة تفضل استمرار الوصاية من أجل حفظ التوازن بحيث لا يجوع الذئب ولا يغضب الراعي؟! فإن التناقضات والتضاربات الموجودة في تاريخنا نحن المسلمين لا تشير إلى احترام نبي الإسلام ﷺ، لا في نفسه ولا في أهل بيته ولا حتى في شريعته. فهذا مروان بن الحكم ملعون على لسان النبي ﷺ ومع ذلك يصبح خليفة، فيجلس مجلسه ويتصرف باسمه! بينما علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لا يضاهيه في خدمة الإسلام أحد، والذي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، أصبح يلعن على أكثر من ثمانية عشر ألف منبر طيلة تسعين سنة!

منابر سيدها بسيفه فإذا هي تلعنه! كيف تمّ هذا وأين كانت عقول المسلمين؟ ولماذا لم يحظ عليّ بن أبي طالب عليه السلام بما حظي به غيره من الصحابة من وجوب الاحترام والإجلال والتّقدّيس؟!

لأجل هذا وأمثاله يتوجّب على المسلم الذي يؤمن بقول الله تعالى: ﴿ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾^(١) أن يتحرّر من الأحكام المسبقة والموروثات الملقّنة بما يجعله في مستوى العامل بالآية الشريفة المخالف لهواه. وإنّه لمن الصّعب أن يتحرّى الباحث الصدّق في دائرة سيطر عليها يوماً من الأيام أناسٌ ينظرون للباطل ويحوظونه جهد ما استطاعوا. وحتى لا يكون هذا الكلام في نفسه حكماً مسبقاً، هذا مثال أبسطه للقارئ الكريم وأترك الحكم له، وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

روى المغيرة بن شعبة التّقيّ أنّ رسول الله ﷺ قال يوماً لأبي جهل: يا أبا الحكم؛ هلمّ إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله؛ فقال أبو جهل: يا محمّد، هل أنت منته عن سبّ آلهتنا؟ هل تريد إلّا أن نشهد أنّك قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت؛ فوالله لو أنّي أعلم أنّ ما تقول حقٌّ لاّ تبعتك. فانصرف رسول الله وأقبل [أبو جهل] عليّ فقال: والله إنّني لأعلم أنّ ما يقول حقٌّ، ولكن يمنعني شيء. إنّ بني قصي قالوا فينا الحجابة، فقلنا نعم، ثمّ قالوا فينا السّقاية، فقلنا نعم، ثمّ قالوا فينا التّدوة، فقلنا نعم، ثمّ قالوا فينا اللّواء، فقلنا نعم، ثمّ أطعموا وأطعمنا، حتّى إذا تحاكّت الركب قالوا ممّا

نبي. والله لا أفعل^(١).

يقول أبو جهل: والله إني لأعلم أن ما يقول حق! فهو يعترف بأن ما يقوله النبي ﷺ حق. لكن هل ينقاد له؟ إنه يقول بعد ذلك: ولكن يمنعني شيء! وفي آخر كلامه يقول: والله لا أفعل.

فحينما تتحكم الأحكام المسبقة في منهج التفكير نفسه لا يتوقع من البحث أن يأتي بنتيجة تخالف تلك الأحكام المسبقة، بل إنه سيأتي بما يكرس تلك الأحكام ويرسخها؛ وليس معنى ذلك سلب القدرة عن الباحث بحيث يمشي في طريق مرسوم كالسكة الحديدية لا ينحرف عنه لا يميناً ولا شمالاً، وإنما المقصود أن السلامة من تأثير تلك الأحكام تحتاج إلى درجة عالية من الوعي المستمر طيلة البحث، ومحكمة التصوص إلى مبادئ ومعايير لا ينفرد بها الخط الذي ينتمي إليه الباحث، كما تحتاج إلى شيء من التقوى.

قال الذهبي في ترجمة عبد الله بن خراش: "قال ابن عدي: سمعت عبدان يقول قلت لابن خراش: حديث ما تركنا صدقة؟ قال: باطل، أتهم مالك بن أوس بالكذب، ثم قال عبدان: وقد روى مراسيل وصلها، ومواقيف رفعها. قلت^(٢): جهلة الرافضة لم يدروا الحديث ولا السيرة ولا كيف ثم، فأما أنت أيها الحافظ البارع الذي شربت بولك إن صدقت في الترحال، فما عذرك عند الله مع خبرتك بالأمر؟ فأنت زنديق معاند للحق، فلا رضي الله عنك. مات ابن خراش إلى غير رحمة الله سنة ثلاث

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٣ ص ٦٥.

(٢) القائل هو الذهبي.

وثمانين ومائتين^(١).

هذا رجلٌ قضى عمره في طلب الحديث، وعانى في ذلك حتى شرب بوله خمس مرات، وهو ما يدلّ على الصبر والتحمل وتعظيم شأن الحديث، لكنّه خالف الخطّ الذي ينتمي إليه الذهبي في مسألة ليس هو أوّل من خالفه فيها، فحكم عليه بالخروج من الإسلام، واتّهمه بالزندقة، وزعم أنّه من أهل سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى فقال: "مات ابن خراش إلى غير رحمة الله!" لأنّ إدخال التّاس في الدّين وإخراجهم منه بيد الذهبي؛ فالْمُؤْمِن من شهد له الذهبي بالإيمان، وغير المؤمن من نفى عنه الذهبي الإيمان! والحال أنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيّدة نساء أهل الجَنَّة تقول نفسَ ما يقوله ابن خراش، وهي في الجَنَّة قطعاً، لا ينكر ذلك إلّا مارقٌ من الدّين، فهل يُجري عليها الذهبي نفس الحكم؟! وكيف يبعد الله من رحمته عبد الله بن خراش لأنّه ردّ هذا الحديث ثمّ يعطي فاطمة ﷺ مقام السيّادة في الجَنَّة وهي أيضاً تردّ هذا الحديث كما ردّه ابن خراش بل هي السابقة إلى ردّه؟ كيف يجري هذا في دين واحد وحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد؟ بل كيف يقول ربّ العالمين في كتابه الكريم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٢) ثمّ يجري مثل هذا على عبد الله بن خراش دون سائر من يرّد هذا الحديث؟ هل هناك ظلمٌ أعظم من هذا؟

وما أكثر أمثال هذا في تراثنا، وهو يعامل بتجاهل تامّ كأنّ قول الله تعالى ﴿إِنْ

(١) تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج ٢ ص ٦٨٥.

(٢) الكهف: ٤٩

السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴿^(١)﴾ يعني غيرنا؟!
قبل الشروع في تفاصيل حياة المغيرة بن شعبة، هذه كلمة لحذيفة بن اليمان أنصح
القارئ الكريم بتأملها وتدبرها ومحاولة استشفاف ما وراءها.
قال أبو هلال: عن قتادة، قال حذيفة : لو كنت على شاطئ نهر، وقد مددت يدي
لأغترف فحدتكم بكل ما أعلم ما وصلت يدي إلى فمي حتى أقتل ^(٢) !
وهذا حديثٌ ترويه المرأة الصالحة أم سلمة (رض) قالت:
"قال النبي ﷺ: من أصحابي من لا أراه ولا يراني بعد أن أموت أبدأ. فبلغ ذلك
عمر، قال: فأثاها يشتد أو يسرع شك شاذان. قال: فقال لها (عمر): أنشدك بالله ! أنا
منهم؟ ويده الدرّة ^(٣) ."

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) تهذيب الكمال، المزني، ج ٥ ص ٥٠٧.

(٣) لا يخفى على القارئ قوة ونفوذ درّة عمر حتى قيل عنها "أهيب من سيف الحجاج".

حديث المؤاخذة بعمل الجاهلية

حديث المؤاخذة جديرٌ بالتدبر والتأمل، لأنه يرتبط بمبدأ العدل الإلهي، كما يبين الإسلام الصحيح المقبول من الإسلام الشكلي المدخول؛ وهو أيضاً حديث يفنّد مدّعيّات المرجئة الذين جعلوا الدين واللادين شيئاً واحداً، فتجراً على المعاصي من رحب بمقولتهم ومضى نفسه الأمانى. والحق أن الإسلام أعطى مكانةً خاصّةً لتزكية النفس، وتحدّث عن التزكية ولم يتحدّث عن التربية، لما في ذلك من التكلّف والمجاهدة؛ فإنّ الطفل يتربّى على الشّيء دون مشقّة إذا تهبّأت لديه الأسباب التمهيدية، بينما يحتاج الرّاشد إلى مجاهدة ليحمل نفسه على مخالفة ما تشتهي، ويرسخ فيها حبّ الفضائل ومجانبة الرذائل.

حديث المؤاخذة ورد في الصّحّاحين وغيرهما من الكتب المعتمدة، ومضمونه يشير إلى قضية مهمّة في الإسلام، وهي مسألة الاستقامة في قبال الانحراف واتباع خطوات الشيطان الرجيم.

جاء في صحيح البخاري ما يلي :

"حدّثنا خلاد بن يحيى حدّثنا سفيان عن منصور والأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود (رض) قال: قال رجل: يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهليّة؟ قال: من أحسنَ في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهليّة، ومن

أساء في الإسلام أخذ بالأوّل والآخِر^(١). و رواه مسلم أيضاً في صحيحه^(٢)
وأحمد بن حنبل بنفس اللفظ^(٣).

قال ابن حجر في فتح الباري بخصوص هذا الحديث:

إذا ارتدّ ومات على كفره كان كمن لم يسلم فيعاقب على جميع ما قدّمه، وإلى ذلك أشار البخاريّ بإيراد هذا الحديث بعد حديث أكبر الكبائر الشُّرك، وأورد كلاً في أبواب المرتدّين؛ ونقل ابن بطّال عن المهلب قال: معنى حديث الباب من أحسن في الإسلام بالتّماذي على محافظته والقيام بشرائطه لم يؤاخذ بما عمل في الجاهليّة، ومن أساء في الإسلام أي في عقده بترك التّوحيد أخذ بكل ما أسلفه. قال ابن بطّال: فعرضته على جماعة من العلماء فقالوا: " لا معنى لهذا الحديث غير هذا، ولا تكون الإساءة هنا إلّا الكفر للإجماع على أنّ المسلم لا يؤاخذ بما عمل في الجاهليّة".

(١) صحيح البخاري، ج ٨ ص ٤٩.

(٢) صحيح مسلم، ج ١ ص ٧٨.

(٣) الحديث أيضاً في مسند احمد، ج ١، ص ٤٠٩ و ص ٤٣١ و سنن الدارمي، ج ١، ص ٣ و سنن ابن ماجه القزويني، ج ٢، ص ١٤١٧ و سنن البيهقي الكبرى، ج ٩، ص ١٢٣ و صحيح ابن حبان، ج ٢، ص ١٢٢ و مجمع الزوائد للهيتمي، ج ١، ص ٩٥ و مسند أبي داود، ص ٣٤ و مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ج ١٠، ص ٤٥٤ و مسند أبي يعلى، ج ٩، ص ٦ و صحيح ابن حبان، ج ٢، ص ١٢٢. سنن الدارمي، ج ١، ص ٣ و السنن الكبرى للبيهقي، ج ٩، ص ١٢٣ و مسند أبي داود الطيالسي و المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ١٠، ص ٤٥٤ و مسند أبي يعلى الموصلي، ج ٩، ص ٦ و صحيح ابن حبان، ج ٢، ص ١٢٢ و الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي، ج ٢، ص ٥٥٦ و فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ج ٣، ص ٢٣٣ و فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ج ٦، ص ٤٩ و كشف الخفاء للعجلوني، ج ٢، ص ٢٢٥.

قلت^(١): وبه جزم المحب الطبري، ونقل ابن التين عن الداودي معنى من أحسن مات على الإسلام ومن أساء مات على غير الإسلام عن أبي عبد الملك البوني؛ معنى من أحسن في الإسلام أي أسلم إسلاماً صحيحاً لا نفاق فيه ولا شك، ومن أساء في الإسلام أي أسلم رياء وسمعة، وبهذا جزم القرطبي. ولغيره معنى الإحسان الإخلاص حين دخل فيه ودوامه عليه إلى موته، والإساءة بضد ذلك، فإنه إن لم يخلص إسلامه كان منافقاً، فلا ينهدم عنه ما عمل في الجاهلية^(٢).

وقال الآلوسي في تفسيره :

"هذا على ما فيه مبني على أن الإسلام يجب ما قبله مطلقاً وفيه خلاف، فقد قال الزركشي: إن الإسلام المقارن للتدبّر إنما يكفر وزر الكفر لا غير، وأمّا غيره من المعاصي فلا يكفر إلا بتوبة عنه بخصوصه كما ذكره البيهقي، واستدلّ عليه بقوله ﷺ: "إن أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بالأوّل ولا بالآخر وإن أساء في الإسلام أخذ بالأوّل والآخر" ولو كان الإسلام يكفر سائر المعاصي لم يؤاخذ بها إذا أسلم، وأجيب بأنه مع اعتبار ما ذكر من شبه التوزيع يهون أمر الخلاف كما لا يخفى على أرباب الإنصاف فتدبر" ^(٣).

لكن في فيض القدير عبارة يجدر تأملها، فقد جاء فيه ما يلي: وأمّا خبر "من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ومن أساء في الإسلام أخذ بالأوّل

(١) القائل هو ابن حجر.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ج ١٢ ص ٢٣٥.

(٣) تفسير الآلوسي، ج ٤ ص ١٧٠.

والآخر " فوارد على منهج التحذير^(١) .

وتبقى القضية مطروحة، وليس في كلام المناوي هذا ما يرفع الإشكال، لأنّ الدّين كلّ ما هو إلّا التحذير والترغيب، خصوصاً في قضية مثل هذه تتعلّق بالأخذ بالأوّل والآخر لا بعتاب أو ما شابه العتاب، فإذا أخذ المرء بالأوّل والآخر فأثى له النّجاة؟ والتّبيّ عليه السلام حينما يتحدّث عن الإسلام الذي يجبّ ما قبله إنّما يتحدّث عن الإسلام الصّحيح غير الإسلام الذي يتّخذه مدّعيه جنةً لتحصيل الحظوظ وحماية النّفس؛ فإنّ ذلك التّوع من الإسلام يرّده قوله عليه السلام " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه " .

وفي عمدة القاري: " قوله: (من أحسن في الإسلام) الإحسان في الإسلام الاستمرار على دينه وترك المعاصي. قوله : ومن أساء الإساءة في الإسلام الارتداد عن دينه " ^(٢) .

وهذا تمحّل لا يخفى على الحصيف، لأنّ الارتداد خارج دائرة الإسلام، والمرتدّ كافرٌ بإجماع المسلمين، فهو خارج الإسلام فما معنى أن يسيء في الإسلام وهو خارج الإسلام؟! اللهمّ إلا أن يكون مراده من الكلام الإسلام الشّكليّ والتّفاق الفعليّ، لأنّ المنافق معدودٌ في المسلمين تجري عليه أحكامهم.

وفي فيض القدير: (من أحسن في الإسلام) بالإخلاص فيه أو بالدخول فيه بالظاهر والباطن، أو بالتمادي على محافظته والقيام بشرائطه والالتقياد لأحكامه بقلبه

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ج ٣ ص ٢٣٣.

(٢) عمدة القاري، العيني، ج ٢٤ ص ٧٦.

وقال به، أو بثبوتيه عليه إلى الموت (لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية)، أي في زمن الفترة قبل البعثة من جنائته على نفس أو مال^(١).

وفي شعب الإيمان: "قال الحلبي رحمه الله تعالى: « وهذا على أن الطاعات في الإيمان إيمان، وأن المعاصي في الكفر كفر، فإذا أسلم الكافر أحبط إسلامه كفره، فإن أحسن في الإسلام أحبط طاعته تلك المعاصي التي قدمها في حال كفره، وإن لم يحسن في الإسلام بقيت تلك المعاصي مجالها لم يجد ما يحبطها، فأخذ بإساءته في الإسلام وفيما قبله، وبسط الكلام في شرح ذلك، ولا يلزم على هذا إلزامه قضاء ما ترك من صوم وصلاة، لأنه إن صام وصلى بعدما أسلم سقط عنه ما ترك في الكفر، بدلالة الحديث، وإن لم يصل، ولم يصم أمر بهما، وحمله على ذلك حمل له على ما إذا فعله سقط عنه ما مضى^(٢) ».

ولابن حزم كلام ناقش فيه الحديث^(٣) وما اكتنفه من اختلاف بين المحدثين والشرّاح أورد منه ما يلي:

"وحديث ابن مسعود زائد على ما في حديث عمرو غير مضادّ له، بل هو مبينٌ بياناً زائداً، وكلام رسول الله ﷺ لا يضادّ بعضه بعضاً، ففي حديث ابن مسعود زيادة حكم على ما في حديث عمرو، من أنه من أساء في الإسلام أخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أحسن في الإسلام سقط عنه ما عمل في الجاهلية، فإنما معنى حديث

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ج ٦ ص ٤٩ تحت رقم ٨٣٣٨.

(٢) شعب الإيمان، البيهقي (ج ١ ص ٢٩).

(٣) للطحاوي أيضاً كلام في الحديث في مشكل الآثار.

عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله بشرط الإحسان فيه، وبالله تعالى التوفيق. واعترضوا أيضاً بما حدثنا عبد الله بن يوسف، عن أحمد بن فتح، عن عبد الوهاب ابن عيسى، عن محمد بن عيسى، عن عمرويه..^(١).

أقول: إن هذه التوجيهات والتخريجات التي تمشي على استحياء لا تثبت أمام الآيات المحكمات والأحاديث الصريحة، ومن أنصف نفسه ودينه واستحضر عظمة الله تعالى حين الحكم على الأشياء لم يخف عليه التمثل والتعسف وأمور من ذلك القبيل يلجأ إليها المفسرون والمحدثون حفاظاً منهم على عدالة الجيل الأول الذي عاصر رسول الله ﷺ، وهو أمر لم يعد مقبولاً في ظل التحرر الفكري الذي تشهده المجتمعات الإسلامية المنفتحة على الثقافات والمتزودة بأحدث وسائل الاتصالات؛ ومهما يكن فإن الشباب الواعي اليوم يرفض أن يجتر ما قاله ابن حجر وابن تيمية وأشباههما منذ قرون؛ فالتبني ﷺ يتحدث بلسان عربي مبين ليس فهمه حكراً على المحدثين والمفسرين، وهو حينما يتحدث ويوجه خطابه إلى الحاضرين لا يهمل أجيال المستقبل، وليس في حديثه ما يسمح لمعاصريه (الصحابة) بممارسة وصاية فكرية على كل الأجيال التي تأتي بعدهم، بل إنه على عكس ذلك تماماً يسمي الأجيال الآتية إخوانه؛ ويتمنى لو رآهم، ويصفهم بأنهم أهل الإيمان العجيب!

في حوار بين النبي ﷺ والصحابة سألهم فيه عن أعجب الناس إيماناً فقالوا: الملائكة. قال: وكيف لا يؤمن الملائكة وهم يعاينون الأمر؟ قالوا: فالتبني ون يا رسول الله! قال: كيف لا يؤمن التبني ون والوحي ينزل عليهم من السماء؟ قالوا: فأصحابك يا رسول الله!

قال: كيف لا يؤمن أصحابي وهم يرون ما يرون؛ ولكن أعجب الناس إيماناً قوم يجيئون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، ويصدقوني ولم يروني، أولئك إخواني^(١). وفي الاستذكار: روى أبو صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: من أشدّ أمتي حبّاً لي ناسٌ يكونون بعدي يودّ أحدهم لو رآني بما له وأهله^(٢).

وكان سفيان بن عيينة يقول: تفسير هذا الحديث وما كان مثله بيّن في كتاب الله وهو قوله ﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله﴾^(٣).

وفي مجمع الزوائد: لكن أعجب الناس إيماناً قوم يجيئون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، ويصدقوني ولم يروني، أولئك إخواني^(٤). رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار والبرزّ وأحمد إلا أنّه قال: فانفجر من بين أصابعه عيون، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط^(٥).

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ج ١٢، ص ٦٩.

(٢) الاستذكار، ابن عبد البر، ج ١، ص ١٨٨.

(٣) آل عمران: ١٠١.

(٤) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٨، ص ٣٠٠.

(٥) اختلط الرجل لأن الحديث يؤكّد أن أجيال ما بعد الصحابة أعجب الناس إيماناً، وهذا يعني أن إيمانهم أعظم من إيمان الصحابة! الهيثمي نفسه يقول في مجمع الزوائد [ج ١٠، ص ٦٥]:
رواه البرزّ وقال غريب من حديث أنس، قلت فيه سعيد بن بشير وقد اختلف فيه فوثقه قوم وضعفه آخرون، وبقيّة رجاله ثقات. والحديث أيضاً في المعجم الكبير، الطبراني، ج ١٢، ص ٦٩ والاستذكار، ابن عبد البر، ج ١، ص ١٨٨.

الفصل الأول

(ثقيف) قبيلة المغيرة بن شعبة

- ١- ثقيف في القرآن الكريم.
- ٢- ثقيف في الأحاديث النبوية.
- ٣- ثقيف في أشعار العرب.
- ٤- من أعمال ثقيف قبيلة المغيرة.

ثَقِيف

ذكر محمد بن حبيب البغدادي في كتابه "المنق" تحت عنوان "منافرة عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وثقيف" أن الكاهن قال:

إن مقالي فاسمعوا شهادة
أني بني الضر كرام سادة
من مضر الحمراء في القلادة
أهل سناء وملوك قادة

زيارة البيت لهم عبادة

ثم قال : إن ثقيفاً عبد أبى فأخذ فعتق، ثم ولد فأبق فليس له في النسب من حق...أبق أي كثر ولده، والبق من هذا أخذ، ففضل عبد المطلب عليه وقومه على قومه^(١).

أقول: قوله " فليس له في النسب من حق " معناه أن ثقيفاً لا ينسب في الأحرار، لأن العرب تجعل العبد بعد عتقه مولى ولا تلحقه بها صريحاً.

وقال الزركلي:

ثقيف من عدنان: جد جاهلي، النسبة إليه ثقفى (بفتحيتين) قيل اسمه قسي، وثقيف لقبه. كانت منازل بنيهِ في الطائف، وهم عدة بطون، بقي منهم إلى عصرنا هذا كثيرون. وكان صنمهم في الجاهلية (اللات) مبنياً على صخرة في الطائف، هدمه خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة. وكانت تلبيتهم قبل الإسلام إذا حجوا: (لبيك، إن ثقيفاً قد أتوك،

(١) كتاب المنق، محمد بن حبيب البغدادي، ص ٩٧.

وأخلفوا المال وقد رجوك) وفي التّسايين من يعدّ ثقيفاً من بقايا ثمود، غير أنّ الحجاج بن يوسف الثّقفيّ كان يكذب ذلك. وقرأت في رسالة (بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج) لأحمد بن عليّ العبدريّ: لما توفي رسول الله ﷺ وارتدّت العرب ثبتت ثقيف وأنذرت من يرتدّ منها بالقتل، وقال وجوها: ما دخلنا آخر التّاس إلاّ لما تبين لنا من الحقّ، فمن ارتدّ قتلناه. وكانت بنو سليم تعير ثقيفاً^(١) فردّ عليها بأنّ لا رأي إلاّ لثقيف، تثبتوا أولاً في رأيهم فلما تحقّقوا الإسلام ودخلوا فيه آخراً ثبتوا عليه^(٢).

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في حوار بين المغيرة بن شعبة وهند بنت التّعمان بن المنذر، قال المغيرة لهند: فما كان أبوك يقول في ثقيف؟ قالت: أذكر وقد اختصم إليه رجلان منهم، أحدهما ينتهي إلى إباد، والآخر إلى هوازن، فقضى للأبادي وقال:

إنّ ثقيفاً لم تكن هوازنا ولم تناسب عامراً أو مازنا.

فقال المغيرة: أمّا نحن فمن بكر بن هوازن فليقل أبوك ما شاء^(٣).

وهذا يعني أنّ التشكيك في نسب ثقيف كان عند الملوك أيضاً، ولم يكن منحصراً لدى التّسايين أو الشّعراء، وشهادة مثل التّعمان بن المنذر لها وزنها.

أمّا قول المغيرة "أمّا نحن فمن بكر بن هوازن فليقل أبوك ما شاء" فلا يعدو أن يكون تحكّماً أو دفعاً بالصّدر، وهو شأن كلّ من يحاول فرض موقفه أو رأيه على

(١) هم كانت بنو سليم تعير ثقيفاً؟ الله أعلم.

(٢) الأعلام، الزركلي، ج ٢ ص ١٠٠.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٨ ص ٣٠٥.

الآخرين من دون أي دليل.

ولأنّ ثقيفاً ليست صريحةً في هوازن قال ابن قتيبة: "وأما هوازن بن منصور فولده بكرٌ وسبيعٌ وحربٌ ومنبّهٌ ولا عقب لسبيع وحرب ابني هوازن، وأما منبّه فهو أبو ثقيف في قول بعضهم"^(١)، ولم يطلق القول.

وفي أنساب السّمعانيّ في حوار أيضاً:

قال : لا والله ما أنا من باهلة، قالت: فممن أنت ؟ قال : رجل من ثقيف، قالت : أتعرف الذي يقول :

أضلّ الناسبون أبا ثقيف	فما لهم أبٌ إلا الضلال
فإن نسبتي أو انتسبت ثقيفٌ	إلى أحد فذاك هو المحال
خنازير الحشوش فقتلوهم	فإنّ دماءهم لكم حلال

فقال : لا والله ما أنا من ثقيف، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من سليح"^(٢)..

وفي معجم البلدان: "وقيل: إنّ ثقيفاً واسمه قسيّ كان عبداً لأبي رغال وأصله من قوم نجوا من ثمود، فهرب من مولاه ثمّ تقفه فسمّاه ثقيفاً، وانتّمى ولده بعد ذلك إلى قيس، وقال حمّاد الراوية : أبو رغال أبو ثقيف كلّها، وإنّه من بقيّة ثمود، ولذلك قال حسان بن ثابت يهجو ثقيفاً:

إذا التّقفيّ فاخرّكم ققولوا	هلمّ فعذّ شأن أبي رغال
-----------------------------	------------------------

(١) المعارف، ابن قتيبة، ص ٨٦.

(٢) الأنساب، السمعاني، ج ١ ص ٥١.

أبوكم أخبث الأحياء قدماً
وأنتم مُشبهوه على مثال
عبيد الفزر أورثه بنيه
وولّى عنهم أخري الليالي^(١)

قال ابن أبي الحديد:

"وقال قوم آخرون : إنّ ثقيفاً من بقايا ثمود، من العرب القديمة التي بادت وانقرضت. قال أبو العباس : وقد قال الحجاج على المنبر يزعمون أنّا من بقايا ثمود، فقد كذبهم الله بقوله : ﴿وَتُودَ فَمَا أَبْقَى﴾. وقال مرة أخرى: ولئن كنّا من بقايا ثمود، لما نجا مع صالح إلّا خيارهم"^(٢).

ومن قوله "يزعمون" يستشفّ أنّ هذا الزعم كان سائداً وشائعاً، مسنداً إلى كثيرين، ولولا أهمية الموضوع لما تناوله الحجاج بن يوسف على المنبر. وفي قول الحجاج "كذبهم الله" كلامٌ وأيّ كلام، لأنّه لا يلزم من ذلك ألا يكون بقي منهم أحدٌ. فقد قال الله تعالى في الرّيح: ﴿تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ ولم تدمر كلّ شيء بالمعنى الذي يراه الحجاج.

وما يسمّيه الحجاج بن يوسف زعماً ليس كذلك، لأنّه يستند إلى أقوال قائلين لا تردّ أقوالهم حال ثبوتها، فقد ذكر الطبري أنّ رسول الله ﷺ مرّ بقبر فقال: "أتعرفون ما هذا؟" قالوا: لا؛ قال: "هذا قبر أبي رغال الذي هو أبو ثقيف، كان من ثمود فأصاب قومه البلاء وهو بالحرم فسلم، فلمّا خرج من الحرم أصابه ما أصابهم فدفن هنا، وجعل معه غصنٌ من ذهب"؛ قال: فابتدر القوم بأسيافهم فحفروا حتى أخرجوا

(١) معجم البلدان، الحموي، ج ٣، ص ٥٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٨ ص ٣٠٦.

الفصن. قال القاضي أبو محمد: وهذا الخبر يردّ ما في السير من أنّ أبا رغال هو دليل
القبيل وحبيسه^(١)..

فعبارة النبي ﷺ واضحة، وهي قوله "كان من ثمود فأصاب قومه البلاء وهو
بالحرم فسلم..."، فأبو ثقيف كان من ثمود.

قال ابن كثير: وقد تقدّم في أوّل القصّة حديث جابر بن عبد الله في ذلك وذكروا أنّ
أبا رغال هذا هو والد ثقيف الذين كانوا يسكنون الطائف. وروى عبد الرزاق عن
معمر عن إسماعيل بن أميّة أنّ النبي ﷺ مرّ بقبر أبي رغال فقال "أتدرون من هذا؟"
"قالوا الله ورسوله أعلم قال "هذا قبر أبي رغال رجل من ثمود كان في حرم الله
فمنعه حرم الله عذاب الله"^(٢)..

و جاء في أنساب السمعاني [..] عن عبد الله بن راشد عن ربيعة بن قيس أنه سمع
عليّاً (رض) يقول : ثلاث قبائل يقولون إنّهم من العرب وهم أقدم من العرب، جرّهم
وهم بقيّة عاد، وثقيف وهم بقيّة ثمود، قال : وأقبل أبو شمر بن أبرهة الحميريّ فقال :
وقوم هذا وهم بقية تبع. قال ربيعة بن قيس وإلى جنبي رجل من بني ثقيف فقلت: ما
تسمع ما يقول أمير المؤمنين فيكم ؟ فقال : ما تريد؟ أن أردّ عليه حديثاً سمعته من
رسول الله ﷺ؟^(٣)

فقول الإمام علي عليه السلام إنّما هو نقلٌ لحديث رسول الله ﷺ كما يشهد به هذا

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ج ٢ ص ٤٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٢٣٩

(٣) الأنساب، السمعاني، ج ١ ص ٢٩.

الصَّحَابِيُّ التَّقْفِيُّ شَهِادَةً شَهِدَ مِنْ أَهْلِهَا، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ يَنْقُلُهُ ثَلَاثَةٌ مِنْ الصَّحَابَةِ، الْإِمَامُ عَلِيُّ عليه السلام وَالتَّقْفِيُّ الَّذِي يَقُولُ: "سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَبِيعَةُ بْنُ قَيْسٍ ^(١).

وَتَقِيفُ فَرَقَتَانِ؛ قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ: "فَتَقِيفُ فَرَقَتَانِ، بَنُو مَالِكٍ وَالْأَحْلَافُ؛ فَمِنْ بَنِي مَالِكِ السَّائِبُ بْنُ الْأَقْرَعِ، وَمِنْهُمْ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ مَالِكٍ وَيُقَالُ لَهُمْ الْأَثَرُونَ، وَمِنْ الْأَحْلَافِ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، وَالْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ، وَأُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ" ^(٢).

وَكَانَ لِتَقِيفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَوْرَاتٌ وَمَوَاقِفٌ مَخْزِيَّةٌ، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ أَبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَّاحِ صَاحِبَ الْفِيلِ لَمَّا قَدَّمَ لِهَدْمِ الْكَعْبَةِ مَرَّ بِالطَّائِفِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ مَسْعُودُ بْنُ مَعْتَبٍ فِي رَجَالٍ تَقِيفٍ، فَقَالُوا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ؛ إِنَّمَا نَحْنُ عُبَيْدُكَ، سَامِعُونَ لَكَ مُطِيعُونَ، وَلَيْسَ لَكَ عِنْدَنَا خِلَافٌ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا هَذَا الَّذِي تَرِيدُهُ، يَعْنُونَ اللَّاتَ، إِنَّمَا تَرِيدُ الْبَيْتَ الَّذِي بِمَكَّةَ، وَنَحْنُ نَبْعَثُ مَعَكَ مَنْ يَدُلُّكَ عَلَيْهِ، فَتَجَاوِزُ عَنْهُمْ؛ وَبَعَثُوا مَعَهُ أَبَايَ رِغَالَ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدُلُّهُ عَلَى مَكَّةَ، فَخَرَجَ أَبْرَهَةُ وَمَعَهُ أَبُو رِغَالٍ حَتَّى أَنْزَلَهُ بِالْمَغْمَسِ، فَلَمَّا نَزَلَهُ مَاتَ أَبُو رِغَالٍ هُنَاكَ، فَرَجَمَ قَبْرَهُ الْعَرَبُ، فَهُوَ الْقَبْرُ الَّذِي يُرْجَمُ بِالْمَغْمَسِ ^(٣).

وَكَانَتْ تَقِيفٌ شَدِيدَةً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ كَانَ يُعْرَضُ نَفْسُهُ عَلَى الْقِبَائِلِ، فَقَدْ

(١) قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي تَرْجُمَتِهِ (٢٦٢٨): رَبِيعَةُ بْنُ قَيْسٍ الْعَدَوَانِيُّ ذَكَرَهُ ضَرَارُ بْنُ صَرْدٍ بِسَنَدِهِ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ فَيَمِينُ شَهِدَ صَفِينٍ مَعَ عَلِيٍّ مِنَ الصَّحَابَةِ وَهُوَ مِنْ عَدَوَانَ قَيْسٍ. خَرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ وَغَيْرُهُ [الإصابة ابن حجر، ج ٢، ص ٣٩٤].

(٢) الْمَعَارِفُ، ابْنُ قَتَيْبَةَ، ص ٩١.

(٣) سِيرَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ، ج ١، ص ٣٨، سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ، ج ١، ص ٣١، سِيرَةُ ابْنِ كَثِيرٍ، ج ١، ص ٣٢ تاريخ الطبري ج ١، ص ٥٥٢، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، ج ٢، ص ٢١٣.

أغرت به سفهاءها حتى تأذى ﷺ ولجأ إلى الدّعاء من شدة ما لاقى. وحينما جاء وفد ثقيف، أغلظ لهم رسول الله ﷺ في الكلام وهو الذي كان يستقبل الوفود بالترحيب. قال البلاذري: حدثنا إسحاق، حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن أبي طاووس عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، قال : قال رسول الله ﷺ، لوفد ثقيف حين جاءوه: والله لتسلمن أو لأبعثن إليكم رجلاً مني - أو قال مثل نفسي - فليضرن أعناقكم، وليسين ذراريكم وليأخذن أموالكم. قال عمر : فوالله ما اشتبهت الإمارة إلا يومئذ، فجعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول : هذا، فالتفت إلى عليّ فأخذ بيده ثم قال : هو هذا، هو هذا^(١).

قال ياقوت : فخافت ثقيف أن يعود إليهم، فبعثوا إليه وفد، وتصالخوا على أن يسلموا ويقروا على ما في أيديهم من أموالهم وركازهم، فصالحهم رسول الله ﷺ، على أن يسلموا وعلى أن لا يزنوا ولا يربوا، وكانوا أهل زناً ورباً^(٢).

وذكر السمعاني في الأنساب أن النبي ﷺ قال : " الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة "^(٣) قال المحقق بهامش الصفحة: كأنها إشارة إلى ما حكاه ابن خلكان آخر ترجمة ابن القاسم (ج ٣ ص ١٢ — ١٣٠)، وابن فرحون في " الديباج " ص ١٤٧ أن العتقاء " جماع من القبائل، كانوا يقطعون الطريق على من أراد النبي ﷺ، فبعث إليهم، فأتي بهم أسرى، فأعتقهم، فقليل لهم : العتقاء^(٤)

(١) أنساب الأشراف، البلاذري، ص ١٢٣.

(٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٤ ص ١١.

(٣) الأنساب ، السمعاني، ج ٤ ص ١٥٢.

(٤) نفس المصدر.

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف الثقفي:

أما بعد، فإنك عبدٌ من ثقيف، طمحت بك الأمور فعلوت فيها وطفيت، حتى عدوت قدرك، وتجاوزت طورك، يا ابن المستفرمة بعجم الزيب، لأغمرتك غمر الليث، ولأخبطنك خبطةً، ولأركضنك ركضةً تودّ معها لو أنك رجعت في مخرجك من وجار أمك. أما تذكر حال آبائك ومكاسبهم بالطائف^(١)، وحفرهم الآبار بأيديهم، وتقلهم الحجارة على ظهورهم؟ أم نسيت أجدادك في اللؤم والدناءة وخساسة الأصل^(٢).

وأهمّ من هذا كلّ ما جاء في وفي معجم الصحابة: "... عن عبد الله بن مطرف قال: كان أبغض الناس إلى النبي ﷺ أو أبغض الأحياء بنو أمية وثقيف وبنو حنيفة"^(٣). وهو في مجمع الزوائد كما يلي: عن أبي برزة قال: كان أبغض الناس أو أبغض الأحياء إلى النبي ﷺ ثقيف^(٤) وبنو حنيفة. رواه أحمد^(٥) وأبو يعلى وزاد إلا

(١) يشير إلى تكسب ثقيف من الزنا والبغاء أيام الجاهلية.

(٢) إمتاع الأسماع، المقرئ، ج ١ ص ٢٦.

(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ١٢٩.

(٤) كذا في مجمع الزوائد والصواب ثقيف وبنو حنيفة بناء على تقديم الخبر أو ثقيفا وبنو حنيفة.

(٥) الحديث في مسند أحمد: وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها ما أنا قلته ولكن الله عز وجل قاله. حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا حجاج أنا شعبة عن أبي حمزة جارههم قال سمعت حميد بن هلال يحدث عن عبد الله بن مطرف عن أبي برزة قال كان أبغض الناس أو أبغض الأحياء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيف وبنو حنيفة [مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٤ ص ٤٢٠]. وفي الفتن: حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن أبي يعقوب الضبي قال سمعت أبا نصر الهلالي يحدث عن بجاللة بن عبد أو عبد ابن بجاللة قال قلت لعمر: إن ابن حصين حدثني عن أبغض الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تكتم علي حتى أموت قال قلت نعم قال بنو أمية وثقيف وبنو حنيفة. [كتاب الفتن، نعيم بن حماد المروزي ص ٧٤]. قال المحقق على هامش ال، ص ٢٧٣ من الجزء ١٢ من

أنه قال بنو أمية و ثقيف وبنو حنيفة. وكذلك الطبراني. ورجالهم رجال عبد الله بن مطرف بن الشخير وهو ثقة^(١).

فقوله " أبغض الناس أو أبغض الأحياء إلى النبي ﷺ " معناه أن النبي ﷺ كان يبغض تلك القبائل، شأن قوله " أبغض الحلال إلى الله.. " و " أبغض الناس إلى الله.. "، والنبي ﷺ لا يبغض إلا ما يبغضه الله تعالى؛ فتكون ثقيف قبيلة يبغضها الله تعالى، ولا يلزم منه أن تنطبق المبعوضة على كل الثقيفین فرداً فرداً. كما لا يبعد أن يكون بغض الله تعالى إياها بسبب الزنا والربا، فقد مرّ بك أنهم كانوا أهل زناً ورباً، وفي الأخبار أنهم كانوا يتكسّبون من الزنا لا أنهم كانوا يارسونه فقط.

تلك إذاً قبيلة المغيرة بن شعبة التي ينتمي إليها.

من جهة أخرى فإن رسول الله ﷺ لقي من ثقيف أيام الدعوة ما لم يلقه من غيرها من قبائل العرب. قال ابن إسحاق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمّه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف، يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء

كتاب إمتاع الأسماع: حديث رقم (١٩٢٧٦) . من حديث أبي بردة الأسلمي، ولفظه: كان أبغض الناس أو أبغض الأحياء إلى رسول الله ﷺ ثقيف وبنو حنيفة. (المستدرک) : ٤ ص ٥٢٨ كتاب الفن والملاحم حديث رقم (٨٤٨٢) وقال المحافظ الذهبي في (التلخيص) : على شرط البخاري ومسلم. [كتاب إمتاع الأسماع المقرئ، ج ١٢ ص ٢٧٣]. وقال محمد بن عقيل الشافعي: وروى بسند حسن أنه صلى الله عليه وآله قال : شر قبائل العرب بنو أمية وبنو حنيفة و ثقيف [النصائح الكافية، محمد بن عقيل الشافعي، ص ١٤٠].

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ١٠ ص ٧١.

أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجلّ، فخرج إليهم وحده. قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال : لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة : عبد يا ليل بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبیب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن مغيرة بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جُمح، فجلس إليهم رسول الله ﷺ، فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم : هو يربط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك؟ ! وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً. لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك. فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم - فيما ذكر لي - : إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني، وكره رسول الله أن يبلغ قومه عنه، فيؤذّروهم ذلك عليه. قال ابن هشام : قال عبيد بن الأبرص :

ولقد أتاني عن تميم أنهم ذُثروا لقتلى عامر وتعصّبوا

فلم يفعلوا، بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبّونه ويصيحون به، حتّى اجتمع عليه الناس، وألجئوه إلى حائط لعبنة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظلّ حبلّة من عنب، فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - المرأة التي من بني جُمح فقال لها : ماذا لقينا من أمهاتك ؟ فلمّا اطمأنّ

رسول الله ﷺ قال - فيما ذكر لي - : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك^(١).

و أورد ابن عبد البر في الإنباه قول الشاعر :

أبوكم أخبث الأحياء قدماً وأنتم مشبهوه على مثال

وقال: " والذي عليه أكثر أهل العلم بالنسب أن ثقيفاً في قيس، ومنهم من ينسبهم في إباد، وفي ثقيف بطون كثيرة. وقد روى عن النبي ﷺ من ثقيف جماعة منهم المغيرة بن شعبة وعثمان والحكم ابنا أبي العاصي بن بشر الثقفي، وغيلان بن سلمة ويعلى بن مرة وأبو محجن^(٢) وأبو بكرة وكان أفضلهم أو من أفضلهم، وأكبر صحابي في ثقيف

(١) السيرة النبوية ابن هشام الحميري، ج ٢ ص ٢٥٨ تحقيق وضبط وتعليق : محمد محيي الدين عبد الحميد،

القاهرة، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر- ١٣٨٣١٩٦٣.

(٢) قال ابن قدامة: وأني سعد بأبي محجن يوم القادسية وقد شرب الخمر فأمر به إلى القيد فلما التقى الناس قال أبو محجن: كفى حزناً أن تطرد الخيل بالقنا واترك مشدوداً علي وثاقياً؛ وقال لابنة حفصة امرأة سعد أطلقيني ولك الله علي إن سلمني الله أن أرجع حتى أضع رجلي في القيد وإن قتلت استرحمت مني، قال فحلته حتى التقى الناس وكانت بسعد جراحة فلم يخرج يومئذ إلى الناس قال وصعدوا به فوق العذيب ينظر إلى الناس واستعمل على الخيل خالد بن عرفة فوثب أبو محجن على فرس لسعد يقال لها البلقاء ثم اخذ رمحاً فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم وجعل الناس يقولون هذا ملك لما يروونه يصنع وجعل سعد يقول: الصبر صبر البلقاء والطنن طعن أبي محجن وأبو

وأجلّهم عروة بن مسعود بن معتب..^(١).

ثقيف في القرآن الكريم

لم يرد ذكر قبيلة ثقيف في القرآن الكريم، لكنّ المفسرين ذكروا ثقيفاً - عند تعرّضهم لأسباب التّزول - في كثير من المواضع لم يكن فيها موضعٌ واحدٌ مشرقٌ يمكن حمل مضمونه على ما يتنافس فيه؛ والذي عليه أكثر الأدباء والعارفين بالأنساب أنّ ثقيفاً كانت قبيلةً دينيّة الهمة، تتكسّب من الزّنا والبغاء، وقد طلب أعضاء وفدها من رسول الله ﷺ أن يأذن لهم في الزّنا، طلبوا منه ذلك بكل صلافة ووقاحة، كما طلبوا منه أن يعفيهم من الصّلاة لأنّ فيها الركوع والسّجود، وفي الركوع والسّجود مذلّة وإهانة على حدّ زعمهم. فلا عجب حين يكون تفكيرهم بهذا المستوى أن يكون منهم الحجاج بن يوسف والمغيرة بن شعبة ويوسف بن عمر وآخرون.

جاء في تفسير مقاتل بن سليمان أنّ الآية الشريفة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً﴾، يعني مما حرّموا من الحرث والأنعام، نزلت في ثقيف، وفي بني

محجن في القيد! فلما هزم العدو رجع أبو محجن حتى وضع رجله في القيد فأخبرت ابنة حصقة سعدا بما كان من أمره فقال سعد: لا والله لا أضرب اليوم رجلاً أبلى الله المسلمين على يديه ما أبلاهم فخلّى سبيله فقال أبو محجن قد كنت أشربها إذ تقام علي الحد وأطهر منها فأما إذ بهرجتني فوالله لا أشربها أبداً [الشرح الكبير، عبد الرحمن بن قدامة، ج ١٠ ص ١٥٢].

(١) الإنباه على قبائل الرواة، ابن عبد البر، ص ٨٠.

عامر بن صعصعة، وخزاعة، وبني مدلج، وعامر والحارث ابني عبد مناة، ثم قال سبحانه : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَاوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾*، يعني تزين الشيطان في تحريم الحرث والأنعام^(١).

وفي تفسير مقاتل أيضا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولا تعصوه،

﴿وَذُرُوا﴾، يعني واتقوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آية : ٢٧٨] نزلت في أربعة أخوة من ثقيف : مسعود، وحبيب، وربيعة، وعبد ياليل^(٢)، وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانوا يربون لثقيف، فلما أظهر الله عز وجل النبي ﷺ على الطائف، اشترطت ثقيف أن كل رباً لهم على الناس فهو لهم، وكل رباً للناس عليهم فهو موضوع عنهم[!]، فطلبوا رباهم إلى بني المغيرة، فاختصموا إلى عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، وكان النبي ﷺ استعمله على مكة، وقال له: "أستعملك على أهل الله". وقالت بنو المغيرة: أجعلنا أشقى الناس بالربا وقد وضعه عن الناس؟ فقالت ثقيف: إنا صالحنا النبي ﷺ أن لنا ربانا، فكتب عتاب إلى النبي ﷺ في المدينة بقصة الفريقين، فأُنزل الله تبارك وتعالى بالمدينة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني ثقيفاً، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذُرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ الآية^(٣).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، ج ١ ص ٩١. دار الكتب العلمية بيروت لبنان [الطبعة الأولى ١٤٢٤ -

٢٠٠٣]. زاد المسير، ابن الجوزي، ج ١، ص ١٥٤

(٢) وقد ذكر المفسرون أن أحد المعنيين بقوله تعالى حكاية عن العرب ﴿وَلَا أَنْزِلْ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمًا﴾ هو عبد ياليل هذا

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان، ج ١: ص ١٤٩.

﴿يا بني آدم﴾، نزلت في ثقيف، وبني عامر بن صعصعة، وخزاعة، وبني مدلج، وعامر والحارث ابني عبد مناة، قالوا: لا نطوف بالبيت الحرام في الثياب التي تفرق فيها الذنوب، ولا يضربون على أنفسهم خباءً من وبر، ولا صوف، ولا شعر، ولا آدم، فكانوا يطوفون بالبيت عراةً، ونساءهم يطفن بالليل^(١)..

وفي قوله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ﴾ يقول: ثُمَّ نَصَّيْرُهُ إِلَى جَهَنَّمَ، ﴿يَصْلَاهَا مَذْمُومًا﴾ ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿مَدْحُورًا﴾ [آية: ١٨]، يعني مطروداً في النار، نزلت في ثلاثة نفر من ثقيف، فرقد بن يمامة، وأبي فاطمة بن البحترى، وصفوان، وفلان، وفلان^(٢).

وفي قوله تعالى ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، يعني الفجَّار، يعني من كفَّار ثقيف على بعض في الرِّزْق في الدنيا^(٣)..

قال مقاتل بن سليمان:

ثُمَّ سَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ، فقالوا^(٤): نَمَتَّعْنَا بِاللَّاتِ سَنَةً، فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ، وَجَعَلَ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ: لَا، فَيَأْبُونَ الْإِسْلَامَ، فَقَالَتْ ثَقِيفٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنْ كَانَ بِكَ مَلَامَةٌ الْعَرَبِ فِي كَسْرِ أَصْنَامِهِمْ وَتَرْكِ أَصْنَامِنَا، فَقُلْ لَهُمْ: إِنْ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَّ اللَّاتَ بِأَرْضِهِمْ سَنَةً^(٥)!

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، ج ١ ص ٣٨٧.

(٢) نفس المصدر، ج ٢ ص ٢٥٣.

(٣) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٥٤.

(٤) أي ثقيف.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٢ ص ٢٦٧.

أقول:

انظر - رحمك الله - إلى هؤلاء الأجلاف يقترحون على النبي ﷺ أن يتقوّل على الله تعالى وينسب إليه ما لم يوح به إليه، ويقولون بكلّ صلافة ووقاحة: "إن كان بك ملامة العرب في كسر أصنامهم وترك أصنامنا" وكأنّ النبي ﷺ واحدٌ منهم، وهم المتعوّدون على اختلاق الكذب كلّما دعت المصلحة إلى ذلك! يطلبون ممّن لا ينطق عن الهوى أن يكذب على الله - والعياذ بالله إرضاءً لهم في هوى صنمهم!

وعن ابن جريج عن مجاهد في قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مضاعفةً﴾ قال: نزلت في ثقيف وبني المغيرة. قال: كان رجلٌ يبيع البع إلى أجل، فيحلّ (الأجل)، فيقول "أخرّ عتّي وأزيدك". فنزلت هذه الآية^(١).

قال عبد الرزاق: قال معمر وقال الزّهري "أبو رغال أبو ثقيف"^(٢).

وعن عبد الرزاق عن معمر عن الكلبيّ في قوله تعالى ﴿مِثْلَ نَبْتٍ﴾ قال: هو الأخنس بن شريق، أصله من ثقيف وعداده في بني زهرة^(٣).

عن ابن جريج قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قال: كانت ثقيف قد صالحت النبي ﷺ على أن ما لهم من رباً على النّاس، وما كان للنّاس عليهم من ربا فهو موضوعٌ. فلمّا كان الفتح، استعمل عتّاب بن أسيد على مكّة، وكانت بنو عمرو بن عمير بن عوف يأخذون الرّبا من بني المغيرة،

(١) تفسير سفيان الثوري، ص ٨٠.

(٢) تفسير القرآن، عبد الرزاق الصنعاني، ج ٢ ص ٢٣٢.

(٣) تفسير القرآن، عبد الرزاق الصنعاني، ج ٣ ص ٣٠٨.

وكانت بنو المغيرة يربون لهم في الجاهلية^(١) ..

عن جابر، قال : ومروا النبي ﷺ بقبر أبي رغال، قالوا : ومن أبو رغال ؟ قال: أبو ثقيف، كان في الحرم لما أهلك الله قومه، منعه حرم الله من عذاب الله، فلمّا خرج أصابه ما أصاب قومه^(٢).

وفي الخبر: حتى إذا مرّ أي أبرهة الحبشي بالطائف، خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف، فقال: أيها الملك، إنّما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، ليس لك عندنا خلاف، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد - يعنون اللات - إنّما تريد البيت الذي بمكة يعنون الكعبة، ونحن نبعث معك من يدلك، فتجاوز عنهم، وبعثوا معهم أبا رغال فخرج أبرهة ومعه أبو رغال^(٣) ..

أقول: وهذا معناه أنّ قبيلة ثقيف كانت موافقة على هدم الكعبة! المهم أن يسلم لها صنم اللات.

وقد كان النبي ﷺ يوجه العمال على صدقات المواشي ويأمرهم بأن يأخذوها على المياه في مواضعها، وهذا معنى ما شرطه النبي ﷺ، لو قد ثقيف بأن لا يحشروا ولا يعشروا، يعني لا يكلفون إحضار المواشي إلى المصدق، ولكن المصدق يدور عليهم في مياههم ومظان مواشيهم فيأخذها منهم، وكذلك صدقة الثمار^(٤).

(١) جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج ٣ ص ١٤٦.

(٢) جامع البيان، الطبري، ج ٨ ص ٢٩٩.

(٣) جامع البيان، الطبري، ج ٣٠ ص ٣٨٧.

(٤) أحكام القرآن، الجصاص، ج ٣ ص ١٩٨.

وفي قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ وإذا قيل لهم صلّوا وأقروا بالصلاة ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ يعني لا يقرّون بها ولا يصلّون ﴿وَيَلُّوْا يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ يعني ويلٌ طويلٌ لمن لا يقرّ بالصلاة ولم يؤدّها. وقال مقاتل: نزلت في ثقيف قالوا لا ننحني في الصلاة لأئمة مذلة علينا^(١).

أقول: يقولون هذا مع العلم أنّهم كانوا من أردل القبائل في الجاهليّة، وقد مرّ بك وصفهم على لسان عبد الملك بن مروان الأمويّ في الرسالة التي بعث بها إلى الحجاج بن يوسف التّقيّ، فهم يرون في الركوع والسّجود مذلةً، ولا يرون المذلة حين يأكلون ويقتاتون من مهوور البغايا!

وقوله تعالى ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ أي: فاركك ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ الآية. قال الكلبي: نزلت في الأخنس بن شريق التّقيّ وكان شديد الخصام؛ فأما إهلاكه الحرث والنّسل فيعني: قطع الرّحم الذي كان بينه وبين ثقيف؛ فيبيّتهم ليلاً فأهلك مواشيهم، وأحرق حرثهم؛ وكان حسن العلانية، سيّئ السّريّة^(٢).

أقول: والأخنس بن شريق هذا سمّي الأخنس لأنه خنس ببني زهرة يوم بدر. قُتل ابنه المغيرة يوم الدار وهو يدافع عن عثمان^(٣).

قال الثّعلبي: واحتجّوا أيضاً بما أسندوه إلى سفيان عن يحيى بن سعيد قال: سمعت سعيد بن المسيّب يقول: تلّقت ثقيف عمر بشراب فدعا به، فلمّا قرّبه إلى فيه كرهه

(١) تفسير السمرقندي، ج ٣ ص ٥١٣.

(٢) تفسير ابن زمين، ج ١ ص ٢١٣.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٣٣.

فخلطه بالماء^(١).

وفي قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ يعني به الإسلام والقرآن ﴿لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ يعني من ثقيف ﴿أَنْ يَضْلُوكَ﴾ وذلك أنّ وفد ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد، قد جئناك نبايعك على أن لا حشر ولا بعث ولا نكسر أصناماً بأيدينا على أن نمتنعنا بالعزى سنة، فلم يجبههم إلى ذلك وعصمه الله بمّنه وأخبره بنعمته^(٢).

وعن ابن عباس : قدم وفد ثقيف على النبي ﷺ فقالوا : نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال قال : ما هنّ ؟ فقالوا : لا ننحني في الصلاة ولا نكسر أصناماً بأيدينا (ونمتنعنا باللات) سنة. فقال لهم رسول الله ﷺ : " لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود " ^(٣).

وعن ابن مسعود في هذه الآية ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾ الآية، قال : كان رجلا من ثقيف وختنّ لها من قريش، أو رجلا من قريش وختنّ لها من ثقيف في بيت فقال بعضهم : أترون الله يسمع نجوانا أو حديثنا ؟ فقال بعضهم : قد سمع بعضه ولم يسمع بعضه، قالوا : لئن كان يسمع بعضه لقد سمع كله، فنزلت هذه الآية - وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم - الآية ^(٤).

(١) تفسير الثعلبي، ج ٢ ص ١٤٦.

(٢) تفسير الثعلبي، ج ٣ ص ٣٨٣.

(٣) تفسير الثعلبي، ج ٦ ص ١١٧.

(٤) أسباب نزول الآيات، ص ٢٥٠.

وقوله: ﴿ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ﴾. أراد بهم ثقيفاً ؛ فإنهم قالوا إنما البيع مثل الربا^(١).

وفي الأخبار أن عروة بن مسعود الثقفي لما أسلم استأذن من رسول الله أن يذهب إلى قومه وهم ثقيف ويدعوهم إلى الإسلام، فقال رسول الله: إني أخشى أن يقتلوك، فقال: لو كنت نائماً ما أيقظوني، ثم إنه ذهب إليهم ودعاهم إلى الإسلام، فرماه رجل بسهم فأصاب أكحله ومات، فبلغ النبي فقال : هو في هذه الأمة مثل صاحب يس، وهو حبيب التجار^(٢).

أقول: ما تكتّم عليه المؤرخون هو أن عروة بن مسعود كان محبوباً فعلاً في الطائف، لكنّ الفعلة التي فعلها المغيرة، وقتله المالكيتين رفقاءه في السفر، كلّ ذلك غير الأمور؛ ومع أن عروة بن مسعود دفع ديات القتلى من ماله الخاصّ إلاّ أنّ الصدور بقيت تغلي، وقضية الثأر عند العرب لا تحتاج إلى تفصيل. فلما أذن عروة بن مسعود للصلاة وجد المالكيتون الفرصة لينتقموا لقتلهم ورموه كما هو معلوم، وإلاّ فإنّ قومه -الأحلاف - لم يرموه.

وذكر السديّ أن أوّل من تنبّه للرّمي بالشّهب هو هذا الحيّ من ثقيف، فخافوا خوفاً شديداً وظنّوا أنّ القيامة قد قربت، فجعلوا يعتقون العبيد ويسبيون المواشي، فقال لهم ابن عبد ياليل: لا تعجلوا، وانظروا إلى التّجوم المعروفة، هل هي في أماكنها؟؟

(١) تفسير السمعاني، ج ١ ص ٢٧٩.

(٢) تفسير السمعاني، ج ٤ ص ٣٧٤.

فقالوا : هي في أماكنها. قال: فإنّ هذا لأمر هذا الرجل الذي خرج بمكة^(١).

قال السّمعاني: في معنى الآية ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ معناه: إذا قيل لهم: صلّوا لا يصلّون. وقيل: إنّها نزلت في تقيف استعفوا من الصّلاة. وقيل: كانوا استعفوا من الرّكوع والسّجود فقال النّبي ﷺ: "لا خير في دين ليس له ركوع ولا سجود"^(٢).

وفي قوله تعالى ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ أي أدبر وأعرض عنك ﴿سعى في الأرض﴾ أي عمل فيها وقيل سار فيها ومشى ﴿ليفسد فيها﴾ قال ابن جريج: قطع الرحم وسفك دماء المسلمين ﴿ويهلك الحرث والنسل﴾ وذلك أنّ الأخنس كان بينه وبين تقيف خصومةً فبيّتهم ليلة فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم، قال مقاتل: خرج إلى الطائف مقتضياً مالاً له على غريم فأحرق له كدساً وعقر له أتاناً والنسل نسل كل دابة والثّاس منهم^(٣).

قالوا: فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يش من خير تقيف وقال لهم: إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموه عليّ، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه فيذرهم عليه ذلك، فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبّونه ويصيحون به حتّى اجتمع عليه الثّاس، وأجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه^(٤).

(١) تفسير السمعاني، ج ٦ ص ٦٧.

(٢) تفسير السمعاني ج ٦ ص ١٣٣ و تفسير البغوي، ج ٣ ص ١٢٦.

(٣) تفسير البغوي، ج ١ ص ١٨٠.

(٤) تفسير البغوي، ج ٤ ص ١٧٢.

أقول: انظر إلى قوله " وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به " وتأمل وتدبر وافصح لخيالك يرسم ملامح هذه القبيلة الشقيّة التي يجتمع سفهاؤها بإغراء من كهرائها على رجل لم يسئ إليهم يوماً من الأيام، وقد جاء يدعوهم ليصبحوا بشراً بعد أن كانوا شراً من البهائم؛ وقد مرّ بك قوله ﷺ لهم : " إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني ". لكنهم أبوا إلاّ الإساءة والظلم والبغي، فلقي النبي ﷺ منهم يوماً ما لم يلقه من غيرهم خلال ثلاث عشرة سنة من الدّعوة.

وعن أبي مجلز قال: قال عمرو والمغيرة بن شعبة لمعاوية إنّ الحسن بن علي رجل عبيٌّ وإنّ له كلاماً ورأياً، وإنا قد علمنا كلامه، يتكلم فلا يجد كلاماً. قال: لا تفعلوا! فأبوا عليه، فصعد عمرو المنبر فذكر عليّاً ووقع فيه؛ ثمّ صعد المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى عليه ثمّ وقع في عليٍّ! ثمّ قيل للحسن بن عليّ: اصعد؛ فقال: لا أصعد ولا أتكلّم حتّى تعطوني إن قلت حقّاً أن تصدّقوني وإن قلت باطلاً أن تكذّبوني. فأعطوه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال: أنشدك بالله يا عمرو ويا مغيرة أتعلمان أنّ رسول الله ﷺ قال: لعن الله السائق والراكب أحدهما فلان؟ قالوا: اللهمّ بلى. قال: أنشدك بالله يا معاوية ويا مغيرة، أتعلمان أنّ رسول الله ﷺ لعن عمرّاً بكلّ قافية قالها لعنة؟ قالوا: اللهمّ بلى! قال: أنشدك بالله يا عمرو، ويا معاوية بن أبي سفيان أتعلمان أنّ رسول الله ﷺ لعن قوم هذا؟ قالوا بلى. قال الحسن: فإنّي أحمد الله الذي وقّعتهم فيمن تبرّأ من هذا، قال وذكر الحديث. رواه الطبراني عن شيخه زكريّا بن يحيى الساجي، قال الذهبي : أحد الأثبات ما علمت فيه جرحاً أصلاً، وقال ابن القطّان:

مختلف فيه في الحديث، وثقه قوم وضعفه آخرون، وبقيّة رجاله رجال الصحيح^(١).
فالحديث يفيد أنّ رسول الله ﷺ لعن ثقيفاً. فتقيف قبيلة ملعونة، ولا يعني ذلك
بالضرورة أن تكون ملعونة فرداً فرداً.

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٧ ص ٢٤٧.

الفصل الثاني

المغيرة

(نسبه وبعض صفاته)

١) نسب المغيرة

٢) تربية المغيرة

من هو المغيرة بن شعبة

ليس بين أيدينا في كتب التراجم والسير والتاريخ والأدب ما يشير إلى طفولة المغيرة بن شعبة. فلم يبق لنا إلا أن نتتبع ما سوى ذلك من مراحل عمره.

قالوا في المغيرة بن شعبة :

المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن معد بن عوف بن قيس بن منبّه، يكنى أبا عبد الله، أمّه امرأة من بني نصر بن معاوية؛ ولي البصرة نحواً من سنتين ثمّ ولي الكوفة ومات بها سنة خمسين^(١).

وقال ابن قتيبة: "وهو من ثقيف، وعمّه عروة بن مسعود الثقفي، وكان عروة أسلم على عهد رسول الله ﷺ ودعا قومه إلى الإسلام فقتلوه، فقال النبي ﷺ: هذا شبيه بمؤمن آل ياسين. وكان المغيرة صاحب قوماً من المشركين إلى مصر فقتلهم غيلة، وأخذ ما معهم، وأتى النبي ﷺ فأسلم، وشهد بيعة الرضوان وشهد اليمامة وفتوح الشام واليرموك والقادسية، وولاه عمر (رض) البصرة"^(٢).

قال العسفرى: يكنى أبا عبد الله، أمّه امرأة من بني نصر بن معاوية. ولي البصرة نحواً من سنتين، وله بها فتوح، وولي الكوفة ومات بها، وله بها دار. مات سنة خمسين^(٣).

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٠ ص ٣٦٦ [..] عن عبد الملك بن هشام عن أبي عبيدة.

(٢) المعارف، ابن قتيبة، ص ٢٩٤.

(٣) طبقات خليفة بن خياط، ص ٥٣. وتوجد ترجمة المغيرة في المستدرک على الصحيحين ج ٣

ص ٥٠٥ الحديث رقم ٥٨٨٧ والتاريخ الأوسط ج ١ ص ١٠٧.

أقول : ويبدو أن أباه كان دُباعاً كما تشير إليه قصّة ذكرها الطبري تأتي لاحقاً إن شاء الله تعالى^(١).

وقال ابن عساكر : المغيرة بن شعبة أبو عبد الله ويقال أبو عيسى الثقفيّ صاحب التّبيّ عليه السلام ، توفيّ سنة خمسين بالكوفة وهو أميرها. روى عنه عمر بن الخطاب ومن ولده عروة، وحمة، والعقار - بنو المغيرة - وورّاد مولاه وعمرو بن وهب وأبو بردة^(٢).

وفي المعجم الكبير: يكنى أبا عبد الله، أمّه امرأة من بني نصر بن معاوية؛ ولي البصرة نخوا من سنتين، ثمّ ولي الكوفة ومات بها سنة خمسين. أوّل مشاهدته مع رسول الله صلى الله عليه وآله الحديثية^(٣).

وعليه يصعب تصنيفه في المهاجرين، لأنّ الهجرة الأولى كانت إلى الحبشة ولم يكن المغيرة فيها، والهجرة الثانية كانت من مكّة إلى المدينة ولم يكن فيها أيضاً؛ وبموجب حديث " من كانت هجرته إلى الله ورسوله.. "^(٤) يكون المغيرة أبعد الناس من الهجرة

(١) تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٥٨٦.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٦٠، ص ١٨.

(٣) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٠ ص ٣٦٦.

(٤) الحديث في صحيح البخاري، ج ١ ص ٣٠ و ج ٢ ص ٨٩٤ و ج ٣ ص ١٤١٦ و ج ٥ ص ١٩٥١ و ج ٦ ص ٢٤٦١ و ج ٦ ص ٢٥٥١، وصحيح مسلم ج ٣ ص ١٥١٥، والمتنقى لابن الجارود، ج ١ ص ٢٧ وصحيح ابن حبان ج ٢ ص ١١٣ و ج ٢ ص ١١٥ و ج ١١ ص ٢١١ و الجمع بين الصحيحين ج ١ ص ١١٢ اسنن النسائي الكبرى، ج ٣ ص ٣٦١ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢٦٢ وسنن البيهقي الكبرى ج ١ ص ٤١ و ج ١ ص ٢١٥ و ج ٦ ص ٣٣١ و ج ٧ ص ٣٤١ وسنن الدارقطني ج ١ ص ٥٠ وسنن النسائي (المجتبى) ج ٦ ص ١٥٨ و ج ٧ ص ١٣ ومعرفة السنن والآثار ج ١ ص ١٥٣ ومسنند الحميدي ج ١ ص ١٦ المعجم الأوسط

في سبيل الله كما سيأتي بيانه في قصّة إسلامه. ومع ذلك فقد عدّوه في المهاجرين!
وقال أبو بكر الشيباني: المغيرة بن شعبة بن مسعود يكنى بأبي عبد الله، ويكنى
أيضاً بأبي عيسى. توفي سنة خمسين ويقولون سنة اثنتين وخمسين وهو على الكوفة
في رمضان، ودفن بها؛ وكانت ولايته تسع سنين، وكان عمر (رض) ولده قبل ذلك، و
ولده أبو بكر و ولده عثمان (رض) وكان رجلاً طويلاً أصيب إحدى عينيه يوم
اليرموك، وله هجرة^(١).

كنية المغيرة:

للمغيرة أكثر من كنية، وفي هذا الباب قصّة تداولها الفقهاء والمحدثون بحذر شديد،
لكونها ترتبط باجتهادات الخليفة عمر بن الخطاب، ولم يجزوا أحدٌ منهم أن يتناول ذلك
ولو من بعيد. فالذي عليه المسلمون أن من خالف النبي ﷺ متمّعداً فقد ضلّ سواء
السبيل؛ لكن حينما يكون مخالف النبي ﷺ هو عمر بن الخطاب تتوقّف المعايير فجأةً،
وتتجمّد القواعد، وتتدخل السماء لتجري الحقّ على لسان عمر! قال الجزري في
التهامية: ومنه حديث أسلم [إن المغيرة بن شعبة تكنى أبا عيسى فقال له عمر : أما

ج ١ ص ١٧ و ج ٧ ص ١٢٣ ومسند الطيالسي، ج ١ ص ٩ ومروقات المفاتيح، ج ١ ص ١٠١ وتخريج
الأحاديث والآثار ج ٢ ص ٢٦٣ وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ج ٢٠ ص ٢٢٣ وكتب
ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ج ١٢ ص ٥٦٦ ومجموع الفتاوى ج ١٠ ص ٢١٤ وشرح معاني
الآثار، ج ٣ ص ٩٦ والخصائص الكبرى، ج ١ ص ٣٢٠ وسير أعلام النبلاء، ج ١٤ ص ٤٣٩ والكشاف، ج ٢
ص ٦١٣ و تفسير أبي السعود، ج ٥ ص ١١ وفتح القدير ج ١ ص ٥٠٥.
(١) الآحاد والمثاني، الشيباني، ج ٣ ص ١٩٩.

يكفيك أن تكفى بأبي عبد الله ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ كثناني أبا عيسى؛ فقال : إن رسول الله ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإنّا بعد في جلجتنا [فلم يزل يكثي بأبي عبد الله حتى هلك ^(١) .

فإن صحت القصة يكون عمر قد نسخ فعل رسول الله ﷺ وأثبت فعله هو، وقال كلاماً لا يصح في مقابل قوله تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾. والقصة في المستدرک ^(٢) .

وفي الآحاد والثاني ^(٣) ، وذكرها ابن قيم الجوزية فقال: وقد كره قوم من السلف والخلف الكنية بأبي عيسى وأجازها آخرون، فروى أبو داود عن زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب ضرب ابناً له تكثي أبا عيسى، وأن المغيرة بن شعبه تكثي بأبي عيسى فقال له عمر: أما يكفيك أن تكثي بأبي عبد الله ؟ فقال: إن رسول الله ﷺ كثناني فقال : إن رسول الله ﷺ قد غفر له من ذنبه ما تقدم وما تأخر، وإنّا لفي

(١) النهاية في غريب الأثر، ج ١ ص ٧٨٥.

(٢) حدثنا أحمد بن يعقوب حدثنا أبو مسلم حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن زيد بن أسلم أن رجلاً جاء فنادى يستأذن أبو عيسى على أمير المؤمنين عمر فقال عمر: ومن أبو عيسى؟ قال المغيرة بن شعبه: أنا! فقال عمر: وهل لعيسى من أب؟ أما في كنى العرب ما تكتنون بها أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن؟ فقال رجل: أشهد لقد سمعت رسول الله ﷺ كثر بها المغيرة؛ فقال عمر: إن النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنّا في خلع ما ندري ما يفعل بنا فكناه بأبي عبد الله. (المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ٥٠٩ الحديث رقم ٥٨٩٦).

(٣) الآحاد والثاني، ج ٢ ص ٦٠: حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي عن حبيب بن الشهيد عن يزيد بن أسلم عن أبيه قال دعا عمر (رض) ابنه عبد الرحمن ليغير كنيته وكانت كنيته أبو عيسى فقال: يا أمير المؤمنين وإن رسول الله ﷺ كثر المغيرة بن شعبه بها قال بن أبي عاصم وكان للمغيرة بن شعبه كنيتان أبو عبد الله وأبو عيسى.

جلجتنا!] فلم يزل يكنى بأبي عبد الله حتى هلك^(١). أقول: إن كان المغيرة صادقاً في أن النبي ﷺ هو الذي كناه أبا عيسى، فمعناه أنه من فعل النبي ﷺ، ومع ذلك كرهها قوم من السلف لكرهه عمر إياها! كرهوا فعل النبي ﷺ لأن عمر كرهه، والقرآن الكريم يقول: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ فهم حينما يخالف عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ يختارون صف عمر ويتركون صف رسول الله ﷺ؛ وإن كان المغيرة كاذباً في دعواه فكيف يروي بعد ذلك حديث من روى عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين".

وفي الكنى والأسماء (١٧٧٠) أبو عبد الله المغيرة بن شعبة الثقفي ويقال أبو عيسى^(٢). وفي التاريخ الأوسط: كنية المغيرة بن شعبة أبو عبد الله ويقال أبو عيسى الثقفي^(٣).

و قال ابن حجر: المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معقب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس الثقفي، أبو عيسى أو أبو محمد. وقال الطبري يكنى أبا عبد الله قال، وكان ضخم القامة، عبل الذراعين، بعيد ما بين المنكبين أصهب الشعر جعده وكان لا يفرقه^(٤).

وعليه يكون للمغيرة ثلاث كنى، أبو عبد الله، وأبو عيسى، وأبو محمد.

(١) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، جزء ٢ ص ٣١٧.

(٢) الكنى والأسماء، مسلم بن الحجاج، القشيري، ج ١ ص ٤٦٦: ١٧٧٠.

(٣) التاريخ الأوسط، البخاري، ج ١ ص ١٠٧.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، جزء ٦ ص ١٩٧.

صفة المغيرة

قال ابن أبي الحديد :

وفي خبر آخر : " اسمان يبغضهما الله : مروان والمغيرة " ^(١).

قال الحاكم: كان يقال له مغيرة الرأي، وكان داهيةً لا يجدي في صدره أمرين إلا وجد في أحدهما مخرجاً. قدم على رسول الله ﷺ وأقام معه حتى اعتمر عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة، قال المغيرة: فكانت أول سفرة خرجت معه فيها؛ وكنت أكون مع أبي بكر الصديق (رض) وألزم النبي ﷺ فيمن يلزمه. وشهد المغيرة بعد ذلك المشاهد مع رسول الله ﷺ. وقدم وفد تقيف فأنزلهم عليه وأكرمهم، وبعثه رسول الله ﷺ وأبا سفيان بن حرب إلى الطائف فhezموا ألوية ^(٢).

وقال ابن حبان : كنيته أبو عبد الله ويقال أبو عيسى، من دهاة العرب، أصيبت عينه يوم اليرموك، وهو أول من سلّم عليه بالإمرة. مات سنة خمسين في الطّاعون في الكوفة في شعبان وهو وال على الكوفة وهو ابن سبعين سنة. ويقال إنه أحصن ثمانين امرأة! وأمّ المغيرة بن شعبة أمّ عبد الله بن هوازن ^(٣).

وقال ابن عساكر : كان طوالاً أصهب الشعر، جعداً، ضخماً الهامة، عبل الذراعين أقْلَص الشفتين، يخضب بالحمرة ^(٤). وقال أيضاً : عن محمد بن أبي موسى الثقفي عن

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٢٢٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج ٣ ص ٥٠٦.

(٣) الثقات، ابن حبان، ج ٣ ص ٣٧٢ الحديث رقم ١٢٢١.

(٤) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٦٠، ص ١٨.

أبيه قال: وكان المغيرة رجلاً طوالاً أعور أصيبت عينه يوم اليرموك. قال ابن سعد: وكان المغيرة أصهب الشعر، جعداً، أكشف، يفرق رأسه فروقاً أربعة، أقلص الشفتين، مهتوما [المهتوم الذي كسرت ثناياه من أصولها وقيل: كسرت من أطرافها] ضخمة الهامة، عبل الذراعين، بعيد ما بين المنكبين^(١).

وفي تاريخ دمشق عن المغيرة بن الرّيان عن الزّهرّي قال: قالت عائشة: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فقام المغيرة بن شعبة ينظر إليها فذهبت عينه^(٢).

أقول: ليس هذا ببعيد، فقد أثبت العلم أنّ التّظر إلى الشّمس أثناء الكسوف فيه خطرٌ على بصر الناظر. وهكذا يتضاءل احتمال إصابته يوم اليرموك. وفي وصف المغيرة بالطّول نظر، فقد جاءت في كتب الأدب أخبارٌ تفيد أنّه كان دميماً، قصيراً، قريباً بعضه من بعض، وهجاه الشعراء بذلك. وقال ابن كثير: بعثه الصّدّيق إلى البحرين وشهد اليمامة واليرموك فأصيبت عينه يومئذ، وقيل بل نظر إلى الشّمس وهي كاسفةٌ فذهب ضوء عينه^(٣).

إذاً، فقد ذكروا أنّ المغيرة كان رجلاً طوالاً، أعور، أصيبت عينه يوم اليرموك. وقالوا أيضاً: ذهبت عينه يوم القادسيّة، وقيل: بالطائف، ومرّ أنّها ذهبت من كسوف الشّمس؛ ولا يمكن أن تكون هذه الأقوال كلّها صحيحةً في وقت واحد بخصوص عين واحدة. وبما أنّ العين الواحدة لا تصاب مرّتين، فينبغي التّظر في الروايات التي تحدّثت عن

(١) تاريخ دمشق، ج ٦٠، ص ٢١.

(٢) تاريخ دمشق، ج ٦٠، ص ٢٢.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨، ص ٤٨.

إصابته يوم اليرموك والروايات التي تذكر أنه نظر إلى الشمس يوم الكسوف، فإن المغيرة لم يكف بنظرة واحدة إلى الشمس يومها وإنما قام ينظر إليها، هكذا تقول رواية عائشة زوج النبي ﷺ، ومن شأن رواياتها أن تُقبل إن صحّت.

وفي مصنف ابن أبي شيبة: حدثنا أبو بكر قال أخبرنا (نا) ابن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد قال: رأيت المغيرة بن شعبة متضمّخاً بالخلوق كأَنه عرجون^(١).

أقول: لماذا كلّ هذا التضمّخ حتى صار يشبه العرجون، والإنسان لا يحتاج إلى هذا القدر من الخلوق أو الطيب. لكنّ هناك أخباراً تفيد أنّ جماعة من العرب كانوا يكثرّون من الطيب لأنّ رائحة كريهة كانت تتبعث منهم، فكانوا يسترون ذلك بالطيب! ومنهم عبيد الله بن زياد، فإنّهم عرفوه يوم قتلوه برائحة الطيب القويّة التي كانت تشتمّ على مسافة. كان في جسم هذا الرّجل قرحة لا تندمل، وكان غالباً ما يرى عليها الدّود، فكانت تتبعث منها رائحة كريهة ممّا أضطرّه إلى الإكثار من الطيب في حلّه وترحاله.

وفيه أيضاً: (تحت رقم ٢٥٠٤٨) حدثنا أبو بكر قال حدثنا المحاربيّ عن عبد الملك بن عمير قال: رأيت المغيرة بن شعبة يخضب بالصّفرة ورأيت جرير بن عبد الله يخضب بالصفرة والزّعفران^(٢).

إذاً، فقد كان المغيرة يخضب بالخلوق (الصّفرة)، والخلوق ضرب من الطيب^(٣)؛ وفي

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٤ ص ٥٠ (تحت رقم ١٧٦٨٢).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٥ ص ١٨٦.

(٣) المفردات في غريب القرآن، ج ١ ص ١٥٨.

هذا الباب قال السيوطي في الدر المنثور : أخرج أحمد وأبو داود والتسائي والبيهقي عن ابن مسعود قال : " كان رسول الله ﷺ يكره عشر خلال : التختّم بالذهب ، وجرّ الإزار ، والصّفرة يعني الخلق ، وتغيير الشّيب ، والرقى إلّا بالمعوذات ، وعقد التّمام ، والضّرب بالكعاب ، والتّبرّج بالزّينة لغير محلّها ، وعزل الماء عن محلّه ، وإفساد الصّبيّ ، عشر محرّمة ^(١) . وفي سنن أبي داود عن يحيى بن يعمر عن عمّار بن ياسر قال : قدمت على أهلي ليلاً وقد تشقّقت يداي ، فخلقوني بزعفران فعدوت على النّبي ﷺ فسلمت عليه ، فلم يردّ عليّ ولم يرحّب بي وقال : " اذهب فاغسل هذا عنك " ؛ فذهبت فغسلته ، ثمّ جئت وقد بقي عليّ منه ، فسلمت [عليه] فلم يردّ عليّ ولم يرحّب بي وقال : " اذهب فاغسل هذا عنك " ؛ فذهبت فغسلته ثمّ جئت فسلمت عليه فردّ عليّ ورحّب بي وقال " إنّ الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بخير ولا المتضمّن بالزّعفران ولا الجنب " قال ورخص للجنب إذا نام أو أكل أو شرب أن يتوضّأ ^٢ .

وفي سنن أبي داود أيضاً : عن الحسن بن أبي الحسن عن عمّار بن ياسر أن رسول الله ﷺ قال " ثلاثة لا تقرّ بهم الملائكة ، جيفة الكافر والمتضمّن بالخلق ، والجنب إلّا أن يتوضّأ " ^(٣) .

وفي سنن الترمذي عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : نهى رسول الله ﷺ عن التّزعفر للرجال . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وروى

(١) الدر المنثور ، جزء ١ ، ص ٦٤٠ .

(٢) سنن أبي داود ، ٢ ص ٤٧٨ . قال الشيخ الألباني : حسن .

(٣) سنن أبي داود ، ج ٢ ص ٤٧٩ تحت رقم ٤١٨٠ . قال الشيخ الألباني : حسن .

شعبة هذا الحديث عن إسماعيل بن عليّ عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس : أن النبي ﷺ نهى عن التزعفر. حدثنا بذلك عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا آدم عن شعبة. قال أبو عيسى : ومعنى كراهية التزعفر للرجال : أن يتزعفر الرجل يعني أن يتطيّب به^(١).

فإن صحّ هذا فإن المغيرة كان ممن لا تقربهم الملائكة، وربما احتفظ بعادة الخلق من بين ما احتفظ به من عادات الجاهلية!

والذي يبعث على التساؤل والتعجب، هو إكثار المغيرة من الخلق إلى درجة التضمّن، وسواء كان الضمير في "كأثّه" في رواية ابن أبي شيبة يعود على المغيرة أم على الخلق فإن الإكثار ثابت؛ وهذا يعني أن المغيرة كان يكثر من شيء نهى عنه رسول الله ﷺ.

وفي معجم الطبراني : حدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي، [..] حدثنا زياد بن جبير بن حيّة، حدثني أبي قال: أرسل إليهم بسدادقان العلج أن أرسلوا يا معشر العرب برجل منكم نكلّمه فاختار الناس المغيرة بن شعبة، قال أبي: فكأنني أنظر إليه طويل الشعر أعور..^(٢)

وفي تاريخ الطبري: فأرسلوا إليه المغيرة بن شعبة قال أبي كأنني أنظر إليه رجلاً طويل الشعر أعور، فأرسلوه إليه^(٣).

(١) سنن الترمذي، جزء ٥ ص ١٢١. تحت رقم ٢٨١٥.

(٢) المعجم الكبير الطبراني، ج ٢٠ ص ٤٣٢، تحت رقم ١٠٤٩.

(٣) تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٥٢٠.

وفي تاريخ الطبري: قال محمد بن عمر حدثني محمد بن أبي موسى الثقفي عن أبيه قال: كان المغيرة بن شعبة رجلاً طوالاً مصاب العين أصيب باليرموك^(١).

ففي الخبرين الأولين، وهما خبرا شاهد عيان [كأني أنظر إليه] أن المغيرة طويل الشعر، وفي الخبر الأخير وهو رواية عن أبي موسى الثقفي أن المغيرة كان طوالاً.

وفي أمالي القالي : حدثنا أبو بكر رحمه الله، قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان المغيرة بن شعبة أعور دميماً آدم، فهجاه رجلٌ من أهل الكوفة فقال:

إذا راح في قبطية متأزراً... فقل جعلُ يستنّ في لبن محض

فأقسم لو خرّت من استك بيضةً لما انكسرت من قرب بعضك من بعض

قال أبو بكر فقلت لأبي حاتم: ما أظنّ أحداً يسبقه إلى قوله: "جعلُ يستنّ في لبن محض" فقال: بلى، كان إبراهيم بن عربيّ والي اليمامة، فصعد المنبر يوماً وعليه ثيابٌ بيضٌ فبدا وجهه وكفاه، فقال الفرزدق:

تري منبر العبد اللئيم كأثما ثلاثة غربان عليه وقوع

قال: فهذا يشبه ذلك وإن لم يكنه^(٢).

أقول: يستفاد ممّا سبق أنّ المغيرة بن شعبة كان: (١) أعور (٢) دميماً (٣) آدم؛ ومعنى آدم شديد السمرة. وهذا ما أخفاه الذهبي وابن سعد ومن معهما من كتاب السير والتراجم. وفي الحماسة البصرية أضيف إلى البيتين السابقين بيتان آخران هما :

(١) تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٢٠٧.

(٢) أمالي القالي، ج ١ ص ٢٧٨، دار الفكر.

وتحسبه إن قام للمشي قاعدا لقلّة مقياسيه في الطّول والعرض

فيا خلقة الشّيطان أقصر فأثما رأيتك أهلاً للعداوة والبغض^(١)

ومعنى قوله " يا خلقة الشيطان " أي يا شبيه الشيطان في الخلقة.

وفي قوله " تحسبه إن قام للمشي قاعداً " دليل على قصره.

وعليه يكون المغيرة دميماً (قبيح المنظر)، أعور، ضخم القامة، مهتوم الأسنان، أقصر الشفتين، أكشف^(٢)، عبل الذّراعين، بعيد ما بين المنكبين، أصهب الشّعر جعده، لا يفرق شعره، (وفي رواية ابن عساكر يفرق رأسه فروقاً أربعة)، شبه الشّعراء بالجعل^(٣).

يضاف إلى هذه الأشعار قول الشّاعر الصحابيّ حسّان بن ثابت:

لو أن اللّوم ينسب كان عبداً قبيح الوجه أعور من ثقيف

تركت الدّين والإسلام لما بدت لك غدوة ذات النّصيف

في أبيات قالها في هجاء المغيرة بن شعبة أيّام كانت قصة زناه حديث المقيم والطّاعن.

لكن الذّهبي لا يعجبه ذلك، فيقول عن المغيرة:

(١) الحماسة البصرية، ج ٢ ص ٢٨٠.

(٢) قال ابن الأثير : الأكشف الذي تنبت له شعرات في قصاص ناصيته ثائرة لا تكاد تسترسل والعرب تتشاءم به. لسان العرب، ابن منظور ج ٩ ص ٣٠٠.

(٣) الجعل دابة سوداء من دواب الأرض قيل هو أبو جعران بفتح الجيم وجمعه جُعْلان. لسان العرب، ج ١١ ص ١١٢.

الأمير أبو عيسى، ويقال : أبو عبد الله، وقيل : أبو محمد. من كبار الصحابة أولي الشجاعة والمكيدة. شهد بيعة الرضوان. كان رجلاً طوالاً مهيباً^(١).

فالرجل كان في نظر معاصريه معيباً، وسيأتي لاحقاً قول علي عليه السلام وكذلك أقوال صحابة وتابعين، وقول علي عليه السلام حقّ لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : "عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، يدور معه حيث دار" وقوله أيضاً عليه السلام : "عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض". فالذهبي لا يبالي أن يردّ كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليصون صورة المغيرة - حسب زعمه - حتى لا تتزعزع نظرية بساط الصحابة المطوي الذي روج له! وقد كان على الذهبي أن يقول عن المغيرة : هو أحد دهاة العرب الانتهازيين الذين لا يبالون بما يعترض طريقهم، ولا أثر للقيم عندهم إذا حضرت المصلحة وزاحمها الذين^(٢) ..

وروى مغيرة بن الريان، عن الزهري، قالت عائشة: كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقام المغيرة بن شعبة ينظر إليها، فذهبت عينه.

قال ابن سعد: كان المغيرة أصهب الشعر جداً، يفرق رأسه فروقاً أربعة، أقلص الشفتين. مهتوماً، ضخّم الهامة، عبل الذراعين، بعيد ما بين المنكبين وكان داهيةً، يقال له: مغيرة الرأي.

وعن الشعبي: أن المغيرة سار من دمشق إلى الكوفة خمساً.

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٣، ص ٢١.

(٢) ومنهم معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وزياد بن أبيه، وكل واحد منهم مطعون في نسبه كما هو

مبين في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد...

وعن ابن فضالة عن زياد بن جبير عن أبيه قال : انطلقنا مع التّعمان بن مقرن فانتبهنا إلى العليّ بن الحجاب فأرسل إلينا أن ابعثوا إلينا رجلاً لأكلّمه قال : فاختر الناس يومئذ المغيرة بن شعبة قال أبي: فكأنّي أنظر إلى رجل أعور معه جحفة له فإذا هو المغيرة بن شعبة، فانتبهى إلى العليّ بن الحجاب فقال: بعث الله عزّ وجلّ فينا نبياً ووعد الله التّصّر فما أخبرنا رسول الله ﷺ^(١).

أقول: كان المغيرة أعور، ولا ينتخب الأعور في مهمّة دبلوماسية إلاّ أعور مثله. وإلّا كان المغيرة يتكلّم اللّغة الفارسيّة بخلاف بقيّة الجند، وعليه فقد كان الأولى بهم أن يقولوا: كلّفوه بمخاطبة ذي الحجاب باعتباره يعرف الفارسيّة دون غيره من الحضور يومئذ. لا أن يقولوا اختاروه.

وعن معمر بن الزهريّ قال : ثارت الفتنة ودهاة النّاس خمسة، يعدّ من قريش: معاوية وعمرو. ويعدّ من الأنصار: قيس بن سعد، ويعدّ من المهاجرين : عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعيّ، ويعدّ من ثقيف : المغيرة بن شعبة^(٢).

أقول: ما معنى دهاة النّاس؟ وهل كان الدّهاء يوماً من الأيام شيئاً محموداً في الإسلام؟

إنّ الدّهاء هو استخدام القدرات الفكرية في الشرّ لا في الخير، وهو في الحقيقة مزيج من المكر والحيلة، والتنصّل من القيم، ومحاولة الوصول إلى الغايات والأهداف مهما كلّف ذلك، ولذلك لم يتورّع عمرو بن العاص عن كشف عورته بين جيشين

(١) مسند أبي داود، الطيالسي، ص ٩٦.

(٢) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ١١ ص ٣٥٠.

فيهما عشرات الألوف من المحاربين، ولم يفكر بما يعود عليه وعلى عقبه من سبّة في ذلك، وذهب عمرو بن العاص وبقيت الفضيحة لاصقةً به وبذريته حتى قال الشاعر:

ولا خير في ردّ الردي بمذلة كما ردّها يوماً بسوءته عمرو

وإنّما أصبح للدّهاء ذكر بعد أن مارسه جيل الصّحابة، لأنّ كلّ عمل يصدر من الصّحابة لا بدّ أن يؤوّل ويوجّه حتى لا ينهار البنيان الذي أسّسه أتباع عدالة جميع الصّحابة. من ذلك مثلاً رفع المصاحف يوم صفّين بدعوى الاحتكام إلى القرآن الكريم، وكأنّ المسلمين قبل ذلك كانوا في الجهة المقابلة للقرآن الكريم!

هل غاب عن أولئك الذين رفعوا المصاحف قول النّبي ﷺ "علي مع القرآن والقرآن مع علي.." ^(١)؟

أبدأ، لم يرغب عنهم شيءٌ من ذلك، لكنّ الظروف دعت إلى الاختيار بين اليقين و الدّهاء، وفي مثل هذه الأحوال تبلى السّرائر وتتطق الألسن بما في الضّمائر، فيحتفظ صاحب الدّين بيقينه، ويلبّس الآخر على نفسه فيفتح أبواب التّأويل والتّوجيه والتّخريج، ويسمّى فعله اجتهاداً، وهكذا تغدو الحيلة اجتهاداً، والمكر اجتهاداً، والغشّ اجتهاداً، ورفع المصاحف في وجه أهل القرآن اجتهاداً، وكشف العورة بين جيشين اجتهاداً...

(١) المستدرک، الحاكم النيسابوري، ج ٣، ص ١٢٤ ومجمع الزوائد، الميمني، ج ٩، ص ١٣٤ والمعيّار والموازنة أبو جعفر الإسكافي، ص ٤٥ والمعجم الأوسط، الطبراني، ج ٥، ص ١٣٥ والمعجم الصغير، الطبراني، ج ١، ص ٢٥٥ والجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، ج ٢، ص ١٧٧ وفيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ج ٤، ص ٤٧٠ والمناقب، الموفق الخوارزمي، ص ١٧٧ وينايع المودة لذوي القربى، القندوزي ج ٢، ص ٩٦.

" ثارت الفتنة ودهاة الناس خمسة " هل هناك آية قرآنية تمدح الدهاء؟ هل كان في الأنبياء والأوصياء والصالحين دهاة؟ هل هناك حديث نبوي يسمح باستعمال الدهاء لخداع المسلمين؟

قال الخليل: " كلما أصابك منكر من وجه المأمّن، أو خُتلت عن أمر فقد دُهِيت " (١). وهذا يذكر بالمالكين الذين اغتالهم المغيرة بن شعبة وهم نيام، فإتهم قد أصابهم منكر من وجه المأمّن، ولو كانوا لا يأمنون المغيرة لأخذوا حذرهم منه.

وفي مسند ابن الجعد : عن عبد الملك بن عمير قال: رأيت المغيرة بن شعبة وجريـر بن عبد الله يصفران لحاهما (٢).

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن عبد الملك بن عمير قال : رأيت المغيرة بن شعبة يخضب بالصّفرة، ورأيت جرير بن عبد الله يخضب بالصّفرة والزعفران (٣).

قال ابن أبي عاصم: وكان للمغيرة بن شعبة كنيـتان، أبو عبد الله وأبو عيسى (٤).

وفي صحيح ابن حبان : " فلما اجتمعوا بنهاوند جميعاً أرسل إليهم بنذاذقان العـلج أن أرسلوا إلينا يا معشر العرب رجلاً منكم نكلّمه، فاختار الناس المغيرة بن شعبة،

(١) كتاب العين للخليل الفراهيدي، ج ٤، ص ٧٧.

(٢) مسند ابن الجعد، ص ٩١.

(٣) المصنف ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٦، ص ٥٥.

(٤) الآحاد والمثاني، الضحاك، ج ٢، ص ٦٠.

قال أبي: فكأنني أنظر إليه رجل طويل أشعر أعور^(١).

فالروايات كلها تشير إلى أن المغيرة بن شعبة كان أعور، وليس العور في ذاته عيباً، لكن حينما يتلبس به شخص مذموم السيرة يصبح لقباً يلزم صاحبه في الحل والترحال. ولذلك لم يتردد المصريون أيام حصار عثمان أن ينادوا المغيرة "يا أعور". قال ابن عون: فلا أدري أين بلغوا، ثم رجعوا فقعّدوا ناحية فقالوا: لا يكلمنا أحد ولا يدنون منا أحد. فأرسل إليهم المغيرة فأتاهم فقالوا: لا تدنون منا يا أعور لا تكلمنا يا أعور^(٢).

تربية المغيرة

ليس بين أيدينا ما يشير إلى تربية المغيرة بن شعبة، كما أنه ليس لوالديه سجلٌ يحوي بطولات أو امتيازات، ولم يُعرف له إخوة أيضاً؛ كل ما نستطيع استشفافه من وراء العبارات والأخبار هو أن أحد أبويه كان دُبَاغاً، هذا إن لم يكونا جميعاً كذلك؛ ومهنة الدبّاجة ليست من المهن الرّقيقة التي يتعلّم منها الإنسان الحكمة أو اللّياقة و مكارم الأخلاق. روى الجوهري أن المغيرة بن شعبة قال لعثمان يوم بويع: أما والله لو بويع غيرك لما بايعناه، فقال عبد الرحمن بن عوف: كذبت، والله لو بويع غيره لبايعته، وما أنت وذاك يا ابن الدبّاجة، والله لو وليها غيره لقلت له مثل ما قلت الآن، تقريباً إليه وطمعاً في الدّنيا، فاذهب لا أبأ لك ؛ فقال المغيرة: لولا مكان أمير المؤمنين

(١) صحيح ابن حبان، ج ١١ ص ٦٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عسّكر، ج ٣٩ ص ٣٢٥.

لأسمعتك ما تكره، ومضياً^(١). و الأخبار تفيد أيضاً أنّ المغيرة كان من سدنة اللات، أي كاهناً من الكهنة الذين يقومون بشؤون معابد المشركين؛ كيف انتقل ابن الدباجة إلى المعبد وانخرط في سلك الكهنة؟ هل يشير ذلك إلى هوان منصب السّادن على التّاس أم أنّه يدلّ على قدرة المغيرة على التّأقلم مع الوضعيّات مهمّا كانت الظروف؟! لم يذكر أحدٌ أنّ من آباء المغيرة من كان سادناً، ولو كان شيءٌ من هذا لذكره المغيرة نفسه لأنّه كان لا يدع شيئاً يكون مظنّة للبروز والتميّز إلّا ذكره، حتّى أنّه قال: "أنا أوّل من رشا في الإسلام" ! فإذا كان لا يستحي أن يفتخر بالرّسوة، فكيف يستحي أن يذكر تميّز بعض آبائه بالقيام بشؤون اللات أو العزى أو مناة الثالثة الأخرى؟! ثمّ إنّ المغيرة نفسه يذكر أنّه كان مع أبي جهل يوماً من الأيام في مكّة قبل هجرة النّبي ﷺ إلى المدينة المنوّرة؛ قال ابن كثير في رواية عن المغيرة: قال رسول الله ﷺ لأبي جهل: [وذكر قصّة تأتي لاحقاً]^(٢). وهذا يعني أنّ المغيرة كان يومها على علاقة بكبراء قريش. وإذا كانت وفاة المغيرة في سنة ٥٠ وعمره ٧٠ سنة - كما ذكروا - فهذا يعني أنّ عمره عند وفاة النّبي كان في حدود الثلاثين سنة، تزيد أشهراً أو أسابيع. وبما أنّ النّبي ﷺ لم يعد يدعو كبراء قريش إلى الإسلام بعد هجرة جعفر بن أبي طالب ومن معه إلى الحبشة فإنّ الحادثة تعود إلى أربع أو خمس سنوات قبل هجرة النّبي ﷺ، وعليه يكون عمر المغيرة أيّام كان يرى أبا جهل في مكّة بين السّادسة عشرة والسّابعة عشرة، وقلّما يتأتّى لشابٍّ في مثل هذه السنّ أن يكون على ارتباط شخصيٍّ بأمثال أبي جهل في مكّة إلّا أن يكون موقعه الدّيني يسمح بذلك، وهو قد كان من سدنة

(١) السّيفيّة وفدك، الجوهري، ص ٨٧.

(٢) البداية و النهاية، ابن كثير، ج ٣ ص ٦٥.

اللات. وحينما أراد المغيرة أن يسافر مع المالكين من الطائف إلى الإسكندرية استشار عمه عروة بن مسعود الثقفي، فلما أبدى عروة بن مسعود رأيه ولم يكن رأيه موافقاً لرغبة المغيرة تجاهل المغيرة رأي عمه وعمل برأيه هو وسافر معهم. ولا ندرى إن كانت تلك أول مرة يخالف فيها عمه، وقد ذكروا أن عروة بن مسعود كان محبوباً مطاعاً في قومه، ورجل بهذا المستوى لا يعقل أن يتصرف المغيرة معه بذلك الشكل أكثر من مرة وإن كان عمه. وقد اتخذ المغيرة قراره بقتل المالكين - كما يأتي لاحقاً - ولم يفكر في مصير عمه ومستقبل قبيلته، وهذا تصرف غريب من طرف كاهن! وقد دفع عروة بن مسعود ثمن جريمة المغيرة مرتين: مرة حين دفع ديات القتلى، ومرة حين تعرض هو نفسه للاغتيال من طرف المالكين.

في مثل حال المغيرة بن شعبة نستدلّ بكهولة الرجل وشيخوخته على طفولته وتربته. أي أننا بدل أن نربط بشكل تصاعدي بين الطفولة والتربية وبين مراحل ما بعد البلوغ، نقوم بالعملية عكسياً، لأن تفاصيل الطفولة مجهولة لدينا. ولا شك أن للطفولة أثرها الكبير في حياة الإنسان، فإن بعض الأذواق والتصرفات يحتفظ بها المرء إلى أن يخرج من الدنيا، ولما يوجد رجل لا يحن إلى طفولته إن كانت ذكرياتها الطيبة أفضل من الحزنة، ومن الأدلة على ذلك سير الكبار من الأدباء والفنانين والرياضيين والسياسيين، سواء من كان منهم طيباً ومن كان غير طيب، فإن المتتبع لسيرتهم يلاحظ معالم معينة من أفكارهم ومواقفهم مستمرة معهم من الطفولة إلى آخر العمر. وفي وسعنا أن نتخيل أخوين شقيقين يفرق بينهما فيتربى أحدهما لدى عائلة متدينة، ويتربى الثاني لدى عائلة متفسخة، هل يعقل أن تكون النتيجة واحدة؟

خصوصاً إذا كان ربّ العائلة المتديّنة عالماً ورعاً ورّبّما مجتهداً، وكان ربّ العائلة المتفسّخة شخصاً معروفاً لدى المحاكم بمخالفاته - حتى لا نقول جرائمه - المتكرّرة!

لا شكّ أنّ للطفولة ومحيطها تأثيراً قوياً في تحديد مسار حياة الإنسان، وإن كان ذلك لا يمنع من تهذيب النفس وشحذ الهمة وطلب الكمال. كلّ ما في المسألة أنّ الطفولة الهادئة ذات العاطفة والحنان الكافيين تدلّل الطريق أمام الطّموحات المشروعة وبناء الشّخصيّة القويّة، بينما تخلق الطفولة المضطربة عقبات أمام الشّخص حتى في بناء علاقات اجتماعيّة بسيطة.

الفصل الثالث

إسلام المغيرة بن شعبة

إسلام المغيرة بن شعبة

عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال: قال المغيرة بن شعبة: إنَّ أوَّل يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ أيُّي كنت أمشي مع أبي جهل بمكَّة فلقينا رسول الله ﷺ فقال له: يا أبا الحكم؛ هلمَّ إلى الله وإلى رسوله وإلى كتابه، أدعوك إلى الله. فقال: يا محمَّد؛ ما أنت بمنته عن سبِّ آلهتنا، هل تريد إلَّا أن نشهد أن قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت. قال فانصرف عنه رسول الله ﷺ، فأقبل عليَّ فقال: والله إني لأعلم أنَّ ما يقول حقٌّ، ولكنَّ بني قصيَّ قالوا فينا الحجابة، فقلنا نعم. ثمَّ قالوا فينا القرى فقلنا نعم. ثمَّ قالوا فينا الدَّوة فقلنا نعم. ثمَّ قالوا فينا السَّقاية فقلنا نعم. ثمَّ أطعموا وأطعمنا، حتَّى إذا تحاكَّت الركب قالوا منا نبيُّ. والله لا أفعل^(١).

وفي غريب الحديث: وقال أبو سليمان في حديث النَّبي ﷺ أنَّ المغيرة بن شعبة قال: قال لي أبو جهل بن هشام والله إيَّي لأعلم أنَّ ما يقول محمَّد حقٌّ، ولكن قالت بنو قصيَّ فينا الحجابة فقلنا نعم، ثمَّ قالوا وفينا اللِّواء قلنا نعم، ثمَّ قالوا فينا الدَّوة قلنا نعم، ثمَّ قالوا فينا السَّقاية قلنا نعم، ثمَّ أطعموا وأطعمنا حتَّى إذا تحاكَّت الركب قالوا منا نبيُّ؛ والله لا أفعل^(٢).

وفي الفائق أنَّ المغيرة بن شعبة قال: قال لي أبو جهل بن هشام: والله إيَّي أعلم أنَّ

(١) سيرة ابن إسحاق، جزء ١ ص ١٩١ ومصنف ابن أبي شيبة، ج ٧ ص ٢٥٥، تحت رقم ٣٥٨٢٩.

(٢) غريب الحديث، الخطابي، ج ١ ص ٤٥٠.

ما يقول محمد حق، ولكن قالت بنو قصي...^(١).

هذه الأخبار تفيد أن المغيرة كان يعلم بصدق رسالة النبي ﷺ قبل الهجرة الشريفة، إذ القصة أيام كان النبي ﷺ بمكة، والمغيرة يشهد أنه سمع أبا جهل يقسم أن ما يقوله رسول الله ﷺ حق، لكنه - أي المغيرة - لا يعترف بالإسلام بل يبقى متمسكاً بدين اللات. وقد علل أبو جهل امتناعه من الإسلام بدعوى أن الصراع القبلي بين بني هاشم وبني مخزوم يأبى ذلك، وإن كان بطلانه بيناً لثبوت دخول بعض بني مخزوم في الإسلام في مكة، فبماذا يبرر المغيرة بن شعبة امتناعه من الإسلام؟ وبماذا يبرر بقاءه على الشرك سنين بعد سماعه ما جرى بين رسول الله ﷺ وأبي جهل، وبعد أن سمع أبا جهل يقسم أن ما قاله رسول الله ﷺ حق؟ ولماذا يقول بعد ذلك: "فأراني لو رأيت قوماً قد أسلموا ما تبعتهم"^(٢)؟!

قصة إسلام المغيرة بن شعبة

روى ابن سعد[..] عن محمد بن يعقوب بن عتبة عن أبيه وغيرهم قالوا: قال المغيرة بن شعبة: كنا قوماً من العرب متمسكين بديننا، ونحن سدة اللات، فأراني لو رأيت قوماً قد أسلموا ما تبعتهم [!] فأجمع نفرٌ من بني مالك الوفود على المقوقس^(٣) وأهدوا له هدايا، فأجمعت الخروج معهم. فاستشرت عمي عروة بن مسعود فنهايني وقال: ليس معك من بني أبيك أحدٌ. فأبيت إلا الخروج. فخرجت معهم وليس معهم

(١) الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ج ١ ص ٣٠١.

(٢) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٤ ص ٢٥٨.

(٣) المقوقس هو ملك مصر.

من الأحلاف غيري حتى دخلنا الإسكندرية، فإذا المقوقس في مجلس مطل على البحر، فركبت زورقاً حتى حاذيت مجلسه، فنظر إليّ فأنكرني، وأمر من يسألني من أنا، وما أريد. فسألني المأمور، فأخبرته بأمرنا وقدومنا عليه؛ فأمر بنا أن نزل في الكنيسة، وأجرى علينا ضيافة، ثم دعا بنا، فدخلنا عليه، فنظر إلى رأس بني مالك فأدناه إليه وأجلسه معه، ثم سأله: أكل القوم من بني مالك؟ فقال: نعم إلا رجلاً واحداً من الأحلاف فعرفه إيتاي، فكنيت أهون القوم عليه^(١). ووضعوا هداياهم بين يديه^(٢) فسرّ بها وأمر بقبضها وأمر لهم بجوائز، وفضل بعضهم على بعض، وقصّر بي فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له، وخرجنا فأقبلت بنو مالك يشترتون هدايا لأهلهم وهم مسرورون، ولم يعرض عليّ رجل منهم مواساةً؛ وخرجوا وحملوا معهم الخمر، وكانوا يشربون وأشرب معهم، وتأبى نفسي تدعني ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا وما حباهم الملك ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدراؤه إيتاي، فأجمعت على قتلهم^(٣)؛ فلما كنا ببسّا^(٤) تمارضت وعصبت رأسي فقالوا لي: مالك؟ قلت: أصدع. فوضعوا

(١) لماذا يكون أهون القوم عليه من أول نظرة؟

(٢) لا يذكر المغيرة أنه وضع هو أيضاً هدية مع هداياهم بل يتحدث عن هداياهم فقط ولو كان أهدى

مثلهم لقال: ووضعت هديتي مع هداياهم.

(٣) هذا هو سبب القتل والمغيرة يصرح به ويقول: " فأجمعت على قتلهم " لأنه لم يكن يتحمل أن يعلم

الناس بازدراء الملك إياه وهو السادن المتمسك بدينه!

(٤) الصواب بيسان، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ج ١ ص ٥٢٧: بيسان : بالفتح ثم السكون وسين مهملة ونون : مدينة بالأردن بالغور الشامي ويقال هي لسان الأرض وهي بين حوران وفلسطين وبها عين الفلوس يقال إنها من الجنة وهي عين فيها ملوحة يسيرة جاء ذكرها في حديث الجساسة. وقد ذكر حديث الجساسة بطوله في طيبة وتوصف بكثرة النخل وقد رأيتها مرارا فلم أر فيها غير نخلتين حائلتين وهو من علامات خروج الدجال وهي بلدة وبثة حارة أهلها سمر الألوان جمع الشعور

شراهم ودعوني فقلت: رأسي يصدع ولكني أجلس فأسقيكم. فلم ينكروا شيئاً، فجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح، فلما دبت الكأس فيهم اشتبهوا الشراب، فجعلت أصرف لهم وأنزع الكأس فيشربون ولا يدرون، فأهدتهم الكأس حتى ناموا ما يعقلون، فوثبت إليهم فقتلتهم جميعاً [١] وأخذت جميع ما كان معهم، فقدمت على النبي ﷺ فأجده جالساً في المسجد مع أصحابه وعلي ثياب سفري، فسلمت بسلام الإسلام، فنظر إلى أبي بكر بن أبي قحافة وكان بي عازفاً، فقال: ابن أخي عروة؟ قلت: نعم، جئت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي هداك للإسلام. فقال: أبو بكر: أمن مصر أقبلتم؟ قلت: نعم. قال: فما فعل المالكين الذين كانوا معك؟ قلت: كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشرك فقتلتهم وأخذت أسلحتهم، وجئت بها إلى رسول الله ﷺ ليخمسها أو يرى فيها رأيه، فإما هي غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدق بمحمد ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: أما إسلامك فقبلته، ولا آخذ من أموالهم شيئاً ولا أخمسه، لأن هذا غدرٌ والغدر لا خير فيه؛ قال فأخذني ما قرب وما بعد وقلت: يا رسول الله، إنما قتلتهم وأنا على دين قومي ثم أسلمت حيث دخلت عليك الساعة. قال فإن الإسلام يجب ما كان قبله (١)...

لشدة الحر الذي عندهم وإليها فيما أحسب ينسب الخمر قالت ليلي الأخيلية في توبة: جزى الله خيراً والجزاء بكفه... وينسب إليها جماعة منهم: سارية البيسانى وعبد الوارث بن الحسن بن عمر القرشي يعرف بالترجمان البيسانى.

هذه قصّة إسلام المغيرة بن شعبة^(١)، لم يروها غير المغيرة، ولا بدّ لنا من وقفة معها، فإنّ الإسلام دين القيم والمثل والآداب ومكارم الأخلاق، والذين يقصدون رسول الله ﷺ عادةً لإعلان إسلامهم لا يكونون مطلّوبين بدماء أو أموال قبل إسلامهم، حتى لا يكون إسلامهم ذريعةً لأخذ حقوق الآخرين؛ قال ابن هشام في سيرته: وحدثني أبو عبيدة أنّ أبا العاص بن الربيع لما قدم من الشّام ومعه أموال المشركين قيل له: هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال فإنّها أموال المشركين؟ فقال أبو العاص: بئسما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي^(٢)! هذا قول أبي العاص وهو بعدُ على الشّرك، لكنّ المغيرة جاء يعلن إسلامه أمام الملا ومعه أموال مغصوبة، وفي عنقه دماء مسفوكّة غدراً؛

وقد تجنّب كتاب السّير والتراجم المقايسة بين السّلوّكين عمداً، تصحيحاً منهم لما يذهبون إليه من عدالة جميع الصّحابة. وقد سمّى النّبي ﷺ فعله المغيرة غدراً، ولم يقبل ماله، لأنّ الإسلام لا يقبل إلاّ طيّباً. والمسألة لا تحتاج إلى بحث طويل، خصوصاً إذا علمنا أنّ العرب لا يفرطون في مسألة الثّأر. فالمغيرة لم يسلم حبّاً في الدّين وهو المقرّ على نفسه أنّه حتى لو أسلم قومه ما تبعهم، وإنّما أسلم ليحقن دمه، لأنّه كان سيُطلب من طرف ذوي القتلَى الذين غدر بهم في السّقر. وبما أنّ الإسلام يجبّ ما قبله فإنّ رسول الله ﷺ لن يسلمه إليهم، لأنّه بعد إسلامه يكون جنديّاً من جنود النّبي ﷺ ودولة الإسلام قويّة، ولن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي أمام مشركين يريدون أخذ واحد منهم ليقتلوه بقتلَى مشركين. وقد تحمّل عمّه عروة بن

(١) القصة اختصرها الصّنعاني في المصنّف، ج ٥ ص ٢٩٩.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، ج ٣ ص ٢١٠.

مسعود الثقفي دية القتلى وأذاها عنه، وقال له يوم الحديبية ما قال.

قال ابن حجر: وقد ساق ابن الكلبي والواقدي القصة، وحاصلها أنهم كانوا خرجوا زائرين المقوقس بمصر، فأحسن إليهم وأعطاهم وقصر بالمغيرة، فحصلت له الغيرة منهم، فلما كانوا بالطريق شربوا الخمر، فلما سكرُوا وناموا وثب المغيرة فقتلهم ولحق بالمدينة فأسلم^(١).

أقول: نعم! وثب عليهم وهم نائمون!

لماذا قتلهم المغيرة؟ لأنه حصلت له منهم الغيرة! هكذا يقول ابن حجر، مع أن النبي ﷺ سَمَّى ذلك غدرًا! فيكفي في نظر ابن حجر أن تحصل لشخص الغيرة من أشخاص آخرين كيما يستبيح دماءهم ويقتلهم. وما ذنبهم إذا كان ملك مصر قد قصر في حق المغيرة بخصوص الهدايا؟! لماذا لم يقل المغيرة للملك: "أيها الملك؛ إنك قصرت في حقِّي ومن شأن الملوك أن يعدلوا وينصفوا!" لكن المغيرة لا يستطيع أن يوجِّه كلامه إلى الملك، فقد يكون الجواب أشدَّ من التقصير، إذ ليس بين الملك والمغيرة سابق معرفة، ولا هو دعاه إلى ضيافة، وقد سأل عنه رأس المالكيين؛ إضافةً إلى أن المغيرة لم يقدم هديةً كما قدَّم المالكيون؛ وهذا فيه من سوء الأدب ما فيه، وقد كان عليه - على أقلَّ تقدير في نظر العقلاء - أن يعتذر إلى الملك لكونه لم يقدم هديةً كما قدَّم الآخرون ويبرِّر ذلك بما يظهر له، فإنَّه - وهو الذي يضرب به المثل في الدَّهاء - لم يكن ليجد صعوبةً في ذلك؛ لكنَّه لم يفعل.

يستطيع المغيرة أن يستغلَّ ثقة رفاقه في السَّفر ليسقيهم الخمر حتى يهدموا، ثمَّ

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج ٥ ص ٣٤١.

يقتلهم وهم نيام؛ هذا أسهل من مواجهة الملك في قصره وأمام حاشيته وجنده. والمغيرة متعودٌ على الأمور السهلة. وانظر إلى مدى حياته من رسول الله ﷺ حين يقول "غنيمةٌ من مشركين" وهو قد كان مشركاً حين قتلهم!

هذه القصة أخرجت القائلين بعدالة جميع الصحابة، إذ يصعب عليهم تبرير فعلته المغيرة، لذلك تعاملوا معها كما لو كانت أمراً طبيعياً لا غرابة فيه، ومرّوها دون تعليق؛ هذا مع أن النبي ﷺ سمى فعلته المغيرة غدرًا؛ ولأن النبي ﷺ مأمورٌ بقبول إسلام كلٍّ من يعلن إسلامه فإنه قال للمغيرة بكلّ وضوح: "أما إسلامك فقد قبلته؛ وحتى لا يتوهم متوهمٌ أن النبي ﷺ تجاهل شناعة فعل المغيرة فإنه ﷺ أردف بقوله "ولا آخذ من أموالهم شيئاً ولا أخمسه، لأنّ هذا غدرٌ، والغدر لا خير فيه". وهكذا تعذّر على المحدثين أن يجدوا للمغيرة مخرجاً يُعذر به؛ لكن ذلك لم يمنعهم من التلاعب بالألفاظ، وإيجاد فجوات تمرّر العملية بسلام. فتجد ابن حجر يقول: "ولعلّ النبي ﷺ ترك المال في يده لإمكان أن يسلم قومه فيردّ إليهم أموالهم" ^(١) بعد أن قال في نفس الصفحة: "ويستفاد منه أنّه لا يحلّ أخذ أموال الكفار في حال الأمن غدرًا لأنّ الرقعة يصطحبون على الأمانة، والأمانة تؤدّي إلى أهلها مسلماً كان أو كافراً!" فإذا كان الحكم كما يقول ابن حجر "لا يحلّ أخذ أموال الكفار في حال الأمن" فإنه يشمل كلّ المسلمين ورسول الله ﷺ سيّد المسلمين، وقول ابن حجر "ترك المال" يُشعر أنّه كان له أن يأخذه، أي يأخذ ما لا يحلّ! وهكذا جمع ابن حجر في هذا الاستنتاج بين التناقض والقطع على رسول الله ﷺ بالظنّ. وهذا أحمد بن حنبل

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج ٥ ص ٣٤١.

يروى أن المغيرة صحب قوماً من المشركين فوجد منهم غفلةً فقتلهم وأخذ أموالهم فجاء بها إلى النبي ﷺ فأبى رسول الله ﷺ أن يقبلها^(١). ولا يخفى التحريف والتلبيس في قوله "صحب قوماً من المشركين" ألم يكن هو أيضاً مشركاً يومها؟ لماذا لم يقل أحمد بن حنبل "صحب قوماً من المشركين وهو على دينهم"؟! إذ القارئ لكلام أحمد بن حنبل على ما هو عليه يتوهم أن المغيرة قتلهم وهو مسلم، والواقع غير ذلك. وحتى لو كان مسلماً فإنه لا يحل له أن يقتلهم بعد أن ائتمنوه وأكلوا معه. وانظر إلى قول الفقيه "وجد منهم غفلة"، والحق أنهم أخذوا منه ميثاقاً ألا يغدر بهم - كما سيأتي بيانه - وهم أبناء بلد واحد! كان على أحمد بن حنبل أن يقول "إن المغيرة صحب قوماً من المشركين وهو على الشرك" حتى يكون الأمر واضحاً، لكن أحمد بن حنبل في هذه القصة يسرّ حسواً في ارتغاء!

وقال السعدي في تفسيره: وكان المغيرة صحب قوماً فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ: أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء^(٢). ولا شك أن هذا القول صادق مطابق للواقع، فإنه قال: "ثم جاء فأسلم"، فاستعمل أداة تدل على التراخي، فيفهم منه أنه لم يكن مسلماً قبلها، فليس هناك أي تلبيس على القارئ.

وقال ابن حجر في الإصابة في ترجمة الشريد بن سويد الثقفي: "قال ابن السكن: له صحبة، حديثه في أهل الحجاز، سكن الطائف، والأكثر أنه ثقفي ويقال إنه

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج ٤ ص ٢٤٦، تحت رقم ١٨١٧٨.

(٢) تفسير السعدي، ج ١ ص ٧٩٧.

حضرني حالف ثقيفا، وتزوج آمنة بنت أبي العاص بن أمية. ويقال كان اسمه مالكا فسُمي الشريد لأنه شرد من المغيرة بن شعبة لما قتل رفقة الثقيين، فروى عبد الرزاق في الجهاد عن معمر عن الزهري قال: صاحب المغيرة قوما في الجاهلية فقتلهم... الحديث. قال معمر: وسمعت أنهم كانوا تعاقدوا معه ألا يغدر بهم حتى يعلمهم، فنزلوا منه منزلاً فجعل يحفر بنصل سيفه، فقالوا: ما هذا؟ قال: أحفر قبوركم، فلم يفهموها، وأكلوا وشربوا وناموا، فقتلهم فلم ينج منهم أحدٌ إلا الشريد؛ فلذلك سُمي الشريد. وذكر الواقدي القصة مطوّلة وفيها أنهم كانوا دخلوا مصر جميعاً، فحباهم المقوقس وأكرمهم سوى المغيرة فقصر به، فحنق عليهم ذلك، ففعل بهم ما فعل^(١). أقول: وهذا يعني أن المغيرة نقض العهد، فهو قد تعاقد معهم ألا يغدر بهم ومع ذلك فعلها. وفي تعاقدهم معه ما يشعر أن للرجل سوابق لا نعلمها، وإلا فإنهم كانوا جميعاً من الطائف، والمفروض أن الصحبة في السفر تبنى على الثقة لا على سوء الظن، وهم في القصة تعاقدوا معه، أي أنهم كانوا في جهة وهو في جهة، فلماذا خصّه بهذا التعاقد لو لم يكن الشخص الوحيد الذي تُخشى بوائقه! وفي قولهم "حنق عليهم" ما يدعو إلى العجب، فإن الإنسان يحنق على من آذاه وأساء إليه، لا على من لم يؤذِهِ ولم يسئ إليه، وما أروع قوله تعالى ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾؛ ففي هذه القصة كان للمغيرة أن يحنق على الملك الذي قصر به لا على المالكين الأبرياء. وبما أن المالكين تعاقدوا مع المغيرة ألا يغدر بهم حتى يعلمهم فإنه احتال كما يحتال أمثاله من أهل الدهاء حين يريدون التلبيس على أنفسهم، وراح يحفر في الأرض؛ فلما سألوهُ عن

(١) الإصابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٣ ص ٣٤٠.

ذلك قال: " أحفر قبوركم " . فهو يتصور أنه بهذه العبارة قد أعلمهم وصار من حقه أن يغدر بهم مرتاح الضمير - إن كان له ضمير - ! ولم ينفع المغيرة هذا التحايل على نفسه، فقد سَمِيَ النبي ﷺ فعلته غدرًا، وكفى الله المؤمنين القتال. وقد أشار ابن شهاب الزهري إلى ذلك كأثما يصوبه؛ فقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري^(١) قال:

(١) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، أبو بكر المدني، الطبقة : ٤: طبقة تلي الوسطى من التابعين، الوفاة : ١٢٥ هـ و قيل قبلها. روى له : (البخاري و مسلم و أبو داود و الترمذي و النسائي و ابن ماجه) . رتبته عند ابن حجر : الفقيه الحافظ متفق على جلالته و إتقانه، ورتبته عند الذهبي : أحد الأعلام. وقال السيد أبو القاسم الخوئي [من علماء الشيعة] في ترجمته في معجم رجال الحديث (ج ١٧ ص ١٩٠، ١٩٣) : أقول : الزهري وإن كان من علماء العامة، إلا أنه يظهر من هذه الرواية وغيرها، أنه كان يحب علي بن الحسين عليه السلام ويعظمه وقد روى الصدوق بإسناده، عن عمران بن سليم، قال : كان الزهري إذا حدث عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال : حدثني زين العابدين علي بن الحسين، فقال له سفيان بن عيينة : ولم تقول له زين العابدين ؟ قال : لأنني سمعت سعيد بن المسيب يحدث عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال : إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين، فكأنني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يخطو بين الصفوف. العلل : الجزء ١، باب ١٤٥، العلة التي سمى علي بن الحسين، زين العابدين، الحديث (١) وروى بإسناده، عن سفيان بن عيينة، قال : قيل للزهري : من أزهّد الناس في الدنيا ؟ قال : علي بن الحسين عليهما السلام. (الحديث) . ذاك المصدر: الحديث ٣. وعنه، قال : قلت للزهري : لقيت علي بن الحسين عليه السلام ؟ قال: نعم، لقيته وما لقيت أحدا أفضل منه. (الحديث) . ذاك المصدر: الحديث ٤. وعنه قال : رأى الزهري علي بن الحسين عليه السلام ليلة باردة مطيرة، وعلى ظهره دقيق وحطب، وهو يمشي، فقال له: يا ابن رسول الله ما هذا ؟ فقال عليه السلام : أريد سفرا أعد له زادا أحمله إلى موضع حريض، فقال الزهري : وهذا غلامي يحمله عنك، فأبى، قال : أنا أحمله عنك فإني أرفعك عن حمله، فقال علي بن الحسين : لكني لا أرفع نفسي عما تنجي في سفري (إلى أن قال) : والله : يا ابن رسول الله لست أدري لذلك السفر الذي ذكرته أثرا، قال : بلى يا زهري، ليس ما ظننت، ولكنه الموت، وله كنت أستعد، إنما الاستعداد للموت تجنب الحرام، وبذل الندى والخير. ذاك المصدر: الحديث (٥). وللزهري

صحاب المغيرة بن شعبة قوماً في الجاهلية! فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء. قال معمر: وسمعت أنهم كانوا أخذوا على المغيرة ألا يغدر بهم حتى يؤذنبهم، فنزلوا منزلاً فجعل يحفر بنصل سيفه، فقالوا: ما تصنع؟ قال: أحفر قبوركم؛ فاستحلهم بذلك، فشرّبوا ثم ناموا، فقتلهم فلم ينج منهم أحدٌ إلا الشريد، فلذلك سمي الشريد^(١).

أقول: ما شاء الله! وحي على التحريف!

هكذا يتحدث ابن شهاب الزهري الذي عليه مدار الحديث عند كثير من المسلمين.

هكذا يتحدث من تخضع له أعناق الرواة في الصحيحين.

يقول ابن شهاب الزهري: صحب المغيرة بن شعبة قوماً في الجاهلية! فقتلهم وأخذ

عدة روايات مذكورة في الكافي، والتهذيب. وبما ذكرنا يظهر أن نسبة العداوة إليه على ما ذكره الشيخ لم تثبت، بل الظاهر عدم صحتها، بقي هنا شيء، وهو أن ابن داود ذكر مسلم بن شهاب الزهري (١٥٢٩) من القسم الأول، قال: "أحد أئمة الحديث (بن، جنح) يكنى أبا بكر"، وما ذكره سهو جزماً، فإن الزهري اسمه محمد بن مسلم بن شهاب على ما عرفت من الصدوق، وكذلك صرح به في بعض نسخ الكافي. فقد روى محمد بن يعقوب بإسناده، عن معمر بن راشد، عن الزهري محمد بن مسلم بن شهاب، قال: سئل علي بن الحسين عليه السلام، أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل؟... الكافي: الجزء ٢، باب ذم الدنيا والزهد فيها ٦١، الحديث ١١، وباب حب الدنيا والحرص عليها ١٢٦، الحديث ٨، وفيه محمد بن مسلم بن عبيد الله روى عن علي بن الحسين عليهما السلام، وروى عنه معمر. التهذيب: الجزء ٤، باب علامة أول شهر رمضان وآخره، الحديث ٤٦٣، ورواها في باب فضل صيام يوم الشك... الحديث ٥١١، من الجزء، والاستبصار: الجزء ٢، باب صوم يوم الشك، الحديث ٢٤٣. (١) مصنف عبد الرزاق، ج ٥ ص ٢٩٩، تحت رقم ٩٦٧٨.

أموالهم ثم جاء فأسلم^(١) ..

عن أيّة جاهلية تتحدّث أيّها الثّقة المأمون؟

لقد كان غدر المغيرة برقائه في السّفر وتوجّهه إلى المدينة يعتنق الإسلام قبيل صلح الحديبية، فهل كان صلح الحديبية في الجاهليّة؟!

بل إنّ المغيرة سمع كلاماً جرى بين رسول الله ﷺ وأبي جهل قبل ذلك بسنوات، فهل كان النّبي ﷺ يدعو أيّام الجاهليّة؟

ما هو تعريف الجاهليّة عند هؤلاء؟

على أن ابن شهاب نفسه يقول في رواية غير هذه العبارة:

عن ابن شهاب أن المغيرة بن شعبة نزل وأصحاب له بإيلة فشربوا خمرًا حتّى سكرُوا ونامُوا و هم يومئذ كفّارٌ قبل أن يسلم المغيرة بن شعبة، فقام إليهم المغيرة فذبحهم جميعاً ثم أخذ ما كان لهم من شيء فسار به حتّى قدم على رسول الله ﷺ، فأسلم المغيرة بن شعبة ودفع المال إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر فقال رسول الله ﷺ: "إنا لا نخمّس مال أحد غصباً فترك رسول الله ﷺ ذلك المال في يد المغيرة بن شعبة"^(٢). أقول: ولم يذكر أحدٌ أنّ المغيرة تخلّى عن ذلك المال المغصوب، ولم يستبشع أحدٌ من محدّثين وأرباب السّير والتّراجم هذه الفعلة الشّنيعة مع أن رسول الله ﷺ استبشعها وسماها غدرًا.

(١) نفس المصدر.

(٢) المدونة الكبرى، ج ١، ص ٥١٠.

ثم هل كان المغيرة في حاجة ماسّة إلى الأموال التي قتل لأجلها رفاقه، أم أنّه أراد أن يشفي غيظه بعد الذي تعرّض له من التّجاهل والتّهميش من طرف الملك؟!

يقول ابن حجر العسقلاني: وقع ذكره أيضاً في أثر آخر في كتاب السيّر لأبي إسحاق الفزاري، وكتاب الأموال لأبي عبيد، من طريق سعيد بن المسيّب قال: كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر.. الحديث. وفيه: فلما قرأ قيصر الكتاب قال هذا كتاب لم أسمع بمثله، ودعا أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة وكانا تاجرين هناك فسأل عن أمر رسول الله..^(١) وهذا يعني أنّ المغيرة كان صاحب تجارة؛ وبعيد جداً أن يخرج في تجارة بعد قتل المالكين لأنّه بذلك يعرّض نفسه للتّلف إذا سمع به أهل القتلى؛ علاوة على كونه مسلماً وكون أبي سفيان مشركاً.

وفي الفائق خبر المغيرة " في مخرجه إلى المقوقس في ركب من قومه وأنّه في منصرفه عدا عليهم فقتلهم وأخذ حرائبهم "^(٢). والعبارة نفسها في غريب الحديث^(٣).

وقال ابن حبان: وكان المغيرة بن شعبة صحب قوماً في الجاهليّة فقتلهم وأخذ أموالهم ثمّ جاء فأسلم فقال له النبي ﷺ: أمّا الإسلام فأقبل، وأمّا المال فلست منه في شيء^(٤).

وهنا أيضاً أخطأ ابن حبان ولبس على القارئ، فإنّ الحادثة وقعت قبيل الحديبية

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج ١ ص ٣٣.

(٢) الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ج ٢ ص ٤١٩.

(٣) غريب الحديث الخطابي، ج ٢ ص ٥٥٣.

(٤) صحيح ابن حبان، ج ١١ ص ٢٢١.

بقليل^(١)، أي بعد ما يقرب من تسع عشرة سنة من بعثة النبي ﷺ، فكيف يقول "في الجاهلية" ودولة الإسلام قائمة في المدينة؟! نعم، كانت جاهلية بالتسبة إلى المغيرة لأنه كان على الشرك، فينبغي التنبيه إلى ذلك كأن يقول: "وكان المغيرة بن شعبة صحب قوماً في جاهليته فقتلهم". ونفس الشيء وقع فيه الحميدي في الجمع بين الصحيحين حيث قال: وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ: أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء.

وفي سنن النسائي الكبرى أنه "صحاب قوماً من المشركين فوجد منهم غفلة فقتلهم وأخذ أموالهم فجاء بها النبي ﷺ فأبى أن يقبلها"^(٢).

وقوله "وجد منهم غفلة" غير صحيح، لأنهم كانوا قد تعاقدوا معه "ألا يغدر بهم"، وحتى دون تعاقد فإن المرء لا يتوقع من رفيقه في السفر إذا كانا من بلد واحد أن يغدر به.

وفي سنن أبي داود: وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ: أما الإسلام فقد قبلنا، وأما المال فإنه مال غدر لا حاجة لنا فيه^(٣). وفي سنن البيهقي: وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء وأسلم، فقال النبي ﷺ: أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في

(١) كان صلح الحديبية في ذي القعدة من سنة ست [دلائل النبوة ج ٣ ص ٣٩٧]. وفي الإصابة كان أول الصلح في ذي القعدة سنة ست بلا خلاف [الإصابة ابن حجر ج ٨ ص ٣٩٣].

(٢) سنن النسائي الكبرى، ج ٥ ص ٢٢٤، تحت رقم ٨٧٣٣.

(٣) سنن أبي داود، ج ٣ ص ٨٥.

شيء^(١). والعبارة نفسها في معرفة السنن والآثار^(٢): وكان المغيرة صاحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ: أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء.

وفي رواية أخرى أن المغيرة بن شعبة كان مع رجلين من قومه كفار فقتلتهما وسلبهما فجاء إلى النبي ﷺ فكره له النبي ﷺ الذي صنع، وأهدى له سلبهما فلم يقبله^(٣). ففي هذه الرواية يقول قتل رجلين، وفي التي قبلها يقول "صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم"، ولا تطلق عبارة "قوم" إلا على أكثر من اثنين.

و الطبراني نفسه يذكر (تحت رقم ١٠٧٦) أن المغيرة صاحب قوماً من المشركين فوجد منهم غفلةً فقتلهم وأخذ أموالهم، فجاء بها إلى النبي ﷺ فأبى رسول الله ﷺ أن يقبلها^(٤). فهذه الرواية في نفس المعجم تنقض قصة الرجلين وتقول صاحب قوماً لا رجلين. على أن ابن كثير يذكر في تاريخه عدد الذين قتلهم المغيرة فيقول: كان المغيرة من دهاة العرب وذوى آرائها، أسلم عام الحندق بعد ما قتل ثلاثة عشر من ثقيف مرجعهم من عند المقوقس، وأخذ أموالهم فغرم دياتهم عروة بن مسعود^(٥).

وفي مسند أحمد بن حنبل: كان المغيرة صاحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في

(١) سنن البيهقي الكبير، ج ٩ ص ٢٢٠.

(٢) معرفة السنن والآثار، ج ٧ ص ٥٨.

(٣) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٠ ص ٤٤٠، تحت رقم ١٠٧٣.

(٤) لمعجم الكبير، الطبراني ج ٢٠ ص ٤٤١.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨ ص ٤٨.

شيء^(١). والروايتان كما ترى، في هذه صلب قوماً في الجاهلية، وفي السابقة صلب قوماً من المشركين!

ثم كان اللقاء

عن أوس بن حذيفة قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد من ثقيف، قال فنزل الأحلاف على المغيرة بن شعبة، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبّة له، فكان يأتينا كلّ ليلة بعد العشاء فيحدثنا قائماً على رجله حتى يراوح بين رجله^(٢). أقول: هذا التصرف الحكيم من طرف النبي ﷺ لا يلتفت إليه المحدثون ومن سلك نهجهم، لأنّه لا يهتمهم إلا سلامة عدالة الصحابة. والحال أنّ المالكيين لن يكونوا مرتاحين نفسياً لو أنّهم أنزلوا على المغيرة بن شعبة. وكيف يرتاح المرء لأن يكون ضيفاً على من قتل أولاده وأرمل نساءه وأيّم أحفاده؟! سوف يكون هناك مانعٌ نفسيٌّ كبيرٌ يصرفهم عن الاهتمام بما جاءوا لأجله. والرواية تقول أنّ النبي ﷺ كان يأتهم كلّ ليلة بعد العشاء يحدثهم قائماً على رجله حتى يراوح بين رجله. ومن شأن هذا الحديث من طرف النبي ﷺ أن يشدّ اهتمامهم إلى الإسلام ويصرف أذهانهم عن التفكير في المغيرة وما اقترف.

وقد ذكروا رجلاً آخر رافق المغيرة في سفره، وتبقى القضية محلّ نظر؛ فابن حجر

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج ٤ ص ٣٢٩.

(٢) الآحاد والمتاني، ج ٣ ص ١٨٧، تحت رقم ١٥٢٣.

يقول: دُمُون^(١) رفيق المغيرة بن شعبة في سفره إلى الموقس بمصر، وله معه قصة في قتل المغيرة رفقته وأخذه أسلابهم ومحيته بها إلى النبي ﷺ فقبل منه الإسلام ولم يتعرض للمال، وذكره الواقدي^(٢). ويورد أيضاً قول معمر "فقتلهم فلم ينج منهم أحدٌ إلا الشريد فلذلك سمي الشريد"^(٣). فيصرح أن التاجي واحدٌ لا أكثر، بينما يقول ابن عساكر في تاريخه "وكان المغيرة خرج مع نفر من بني مالك بن حطيظ بن جشم بن قسي، والمغيرة أحد الأحلاف، ومع المغيرة حليفان له يقال لأحدهما دُمُون رجل من كندة، والآخر الشريد وإثما كان اسمه عمراً فلما صنع المغيرة بأصحابه ما صنع شرد فسمي الشريد"^(٤).

والذي يلفت انتباه الباحث في هذا الباب كون القصة يرويها دائماً المغيرة بن شعبة، بينما نسبها أو تناساها الشريد ودُمُون، مع أن لهما فيها ذكرى لا تنسى، فقد حضرا واقعةً تقشعرّ لذكرها الأبدان، وما أكثر الذين عاشوا يعانون الكوابيس لأنهم حضروا ما لا يبلغ عشرها بشاعةً وشناعةً؛ لكن لا ينبغي أن ننسى أن المغيرة بن شعبة عاش يتقلّب في المناصب وليس كذلك شأن الرجلين. فلا يبعد أن يكون الجو العام لا يسمح لهما بذكر ما جرى، لأن التفاصيل قد تمثّل طعناً في شخصية حكومية لها منزلتها عند الخلفاء الحاكمين.

(١) قال البلاذري : وكان دمون من أهل الطائف فتزوج أبو موسى ابنته فولدت له أبا بردة. ولددمون خلةً بالبصرة وله يقول أهل البصرة " الرفاء والبنون وخيز وكمون في بيت الدمون". فتوح البلدان ج ١ ص ٣٤٨.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، جزء ٢ ص ٣٩٠.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، جزء ٣ ص ٣٤٠ تحت رقم ٣٨٩٦.

(٤) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٦ ص ٢٦.

نعم، وهنا كلامٌ، فإنَّ الحادثة شهدها رجلٌ من ثقيف ونجا بنفسه من غدر المغيرة، ولم يلتفت الرواة والمحدثون إليه مع أنَّه شاهد عيان. إنَّه الشريد بن سويد الثَّقَفيّ. لكنَّهم رَووا له بخصوص غير هذه الواقعة. ولا يمكن أن يتعامل الشريد مع هذه الواقعة كأن لم تكن شيئاً مذكوراً؛ ونحن نشهد بالوجدان - على القنوات الفضائيَّة والإذاعات وغيرها - أناساً يروون أحداثاً جرت في حياتهم لا تعدُّ شيئاً بالنسبة إلى الفاجعة التي نفَّذها المغيرة، فيتعرَّضون إلى التفاصيل وما صاحبها من أحاساس ومشاعر بعضها لا يزال يعتلج في صدورهم ساعة السرد! وبعضهم يروي والدموع تسيل على خديهِ؛ فكيف يهمل الشريد القصَّة! ولماذا لم يحاول الرواة والمحدثون أن يسألوه وهم الذين يسألون عن تفاصيل البول واقفاً ومباشرة الحائض و...

الحقَّ أنَّهم فضَّلوا رواية القاتل على رواية الشاهد الذي كان سيفقدو ضحيَّةً لولا فراره في الوقت المناسب، وليس هذا من الإسلام في شيء، ولكنَّ إسلام الرواة والمحدثين له خصوصيَّاته التي تسمح له بأمور كثيرة من بينها ردَّ حديث النَّبي ﷺ بعد ثبوته حرصاً منهم على عدالة كل الصحابة وإضفاء الشَّرعية على السَّقيفة وما تفرَّع عنها. نعم، بين أيدينا نصوصٌ كثيرةٌ تؤكدُ جرأة المحدثين والرواة والمنتسبين إلى علم الرِّجال على تكذيب رسول الله علانيةً دفاعاً منهم عن أسلافهم، نذكرها في محلِّها إن شاء الله تعالى.

قال ابن حجر في ترجمة الشريد: الشريد بن سويد الثَّقَفيّ قال ابن السَّكَن له صحبة، حديثه في أهل الحجاز، سكن الطائف والأكثر أنَّه الثَّقَفي، ويقال إنَّه حضرميٌّ حالف ثقيفاً وتزوَّج أمنة بنت أبي العاص بن أمية، ويقال كان اسمه مالكاً فسَمِّي

الشريد لأنه شرد من المغيرة بن شعبة لما قتل رفقة الثقفين. روى عبد الرزاق في الجهاد عن معمر عن الزهري قال: صحب المغيرة قوما في الجاهلية فقتلهم.. الحديث. قال معمر: وسمعت أنهم كانوا تعاقدوا معه ألا يغدر بهم حتى يعلمهم فنزلوا منه منزلاً فجعل يحفر بنصل سيفه ..^(١)

وفي تهذيب التهذيب: الشريد بن سويد الثقفي له صحبة، وعداده في ثقيف ووفد على النبي ﷺ فسماه الشريد وشهد بيعة الرضوان^(٢). ولم يذكر ابن حجر هنا سبب تسميته الشريد.

و جرى ذكر الشريد في صحيح ابن حبان وموارد الظمان؛ فعن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن الشريد بن سويد الثقفي قال: قلت يا رسول الله إن أمي أوصت أن نعتق عنها رقبة^(٣) ...

وعن الشريد بن سويد الثقفي قال: قلت يا رسول الله إن أمي أوصت أن أعتق عنها رقبة، وعندي جارية سوداء، قال: ادع بها؛ فجاءت فقال: من ربك؟ قالت: الله. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة.

وفي الجمع بين الصحيحين عن الشريد بن سويد الثقفي حديثان: أحدهما^(٤) من رواية ابنه عمرو بن الشريد عنه قال: كان في وفد ثقيف رجل

(١) الإصابة لابن حجر، ج ٣ ص ٣٤٠.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٤ ص ٣٣٢.

(٣) صحيح ابن حبان، ج ١ ص ٤١٨ تحت رقم ١٨٩ وموارد الظمان الهيثمي، ج ١ ص ٢٩٤.

(٤) تحت رقم ٣٠٥٧.

مجدومٌ فأرسل إليه النبي ﷺ إنا قد بايعناك فارجع. الثاني^(١) عن عمرو بن الشريد أيضاً عن أبيه - ومن الرواة من قال عن عمرو بن الشريد أو يعقوب بن عاصم عن الشريد قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه وفي رواية من قال عن عمرو وحده بلا شك عن أبيه قال: ردفت رسول الله ﷺ يوماً فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قلت: نعم^(٢).

ولم يكن الشريد - فيما وصلنا - يتحاشى الرواية مهما كان مضمونها، فقد روى أن عمر بن الخطاب صلى بالناس وهو جنب فأعاد ولم يعيدوا!

رواية للشريد بخصوص عمر

عن أبي عبد الرحمن السلمي وأبي بكر بن الحارث الفقيه [..] عن ابن المنكدر عن الشريد التقي أن عمر بن الخطاب (رض) صلى بالناس وهو جنب فأعاد ولم يأمرهم أن يعيدوا^(٣). والحديث أيضاً في سنن الدارقطني^(٤). وهو في معرفة السنن والآثار كما يلي: [..] عن ابن المنكدر عن الشريد التقي أن عمر صلى بالناس وهو جنب فأعاد ولم يأمرهم أن يعيدوا. قال الشافعي: وأخبرنا بعض أصحابنا عن هشيم عن خالد بن سلمة عن محمد بن عمرو بن الحارث بن المصطلق أن عثمان صلى بالناس وهو

(١) تحت رقم ٣٠٥٨.

(٢) الجمع بين الصحيحين، ج ٣ ص ٥٠٠.

(٣) سنن البيهقي الكبرى، ج ٢ ص ٣٩٩ تحت رقم ٣٨٧٧.

(٤) سنن الدارقطني، ج ١ ص ٣٦٤.

جنب فأعاد ولم يعيدوا^(١).

وفي مصنف عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن سليمان بن يسار قال: حدثني الشريد قال: كنت أنا وعمر بن الخطاب جالسين بيننا جدولٌ قال: فرأى عمر في ثوبه جنابةً فقال: فرط علينا الاحتلام منذ أكلنا هذا الدسم، ثم غسل ما رأى في ثوبه واغتسل وأعاد الصلاة^(٢).

وفي رواية عن سليمان بن يسار قال: حدثني الشريد قال: كنت أنا وعمر بن الخطاب جالسين بيننا جدولٌ، فرأى عمر في ثوبه جنابةً فقال: خرط خرط، وفي حديث عمر أنه رأى في ثوبه جنابةً فقال خرط علينا الاحتلام^(٣) أي أرسل علينا الاحتلام منذ أكلنا هذا الدسم، ثم غسل ما رأى في ثوبه واغتسل وأعاد الصلاة^(٤).

ففي هذه الروايات يقول سليمان بن يسار "حدثني الشريد"؛

ألا يحدثه الشريد ولو مرة واحدة عن قصة نجاته من المذبحة التي ارتكبتها المغيرة؟ وإذا كان هو لا يروي ذلك ابتداءً ألا يدفع الفضول سليمان بن يسار أن يسأل الشريد عن ذلك؟

ألا يكون الشريد قد تعرض بعد وفاة النبي ﷺ إلى تهديدات إن هو روى قصة المغيرة على الوجه الصحيح غير ما روى المغيرة؟


(١) معرفة السنن والآثار، ج ٢ ص ٢٢١ تحت رقم ١٢٢١.

(٢) مصنف عبد الرزاق، ج ٢ ص ٣٤٧ الحديث رقم ٣٦٤٦.

(٣) من قولهم خرط دلوه في البئر أي أرسله. النهاية: ٢٢٣.

(٤) كنز العمال، ج ٩ ص ٢٢٣ الحديث رقم ٢٧٣٠٧.

وقد انطلت الحيلة على المفسرين أيضا فراح أكثرهم يردد أن المغيرة "صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم" ^(١)، والحال أن الحادثة وقعت والإسلام عزيزٌ ممتنعٌ قبيل صلح الحديبية.

وقد اتفقوا على امتناع التبي  من أخذ الخمس من مال المغيرة المغصوب، إذ توجد عبارة "وأما المال فلست منه في شيء" في كثير من المصادر منها صحيح البخاري، ج ٣ صفحة ١٨٠ و مسند أحمد بن حنبل، ج ٤ صفحة ٣٢٩ و سنن البيهقي الكبرى، ج ٩ صفحة ١١٣ و ج ٩ صفحة ٢١٩ و مصنف عبد الرزاق السمعاني، ج ٥ صفحة ٢٩٩ و ج ٥ صفحة ٣٣٦ و صحيح ابن حبان، ج ١١ صفحة ٢٢١ و المعجم الكبير للطبراني، ج ٢٠ صفحة ١٢ و معرفة السنن والآثار للبيهقي، ج ٧ صفحة ٥٨ و الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢ ص ٣٩٠ و تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر، ج ٥٧ صفحة ٢٢٧ و زاد المعاد لابن القيم، ج ٣، ص ٢٥٧ و سيرة ابن كثير، ج ٣ ص ٣٢٩ و تاريخ الإسلام، جزء ٤ ص ١١٩.

يبقى للمسلم الذي يحترم كلام الله عزّ وجلّ ويتدبّر قوله تعالى ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أن ينظر إلى وقائع القصة وما ترتب عليها نظرة إنسانية، ولا يلتفت إلى المتعبدین بنظرية عدالة جميع الصحابة التي تنسب إلى الله تعالى التناقض والرضا بالباطل. فهؤلاء أناسٌ عزموا على زيارة المقوقس صاحب الإسكندرية وأهدوا له الهدايا، ولم يدعوا المغيرة ليكون معهم وإنما

(١) تفسير البغوي، ج ٧ ص ٣١٥ و جامع البيان ابن جرير الطبري ج ٢٦، ص ١٢٨ و تفسير الثعلبي ج ٩، ص ٥٧ و تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٢١٢ :

أقحم نفسه معهم إقحاماً، بعد أن استشار عمّه وأعرض عن نصيحته إذ لم تناسب هواه.

ثلاث عشرة عائلةً في الطائف تنتظر عودة المالكيين من مصر؛ الولد ينتظر أباه، والمرأة تنتظر زوجها، والأُم تنتظر ولدها، والأب ينتظر ولده، والعمّ ينتظر ابن أخيه... كل أولئك كانوا ينتظرون عودة العائدين محمّلين بالهدايا والأخبار السارة، والاستماع إلى تفاصيل زيارة الملك ومجالسته والحديث معه، وليس ذلك متاحاً لكلّ عربيّ. كلّ ذلك قضى عليه المغيرة بن شعبة لأنه أحسّ بالتّجاهل والتّهميش من طرف الملك؛ كان يفترض أن يكون يوم عودة الوفد من مصر يوم فرح وابتهاج لتلك العوائل، إذ هو يوم لقاء وهدايا وفرح للصّغار والكبار، ولم تكن تلك العوائل قد جنت في حقّ المغيرة بن شعبة جنائياً تبرّر له أن يذبح الابتسامات ويخفق الآمال، لكنّه أبى إلا أن يسجّل في أذهان المعنّيين جميعاً ذكرى مريرة لا تفارقهم ما داموا أحياءً يرزقون. وجاء ذلك اليوم لكن بدون عودة ولا لقاء؛ فبدل اللّقاء كان التّعبي، وبدل الابتسامات كانت الدّموع، وبدل الزّغاريد كان التّسوح والعويل، وبدل الهدية كان الحرمان، وتضاعف عدد اليتامى والأرامل، وتوتّرت العلاقات بين بني مالك وقبيلة المغيرة بن شعبة حتى تهايج الحيّان وكادت الفتنة أن تقع.

بهذا افتتح المغيرة بن شعبة إسلامه! قتل الأبرياء وأخذ أموالهم، وذهب إلى المدينة يعلن إسلامه، ويطلب من رسول الله ﷺ أن يخمّس المغصوب، يريد بذلك أن يطيب الخبيث، وهيئات أن يطيب الخبيث! أين هذا من إسلام أبي ذر، وإسلام سلمان، والمقداد، وعمار بن ياسر وأبويه، وخزيمة بن ثابت..

صحيح أن غدر المغيرة برفاقه في السفر كان قبل أن يسلم، لكن إسلامه مرتبطٌ بذلك الغدر، فقد جعل الإسلام جُنَّةً يَتَّقِي بها ثأر الموتورين، وإلا فلماذا لم يحدث نفسه بالإسلام حين قال له أبو جهل بعد الحوار الذي جرى بينه وبين رسول الله ﷺ في مكة: "والله إني لأعلم أن ما يقوله حقٌ؟ لماذا تأخر كل هذه السنين؟ أليس هو القائل: "فأراني لو أسلم قومي جميعاً ما تبعتهم؟" فما عدا بما بدا؟! إنه يشهد على نفسه أنه لن يسلم حتى لو أسلم قومه جميعاً! وإذا به يسبقهم جميعاً! نعم، هو مكرهٌ لا بطل! جاء إلى الإسلام كي يحقن دمه ويطوي ملفً فعلته التي لا يرحضها شيء، والتي سمّاها رسول الله ﷺ غدرًا لا خير فيه. هنا تتجلى معرفة الإمام علي عليه السلام بأهل زمانه ومنهم المغيرة بن شعبة. قال الإمام علي عليه السلام لعمّار بن ياسر وقد رآه يوماً يحاور المغيرة: "دعه فإنه لن يأخذ من الآخرة إلا ما خالطته الدنيا" ^(١)!. وفعلاً، لم يأخذ المغيرة من الدين إلا ما خالطته الدنيا.

لقد قال له النبي ﷺ: "أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء" ^(٢).

وقد جاء إلى النبي ﷺ فراراً من الثأر بعد أن قتل ثلاثة عشر مالكيّاً أثناء نومهم، وهم كانوا يأمنون جانبه باعتبار أنه رفيقهم في السفر، لكن ابن عبد البر يقول: أسلم عام الخندق وقدم مهاجراً ^(٣).. فيسمي هجرةً ما سمّاه النبي ﷺ غدرًا. والحال أنه قدم حقناً لدمه وهو يعلم أن المالكين سيطلبونه بالثأر! والنبي ﷺ يقول: "من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري [تحقيق الزبيدي، ج ١ ص ٥٠.

(٢) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ٥، ص ٣٣٦.

(٣) الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٤ ص ١٤٤٥.

يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه "، فهجرة المغيرة بمقتضى حديث النبي ﷺ إلى حقن دمه لا إلى الله ورسوله.

وما دام رفقاء المغيرة في السّفر قد أهدتهم الكأس فلماذا لم يأخذ المغيرة أموالهم ويتعد عنهم بحيث لا يدركونه؟ لماذا حرص على قتلهم؟ لنفترض أنّ المغيرة أخذ أموال المالكين وعقر رواحلهم، ثمّ اشتدّ في سيره وابتعد عنهم، ما الذي كان يحدث؟

لا شك أنّ المالكين - بعد نومهم الطويل - كانوا سيستيقظون ويفتقدون المغيرة فلا يجدونه؛ وعندها يدركون فعلته ويحنقون عليه، وبحقّ يفعلون ذلك، لأنّ هذا غدرٌ، وقد سمّى النبي ﷺ فعلة المغيرة غدراً؛

ما الذي كان يفعله المالكين لاستعادة أموالهم؟

كانوا سيسألون عنه حتّى إذا علموا أنّه في المدينة ذهبوا صوبه وأخبروا النبي ﷺ بالقصة، ويصعب على المغيرة ساعتها أن يقنع المسلمين بأنّ ما فعله صوابٌ! سيقول المسلمون للمغيرة إنّ هذا الفعل ليس من المروءة في شيء حتّى على الذّوق الجاهليّ فضلاً عن الإسلام الذي هو صبغة الله.

سيقول المسلمون عن المغيرة "مهاجر الأموال المسروقة" كما قالوا عن آخر مهاجر أم قيس^(١)، وهو الذي لا يرضى أن يذكر المالكين تقصير المقوقس في حقّه! كيف

(١) قال ابن حجر في الإصابة في معرفة الصحابة، ج ٤ ص ١١٤: أخرج بن منده وأبو نعيم من طريق إسماعيل بن عمام بن يزيد قال: وجدت في كتاب جدي يزيد الذي يقال له حبر: حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن بن مسعود قال: كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه

يرضى أن ينظر إليه المسلمون على أنه سارق لا أكثر، وإنما التحق بالإسلام ليحفظ بالأموال! ثم يسمع العرب بعد ذلك أن سادن اللات قد تحول إلى سارق، وبعد السرقة اعتنق الإسلام! هذا كثير على المغيرة، ولا بد من حل استثنائي يحسم المسألة ويحفظ للمغيرة ماء وجهه لأنه سيكون مسلماً مقابل مشركين!! وللإسلام حميته عند المسلمين. هكذا أدخل المغيرة الإسلام والمسلمين في لعبته، ولم يبال بالعداوة التي ستحدث بين المالكيين والأحلاف، وقد قال له عمه عروة بن مسعود صراحة فيما بعد: "لقد أورثتنا العداوة في ثقيف"^(١). فإذا كان الإسلام يدعو إلى المودة وصلة الأرحام وينهى عن العداوة والفتنة، فإن المغيرة بن شعبه قد افتتح إسلامه بقطيعة الرحم، وخلق فتنة طويلة المدى بين حيين من ثقيف: بني مالك والأحلاف! المهم هو ألا يخبروا قومه بتقصير ملك مصر به، وأن تسلم له الأموال التي استولى عليها بعد قتل أصحابها.

لقد كان رسول الله ﷺ مأموراً من قبل الله تعالى أن يقبل إسلام كل من يأتي إليه، وألا يفتش في أحوال ماضيه، وهذا من سعة الإسلام ورحمته؛ لكنه ﷺ مع ذلك كان يشير إلى أقوام بأعينهم بعد أن قبل إسلامهم، وذلك بقصد تحذير الأمة منهم، لأن لهم أثراً وتأثيراً على الأمة في المستقبل، وقد كشف الله لنبيه كثيراً من أمور المستقبل التي تجري على أمتهم عامة، وعلى أهل بيته خاصة؛ فمن ذلك قوله ﷺ في حق أبي سفيان وولديه: "لعن الله الرأكب والسائق والقائد" وقوله في حق مروان "الوزغ بن الوزغ،

حتى يهاجر فهاجر فتزوجها فكتا نسبه مهاجر أم قيس.

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج ٥، ص ٢٤٩.

الملعون بن الملعون". وقد ادّعى عمار بن ياسر أنه سمع رسول الله ﷺ ليلة الجبل يلعن أبا موسى الأشعري، فقال له أبو موسى: "إنه استغفر لي"؛ فقال عمار: "قد شهدت اللعن ولم أشهد الاستغفار"^(١). وقال ﷺ عن عمار بن ياسر (رض): "تقتله الفئة الباغية"، حتى لا يدّعي أقوام يوم القيامة أنهم لم يستطيعوا تمييز الخبيث من الطيب، أو أن الأمور تشابهت عليهم، فإن موقف الإسلام من البغي والباغي واضح وضوح الشمس^(٢). ومعاذ الله أن يرضى الله عن الفئة الباغية ورأس الفئة الباغية وهو القاتل: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣).

فمن ذلك يكون قوله ﷺ للمغيرة بن شعبة "إذا لم ينو الزنا" كما ذكر الحسن بن علي رضي الله عنهما في كلام له يردّ به على المغيرة بن شعبة في مجلس معاوية إذ قال له: "وإن حدّ الله في الزنا ثابت عليك، ولقد درأ عمر عنك حقاً الله سائله عنه، ولقد سألت رسول الله ﷺ هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوّجها؟ فقال: [لا بأس بذلك يا

(١) قالوا عن هذا الحديث : موضوع والبلاء من العطار لا من حسين، اللآلئ المصنوعة للسيوطي ج ١ ص ٢٢٢ وأجاب محمد بن عقيل الشافعي : قلت العطار وثقه الخطيب في تاريخه والله اعلم. النصائح الكافية محمد بن عقيل ص ٢٦. ولا يتوقع ممن يقول بعدالة جميع الصحابة أن يقبل مثل هذا الحديث!

(٢) قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

النحل : ٩٠.

(٣) التوبة: ٩٦.

مغيرة ما لم ينو الزنا [لعلمه بأئك زان]"^(١) فمضمون هذا الكلام يفيد تعريضاً بالمغيرة من جهة النبي ﷺ، لتكون الحجّة على المغيرة أتمّ. وليس قبول إسلام الرجل دليلاً على صحّة إسلامه وسلامه معتقده وصدق نيّته، فقد نطق بالشهادتين كثيرٌ من المنافقين، ومع ذلك شهد عليهم القرآن الكريم أنّهم لم يكونوا صادقين وأنّهم يموتون على الكفر. والأحاديث النبويّة في هذا الباب تفيد نفس الشيء. روى البخاري: "عن ابن شهاب عن ابن المسيّب أنّه كان يحدث عن أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: يرد عليّ الحوض رجالٌ من أصحابي فيحلّون عنه فأقول: يا ربّ أصحابي فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقري. وقال شعيب عن الزهريّ كان أبو هريرة يحدث عن النبي ﷺ فيجلّون، وقال عقيل فيحلّون.."^(٢). فهذا الحديث صريحٌ في أنّهم ارتدّوا على أدبارهم، وعبارة "ارتدّوا" هي التي استعملها النبي ﷺ، وهي خطيرةٌ في المقام. وفي الحديث قول النبي ﷺ "رجالٌ من أصحابي"، فهم من أصحابه، وعبارة (الأصحاب) لا تطلق على كلّ أتباع النبي ﷺ، وإنّما تطلق على من كانوا معه في حياته!

وفي صحيح البخاريّ أيضاً: "...ثمّ إذا زُمره، حتّى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال: هلمّ. قلتُ: أين؟ قال: إلى التار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقري؛ فلا أراه يخلص منهم إلّا مثل همل التّع"^(٣). وهمل التّع تشير إلى نسبة لا تتجاوز ٢ إلى ٤٪، فيتحصل من ذلك أنّ

(١) جمهرة خطب العرب، ج ٢ ص ٢٢.

(٢) صحيح البخاري، ج ٥ ص ٢٤٠٧ الحديث رقم ٦٢١٤.

(٣) صحيح البخاري، ج ٧ ص ٢٠٩.

التَّاجِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ قَلِيلٌ، وَأَنَّ أَهْلَ الْكَيْنِ مِنْهُمْ كَثِيرٌ. لَكِنْ كَثِيرًا مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ لَا يَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونَ نِسْبَةُ التَّاجِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِهَذَا الْمَقْدَارِ وَلَوْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ الْمَخْبَرُ، لَأَنَّهُمْ قَرَّرُوا أَنَّ كُلَّ الصَّحَابَةِ فِي الْجَنَّةِ، سِوَاهِ الْمُحْسِنِ مِنْهُمْ وَالْمُسِيءِ، وَأَهْلُ بَدْرٍ فَوْقَ كُلِّ اعْتِبَارٍ فَلْيَعْمَلُوا مَا شَاءُوا!

قِصَّةُ إِسْلَامِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ يَنْبَغِي أَنْ تُقْرَأَ بِزَاهَاةٍ وَتَجَرَّدَ حَتَّى مِنْ قَبْلِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّ مَا جَرَى فِيهَا يَنْمُ عَنْ بَشَاعَةِ قَلِّ نَظِيرِهَا وَوَحْشِيَّةٍ يَصْعَبُ تَصْدِيقُهَا، وَلَوْلَا أَنَّ الْمُغِيرَةَ بِنَفْسِهِ رَوَاهَا لِأَنَّكَرِهَا مُعْظَمُ مَنْ تَقَعُ أَعْيُنُهُمْ عَلَيْهَا، إِذْ لَيْسَ بَعِيداً أَنْ يَتَنَكَّرَ شَخْصٌ لِرَفِيقِهِ ثُمَّ يَغْدِرُ بِهِ فَيَقْتُلُهُ؛ لَكِنَّ الْغَرِيبَ أَنْ يَقْتُلَ رَجُلٌ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ رَفَقَائِهِ فِي السَّفَرِ وَهُمْ نَائِمُونَ؛ كَيْفَ يَكُونُ الْفَاعِلُ أَتْنَاءَ الْفِعْلِ؟ هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ بِمِثْلِ هَذَا الْعَمَلِ شَخْصٌ فِي كَامِلِ قَوَاهِ الْعَقْلِيَّةِ وَهُوَ مُحَافِظٌ عَلَى إِنْسَانِيَّتِهِ أَتْنَاءَ قِيَامِهِ بِالْجَرِيمَةِ؟

ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا يَنْتَظِرُ أَهْلُوهُمْ عَوْدَتَهُمْ لِيَفْرَحُوا جَمِيعاً، وَيَتَمَتَّعُوا بِهَدَايَا تَأْتِيهِمْ مِنْ مِصْرَ، مِنْ عِنْدِ مُلْكِ مِصْرَ نَفْسِهِ، أَلَمْ يَكُنْ حُرِيّاً بِالْمُغِيرَةِ أَنْ يَفَكَّرَ فِيهِمْ وَفِي عَوَائِلِهِمْ وَلَوْ لِحَظَّةٍ وَاحِدَةٍ؟! ثُمَّ مَا دَامُوا قَدْ أَهْمَدْتَهُمُ الْكَأْسَ فَقَدْ كَانَ يُمْكِنُ لِلْمُغِيرَةِ أَنْ يَأْخُذَ كُلَّ مَا كَانَ مَعَهُمْ، وَيَعْقُرَ رَوَاحِلَهُمْ، وَيَفُوتَهُمْ وَيَذْهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِإِعْلَانِ إِسْلَامِهِ، فَلِمَاذَا حَرَصَ عَلَى قَتْلِهِمْ جَمِيعاً؟ لِمَاذَا أَصْرَّ عَلَى قَتْلِهِمْ مَعَ وَجُودِ حُلُولِ أُخْرَى غَيْرِ الْقَتْلِ؟

لَقَدْ قَالَ الْمُغِيرَةُ: "وَتَأْتِي نَفْسِي تَدْعُنِي يَنْصَرِفُونَ إِلَى الطَّائِفِ بِمَا أَصَابُوا وَمَا حَبَاهُمْ الْمُلْكُ، وَيَخْبُرُونَ قَوْمِي بِتَقْصِيرِهِ بِي وَازْدِرَائِهِ إِيَّايَ"^(١). وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ كَانَتْ تَهْمُهُ

(١) هَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْمُلْكَ أَزْدَرَى الْمُغِيرَةَ أَيْ احْتَقَرَهُ وَلَمْ يَحْسِبْهُ شَيْئاً مَذْكُوراً .

صورته في المجتمع أكثر من أي شيء حتى لو اقتضى ذلك قتل ثلاثة عشر بريئاً. وهؤلاء الأبرياء لا يلتفت إليهم المؤرخون والمحدثون خشية أن تشوه صورة المغيرة، ويبرّرون فعلهم بأنّ المقتولين غدرًا كانوا مشركين، ناسين أو متناسين أنّ المغيرة أيضا كان مشركاً حين قتلهم !

ثمّ إنّّه لم يذكر للمغيرة أبٌ أو أمٌّ أو أخٌ أو أختٌ على قيد الحياة يومها، ترى أكان يقدم على تلك الفعل لو كان أبوه وأمه [وإخوته في حال وجود إخوة] على قيد الحياة في الطائف؟!

لقد ضاعف المغيرة مصيبة أهل الضحايا، فلا هم يحظون بالهدايا، ولا هم يرون أحبّاءهم مرةً ثانية، علماً أنّه لم يكن بينهم وبين المغيرة شيء يدفعه إلى ما اقترف.

كيف يقال عن صاحب تلك الفعله إنّّه "هاجر إلى رسول الله ﷺ"؟!

الفصل الرابع

أخبار المغيرة بن شعبة

١- مع النبي ﷺ

٢- مع أبي بكر

٣- مع عمر

٤- مع عثمان

٥- مع علي عليه السلام

٦- مع معاوية

١- مع النبي صلى الله عليه وآله

عن إِيَادِ بْنِ لَقِيطٍ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ سَرْحَانَ عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ (رض) قَالَ: أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَعَاماً فَجِئْتُ بِمَاءٍ لِيَتَوَضَّأَ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ أَكَلَ طَعَاماً، فَجِئْتُهُ بِمَاءٍ فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ لِي: وَرَاءُكَ! فَسَاءَ فِي اللَّهِ ذَلِكَ؛ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَكْوَتَ ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رض)!!^(١).

أقول:

فِي وَسْعِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَطْلُبَ الْمَاءَ إِنْ أَرَادَ غَسَلَ يَدَيْهِ بَعْدَ الْأَكْلِ، وَغَسَلَ الْأَيْدِي بَعْدَ الْأَكْلِ مَوْجُودٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الثَّقَافَاتِ، وَلَمْ يَطْلُبِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْوَاقِعَةِ الْمَذْكُورَةِ مَاءً لِيَغْسَلَ يَدَيْهِ لَا مِنَ الْمُغِيرَةِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْحَاضِرِينَ، وَتَطَوَّعَ الْمُغِيرَةُ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمَاءَ لَكِنَّهُ قَالَ " فَجِئْتُ بِمَاءٍ لِيَتَوَضَّأَ "، فَمِنْ أَيْنَ عَرَفَ أَنَّ هُنَاكَ وَضُوءاً بَعْدَ الْأَكْلِ ؟

ثُمَّ هُوَ يَقُولُ: " انْتَهَرَنِي "، وَالْحَالُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ، لَا يَنْتَهَرُ الْمُغِيرَةَ وَلَا غَيْرَهُ، وَكَيْفَ يَنْتَهَرُ الْمُغِيرَةَ لِهَذَا الْفِعْلِ الْبَسِيطِ وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِي حَقِّ الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي بَالَ فِي الْمَسْجِدِ " دَعُوهُ "؟! أَيُّهُمَا أَعْظَمُ: الْبَوْلُ فِي الْمَسْجِدِ أَمْ تَقْدِيمُ الْمَاءِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؟!؟

ثُمَّ إِنَّ الْمُغِيرَةَ لَمْ يَقُلْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: " هَذَا مَاءٌ جِئْتُكَ بِهِ لَتَتَوَضَّأَ يَا رَسُولَ اللَّهِ "؛ لَمْ يَقُلْ الْمُغِيرَةُ هَذَا، وَإِنَّمَا قَالَ " فَجِئْتُ بِمَاءٍ لِيَتَوَضَّأَ " فَلِمَاذَا يَنْتَهَرُهُ النَّبِيُّ ﷺ؟! لَا بَدَّ أَنْ

(١) الْآحَادُ وَالْمُتَنَانِي، الضَّحَّاكُ، ج ٣، ص ٢٠٠، تَحْتَ رَقْمِ ١٥٤٥.

النبي ﷺ انتهره لشيء آخر، والمغيرة أدهى من أن يذكر ذلك. ولعل النبي ﷺ توسم في المغيرة الشر بعد أن أطلعه الله تعالى على أعداء الإمام علي عليه السلام كما في حديث "الضَّعَّان" ^(١) فأعرض عنه، ومن ذا الذي لا يعرض عن المغيرة حين يثبت لديه أن المغيرة يلعن الإمام علياً عليه السلام على المنابر ويدفع الأموال لمن يلعنه؟! وبما أن المغيرة روى أنه وضاً رسول الله ﷺ فلعله أراد أن يدعي أنه الشخص المتفرّد بوضوء النبي ﷺ لتمييز عن غيره كما تبين ذلك في قوله "أنا آخركم عهداً برسول الله ﷺ" وهي عبارة تبين كذبه فيها فيما بعد، لعله أراد شيئاً من ذلك القبيل فردعه النبي ﷺ بعد أن أطلعه الله على حقيقته، فإنه لا شك في نفاق مبغض الإمام علي عليه السلام ولو شفع له أهل الأرض جميعاً، لقول النبي ﷺ للإمام علي عليه السلام كما هو في صحيح مسلم وغيره: "لا يحببك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق" ^(٢)، والمغيرة مات يبغض

(١) وجاء في مسند أبي يعلى مسند أبي يعلى الموصلي ١ ص ٤٢٦: "[...] حدثنا الفضل بن عميرة أبو قتيبة القيسي قال حدثني ميمون الكردي أبو نصر عن أبي عثمان عن علي بن أبي طالب قال بينما رسول الله ﷺ أخذ بيدي ونحن نمشي في بعض سكك المدينة إذ أتينا على حديقة فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة! قال لك في الجنة أحسن منها. ثم مررنا بأخرى فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة قال لك في الجنة أحسن منها حتى مررنا بسبع حدائق كل ذلك أقول ما أحسنها ويقول لك في الجنة أحسن منها. فلما خلا له الطريق اعتنقني ثم أجهدش باكياً قال قلت يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: ضفان في صدور أقوام لا ييدونها لك إلا من بعدي. قال قلت: يا رسول الله في سلامة من ديني؟ قال في سلامة من دينك.

(٢) صحيح مسلم، ج ١، ص ٦٠: و مسند احمد بن حنبل، ج ١، ص ٨٤ و ج ١، ص ٩٥ و ج ١، ص ١٢٨ و ج ١، ص ١٢٨ و سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٤٢ و سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٠٦ و سنن النسائي، ج ٨، ص ١١٦ و السنن الكبرى، النسائي، ج ٥، ص ٤٧ و ص ١٣٧ و مصنف ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧، ص ٤٩٤ و صحيح ابن حبان، ج ١٥، ص ٣٦٧ والفوائد المنتقاة، محمد بن علي

عليّاً عليه السلام، فالمغيرة مات على التّفاق؛ وقد أمر النّبي ﷺ بالغلظة على المنافقين ﴿جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾، فالانتهاز في محلّه، ما على المحسنين من سبيل.

٢- مع أبي بكر:

يعترف المغيرة نفسه أنّه كان يعرف أبا بكر ويعرفه أبو بكر، وهذا قبل أن يسلم! فقد ذكر في قصّة إسلامه أنّ النّبي ﷺ نظر إلى أبي بكر، وأنّ أبا بكر كان به عارفاً^(١). ويذكر المغيرة أيضاً أنّه من البداية تقرب من أبي بكر، وكان أكثر أوقاته معه، فيقول: "وكنّت أكون مع أبي بكر الصّدّيق (رض)، وألزم النّبي ﷺ فيمن يلزمه"^(٢). وذكروا أيضاً أنّه كان مع أبي بكر وعمر وأبي عبيدة يوم السّقيفة! قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز: وسمعت أبا زيد عمر بن شبة يحدث رجلاً بحديث لم أحفظ إسنادَه، قال: مرّ المغيرة بن شعبة بأبي بكر وعمر، وهما جالسان على باب النّبي ﷺ حين قبض، فقال: ما يقعدكما؟ قالّا: ننتظر هذا الرّجل يخرج فنبايعه - يعينان عليّاً - فقال: أتريدون أن تنظروا حبل الحبلة من أهل هذا البيت! وسّعوها في قريش تتّسع. قال: فقاما إلى سقيفة بنى ساعدة، أو كلاماً هذا معناه^(٣). وبين الحديبية ووفاة النّبي ﷺ مدّة كافية لأن يقيم المغيرة علاقات شخصيّة مع الرّجلين تصل إلى مستوى الحميميّة، وإلاّ

الصوري، ص ٥ و الاستذكار لابن عبد البر، ج ٨، ص ٤٤٦ والاستيعاب ابن عبد البر، ج ٣، ص

١١٠٠ وتاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٤٢، ص ٦٠.

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٤ ص ٢٥٨.

(٢) المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ج ٣ ص ٥٠٦.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ٤٣

فإنه ليس سهلاً أن يكلم رجلٌ من العرب شيوخ قريش بخصوص الخلافة بنفس الطريقة التي تكلم بها المغيرة.

قال المقدسي: ووقع الاختلاف في الناس، فانحاز هذا الحي من الأنصار إلى سعد بن عباد سيد الخزرج، واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وانحاز علي عليه السلام وطلحة والزبير في بيت فاطمة رضي الله عنها، وانحاز سائر المهاجرين إلى أبي بكر. كل يدعي الإمارة لنفسه، فجاء المغيرة بن شعبة فقال: إن كان لكم بالناس حاجة فأدركوهم ! فتركوا رسول الله ﷺ كما هو وأغلقوا الباب دونه، وأسرع أبو بكر وعمر و أبو عبيدة بن الجراح إلى سقيفة بني ساعدة^(١).

أقول: كيف ينسى له الخلفاء فيما بعد هذه اليد، وأنه نبههم قبل فوات الأوان. هذا إن صحت القصة بهذه الطريقة، وإلا فإن أبا بكر وعمر لا يحتاجان إلى المغيرة في هذه المسألة بالذات، وسيرة الرجلين مع جيش أسامة وسعد بن عباد تشهد بذلك.

و في المعجم الكبير: عن قيس بن أبي حازم قال: أخبرني المغيرة بن شعبة قال: كنت عند أبي بكر الصديق (رض) فعرض عليه فرس، فقال رجل: احملي على هذا. فقال: لأن أحمّل غلاماً قد ركب الخيل على عزلته^(٢) أحب إليّ من أن أحملك عليه، فغضب الرجل فقال: أنا والله خيرٌ منك ومن أهلك فارساً! فغضبت حين قال ذلك لخليفة رسول الله ﷺ، فمتمت إليه فأخذت برأسه وسحبته على أنفه، فكأثما كان أنفه

(١) البدء والتاريخ، ج ٥ ص ٦٥.

(٢) هذه عبارة فاحشة جداً ما كان يليق بالخليفة أن يتلفظ بها ، و قد تلفّظ بعبارة فاحشة أيضاً بحضرة النبي ﷺ كما في صحيح البخاري ج ٣ ص ١٧٩ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ٢٢٠ وإرواء الغليل (الألباني) ص ٥٦ ونيل الأوطار، ج ٨ ص ١٥٨.

عزلاء مزادة، فأراد الأنصار أن يستقيدوا مَني، فبلغ ذلك أبا بكر فقال: بلغني أن ناساً يزعمون أنني مقيدهم من المغيرة بن شعبة، ولأن أخرجهم من ديارهم أقرب من أن أقيدهم من وَزعة الله الذين يزعمون عباده^(١).

وقد أورد الزبيدي كلام أبي بكر بصيغة الاستفهام، قال: "وفي حديث أبي بكر (رض) وقد شكى إليه بعض عماله يعني المغيرة بن شعبة ليقترض منه فقال: أنا أقيد من وزعة الله؟ أراد أقيد من الذين يكفون الناس عن الأقدام على الشر^(٢). ومن حق من أطلع على هذه القصة أن يتساءل: أي شر هذا الذي منع المغيرة من الإقدام عليه؟

ذهب أبو بكر إلى أن قال: لأن أخرجهم من ديارهم أقرب من أن أقيدهم من وزعة الله الذين يزعمون عباده! فهو مستعد لإخراج الأنصار الذين آووا ونصروا من ديارهم من أجل المغيرة بن شعبة الذي غدر بأصحابه في السفر.

أقول: القصة وقعت في خلافة أبي بكر، وقد أراد الأنصار أن يستقيدوا من المغيرة، فالرجل إذن صحابي أنصاري، لأن مدة حكم أبي بكر لم تبلغ ثلاث سنوات، فالرجل أدرك رسول الله ﷺ قطعاً، فهو صحابي، وهو من أهل المدينة، وهذا يعني أنه كان يرى رسول الله ﷺ يومياً، لكن ما قيمة الصحابي الأنصاري حين يختلف مع واحد من المقرّبين من الخليفة، والخليفة نفسه يجعله من "وزعة الله الذين يزعمون عباده" وهو من أعلم الناس بقصة قتل المغيرة رفقائه في السفر! تحول قاتل الأبرياء إلى وازع

(١) المعجم الكبير للطبراني، ج ٢٠ ص ٤٠٣ - ٤٠٤.

(٢) تاج العروس الزبيدي، ج ١ ص ٥٩٦.

من وزعة الله! وهنا ينبغي أن يصنّف الصحابة إلى صنفين: "وزعة الله" و "صحابه عاديين"، ومن الصحابة الوزعة المغيرة بن شعبة، لكن ينبغي بيان المواطن التي مارس فيها المغيرة دور الوازع غير هذا الموضع الذي تفوح منه رائحة التملق، وقد شهد عليه عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين أنه كذلك حين قال له: "يا ابن الدباغ ما أنت وذاك؟ والله ما كنت أباع أحداً إلاّ قلت فيه هذه المقالة"^(١)!

ينبغي - إذاً - على أولئك الذين يتبنّون عدالة جميع الصحابة أن يأخذوا موقفهم من القضية ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾. فالمشهد المذكور لا يليق بمن يقال فيهم "تربّوا على يد رسول الله ﷺ" لأنه خال تماماً من آثار التربية الصحيحة! صحابة يضرب أحدهم الآخر إلى درجة أن يشبه أنف المضروب بـ "عزلاء مزادة" لمن أجل قضية شخصية! أين ذهب حلم الخليفة الذي يعتبر أفضل هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ؟ وإذا كان أبو بكر يعدّ المغيرة بن شعبة من "وزعة الله" فإن عمر بن الخطاب لا يتردّد في أن يواجهه بقوله "أنت رجل فاسق".

قال البعقوبي: ثمّ إن أهل الكوفة شكوا سعداً وقالوا لا يحسن يصلّي، فعزله عمر عنهم، فدعا عليهم سعد ألاّ يرضيهم الله عزّ وجلّ عن أمير ولا يرضي أميراً منهم. وولّى عمر مكان سعد بن أبي وقاص عمّار بن ياسر ثمّ قدم عليه أهل الكوفة فقال: كيف خلّفتكم عمّار بن ياسر أميركم؟ قالوا: مسلمٌ ضعيفٌ. فعزله ووجّهه جبير بن مطعم فمكر به المغيرة وحمل عنه خبراً إلى عمر، وقال له: ولّي يا أمير المؤمنين. قال: أنت رجل فاسق! قال: وما عليك منّي، كفايتي ورجولتي لك، وفسقي على نفسي! فولاه

الكوفة. فسألهم عن المغيرة فقالوا: « أنت أعلم به وبفسقه ». فقال: ما لقيت منكم يا أهل الكوفة، إن وليتكم مسلماً تقياً قلتم هو ضعيف، وإن وليتكم مجرمًا قلتم هو فاسق. فيقال: إنه ردّ سعد بن أبي وقاص^(١). والأمر واضح، فإنّ المغيرة لم يعترض على عمر، ولم ينف عن نفسه الفسق، بل أكّده وتساءل عن التنافي بين الفسق والولاية؟!

وعن قبيصة بن ذؤيب قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر (رض) تسأله ميراثها، فقال لها: مالك في كتاب الله شيء، ولا علمت لك في سنّة رسول الله ﷺ شيئاً فارجعي حتى أسأل الناس؛ فسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله ﷺ أعطاهما السّدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمّد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة، فأنفذ لها أبو بكر^(٢).

ويستفاد من القصّة أن أبا بكر يردّ شهادة المغيرة، مع أنه يعتبره من وزعة دين الله! وكلّما احتاج المغيرة إلى من يشهد معه أسعفه محمّد بن مسلمة. وقد يقال إنّ أبا بكر سأله لأنّ القضية تتعلّق بحقوق الآخرين فلا يكتفي بشهادة شخص واحد، وهنا تبرز قضية فاطمة ﷺ وقد شهدت لها أمّ أيمن والحسنان، فلم ينفعها ذلك مع أنّها مطهّرة بنصّ الكتاب العزيز غير محتاجة إلى شهادة أيّ كان! لم يقبل كلامها مع أنّها يصلّى عليها في كلّ صلاة فرضاً ونفلًا، وقُبِلَت شهادة رجلين قضيا في الشّرك أكثر مما قضيا في الإسلام، وأحدهما غدر برفاقه في السّفر وقتلهم جميعاً - وكان عددهم ثلاثة عشر رجلاً - بعد أن سقاها الخمر حتى همدوا، وكان يتبجّح - فيما بعد - أنّه أوّل من رشا

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ١٥٥ و البداية والنهاية، ج ٧ ص ١١٣.

(٢) الكفاية في علم الرواية، ج ١ ص ٢٦.

في الإسلام، والحال أن الراشي والمرتشى والساعي بينهما ملعونون في الإسلام؛ وأما الرجل الآخر فقد كان معروفاً ببغضه للإمام علي عليه السلام وقد ثبت في الصحاح أن النبي ﷺ قال للإمام علي عليه السلام بلسان عربي مبين: "لا يبغضك إلا منافق"!

٣- مع عمر بن الخطاب

كان عمر بن الخطاب يَجِبُهُ المغيرة بن شعبة بقوله: "إِذَا أَنْتَ رَجُلٌ فَاسِقٌ"، ولكنه مع ذلك كان يوليّه على الأُمُصَارِ ويستشيرُه في الأمور، وهذه من العجائب، لأنَّ الرَّجُلَ إن كان فاسقاً فَإِنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ وَالِيّاً عَلَى الصَّالِحِينَ، إذ الفاسق لا يصلح للشهادة عند القاضي فضلاً عن أن ينال منصباً أعلى من منصب القاضي نفسه، وإن كان صالحاً للولاية فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ فَاسِقاً؛ وقد كانت بين المغيرة وعمر حميَّةٌ خَطَّطَ لها المغيرة من أوّل يوم حينما عاد من مصر، وقد قتل أصحابه في السَّفر بغير جرم اقترفوه في حقّه. والمتتبع لأخبار المغيرة يجده دائماً في صفٍّ عمر إذا اختلف عمر مع غيره، كما يجده مادحاً لعمر، واصفاً إِيَّاهُ بما يُوحي بالتعظيم والتبجيل، لكنّه في واقع الأمر لم يكن يعظّم إلاّ نفسه، ولو كان يؤمن بالقيم والأخلاق لدافع عن نفسه حينما قال له عمر بالحرف الواضح: "أَنْتَ رَجُلٌ فَاسِقٌ"، فَإِنْ أَفْسَقَ فَسَاقُ الدُّنْيَا لَا يَقْبَلُ أَنْ يَجِبَهُ أَحَدٌ بِمَثَلِ تِلْكَ الْكَلِمَةِ، لأنَّ معناها بكل بساطة: "أَنْتَ رَجُلٌ سَاقِطٌ، أَنْتَ رَجُلٌ تَافِهٌ، أَنْتَ رَجُلٌ مُنْحَطٌّ، أَنْتَ رَجُلٌ رَخِيسٌ، أَنْتَ رَجُلٌ لَا قِيَمَةَ لَهُ"، وبدل أن يدافع المغيرة عن نفسه أو يخفّف من وطأة الكلمة، أقرّ على نفسه بالفسق قائلاً: "وما عليك منّي؟ رجولتي لك، وفسقي على نفسي"؛ ومع ذلك نجد في زماننا من يقول: "إنَّ الصَّحَابَةَ رَبَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" ويقول ذلك محرّكاً رأسه، فهل ربّاهم رسول الله ﷺ!

أن يخاطب بعضهم بعضاً بهذا الأسلوب، كقول أحدهم للآخر "أنت رجلٌ فاسقٌ" وإقرار الآخر على نفسه بالفسق قائلاً: كفايتي ورجولتي لك، وفسقي على نفسي"^(١).
فالمغيرة يقرّ على نفسه بالفسق أمام عمر بن الخطاب، والإقرار سيّد الأدلّة.

وعن عمرو بن دينار عن أبي جعفر محمد بن عليّ أن العباس جاء إلى عمر فقال له: إنَّ النبي ﷺ أقطعني البحرين. قال: من يعلم ذلك؟ قال: المغيرة بن شعبة. فجاء به فشهد له - قال - فلم يمض له عمر ذلك كأثمه لم يقبل شهادته، فأغلظ العباس لعمر، فقال عمر: يا عبد الله خذ بيد أبيك، وقال سفيان عن غير عمرو قال: قال عمر: والله يا أبا الفضل لأنّا بإسلامك كنت أسرّ متّي بإسلام الخطاب لو أسلم لمرضاة رسول الله ﷺ^(٢).

أقول: لقد كبر على ابن عساكر أن يردّ عمر شهادة المغيرة، فقال: كأثمه لم يقبل شهادته، والحال أنه لم يقبلها فعلاً؛ وكيف يقبل شهادته وهو يعتبره فاسقاً ويواجهه بذلك! لكن لا بدّ من المحافظة على عدالة الصحابة ولو بما يضحك التكلّي. ولم يذكر ابن عساكر مضمون ما أغلظ به العباس لعمر؛ ولعلّه ذكره لكنّ مقصّ الرقابة تصرف كالعادة، لأنّ العباس بن عبد المطلب أعلم بحال عمر وآل الخطاب من ابن عساكر.

ولا يبالي المغيرة أن يتملّق عمر مع قدم الصّحبة بينهما ووصولها إلى درجة الحميميّة، لأنّ قائمة الطّامحين إلى المناصب طويلة، ولا بدّ من فعل شيء للبقاء ضمن المتنافسين ولو بما يسقط المروءة، ولا خلاف بين العقلاء أن التّملّق يسقط المروءة. فعن

(١) تاريخ يعقوبي، ج ٢ ص ١٥٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٢٦ ص ٣٧١.

عثمان بن مقسم قال: قال المغيرة بن شعبه لعمر: أدلك على القوي الأمين؟ قال: بلى! قال: عبد الله بن عمر؛ قال: ما أردت بقولك هذا؟! والله لأن يموت فأكفنه بيدي أحب إلي من أن أوليه وأنا أعلم أن في الناس من هو خير منه^(١).

أقول: هل كان المغيرة بن شعبه صادقاً في قوله، معتقداً بكفاءة ولياقة عبد الله بن عمر للخلافة؟ أليس عبد الله بن عمر هو الذي لم يحسن طلاق امرأته وتغيّظ رسول الله ﷺ من فعله؟! أليس عبد الله بن عمر هو الذي اعتبر بيعة يزيد - فيما بعد - واجبة الوفاء وامتنع من بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أن بايعه المهاجرون والأنصار؟! أليس عبد الله بن عمر هو الذي قال له الحجاج بن يوسف: إن يدي عنك في شغل، هذه رجلي فبايع!

ولا يفوت التنبيه هنا أن عمر رشع يوم الشورى من يعلم أن في الأمة من هو خير منه، وأزاح بطريقة غير مباشرة من هو من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى.

٤- مع عثمان

قال ابن شبة التميمي:

قدم المغيرة بن شعبه على عثمان (رض) ببال من الكوفة، فقال له أصحابه: كيف رأيت سرور أمير المؤمنين بما قدمت به عليه؟ قال: رأيت له وجهاً لا يردني على الكوفة أبداً. قالوا: وما يدريك؟ قال: هو ما أقول لكم. وجعل المغيرة لبحران

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٣١ ص ١٧٨.

حاجب عثمان جعلاً على أن يأتيه بخبر من يستعمل عثمان إذا استعمل أحداً على الكوفة^(١). فأتاه فقال: فقد استعمل سعد بن أبي وقاص. فأتى المغيرة عثمان فقال: يا أمير المؤمنين هل شكاني إليك أحد، أو بلغك عني أمرٌ كرهته؟ قال: وما ذاك؟ قال: لم عزلني واستعملت سعداً؟ قال: وكان ذاك؟ قال: نعم. قال: ومن أخبرك؟ قال: الأمر أشيع من ذاك. فأرسل عثمان إلى سعد فأتاه، فقال: هل أعلمت أحداً؟ قال: لا. فأرسل إلى المغيرة فقال: والله لتخبرني من أخبرك أو لأسيلنّ دمك قال: لأقصنّ لك، فأخبره. فدعا ببحران فضربه ستين سوطاً، وحلق رأسه، وأمر أن يطاف به في السوق. فقال هودّة السلمي:

لا بعد ببحران يفشي سرّاً ملكٌ ستون سوطاً ورأسٌ بعدُ مخلوق
وطيف في السوق أعلاها وأسفلها لم يلقيه قبله في الناس مخلوق

قال: فعاب ذلك ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فأعتقه^(٢).

أقول: يرفأ في أيام عمر، ثم بجران في زمن عثمان. و يفعلها المغيرة بن شعبة ويدفع ثمنها بجران! لأنه لا سبيل على المغيرة وهو ركن من أركان الدولة. على أن ههنا مسألة طريفة، وهي قول المغيرة لعثمان: الأمر أشيع من ذاك!! يريد بذلك أن القضية شائعة ذائعة بين الناس، فهل كان الأمر كذلك؟ "أشيع من ذلك"؟ هل كان غير عثمان وجران وسعد بن أبي وقاص والمغيرة على علم بذلك؟ أمّا سعد فباعته

(١) هذا تجسّس صريح والقرآن الكريم ينهى عن التجسّس لكن المغيرة بن شعبة لا يبالي بالنهي القرآني

حين يعترض طريقه بل يقدم للمتجسّس لصالحه جعلاً!

(٢) تاريخ المدينة، ابن شبة التميمي، ج ٣ ص ١٠٣٠.

المعين للولاية بحضور بحران، وأمّا بحران فباعتباره حاجب عثمان، وأمّا عثمان باعتباره الخليفة الحاكم الذي ينصب ويعزل، والمغيرة بأيّ اعتبار؟

لقد تجسّس المغيرة في هذه الواقعة، وكذب على عثمان في دعوى شيوع الخبر، ورمى بحران بفعله كان هو وراءها، فهل عاتبه عثمان على واحدة منهن؟ وقد عاب ذلك ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فأعتقه، لكن بعد أن طيف به في السوق محلولق الرأس وضرب ستين سوطاً، وهو ما يعني سقوط عدالة الشخص واخترام مروءته.

إنّ القرآن الكريم يهتف ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، لكن إذا وقع التجسّس من طرف صحابيٍّ قدّمت صيانة قداسة الصحابيِّ وعُطلّ العمل بكتاب الله!!

عن الأوزاعيّ عن محمّد بن عبد الملك بن مروان^(١) أنّه حدّثه عن المغيرة بن شعبة أنّه دخل على عثمان وهو محصورٌ فقال: "إنيك إمامُ العامّة وقد نزل بك ما ترى، وإني أعرض عليك خصالاً ثلاثاً اخترتُ أيّهنّ: إمّا أن تخرج فتقاتلهم فإنّ معك عدداً وقوّةً وأنت على الحقّ وهم على الباطل، وإمّا أن تخرق لك باباً سوى الباب الذي هم عليه فتقع على رواحلك فتلحق بمكّة فيأتهم لن يستحلّوك وأنت بها، وإمّا أن تلحق بالشّام فيأتهم أهل الشّام وفيهم معاوية؛ فقال عثمان: أمّا أن أخرج فأقاتل فلن أكون أوّل من خلف رسول الله ﷺ في أمّته بسفك الدّماء، وأمّا أن أخرج إلى مكّة [فيأتهم لن يستحلّوك بها] فيأتي سمعت رسول الله ﷺ يقول: يلحد رجلٌ من قريش بمكّة عليه نصف عذاب العالم^(٢) فلن أكون أنا إيّاه، وأمّا أن ألحق بالشّام فيأتهم أهل الشّام وفيهم

(١) قالوا عن الحديث : إسناده منقطع.

(٢) هذا الحديث ذكروا في كتاب المجروحين ج ٢ ص ٢٦٩ تحت رقم ٩٥٥ أنه من رواية محمّد بن عبد الملك أبي عبد الله الأنصاري (من أهل المدينة سكن الشام يروي عن بن المنكدر ونافع والزهري عنه أهل الشام)

معاوية، فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ^(١).

أقول: هذه ردّ عثمان، وتلك نصيحة المغيرة، لكن يبقى المقطع الأخير من كلام عثمان غامضاً، إذ ما معنى قوله "أن الحق بالشّام فإنهم أهل الشّام وفيهم معاوية"؟! ألم تذكر كتب التاريخ أنّهم قدسوا قميصه المضرّج بالدم؟! ألم يحاربوا سنين بدعوى المطالبة بدمه؟ فما معنى فيها معاوية؟ هل كان معاوية لديهم أهمّ وأعزّ من عثمان؟

قال عبد العزيز [في تاريخ المدينة]: توفيت صفية فدفنت في آخر الزقاق الذي يخرج إلى البقيع عند باب الدار التي يقال لها دار المغيرة بن شعبة التي أقطعه عثمان بن عفّان (رض)، لازقاً بجدار الدار - قال عبد العزيز - : فبلغني أنّ الزبير بن العوّام جاز بالمغيرة وهو يبني داره فقال : يا مغيرة، ارفع مطمرك عن قبر أمّي. فأدخل المغيرة جداره، فالجدار اليوم منحرفٌ فيما بين ذلك الموضع وبين باب الدار - قال عبدالعزيز -: وقد سمعت من يذكر أنّ المغيرة بن شعبة أبى أن يفعل ذلك، لمكانه من عثمان، فأخذ الزبير السيّف ثمّ قام على البناء، فبلغ الخبر عثمان، فأرسل إلى المغيرة يأمره بالمصير إلى ما أمره به الزبير، ففعل^(٢).

يقول عبد العزيز: "وقد سمعت من يذكر أنّ المغيرة بن شعبة أبى أن يفعل

كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات لا يحلّ ذكره في الكتب إلّا على جهة القدح فيه ولا الرواية عنه إلّا على سبيل الاعتبار، وهو الذي روى عنه الأوزاعي وروى عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: يلحد بمكة رجل من قريش عليه نصف عذاب العالم.

(١) الأحاديث المختارة، ج ١ ص ٥٢٠ رقم ٣٨٧.

(٢) تاريخ المدينة، ابن شبة النميري، ج ١ ص ١٢٦.

ذلك لمكانه من عثمان"، فمن أين جاءت هذه المكانة؟! لا هو من عشيرته، ولا هو صديق من أيام الطفولة^(١)، ولا هو صهر ولا هو غير ذلك، فمن أين له المنزلة؟!

لا شك في وجود حميمية بين عثمان والمغيرة تسمح للأخير بالتدخل في شؤون عثمان، وتسمح له بعنوان النصيحة أن يقترح عليه ما شاء.

٥- مع علي عليه السلام

وقد نعت أمير المؤمنين عليه السلام المغيرة بما هو أهله حينما راجعه عمار بن ياسر؛ قال ابن قتيبة^(٢)؛ فقام عمار فقال : معاذ الله يا مغيرة تقعد أعمى بعد أن كنت بصيراً. يغلبك من غلبته، ويسبقك من سبقته، انظر ما ترى وما تفعل، فأما أنا فلا أكون إلا في الرعيل الأول. فقال له المغيرة، يا أبا اليقظان. إياك أن تكون كقاطع السلسلة: فر من الضحل^(٣) فوقع في الرمضاء^(٤). فقال علي لعمار : دعه، فإنه لن يأخذ من الآخرة إلا ما خالطته الدنيا، أما والله يا مغيرة إنها المثوبة المؤدية، تؤدي من قام فيها إلى الجنة، ولما اختار بعدها، فإذا غشيناك فتم في بيتك. فقال المغيرة : أنت والله يا

(١) علما أن فارق السن بين عثمان والمغيرة كبير.

(٢) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزينبي، ج ١ ص ٥٠.

(٣) ضحل : الضحل : القريب القعر. والضحل : الماء الرقيق على وجه الأرض ليس له عمق وقيل : هو كالضحضاح إلا أن الضحضاح أعم منه لأنه فيما قل أو أكثر وقيل : الضحل الماء القليل يكون في العين والبئر والجمعة ونحوها وقيل : هو الماء القليل يكون في الغدير ونحوه (لسان العرب، ج ١١ ص ٣٩٠).

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٤ ص ٧٠.

أمير المؤمنين أعلم مني، ولئن لم أقاتل معك لا أعين عليك^(١)، فإن يكن ما فعلت صواباً فإياه أردت، وإن يكن خطأ فمنه نجوت، ولي ذنوب كثيرة لا قبل لي بها.

المغيرة الذي يقول هذا الكلام هو نفسه الذي أشار على الإمام علي عليه السلام أيام حصار عثمان بأمر لم يلتفت إليه عليه السلام، وأشار عليه عليه السلام أيضاً أول ما بويع بأمر لم يستسغه الإمام عليه السلام لخلوه من التقوى والورع، ففعل ذلك في صدر المغيرة ما فعل، واستشعر من نفسه الذلّ والازدراء لأنّ دهاءه لم يجد صدقاً لدى الإمام علي عليه السلام. عن شعيب، عن سيف، عن المجالد، عن الشعبي، عن المغيرة بن شعبة، قلت لعلي: إنّ هذا الرجل مقتول، وإنه إن قُتل وأنت بالمدينة اتّخذوا فيك، فخرج فكن بمكان كذا وكذا، فإنك إن فعلت وكنت في غار باليمن طلبك الناس، فأبي؛ وحُصر عثمان اثنتين وعشرين يوماً، ثم أحرقوا الباب وفي الدار أناس كثير فيهم عبدا لله بن الزبير ومروان...

أقول: متى كان الإمام علي عليه السلام بحاجة إلى نصيحة المغيرة وهو يعلم أنّه لا يأخذ من الدّين إلا ما خالطته الدّنيا؟

أليس هو الذي رآه يطرح رمحه في الطريق أثناء رجوعه من الغزو ليلتقطها غيره؟

أليس هو الذي فنّد العلماء دعواه أنّه آخر النّاس عهداً برسول الله ﷺ؟!

لكنّ المغيرة يريد أن يصوّر للنّاس أنّه مقربٌ من الإمام عليه السلام وأنّ الإمام عليا عليه السلام يأخذ برأيه وقوله!

(١) هذا الكلام من المغيرة صعب قبوله، فإنّه لم يكف بالإعانة على علي عليه السلام بل صار يسبّه و يلعنه علناً.

وهل يصلح المغيرة لأن يكون من خواص الإمام علي عليه السلام ؟

٦- مع معاوية :

قال ابن أبي الحديد: قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : وكان المغيرة بن شعبة صاحب دنيا، يبيع دينه بالقليل التزرها منها، ويُرضي معاوية بذكر علي بن أبي طالب عليه السلام، قال يوماً في مجلس معاوية : إنَّ علياً لم يُنكحه رسول الله ابنته حباً، ولكنَّه أراد أن يكافئ بذلك إحسان أبي طالب.

والحديث هنا عن النبي صلى الله عليه وآله وتزويجه فاطمة عليها السلام، والمغيرة يدعي أن النبي صلى الله عليه وآله لم يزوج فاطمة عليها السلام من الإمام علي عليه السلام حباً فيه وصلةً لرحمه واعتراضاً بسبقه وجهاده في الإسلام، لم يكن شيء من هذا - حسب قول المغيرة - وإنما أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يكافئ إحسان عمه أبي طالب إليه ابتداءً بكفالاته إلى نصرته في دعوته؛ ذلك هو الهدف من التزويج، وهذا يعني أنه لولا إحسان أبي طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة من علي عليه السلام (سلام الله عليهم أجمعين).

هل هذا صحيح؟ أم أن المغيرة يقطع على الله ورسوله بالظن؟

وإذا كان هذا صحيحاً فلماذا انفرد به المغيرة دون سائر الصحابة مع كثرة أعداء الإمام علي عليه السلام ؟^(١)

(١) روى الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الفضائل بسنده عن عمرو بن موسى عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس إياي فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين أزواجنا عن أيماننا وعن شمائلنا وذرائعنا خلف أزواجنا وشيعتنا من ورائنا. (أحمد بن حنبل كتاب فضائل الصحابة ج ٢

ماذا تقول كتب التفسير والحديث والرجال في زواج فاطمة عليها السلام؟

تقول الكتب: "خطب أبو بكر وعمر فاطمة!"

عن الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : خطب أبو بكر وعمر فاطمة فقال رسول الله ﷺ: "إنها صغيرة"، فخطب عليٌّ فزوجها منه^(١).

وهنا كلامٌ وأي كلام!

"خطب أبو بكر وعمر فاطمة"؛ وهذا معناه "خطب أبو بكر ثم عمر فاطمة" لأنَّ مقام الرجلين لا يسمح أن يخطبا امرأةً واحدةً في وقت واحد، خصوصاً عند من يعتقدون بترتيب الخلفاء في الفضل والدين وغير ذلك، بل إنَّك لا تكاد تجد روايةً فيها مثلاً جاء عمر ثمَّ جاء أبو بكر! أو خرج عمر ثمَّ خرج أبو بكر! لا بدَّ أن يخرج أبو بكر دائماً قبل عمر ولا بدَّ أن يجيء أبو بكر دائماً قبل عمر حتى لا يختلَّ الترتيب فيهِتزَّ اعتقاد النَّاس في الخلفاء؛ فكأنَّ حياة الرجلين ربَّها ونظَّمها و(برمَجها) جهاز حاسوب! وإذا فقد خطب أبو بكر فاطمة أولاً؛ فماذا كان الجواب؟

قال رسول الله ﷺ: "إنها صغيرة!"

وهذا الردُّ من النَّبي ﷺ أثقلُ على الذهبي من حمل الجبال الرواسي! لأنَّ الذهبي يأبى أن يقرَّ أن فاطمة ولدت بعد البعثة، لأنَّ نفسه لا تطيب أن يكون النَّبي ﷺ أكل

ص ٦٢٤ رقم ١٠٦٨ نشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٩٨٣
(١) السنن الكبرى، النسائي، ج ٥، ص ١٤٣ الحديث رقم ٨٥٠٨ وخصائص أمير المؤمنين عليه السلام
النسائي، ص ١١٤ و صحيح ابن حبان، ج ١٥، ص ٣٩٩.

ليلة المعراج من ثمار الجنة ثم آوى إلى خديجة فحملت بفاطمة عليها السلام من تلك الثمرة، أي من غير تربة هذه الأرض. لا بدّ من نفي أصل المسألة حتى لا يبقى كلامٌ. فإذا كانت فاطمة وُلدت قبل البعثة كما يقول الذهبي - ولو بأسبوع - فهذا يعني أنّها في المدينة في حدود الرابعة عشرة من العمر؟ وقد ذكروا أنّ النبي صلى الله عليه وآله بنى بعائشة وعمرها تسع سنين وعشرة أشهر^(١).

فكيف يقول النبي صلى الله عليه وآله مثل هذا؟

كيف يقول النبي صلى الله عليه وآله عن فاطمة التي تجاوزت ثلاث عشرة سنة "إنّها صغيرة" بينما إحدى زوجاته لا تتجاوز "تسع سنين وعشرة أشهر؟
أهكذا يتكلّم الأنبياء؟!

لقد كان في وسع أبي بكر أن يقول له: "وكيف تكون فاطمة صغيرةً وعمرها أكثر من ثلاث عشرة سنةً بينما عائشة في بيتك وعمرها أقلّ من عشر سنين؟"

لا شك أنّ الرواة والمحدثين قولوا رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يقله محافظةً منهم على مقام الخليفة، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلّا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض". وأبو بكر - بزعمهم - أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الأمة. وقد رفض رسول الله صلى الله عليه وآله تزويجه من فاطمة.

فهل هذا يعني أنّ النبي صلى الله عليه وآله لا يرضى دين أبي بكر وخُلُقَه؟ أم أنّه يعني أنّ النبي صلى الله عليه وآله يتناقض في كلامه والعياذ بالله تعالى؟

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٩ ص ١٩٠.

والذين يزكون المغيرة وأشباه المغيرة يدعون أن فاطمة عليها السلام ولدت قبل البعثة بأربعة سنوات، وعليه يكون عمرها عند الهجرة سبع عشرة سنة، فهل في عرف العرب أن يقال عن بنت سبع عشرة سنة "إنها صغيرة"؟!

عن المسيّب بن رافع، عن ورّاد مولى المغيرة، قال: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة: أي شيء كان رسول الله ﷺ يقول إذا سلّم في الصلاة^(١) ؟

أقول: هل يفهم من هذا أن معاوية لم يصل وراء رسول الله ﷺ قط؟! لأنه إن كان يصلّي وراءه فهو يعرف ما يعرفه المغيرة، وليس بين إسلام المغيرة وإسلام معاوية فترة طويلة، فالأوّل أسلم قبيل الحديبية، والثاني أسلم بعد فتح مكّة! ولقد كان هناك صحابة أيام معاوية أفقه من المغيرة وأكثر ملازمة لرسول الله ﷺ، فلماذا قدّم معاوية المغيرة عليهم؟

عن محمّد بن سلام قال: أخبرنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن ورّاد كاتب المغيرة بن شعبة قال: كتب معاوية إلى المغيرة "اكتب إلىّ بما سمعت من رسول الله ﷺ". قال ورّاد فأملى عليّ وكتبت بيدي: "إنّي سمعته ينهى عن كثرة السّؤال وإضاعة المال وعن قيل وقال"^(٢) ..

أقول:

هذا ما سمعه المغيرة من رسول الله ﷺ، وكأنّه لم يسمعه يوم خيبر يقول في عليّ رضي الله عنه: "يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله!"

(١) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧، ص ٣٧.

(٢) الأدب المفرد، البخاري، ص ١٥ رقم ١٦.

وكأنه لم يسمعه يوم الغدير يقول: " من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " !

وكأنه لم يسمعه يوم الأحزاب أيضاً يقول: " اللهم قد برز الإيمان كله إلى الشّرك كله " !

ومع ذلك سوّكت له نفسه وراح يلعنه ويوظّف الخوارج للعنه تقريباً إلى معاوية وبني أميّة.

لكن المودّة لم تكن إلا شكليّةً بين معاوية والمغيرة، فقد كانت تجمعهما المصلحة التي لا يبالي صاحبها بالدين؛ كان معاوية بحاجة إلى دهاء ووقاحة المغيرة، وكان المغيرة بحاجة إلى أموال معاوية ونفوذه، وكان معاوية حريصاً على أن يشعر المغيرة بين الحين والحين أنّه بمنزلة الخادم لا أكثر، لكنّه بمنزلة الخادم الوفيّ لأنّ كلا الرّجلين يبغض عليّاً عليه السلام بغضاً لا يرجى زواله، فشدة بغضهما للإمام عليّ عليه السلام تضمن بقاءهما في خطّ واحد وعلى موجة واحدة. بل يمكن القول إنّ معاوية كان لا يتحرّج أن يبدي احتقاره للمغيرة إذا خلا به، ويشعره أنّه لا يعتبره صاحب دين، ولذلك يُصرّح أمامه بما لا يمكن أن يصرّح به أمام أصحاب الدّين. قال محمّد بن عقيل الشّافعيّ: (وأخرج) الزّبير بن بكار في الموقّعات عن المطرف بن المغيرة بن شعبة قال: دخلت مع أبي على مُعاوية فكان أبي يأتيه فيتحدّث معه، ثمّ ينصرف إليّ ويذكر مُعاوية وعقله ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيته مُغتمّاً! فانتظرته ساعة وظننتُ أنّه لأمر حدّث فينا، فقلت: مالي أراك مُغتمّاً منذ اللّيلة؟ فقال يا بنيّ جئت من عند أكفر النّاس وأحبّهم! [قلت: وما ذاك؟ قال: قلت

له وقد خلوت به: إنك قد بلغت ستاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً، فقد كبرت؛ ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه. فقال: هيهات هيهات، أي ذكر أرجو بقاءه؟ مَلَكٌ أخو تيم^(١) فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل أبو بكر. ثم مَلَكٌ أخو عدي فأجتهد وشمّر عشر سنين فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل عُمَر. وإن ابن أبي كبشة ليُصاح به كل يوم خمس مرات أشهد أن محمداً رسول الله! فأبي عمل يبقى وأي ذكر يدوم بعد هذا لأبأ لك، لا والله إلا دفناً دفناً^(٢).

قال ابن عقيل بعد ذكر الخبر: الزبير بن بكار هذا هو قاضي مكة، وهو مشهور في المحدثين، ومن رواية الصحيح، وهو غير متهم على معاوية لعدالته وفضله مع أن في الزبير كما علمت بعض انحراف عن عليّ كرم الله وجهه لما عرف من الأسباب؛ ألا ترى أن عبد الله بن الزبير على نسكه وعبادته كان منحرفاً عن عليّ وأهل بيته. فقد روى عمر بن شبة وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواية السير أنه مكث أيام ادعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلي فيها على النبي ﷺ وقال لا يمنعني من ذكره إلا أن تشمخ رجالاً بآنافها.

أقول: إن الكلام الذي تفوه به معاوية أمام المغيرة بن شعبة لا يمكن أن يتفوه به أمام ذوي التدين الصحيح من الصحابة والتابعين، فهو بكلامه ذاك يشعر المغيرة أنه

(١) أخو تيم هنا هو أبو بكر، لأنه من بني تيم.

(٢) النصائح الكافية، محمد بن عقيل الشافعي ص ١٢٣.

ليس من أهل الدين، وكأنه يقول له: " لا تخادعني يا مغيرة، ولا تدع التدين، إنك مثلي لا تعتقد بشيء، فلا تستغفلي، وإن أردت أن تتظاهر بالتدين فتظاهر به أمام من شئت لكن لا تفعل ذلك أمامي، فأنتي أعرفك جيداً، ولولا معرفتي بك ما اتخذتك عوناً لي فيما أنا فيه". ولأجل ذلك رجع المغيرة إلى بيته مغموماً كما يقول ابنه المطرف، وهو الذي كان " يذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه؛ كان يذكر معاوية وعقله، وإذا به يقول عنه: "أكفر الناس وأخبثهم"!

كيف تحول معاوية بن أبي سفيان في ليلة واحدة من ذي عقل يستحق الإعجاب إلى أكفر الناس وأخبثهم؟!

نعم، تحول معاوية ذلك التحول في ليلة واحدة لأنه جرح مشاعر المغيرة بن شعبة وأشعره بالسفالة والضعة، وأنه ليس بشيء. والمغيرة قتل فيما سبق ثلاثة عشر رجلاً مخافة أن يخبروا الناس بازدراء ملك مصر إياه! وها هو الازدراء يعود مرةً أخرى؛ كان الازدراء تلك المرة من ملك مصر، وها هو الازدراء اليوم من ملك الشام، وبعد مرور أكثر من ثلاثين سنة. فكان المغيرة لم يخط خطوة واحدة إلى الأمام، وهو الذي يبحث عن التميز بأيّ ثمن كان!

وروى الطبري أن معاوية بن أبي سفيان لما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة إحدى وأربعين دعاه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد؛ فإن لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا، وقد قال المتلمس:

لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما

وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعلم؛ وقد أردت إيضاحك بأشياء كثيرة فأنا تاركها

اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطاني ويصلح به رعيّتي. ولست تاركاً إيصاءك بخصلة، لا تتحمّ عن شتم عليّ وذمّه^(١)، والترحمّ على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب عليّ والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم، وبإطراء شيعة عثمان (رض) و الإدناء لهم والسّماع منهم. فقال المغيرة: قد جرّبت وجرّبت، وعملتُ قبلك لغيرك فلم يذمم بي دفعٌ ولا رفعٌ ولا وضعٌ. فستبُلو فتحمّد أو تذمّ. ثمّ قال: بل نحمد إن شاء الله^(٢).

وحينما يحاول المغيرة أن يخدع معاوية يجيبه معاوية بسلاح من نفس العيار، لكن مع مسحة استخفاف يملها التفوّذ والتسلّط. فعن عبد الملك بن عمير قال: كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية يذكر فناء عمره، وفناء أهل بيته، وجفوة قريش إيّاه - قال - فورد الكتاب على معاوية وزیادٌ عنده؛ فلما قرأ الكتاب قال له زيادٌ: ولّني إجابته! قال: فألقى إليه الكتاب. قال: فصدّر زيادٌ الكتاب ثمّ كتب: أمّا ما ذكرت من ذهاب عمرك فإنّه لم يأكله أحدٌ غيرك، وأمّا ما ذكرت من فناء أهل بيتك فلو أنّ أمير المؤمنين قدر أن يقي أحداً الموت لوقى أهل بيته، وأمّا ما ذكرت من جفوة قريش إيّاك فأتى يكون ذاك وهم أمّروك! فلما قدم الكتاب على المغيرة فقرأه قال اللهم عليك زياداً، اللهم عليك زياداً^(٣).

وللعلم فإنّ المغيرة هو الذي أشار على زياد أن يرضى بالاستلحاق - عناداً لله

(١) هذه العبارة مفحمة للذين ينكرون أمر معاوية بسبّ عليّ عليه السلام وشتمه.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٤ ص ١٨٨.

(٣) الإشراف في منازل الأشراف، ج ١ ص ٢٦٩.

ورسوله - ^(١) ويشهد على أمّه سميّة بالزنا وعلى أبيه عبيد بالديانة، هذا مع أن موقف الإسلام بمن مجوز فيه الوجهان إلى غير أبيه معلوم. قال ابن منظور: وفي الحديث: لا دعوة في الإسلام، الدعوة في النسب، بالكسر: وهو أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته، وقد كانوا يفعلونه فنهى عنه وجعل الولد للفراش. وفي الحديث: ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، وفي حديث آخر: فالجنة عليه حرام، وفي حديث آخر: فعليه لعنة الله، وقد تكررت الأحاديث في ذلك، والادعاء إلى غير

(١) لأن النبي ﷺ قال: "الولد للفراش وللعاهر الحجر". الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٢، ص ١٨٣: والطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٤، ص ١٩٠: التاريخ الكبير، البخاري ج ٣، ص ٣١٥: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ١١، ص ١١٧: وج ١٤، ص ١٤٩: وتاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، ج ١٩، ص ١٩٨: وج ٢١، ص ٢٨٠: وج ٢٢، ص ١٧١: وج ٣١، ص ٢٩١: وج ٣٧، ص ٤٢٨: وج ٤٢، ص ٢٢٢: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، ج ٥٩، ص ٤: أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٣، ص ٢٩٣: أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٤، ص ١٠٢: أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٤، ص ١٧٩: تهذيب الكمال، المزي، ج ٩، ص ٥٠: وج ٩، ص ٥١: وج ٣١، ص ٣٩٩: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٤، ص ٢٣٨: وج ١٦، ص ٥٢٨: ميزان الاعتدال، الذهبي، ج ٢، ص ٤٨: وج ٤، ص ٣٨٧: الإصابة، ابن حجر، ج ٤، ص ٦٠٩: وج ٥، ص ٢٩٦: وج ٦، ص ٥٤٤: تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج ٣، ص ٢٠٤: لسان الميزان، ابن حجر، ج ٢، ص ٤٥٨: وج ٦، ص ٢٦٤: كتاب العين، الخليل الفراهيدي، ج ١، ص ١٠٥: غريب الحديث، ابن سلام ج ٣، ص ٣٤٠: غريب الحديث، الحري، ج ١، ص ٢٢٩: الصحاح، الجوهري، ج ٢، ص ٧٦٢: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج ١، ص ٢٣: وج ١، ص ٣٤٣: وج ٢، ص ١٢١: وج ٣، ص ٣٢٦: لسان العرب ابن منظور، ج ١، ص ٢٤٢: وج ٤، ص ١٦٦: وج ٦، ص ٣٢٧: وج ٨، ص ٢٠٥: وج ١٤، ص ٢٦١: وتاج العروس، الزبيدي، ج ١، ص ٣٤٠: وج ٧، ص ٢٧٩: وج ٩، ص ١٦١: وج ١١، ص ٢٧٨: والمستصفى، الغزالي، ص ٢٣٦: والمنخول الغزالي، ص ٢٢٥: الإحكام الآمدي، ج ٢، ص ٢٤١: والعلل أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٣١٩: تغليق التعليق، ابن حجر، ج ٥ ص ٢٣٤.

الأب مع العلم به حرام، فمن اعتقد إباحة ذلك فقد كفر لمخالفته الإجماع^(١).
وقد كان بين المغيرة وبين زياد مودةً نفعيةً أوجدها نكوص زياد عن الشهادة يوم
شهد أبو بكره ومن معه على المغيرة بالزنا.

٧- مع عبد الرحمن بن عوف

قال الطبري: ثم لقي [أي المغيرة] علياً فقال: إن عبد الرحمن رجلٌ مجتهدٌ وليس والله
يبايعك إلا بالعزيمة فاقبل؛ فلذلك قال عليٌّ خدعةً. قال: ثم أنصرف بعثمان إلى بيت
فاطمة ابنة قيس^(٢) فجلس والتاس معه فقام المغيرة بن شعبة خطيباً فقال: يا أبا
محمد، الحمد لله الذي وفّقك والله ما كان لها غير عثمان - وعليٌّ جالس - فقال عبد
الرحمن: يا ابن الدّبّاغ ما أنت وذلك! والله ما كنت أبايع أحداً إلا قلت فيه هذه
المقالة^(٣)!

أقول: هذا رأي عبد الرحمن بن عوف في ابن الدّبّاغ بمحضر الصحابة، ومن بينهم
بعض المبشرين بالجنة ولم يردّ عليه أحد!

وفي كتاب السّقيفة وفدك للجوهري: قال المغيرة بن شعبة لعثمان: أما والله لو
بويع غيرك لما بايعناه، فقال عبد الرحمن بن عوف: كذبت، والله لو بويع غيره

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٤، ص ٢٦١.

(٢) فاطمة بنت قيس هي زوجة أسامة بن زيد وهي التي بعثت إليه وهو على الجيش أن ادخل فإن
رسول الله يموت! وأطاع أسامة فاطمة بنت قيس وعصى رسول الله ﷺ وآله ودخل المدينة وكان ما كان!
فهي حاضرة دائماً في مسألة الخلافة.

(٣) تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٣٠٢.

لبايعته، وما أنت وذاك يا ابن الدباجة، والله لو ولها غيره لقلت له مثل ما قلت الآن،
تقرباً إليه وطمعاً في الدنيا، فاذهب لا أباك. قال المغيرة: لولا مكان أمير المؤمنين
لأسمعتك ما تكره، ومضياً^(١).

فإن يكن عبد الرحمن بن عوف صادقاً في كلامه يكن المغيرة من أهل التقرب
والتزلف لدى المتمكنين، ومن أهل الطمع في الدنيا.

الأمير البخيل:

عن عيسى بن يزيد بن بكر قال: سأل الوليد بن عقبة مروان وهو على المدينة
فاعتلّ عليه، فقدم على المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة فأمر له بعشرين ألفاً فأبى
أن يقبلها^(٢)، فأتى ابن عامر فشكا إليه دينه فقال: كم هو؟ قال مئة ألف؛ فقضاه عنه
وأعطاه مئة ألف أخرى. فقال الوليد:

ألا جعل الله المغيرة وابنه
لكي تقياه الحرّ والقرّ والأذي
ومروان نعلي بذلة لابن عامر
ولسع الأفاعي واحتدام المهاجر
وأيّباتاً أخرى^(٣).

وإنما ارتحل الوليد إليه من المدينة رجاء أن يعينه على قضاء دينه كما يدلّ عليه
كلامه مع ابن عامر، ويقبح بالأمير أن يكون في الرعيّة من هو أجود منه وأسخى مع

(١) كتاب السقيفة وفدك، الجوهري، ص ٨٧.

(٢) الوليد بن عقبة هذا، الذي أبى أن يقبل عشرين ألفاً من بيت المال، هو الذي سمّاه القرآن الكريم فاسقاً.

(٣) مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا، ص ٤٦٠.

سعة اليد. وكل إناء بالذي فيه ينضح.

وعن ابن أبي الخليل عن عليّ قال: كان المغيرة بن شعبة إذا غزا مع النبي ﷺ حمل معه رمحاً فإذا رجع طرحه كيما يحمل إقبال له عليّ لأذكرن هذا للنبي ﷺ فقال له لا تفعل فإنك إذا فعلت لم تحمل ضالّة^(١).

وحينما يتعلّق الأمر بالنساء فإنّ المغيرة يسارع إلى استغلال الفرصة لمحاولة إطفاء نار شهوة لا تتطفئ، والحال أنّ العقلاء - خصوصاً إذا تقدّمت بهم السنّ - لا يبقون يركضون وراء تعدّد الزّواج لما يقتضيه المقام من تفكّر فيما يقدم عليه الإنسان عند خروجه من الدّنيا، ومن تجاوز الخمسين فقد قارب.

قالوا: وإذا أراد وليّ المرأة تزوّجها كابن عمّها أو مولاها جعل أمرها إلى من يزوّجها منه بإذنها لما روي أنّ المغيرة بن شعبة أمر رجلاً أن يزوّجه امرأة المغيرة أولى بها منه، ولأنّه وليّها فجاز أن يتزوّجها من وكيله كالإمام، فإنّ زوّج نفسه بإذنها ففيه روايتان إحداها لا يجوز لحديث المغيرة، ولأنّه عقد ملكه بالإذن فلم يحجز أن يتولّى طرفيه كالوكيل في البيع؛ والثّانية يجوز لما روي عن عبد الرّحمن بن عوف أنّه قال لأُمّ حكيم بنت قارظ: أنجعلين الأمر إليّ؟ قالت: نعم؛ فقال: قد تزوّجتك^(٢)..

وأنت تراهم هنا يستدلّون بفعل المغيرة كأنّ سلوك المغيرة في غنى عن الدّليل.

وروي أنّ المغيرة بن شعبة قال لمولى له وهو على أمواله بالطائف: كيف تصنع في صدقة مالي؟ قال: منها ما أتصدّق به، ومنها ما أدفع إلى السّلطان؛ فقال: وفيّ أنت

(١) السنن الكبرى، التّسائي، ج ٣ ص ٤١٧.

(٢) الكافي في فقه ابن حنبل، ج ٣ ص ٢٠.

من ذلك؟ قال: إنهم يشترون بها الأراضي ويتزوجون بها النساء! فقال: ادفعها إليهم فإن رسول الله ﷺ أمرنا أن ندفع إليهم^(١).

أقول: قد أمره الله تعالى بمودة قري النبي ﷺ، وأمره النبي ﷺ يوم الغدير بموالة علي عليه السلام فلم يكنف بترك أمر الله تعالى وأمر نبيه ﷺ بل راح يحارب أهل البيت عليهم السلام بكل ما أوتي، ويوظف الخطباء لسبّ وشتم ولعن الإمام علي عليه السلام وهو في القصة المذكورة يدعي العمل بأمر رسول الله ﷺ!! وليس هذا الكلام منه إلا تقريباً إلى حكام الجور، بعد أن أخبره مولاه أنهم يشترون بها الأراضي ويتزوجون بها النساء، وهذا معناه أنهم كانوا لا ينفقونها في الأصناف المأمور بها شرعاً!

و عن عطاء بن يسار أن المرأة التي سألت عمر (رض) عن التي راجعها زوجها قبل أن تغتسل كان دسها المغيرة بن شعبه لعمر و ابن مسعود (رض) لينظر ما يقولان فيها^(٢).

أقول: تارة يستعين بزوجته، وتارة بامرأة أجنبية، ومعلوم أن أهل المروءة بعيدون عن مثل هذه التصرفات، لأن عزّتهم تمنعهم أن يطلبوا شيئاً على حساب مروءتهم.

أول من رشأ في الإسلام!

قال ابن حجر: وقال البغويّ حدثني حمزة بن مالك الأسلمي، حدثني عمّي شيبان بن حمزة، عن دويد، عن المطلب بن حنطب قال: قال المغيرة: أنا أول من رشأ في

(١) المهذب، أبو إسحاق الشيرازي، ج ١ ص ١٦٨.

(٢) كتاب الآثار، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، ج ١ ص ١٣٤ (دار الكتب العلمية بيروت ١٣٥٥هـ).

الإسلام، جئت إلى يرفاً حاجب عمر وكنت أجالسه فقلت له: خذ هذه العمامة فالبسها، فإنّ عندي أختها، فكان يأنس بي ويأذن لي أن أجلس من داخل الباب فكنت آتي فأجلس في القائلة، فيمرّ المارّ فيقول: إنّ للمغيرة عند عمر منزلة، إنّّه ليدخل عليه في ساعة لا يدخل فيها أحد^(١).

وقال ابن الأثير: - في ترجمة المغيرة - وهو أول من وضع ديوان البصرة وأول من رشا في الإسلام. أعطى برقاً^(٢) حاجب عمر شيئاً حتى أدخله على دار عمر^(٣).
أقول: انظر إلى هؤلاء المحدثين الصالحين كيف يمرّون عليها بسلام، وهم يعلمون أنّ الرّاشي والمرتشي والساعي بينهما جميعاً ملعونون.

التزوير وإفساد الحجّ على المعمرين :

وذكر الخطيب البغداديّ في تاريخه أنّ الليث بن سعد قال : حجّ بالناس سنة أربعين المغيرة بن شعبة، وذلك أنّ المغيرة كان معتزلاً بالطائف، فافتعل كتاباً بإمارة الموسم عام الجماعة، فقدم الحجّ يوماً خشية أن يجيء أميرٌ، فتخلّف عنه ابن عمر وصار معظم النّاس مع ابن عمر. قال نافع: فلقد رأيتنا ونحن غادون من منى واستقبلونا مفيضين من جمع، وأقمنا بعدهم ليلةً بمنى^(٤).

(١) الإصابة، ابن حجر، ج ٦ ص ١٥٧.

(٢) وفي تاريخ دمشق، ج ٦٠ ص ١٨ يرفاً.

(٣) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٤ ص ٤٠٧.

(٤) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ١ ص ٢٠٥.

أقول: ما ذا يقول المتدينون الورعون في مثل هذا المقام؟ فالرجل لم يتورّع عن افتعال كتاب لا وجود له، ولم يلتزم بتعظيم حرّمات الله، فقدّم الحجّ، وخالفه ابن عمر وهو من هو عند أتباعه ! لكنه اكتفى بمخالفته ولم يعترض عليه ولم يفضح أمره.

روى الطبري أنّ معاوية بن أبي سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة ٤١ دعاه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإنّ لذي الحلم قبل اليوم ما تفرّج العصا، وقد قال المتلمس: "لذي الحلم... [في كلام طويل يأمره فيه بسبّ الإمام علي عليه السلام وأتباعه]"^(١).

أقول: وافق المغيرة معاوية على مخالفة النبي ﷺ طائعاً غير مكره، وهذا يؤكّد قول عبد الرحمن بن عوف له يوم بيعة عثمان: "والله لو وليها غيره لقلت له مثل ما قلت الآن تقريباً إليه وطمعاً في الدنيا، فاذهب لا أبا لك". ومن تدبّر قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام "لا يبغضك إلا منافق" لم يشكّ في نفاق المغيرة، لأنّ النبي ﷺ أطلق في كلامه ولم يستثن أحداً، ولا أورد علّةً، وكلام النبي ﷺ بلسان عربيّ مبين لا يحتاج إلى ترجمان، وعليه فكلّ من يبغض الإمام علياً عليه السلام منافق.

المغيرة يتعلّق عمر:

قالوا: كان يقال لأبي بكر (رض) "خليفة رسول الله"، ثم قيل لعمر: "خليفة خليفة رسول الله"، فدخل المغيرة بن شعبة على عمر فقال: "السّلام عليك يا أمير المؤمنين"،

(١) تاريخ الطبري، ج ٤ ص ١٨٨. سبق ذكر النص، وفيه الأمر بالوقفة في الإمام علي عليه السلام وأتباعه.

قال عمر: وما هذه؟ قال: ألسنا المؤمنين وأنت أميرنا؟ فكان أخفّ من الأوّل، فجزوا عليه^(١).

قال السّمعاني:

وفي رواية قيل لعمر "اتّق الله" فأنكر المغيرة بن شعبة على قائله، فقال عمر: إنكم لا تزالون بخير ما قالوا ذلك لنا وقبلنا منهم^(٢).

أقول: أنكر المغيرة تملّقا أن يقال لعمر "اتّق الله"، فكأنه لم يقرأ يوماً ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتّق الله أَخَذْتَهُ الْعِزَّةَ بِالْإِثْمِ﴾.

قال ابن عاشور:

ويقال إنّ أوّل من ارتشى في الإسلام يرفأ غلام عمر بن الخطاب، رشاه المغيرة بن شعبة ليقدمه في الإذن بالدّخول إلى عمر؛ لأنّ يرفأ لما كان هو الواسطة في الإذن للنّاس وكان الحقّ في التّقديم في الإذن للأسبق إذ لم يكن مضطراً غيره إلى التّقديم كان تقديم غير الأسبق اعتداءً على حقّ الأسبق فكان جوراً، وكان بذل المال لأجل تحصيله إرشاءً؛ ولا أحسب هذا إلّا من أكاذيب أصحاب الأهواء للغضّ من عدالة بعض الصّحابة فإن صحّ ولا إخاله: فالمغيرة لم ير في ذلك بأساً؛ لأنّ الضرّ اللاحق بالغير غير معتدّ به، أو لعلّه رآه إحساناً ولم يقصد التّقديم ففعله يرفأ إكراماً له لأجل

(١) أدب الكتاب للصّولي. وفي كتاب السّلوک في طبقات العلماء والملوک تأليف: بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي الكندي دار النشر: مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٥ م، الطبعة: الثانية تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأکوع الحوالي أن الذي قال ذلك عمرو بن العاص.

(٢) تفسير السمعاني، ج ١ ص ٢٠٨.

نواله، أما يرفأً فلعله لم يهتد إلى دقيق هذا الحكم^(١).

أقول: ليست المشكلة في فعل المغيرة في هذه القضية وغيرها بقدر ما هي في تصرفات المفسرين والفقهاء الذين يحتالون للدفاع عن جيل الصحابة بكل وسيلة حتى لو دفعهم ذلك إلى التقول على الله ورسوله؛ ولا مانع لديهم ساعتها أن يتهموا من يخالف مسلكهم ويصفوه بـ "أهل الأهواء". فهذا المفسر الفاضل يقول: "فإن صح ولا إخاله: فالمغيرة لم ير في ذلك بأساً..".

لا شك أن مثل هذه الاستنباطات قيمتها حينما يكون الدافع صحيحاً والنية سليمة؛ أمّا حينما يكون الهدف منها الدفاع عن الرأشي والمرتشي فإن الإسلام لا يتحمل تصرفات "أهل الأهواء" من المفسرين والمحدثين الذين أعمتهم عدالة الصحابة إلى درجة أن يردّوا ما تضمّنه الوحي! ولو أن ابن عاشور كان عرياً من الهوى لما قال: "فإن صحّ ولا إخاله: فالمغيرة لم ير في ذلك بأساً؛ لأن الضرر اللاحق بالغير غير معتدّ به.."، إذ المغيرة لم ير بأساً بقتل ثلاثة عشر رجلاً غيلةً لمجرّد أن ملك مصر ازدراه وجعل سهمه من الهدايا دون سهامهم! ولم ير المغيرة بأساً بسبّ وشتيم ولعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام! وما أكثر الأمور التي لم ير بها المغيرة بأساً، وهي من مصاديق قول الله تعالى ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

قال الرّازي: والدليل على صحّة قولنا أن قدامة بن مظعون زوج بنت أخيه عثمان بن مظعون من عبد الله بن عمر فخطبها المغيرة بن شعبة ورغب أمّها في المال فجاءوا إلى رسول الله ﷺ فقال قدامة: أنا عمّها ووصي أبيها. فقال النبي ﷺ: إنها

صغيرة وإنها لا تزوج إلا بإذنهما، وفرق بينها وبين ابن عمر^(١).

أقول: هذا الفخر الرازي يسير على خطى أسلافه ويستعمل العبارات التامة كيما يمر الباطل مرفوع الرأس، وإلا فما معنى "رغبها في المال"؟! كان على الرازي - لو أصرغى إلى صوت ضميره - أن يتذكر في المقام قصة يرفأ غلام عمر بن الخطاب وكيف رشاه المغيرة بثمان بخس ويقول بكل بساطة "رشاها المغيرة"؛ لأن المغيرة في الواقع رشا زوجة عثمان بن مظعون لتقف إلى جنبه ويتزوج ابنتها.

قال السيوطي:

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير عن المغيرة بن شعبة أنه خطب يوم الأضحى فقال: اليوم التحر واليوم الحج الأكبر^(٢).

أقول: إذا كان المغيرة يعتقد أن يوم الأضحى هو الحج الأكبر فلماذا لم يتورع أن يسب فيه أخا رسول الله ﷺ ووصيه وصفيته ومستودع حكمته والداعي إلى شريعته؟ ولماذا لم يتورع عن إفساد الحج على المسلمين؟ فعن هشام بن عروة قال بلغني أن المغيرة بن شعبة ولي الموسم فبلغه أن أميراً تقدم عليه يوم عرفة فجعله يوم الأضحى^(٣).

وعن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل عن موله عبد الله بن

(١) التفسير الكبير، الرازي، ج ١١ ص ٥١.

(٢) الدر المنثور، السيوطي، ج ٤ ص ١٢٨. وفي معاني القرآن ج ٣، ص ١٨٢، روى شعبة عن سليمان بن عبد الله بن سنان قال سمعت المغيرة بن شعبة يخطب على المنبر وهو يقول يوم الحج الأكبر يوم النحر.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٦ ص ١٩٠.

الحارث قال: اعتمدت مع عليّ بن أبي طالب في زمان عمر أو زمان عثمان، فنزل على أخته أمّ هانئ بنت أبي طالب، ولما فرغ من عمرته رجع فسُكِبَ له غسلٌ فاغتسل فلما فرغ من غسله دخل عليه نفرٌ من أهل العراق فقالوا: يا أبا حسن، جئناك نسألك عن أمر نحبّ أن نخبرنا عنه. قال: أظنّ المغيرة بن شعبة يحدثكم أنّه كان أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ قالوا: أجل، عن ذلك جئناك نسألك. قال: أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ فتمّ بن العباس. إسناده حسن^(١).

والقصة في طبقات ابن سعد كما يلي:

أخبرنا محمد بن عمر، حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أن المغيرة بن شعبة ألقى في قبر النبي ﷺ بعد أن خرجوا خاتمه لينزل فيه، فقال عليّ بن أبي طالب: إنما ألقى خاتمك لكي تنزل فيه فيقال نزل في قبر النبي ﷺ، والذي نفسي بيده لا تنزل فيه أبداً، ومنعه^(٢).

أقول: هذه شهادة من عليّ بن أبي طالب عليه السلام على المغيرة بن شعبة أنّه كان يكذب على الصحابة والتابعين في الكوفة، ويدّعي أنّه آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ، وتكذيب الإمام علي عليه السلام إياه صريحٌ حيث قال: "أظنّ المغيرة بن شعبة يحدثكم أنّه كان أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ". والقصة الثانية تكشف أن الإمام علياً عليه السلام كان خبيراً بحيل المغيرة ومغالطاته، فإنّه عليه السلام قال له: "إنما ألقى خاتمك لكي تنزل فيه، فيقال نزل في قبر النبي ﷺ، والذي نفسي بيده لا تنزل فيه أبداً؛ وقد كان الإمام

(١) الأحاديث المختارة، ج ٢، ص ١٨٦ ح ٥٦٥.

(٢) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٢، ص ٣٠٣.

علي عليه السلام يومها في حزن لا يوصف لفقد رسول الله ﷺ، ومن شأن ذلك أن يصرف همه عن الخلاف والاختلاف والاهتمام بتصرّقات أمثال المغيرة، لكن الواضح أن ذلك لم يمنعه من التّدخّل وجبه المغيرة بتلك الكلمة أمام الشهود.

ولعلّ هذا يفسّر شدة بغض المغيرة للإمام علي عليه السلام حتى كان يلعنه ويوظّف الخطاب من خوارج الكوفة للعهن عليه السلام أيّام حكم معاوية؛

ثمّ لماذا جاء أهل الكوفة إلى الإمام علي عليه السلام يسألونه؟ لماذا لم يذهبوا إلى غيره؟
لاشكّ أن مجيئهم إلى الإمام علي عليه السلام هو تصرّف حكيم، لأنهم لا يشكّون في كونه حاضراً يوم دفن رسول الله ﷺ، فهو الذي تولّى غسله ﷺ وكفنه ودفنه بحضور جماعة من بني هاشم وبعض الأنصار، ولم يحضر دفنه ﷺ لا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان! والمغيرة من بداية إعلان إسلامه انضمّ إلى ذاك الفريق وبقي ملازماً له، وبفضل ذلك الانضمام بقي يتقلّب في المناصب ويتصرّف في بيت المال على هواه؛ فحضوره دفن النبي ﷺ، إنّما كان لتلك المحاولة حتّى يفتخر فيما بعد أنّه آخر التّاس عهداً برسول الله ﷺ، فينفرد بذلك ولا يلحقه فيه أحد؛ وبما أنّ الإمام علياً عليه السلام ينفي ذلك [وفي رواية ابن سعد وغيره منعه من التّزول في القبر الشريف] ويخبر أنّ آخر التّاس عهداً برسول الله ﷺ قُثم بن عبّاس فقد تبخّرت أحلام المغيرة وتبيّن لأهل الكوفة السّائلين كذبّه، وهكذا انقلب السّحر على السّاحر، فبدل أن يصبح حضور المغيرة دفن النبي ﷺ مفخرة له صار عاراً وشناراً عليه، لأنّه ادّعى شيئاً وتبيّن خلاف دعواه؛ كيف لا يبغض الإمام علياً عليه السلام بعدها وقد حرّمه شهرةً وسعةً وصيتاً؛ وفي المقابل هل يسوغ للإمام علي عليه السلام أن يسمح لأكذوبة المغيرة أن تبقى حيّة تنتقل

من جيل إلى جيل، والكذب منكراً، وموقف الإسلام من المنكر معلوم، خصوصاً حينما يتعلّق الأمر برسول الله ﷺ؟ وأهل الكوفة سألوهم لأنهم يريدون أن يضعوا حداً لهذه القضية، ويبدو أن المغيرة تبجّح بها أكثر من مرة وإلاّ فما الذي يحمل نفراً من أهل العراق على أن يعظّموا شأن القضية وهم في العمرة؟

لكن المغيرة داهيةٌ، ولا بدّ له أن يدافع ويحاول حتى الموت، ولذا فإنّه لم يستسلم، بل روى - بكلّ وقاحة - أن الإمام علياً عليه السلام قال له: انزل وخذ خاتمك، وهذا ما جعل التناقضات كثيرةً في روايات ابن سعد بخصوص هذه القصة؛ فقد روى عن محمد بن عمر بن عليّ عن أبيه قال: قال عليّ بن أبي طالب "لا يتحدث الناس أنّك نزلت فيه ولا يتحدث الناس أنّ خاتمك في قبر النبي ﷺ" ونزل عليّ وقد رأى موقعه فتناوله فدفعه إليه. وعن محمد بن عمر، حدثني حفص بن عمر، عن عليّ بن عبد الله بن عباس قال قلت: زعم المغيرة بن شعبة أنّه آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ، قال: كذب والله، أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ، قثم بن العباس، كان أصغر من كان في القبر، وكان آخر من صعد^(١).

حدثنا أبو عبد الله الأصبهانيّ، حدثنا الحسن بن الجهم، حدثنا الحسين بن الفرج حدثنا محمد بن عمر، حدثني عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ عن أبيه عن جدّه قال: قال عليّ (رض) لما ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في قبر النبي ﷺ: لا يتحدث الناس أنّك نزلت في قبر النبي ﷺ، ولا تحدث أنت الناس أنّ خاتمك في قبره. فنزل

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٢، ص ٣٠٤.

عليّ (رض) وقد رأى موقعه فتناوله فدفعه إليه ^(١).

نعم، كان المغيرة داهيةً فعلاً، فهو في القصة المذكورة إما أن يدخل قبر النبي ﷺ فيفتخر على الآخرين أنه آخر الناس عهداً به، وإما أن يبقى خاتمه في قبر النبي ﷺ فيفتخر بذلك أيضاً ويدّعي فضيلة لا يشاركه فيها أحد! لكنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام قطع عليه الطريق، وحرّمه لذة الرياء. لأجل هذا وأمثاله كان المغيرة يبغض عليّاً عليه السلام.

ودعاوى المغيرة ومزاعمه في هذا الباب كثيرة، قال - في قصة إرساله إلى زعيم الفرس -: فلما أتيتهم رأيت تلك الحراب والدّرّق يلتصق منه البصر ورأيتهم قياماً على رأسه وإذا هو على سرير من ذهب وعلى رأسه التّاج، فمضيت كما أنا ونكست رأسي لأقعد معه على السرير، قال فدُفعت وتُهرت فقلت: إنّ الرّسل لا يفعل بهم هذا، فقالوا لي: إنّما أنت كلب، أتقعد مع الملك؟ فقلت: لأنّا أشرف في قومي من هذا فيكم! قال: فانتهرني وقال: اجلس؛ فجلست، فترجم لي قوله: فقال يا معشر العرب... ^(٢).

أقول: ادّعى المغيرة أنه في قومه أشرف من قائد الفرس فيهم، وهذا شيء لا أساس له من الصحة، فالرجل كان مهدور الدّم عند قومه، وعمّه يقول له يا غُدر! فمتى كان الغدّار شريفاً في قومه؟! والمسلمون ينادونه أيام محاصرة عثمان "يا أعور" وعبد الرّحمن بن عوف يناديه: "يا ابن الدّباغة"! هل هو فعلاً أشرف في قومه من زعيم الفرس فيهم؟!

نعم، المغيرة يبحث عن شيء يرائي به كقصة رمي الخاتم في قبر النبي ﷺ،

(١) المستدرك على الصحيحين، ج ٣ ص ٥٠٧ الحديث رقم ٥٨٩١.

(٢) صحيح ابن حبان، ج ١١ ص ٦٦.

وخطبة عجوز عمياء لأنها بنت ملك، ولم لا يكون من ذلك أيضاً بأن يجلس على سرير ملك من ملوك الفرس؟!

وقد تضاربت الأقوال في القصة، والمغيرة كان يومها أعور، وليس من شأن العقلاء أن يرسلوا أعور في مهمة دبلوماسية بذلك المستوى. فمن قائل إنهم أرسلوا المغيرة لأنه كان عالماً بلغة الفرس^(١)؛ ومن قائل إن المترجم كان يترجم كلام المغيرة، وهذا يعني أن المغيرة لم يكن يعرف اللغة الفارسية، لأن تكلمه مع الفرس بالعربية حال معرفته بالفارسية عبث لا معنى له، وليس المقام مقام عبث؛ والمغيرة نفسه يقول: "فجلست، فترجم لي قوله: فقال يا معشر العرب.." (٢) ..

وقد ذكروا أيضاً أن المغيرة بن شعبة لما دنا من سرير رستم وثب فجلس معه على سريريه فنخروا، فقال لهم المغيرة بن شعبة: ما الذي تفرعون من هذا؟ أنا الآن أقوم فأرجع إلى ما كنت عليه ويرجع صاحبكم إلى ما كان عليه! قالوا: أخبرنا ما جاء بكم؟ قال المغيرة: كنا ضالاً فبعث الله فينا نبياً، وهدانا إلى دينه، ورزقنا فيما رزقنا حبة تكون في بلدكم هذا، فلما أكلنا منها وأطعمنا أهلنا قالوا لا صبر لنا حتى تنزلونا هذه البلاد. قالوا إذا تقتلكم قال: إن قتلتمونا دخلنا الجنة وإن قتلناكم دخلتم النار^(٣) ..

أقول: كان المغيرة هنا بمنزلة السفير، فكان عليه أن يريهم أخلاق وآداب الإسلام

(١) سنن البيهقي الكبرى، ج ٩ ص ١٩١: فأخرج إليه المغيرة بن شعبة وكان رجلاً قد اتجر وعلم الألسنة قال فقام ترجمان القوم فتكلم دون ملكهم قال فقال للناس ليكلمني رجل منكم فقال المغيرة سل عما شئت فقال ما أنتم فقال نحن ناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء.

(٢) صحيح ابن حبان، ج ١١ ص ٦٦:

(٣) المعجم الكبير، ج ٢٠ ص ٤٠٦، الحديث رقم ٩٧٠.

لا أن يشب على السرير، ولا يختلف العقلاء في أن مثل هذا العمل مستهجنٌ قبيحٌ، لكن المغيرة يبحث دائماً عن شيء يميّزه ولو بطرق غير نزيهة. والدليل على أن ما قام به المغيرة غيرٌ سديد هو أن رسول الله ﷺ أرسل سفراء إلى الملوك ولم يقم أحدٌ من أولئك السفراء بمثل ما قام به المغيرة، بل كانوا في منتهى الأدب والوقار، فكان سلوكهم جزءاً من مهمتهم في الدعوة إلى الله تعالى.

المغيرة يسعى ليفسد بين بني هاشم:

قال ابن قتيبة الدينوري: .. فأتى المغيرة بن شعبة، فقال: الرأي يا أبا بكر أن تلقوا العباس، فتجعلوا له في هذه الإمرة نصيباً يكون له ولعقبه، وتكون لكما الحجة على عليّ وبني هاشم، إذا كان العباس معكم. قال : فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة حتى دخلوا على العباس (رض)، فحمد الله أبو بكر، وأثنى عليه، ثم قال : إن الله بعث محمداً ﷺ نبياً وللمؤمنين ولياً فمن الله تعالى بمقامه بين..^(١).

أقول: هو ذا المغيرة يريد أن يفرّق بين بني هاشم، ويمارس سياسة فرّق تسد، ولا عجب من أن الخليفة أخذ برأيه بدل أن يعتقه، لأن أصحاب بيعة السقيفة كانوا يومها في حاجة إلى ما يضعف جانب الإمام علي عليه السلام أياً كان الأسلوب، وأياً كان صاحب الأسلوب!

روى الدارقطني عن مروان بن جعفر السّمري عن أبيه أن المغيرة بن شعبة

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، ج ١ ص ٢١.

ومصقلة بن هبيرة الشيباني تنازعا بالكوفة، ففخر المغيرة بمكانه من معاوية على مصقلة فقال له مصقلة: والله لأننا أعظم عليه حقاً منك! قال له المغيرة: ولم؟ قال له مصقلة: لأنني فارقت عليّ بن أبي طالب في المهاجرين والأنصار ووجوه أهل العراق ولحقت بمعاوية فضربت معه بسيفي، واستعملني علي على البحرين فأعتقت له بني سامة بن لؤي بن غالب بعد ما ملكت رقابهم وأبيحت حرمتهم، وأنت مقيم بالطائف تناغي نساءك وترشح أطفالك، طويل اللسان، قصير اليد، تلقي بالموذّة من مكان بعيد؛ حتى إذا استقامت الأمور، غلبتنا غلبة! فقال له المغيرة: والله يا مصقلة ما زلت منذ اليوم تكثر الحزّ وتخطيء المفاصل، أمّا تركك عليّاً فقد فعلت فلم تؤنس أهل الشام ولم توحش أهل العراق! وأمّا قولك في عتق بني سامة بن لؤي فإنما أعتقهم ثقة عليّ بك، أما والله ما صبرت لهم نفسك ولا أعتقهم من مالك، وأمّا مقامي بالطائف فقد أبلاني الله تعالى في الخفض ما لم يبلك في الظعن، والله تعالى علينا [كذا] فإن أنت عاديتنا فإن الله عزّ وجلّ من ورائك^(١).

أقول: هذا وصفٌ نادرٌ للمغيرة بن شعبة جاء على لسان مصقلة بن هبيرة، والتأمل في قوله "وأنت مقيمٌ بالطائف تناغي نساءك وترشح أطفالك، طويل اللسان.. الخ" يكشف عن مدى انتهازيّة المغيرة ودهائه، فإنّه كما قال، يتأقلم مع الظروف لينال مراده في سهولة ودعة، دون أن يكلف نفسه عناءً ومشقةً، وهذا سلوكٌ يربأ بأنفسهم عنه أولو المروءة والورع، لأنّه يفسد العلاقات بين الناس ويستبيح كلّ شيء في سبيل الوصول إلى الغاية، وهو أيضاً أسلوبٌ يكشف عن ضعة صاحبه، لأنّ المرء يأنف أن يصل إلى

الأمر بالتملُّق والمراوغة والختل والغدر، وكل ذلك واضح في سيرة المغيرة، لكن ممنوع على المحدثين والرجاليين الخوض فيه، ومن تجرأ منهم على ذلك حكم على نفسه بالإعدام.

وعن أشعث عن الشعبي قال: وُجد قتيلٌ بين حيَّين من همدان بين وادعة وحيوان، فبعث معهم عمر المغيرة بن شعبة فقال: انطلق معهم فقس ما بين القريتين فأَيُّهما كانت أقرب فالحق بهم القتل^(١).

أقول: ألم يجد عمر غير هذا القاتل للتحقيق في الجريمة؟ وانظر إلى هذا التفكير الذي لا يستقيم في قوله " فأَيُّهما كانت أقرب فالحق بهم القتل ". وكأن القضية متعلّقة بالمسافات والأمتار، وما أسهل على القاتل أن يحمل المقتول ويضعه حيث شاء! لكن عمر بن الخطّاب يعتمد على دهاء المغيرة، فالحلّ مضمونٌ، وويل لمن ينتقد أو يسفّه تفكير الخليفة ومبعوث الخليفة.

عن أبي موسى قال: قال المغيرة بن شعبة لعلي: أكتب إلى هذين الرجلين بعهدهما إلى الكوفة والبصرة - يعني الزبير وطلحة - وكتب إلى معاوية بعهدة إلى الشام، فإنه سيرضى منك بذلك قال: قال علي: لم أكن أعطي الرّيبة في ديني قال: فلمّا كان بعدُ لقي المغيرة معاوية فقال له معاوية: أنت صاحب الكلمة؟! قال: نعم، أما والله ما وقى شرّها إلا الله^(٢).

أقول: ولو أنه قدر للإمام علي عليه السلام أن يقضي على معاوية وحزبه لاعتذر إليه

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٥ ص ٤٤٥ الحديث رقم ٢٧٨٥١.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٦ ص ١٨٦، الحديث رقم ٣٠٥٤١.

المغيرة بمثل ما اعتذر به إلى معاوية، وهذا يذكر بقول عبد الرحمن بن عوف له :
 "كذبت، والله لو بويع غيره لباعته، وما أنت وذاك يا ابن الدبابة، والله لو وليها غيره
 لقلت له مثل ما قلت الآن، تقرّباً إليه وطمعاً في الدنيا، فاذهب لا أباً لك" (١).

قالوا: فجيء به [أي برسول الله ﷺ] يُحمل في كساء بين أربعة، فقال يا عائشة
 أرسلني إلى التسوة، فأرسلت إليهنّ، فلما جئن قال: إني لا أستطيع أن أختلف بينكنّ
 فأذن لي فأكون في بيت عائشة، فقلن نعم؛ قالت فرأيت يوماً تحمّر وجهه وتعرّق، ولم
 أكن رأيت ميتاً قط! فقال: يا عائشة اسنديني إلى صدرك! ففعلت ووضعت يدي
 عليه، فغلبت رأسه فرفعت يدي عنه وظننت أنّه يريد أن يصيب من رأسي [!] فوقعت
 من فيه نقطة باردة على صدري أو ترقوتي، ثمّ مال فسقط على الفراش ولم أكن
 رأيت ميتاً قط، فعرفت بعد ذلك الموت بغيره. فجاء عمر بن الخطاب ومعه المغيرة بن
 شعبة وقد سجّيته ثوباً واستأذن فأذنت له، فدخل ومعه المغيرة بن شعبة ومددت
 الحجاب فكشفت عن وجهه ثم قال: ما لرسول الله ﷺ يا عائشة؟ فقلت: أغمي
 عليه منذ ساعة، فغطّاه فقال: وا غمّاه، إنّ هذا هو الغمّ. ثمّ خرجا فلما بلغا عتبة الباب
 قال المغيرة: مات رسول الله ﷺ يا عمر؛ قال: كذبت، والله ما مات رسول الله ﷺ
 ولا يموت حتى يأمر بقتل المنافقين بل أنت تحوسك فتنة (٢)...

أقول: هذه القصة لا تخلو من إشكالات، لأنّ المذكور فيها يفيد أن فاطمة ﷺ لم
 تشهد وفاة النبي ﷺ وأنه مات على صدر عائشة!! أين كان الإمام علي عليه السلام وبنو

(١) كتاب السقيفة وفدك، الجوهري، ص ٨٧.

(٢) مسند إسحاق بن راهويه، ج ٣ ص ٧٢٧.

هاشم حين كان رسول الله ﷺ يودّع الدنيا؟ أين كانت فاطمة ﷺ؟ ثم تأمل هذه العبارة المنسوبة إلى النبي ﷺ ولا يأخذك العجب، فإنّ مثيلاتها في تراثنا كثيرة. تنسب الرواية إلى النبي ﷺ أنّه قال: "يا عائشة، أرسلني إلى التسوة فأرسلت إليهنّ فلما جئن قال إني لا أستطيع أن أختلف بينكن فأذنّ لي فأكون في بيت عائشة. فقلن نعم!"

ما الذي غير رسول الله ﷺ فجأة فأصبح بيت عائشة أحبّ إليه من بيت فاطمة ﷺ؟ لقد رووا أنّ بيت فاطمة وعلي ﷺ كان آخر بيت يودّعه ﷺ وهو ذاهبٌ إلى الغزو أو غيره، وأنه كان أول بيت يدخله ﷺ عند عودته، فما عدا ممّا بدا؟ أصبح رسول الله ﷺ لا يهمّ أحداً من المسلمين عند موته سوى عائشة بنت أبي بكر! وقبل المسلمون هذا الكلام، وردّوه لأبنائهم، وطفحت به الشّروح لأنّ التقدّ ممنوعٌ والبحث ممنوعٌ، والتحقيق ممنوعٌ، والسّنة عين السّنة أن يقبل المسلم المتناقضات والمتعارضات، ويعفي عقله من التّفكّر والتّدبّر والتأمّل، حتّى يدخل الجنّة بسلام ببركة قريش.

عن داود عن عامر قال: بعث رسول الله ﷺ جيش ذات السّلاسل فاستعمل أبا عبيدة على المهاجرين واستعمل عمرو بن العاص على الأعراب، فقال لهما: تطاوعا. قال: وكانوا يؤمرون أن يغيروا على بكر، فانطلق عمرو فأغار على قضاة لأنّ بكرأ أحواله، فانطلق المغيرة بن شعبة إلى أبي عبيدة فقال: إنّ رسول الله ﷺ استعملك علينا، وإنّ بن فلان قد ارتبع أمر القوم وليس لك معه أمر؛ فقال أبو عبيدة: إنّ

رسول الله ﷺ أمرنا أن نتطوع فأنا أطيع رسول الله ﷺ وإن عصاه عمرو^(١) ..

أقول: مرةً أخرى يسعى المغيرة للوقعة بين الصحابة، وانظر إلى الصحابيِّ عمرو بن العاص يهجم على قضاة ويترك بكرةً لأنَّ بكرةً أخواله وإن كانوا على الشرك! فالقربة مقدمة على الإيمان في دين عمرو بن العاص.

عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب قال: أول من حيي عمر بن الخطاب بأمر المؤمنين المغيرة بن شعبة فسكت عمر^(٢).

أقول: ما أبعد رمي المغيرة في فنِّ التملُّق! ولو كان التملُّق شخصاً لكان المغيرة. أليس هو الذي أشار على عمر أن يستخلف ابنه عبد الله فجبهه عمر بقوله: "والله ما أردتَ الله بهذا!"

دعا [عمر بن الخطاب] عمر جبير بن مطعم خالياً ليؤيِّه الكوفة وقال له: لا تذكره لأحد؛ فبلغ المغيرة بن شعبة أنَّ عمر قد خلا بـجبير بن مطعم فرجع إلى امرأته وقال لها: اذهبي إلى امرأة جبير بن مطعم فاعرضي عليها متاع السفر، فأتتها فعرضت عليها، فاستعجمت عليها ثمَّ قالت: اثبتني به؛ فلمَّا استيقن المغيرة بذلك جاء إلى عمر وقال: بارك الله لك فيمن وليت، وأخبره أنَّه ولي جبير بن مطعم، فقال عمر: لا أدري ما أصنع! فولَّى المغيرة بن شعبة الكوفة، فلم يزل عليها إلى أن مات عمر^(٣).

أقول: هكذا كانت الحال بين الصحابة، يحتال صحابيٌّ على صحابيِّين أحدهما

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج ١ ص ١٩٦.

(٢) التاريخ الأوسط، البخاري، ج ١ ص ٥٤ الحديث رقم ٢٠٢.

(٣) الثقات، ج ٢ ص ٢٣٤.

خليفة، لينال حظاً من حظوظ الدنيا، ويستعمل في حيلته زوجته، وتدخل زوجته في اللعبة، ولا ندري راضيةً كانت أم مُكرهةً، ويحصل الصحابي المغيرة على مبتغاه بعد أن شوّه صورة الصحابي جبير بن مطعم عند عمر بن الخطاب، ويمضي إلى الكوفة لولاية حصل عليها بالحيلة والغش، ولا يجد المحدثون والمؤرخون في ذلك عيباً أو خرم مروءة ما دام صادراً من صحابي، لأنّ الصحابي قاب قوسين أو أدنى من القداسة المطلقة حتى حين يمارس الغش والحيلة، فالغش والحيلة من الأمور المذمومة في جميع الثقافات والملل، لكن حينما تصدر الأمور المذمومة من صحابي تتحوّل بقدرة قادر إلى فضائل لا تقبل النقاش، وكل ذلك في دين يهتف ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾..

دخل المغيرة بن شعبة [على الإمام علي عليه السلام] فقال: يا أمير المؤمنين، إني مشيرٌ عليك بخلال ثلاث فافعل أيّها شئت. فقال: ما هي يا أعور؟ فقال: إني أرى من الناس بعض التثاقل فيك، فأرى أن تأتي بحمل ظهر فتركبه وتركض في الأرض هارباً من الناس فإنّهم إذا رأوا ذلك منك ابتاعوا جمالاً أظهر من جمالك وخيولاً ثم ركضوا في أثرك حتى يدركوك حيث ما كنت، ويقلدوك هذا الأمر على اجتماع منهم شئت أو أبيت، فإن لم تفعل هذا فأقرّ معاوية على الشّام كلّهُ، واكتب إليه كتاباً بذلك تذكر فيه من شرفه وشرف آبائه، وأعلمه أنّك ستكون له خيراً من عمر وعثمان واردة عمرو بن العاص على مصر، واذكر في كتابك شرفه وقدمه فإنّه رجل يقع الذكر منه موقعاً، فإذا ثبت الأمر أذنت لهما حينئذ في القدوم عليك تستخبرهما عن البلاد والناس، ثمّ تبعث بعاملين وتقرّهما عندك؛ فإن أبيت فاخرج من هذه البلاد فإنّها ليست ببلاد

كراع وسلاح. فقال علي: أما ما ذكرت من فراري من الناس فكيف أفرّ منهم وقد بايعوني؟ وأما أمر معاوية وعمرو بن العاص فلا يسألني الله عن إقرارهما ساعة واحدة في سلطاني، ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾. وأما خروجي من هذه البلاد إلى غيرها فإني ناظرٌ في ذلك. فخرج من عنده المغيرة ثم عاد وهو عازم على الخروج إلى الشام والّحق بمعاوية[!] فقال له: يا أمير المؤمنين أشرت عليك بالأمس في رأيي بمعاوية وعمرو، إنَّ الرأي أن تعاجلهم بالتزعزع، فقد عرف السامع من غيره، وتستقبل أمرك؛ ثم خرج من عنده فلقبه ابن عباس خارجاً وهو داخلٌ فلما انتهى إليه قال: رأيت المغيرة خارجاً من عندك فيم جاءك؟ قال: جاءني أمس برأي واليوم برأي، وأخبره بالرأين، فقال ابن عباس: أما أمس فقد نصحك، وأما اليوم فقد غشّك^(١)..

أقول: عرف المغيرة من خلال كلام الإمام علي عليه السلام عن معاوية وعمرو أنه لن يكون له مكان في ساحته، خصوصاً عندما استشهد أمير المؤمنين عليه السلام بقوله تعالى ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ فقرر أن يلتحق بمعاوية الذي لا يبالي بالدين طالما سلمت المصلحة، وأمثال المغيرة يحتاج إليهم معاوية للضحك على عقول أهل الشام والبلدان التي لم يحظ أهلها برؤية رسول الله ﷺ ومعرفته عن قرب..

قال ابن عبد البر:

وحجّ بالتّاس تلك السنة - سنة أربعين - المغيرة بن شعبة من غير أن يؤمره أحدٌ

(١) الثقات، ابن حبان، ج ٢ ص ٢٧١.

وكان بالطائف^(١).

أقول: ما الذي يدعو المغيرة إلى هذا الفعل سوى حبّ الظهور والسّمتة؟ ومن هو العاقل الذي يقبل أن يحجّ في ظلّ أمثال المغيرة الذين لا يأخذون من الدّين إلّا ما خالطته الدّنيا؟ وقد كان المغيرة معروفا بقصّة قتل أصحابه في السّفر غيلة وشهود الصّحابة عليه بالزّنا، ومع ذلك تولّى الحجّ بالتّاس دون أن يؤمّره أحدٌ مستغلاً الفراغ الذي أحدثته الفتن!

والقصّة في تاريخ بغداد كما يلي:

عن اللّيث بن سعد قال: حجّ سنة أربعين بالناس المغيرة بن شعبة، وذلك أن المغيرة كان معتزلاً بالطائف فافتعل كتاباً عام الجماعة بأمانة الموسم، فقدم الحجّ يوماً خشية أن يجيء أميرٌ؛ فتخلف عنه ابن عمر، وصار معظم التّاس مع ابن عمر، قال نافع: فلقد رأيتنا ونحن غادون من منى واستقبلونا مفيضين من جمع، وأقمنا بعدهم ليلةً بمنى^(٢).

أقول: هذا رجلٌ رأى رسول الله ﷺ وسمعه وعاشه، ومع ذلك لا يتورّع عن افتعال كتاب ليفسد على الناس حجّهم، ولا يرى علماء الرّجال في ذلك عيباً قادحاً! فإذا كان لا يبالي أن يفتعل كتاباً فمن الذي يمنعه أن يفتعل حديثاً؟ وقد تخلف عنه ابن عمر ومن معه، ولو كان يثق في دينه لما تخلف عنه وهو من أقرب المقرّبين إلى أبيه، فهل يكون العمريّون أشدّ عمريّةً من ابن عمر نفسه؟!

قالوا: خطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأةً وكان شاباً جميلاً، فأرسلت

(١) الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ١ ص ١١٥.

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ١ ص ١٩٢.

إليهما أن يحضرا عندها فحضرا، وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما، فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاین جماله علم أنها تؤثره عليه، فأقبل على الفتى وقال: لقد أوتيت جمالاً فهل عندك غيره هذا؟ قال: نعم فعدّد محاسنه ثم سكّت: فقال له: المغيرة كيف حسابك مع أهلك؟ قال: ما يخفى عليّ منه شيء، وإني لأستدرك منه أدقّ من الخردل. فقال المغيرة: لكّني أضع البدره في بيتي فينفقها أهلي على ما يريدون فلا أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها! فقالت المرأة: والله لهذا الشّيخ الذي لا يحاسبني أحبّ إليّ من هذا الذي يحصي عليّ مثقال الذرّة، فتزوّجت المغيرة^(١).

أقول: كان للشاب جمالٌ ومحاسن، ولم يكن للمغيرة شيءٌ من ذلك، لكن كان لديه الدّهاء والدّهاء والتّقوى خطّان متوازيان لا يلتقيان أبداً. ولو كان لدى المغيرة شيء من التّقوى لأخبر ذلك الشاب بمسمع من المرأة - أنه يتزوّج المرأة وسرعان ما يطلقها لأنّه مذواقٌ مطلقٌ كما تشهد به الكتب والأخبار. لكنّ المغيرة داهية، يوهم المرأة أنّه سخيٌّ، فليس عليها من بأس ما عاشت وعاش، ويخفي عنها أنّه سرعان ما يتخلّص منها بعد أن يقضي منها وطره! ومثل هذا السلوك تنفر منه الطباع السليمة والقلوب الباقية على الفطرة، لكنّ طباع المحدثين والمؤرّخين وقلوبهم لا تنفر منه، بل تفتح له أبواب التبرير والتصويب، ولو شاء ربّك لهدى من في الأرض جميعاً.

عن أبي سلام مولى قريش قال: أتيت الكوفة فجلست يوم الجمعة في مجلس عظيم، فأقبل رجلٌ فسلم على القوم فقال: أنا أبو ظبية صاحب منحة رسول الله ﷺ كان يخبرني أنّي سأفتقر بعده، وكنت في العطاء فحاف عليّ المغيرة بن شعبة، فأنا

(١) المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي: ج ٢ ص ٢٠٠.

أسأل فيكم من الجمعة إلى الجمعة^(١) ..

أقول: أبو ظبية هذا يقال له صاحب منحة رسول الله ﷺ، قال ابن عبد البر: أبو ظبية صاحب منحة رسول الله ﷺ روى عن النبي ﷺ أنه قال: بخ بخ، خمس ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، والمؤمن يموت له الولد الصالح^(٢). وقال ابن ماكولا: وفي الاستدراك: أبو ظبية صاحب منحة رسول الله ﷺ ذكره أبو عبد الله بن مئذ في الكنى من معرفة الصحابة، روى حديثه أبو أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي سلام^(٣)

أقول: أخبر النبي ﷺ أبا ظبية أنه سيفتقر بعده، ولو كان أبو ظبية ظالماً لنفسه في ذلك لأخبره كما أخبر الزبير أنه سيحارب الإمام علياً عليه السلام وهو له ظالم، وأخبر إحدى أزواجه أنها تنبجها كلاب الحوآب، وأخبر عمار بن ياسر أنه تقتله الفئة الباغية؛ فأبو ظبية مظلوم حاف عليه المغيرة بن شعبة.

وعن نافع، قال: تزوج ابن عمر زينب بنت عثمان بن مظعون بعد وفاة أبيها زوجها إياها عمها قدامة، فأرغبهم المغيرة بن شعبة في الصداق، فقالت أم الجارية للجارية: لا تجيزي، وأعلمت ذلك رسول الله ﷺ هي وأمها، فردّ نكاحها فنكحها المغيرة بن شعبة^(٤).

أقول: أرغبهم المغيرة بن شعبة في الصداق من مال الذين قتلهم غيلةً وغدرًا، وقد

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ج ٧، ص ٢٤٥.

(٢) الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٤ ص ١٧٠٠ تحت رقم ٣٠٥٩.

(٣) الإكمال، ابن ماكولا، ج ٥، ص ٢٥١.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٧ ص ٦٧٧.

أبى التّبي رضي الله عنه أن يقبل شيئاً من ذلك المال وقال: لأنّ هذا غدرٌ والغدر لا خير فيه. ولا يعرف للمغيرة أيامها مالٌ غير ذلك المال، فهو رأس ماله وأيّ رأس مال، ومنه كان مهر المسكينة زينب بنت عثمان بن مظعون رحمه الله.

قال ابن سعد: ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بن أميّة، وأمّها لبابة بنت أبي العاص بن أميّة، تزوّجها عروة بن مسعود الثّقفي فولدت له، ثمّ خلف عليها المغيرة بن شعبة الثّقفي^(١).

أقول: خلف عليها بعد عمّه الذي تسبّب هو في قتله!!

وعن غندر وعبد الملك الجدي: قالوا حدّثنا شعبة عن المغيرة عن سماك بن سلمة قال أوّل من سلّم عليه بالإمرة المغيرة بن شعبة^(٢).

وعن الشّعبي، قال المغيرة بن شعبة: ما خدعني أحدٌ في الدّنيا إلّا غلامٌ من بني الحارث، خطبت امرأةٌ منهم فأصغى إليّ الغلام وقال: أيّها الأمير لا خير لك فيها، إني رأيت رجلاً يقبلها؛ فبلغني أنّ الغلام تزوّجها فقلت: أليس زعمت أنّك رأيت رجلاً يقبلها؟ قال: ما كذبت أيّها الأمير، رأيت أباهاً يقبلها! فكلّما

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ٨ ص ٢٤٠. وفي تهذيب الكمال، جزء ١٢، ص ١٢٢. عن تميم بن حذلم قال: أوّل من سلّم عليه بالإمرة المغيرة بن شعبة فكرها ثمّ إنّه أقرّ بها. رواه عن موسى بن إسماعيل عن أبي عوانة أنّهم من هذا. وفي تاريخ دمشق، جزء ٤٤، ص ٩، وهو أوّل من سمى أمير المؤمنين لما توفي أبو بكر قال عمر: قيل لأبي بكر خليفة رسول الله ﷺ فكيف يقال لي خليفة خليفة رسول الله ﷺ؟ هذا يطول. فقال له المغيرة بن شعبة: أنت أميرنا ونحن المؤمنون وأنت أمير المؤمنين قال فذاك.

(٢) العلل ومعرفة الرجال، ج ٢ ص ١٧٥.

ذكرت قوله علمت أنه خدعني^(١).

أقول: لكن المغيرة ينسى أو يتناسى أنه خدع شاباً في قصة مشابهة مرّت بك، زعم فيها أنه لا يحاسب أهله عن شيء من المال!

عن يونس بن عبيد قال: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة إني قد احتجت إلى مال فأمدني بمال، فجهّز المغيرة إليه عيراً تحمل المال، فلما فصلت العير بلغ حجرأ وأصحابه فجاء حتى أخذ بالقطار فحبس العير، قال: لا والله حتى توفي كل ذي حقّ حقّه، فبلغ المغيرة أنه قد ردّ العير معه، فقال شباب ثقيف: ائذن لنا أصلحك الله فيه فنأتيك برأسه الساعة قال: لا والله، ما كنت لأركب هذا من حجر أبداً! فبلغ معاوية فاستعمل زياداً وعزل المغيرة^(٢).

أقول: إن كان قد عرف لحجر حرمةً فما له عمي عن حرمة عليّ بن أبي طالب؟ عن أشياخ من ثقيف والهدليّ ويعقوب بن داود عن أبيه وغيرهم يزيد بعضهم على بعض أن المغيرة بن شعبة قال لزياد وهو بفارس وجّهه إليه معاوية: أبا المغيرة خذ لنفسك من هذا الرجل. قال: أشر عليّ فإنّ المستشار مؤتمن؛ قال: أرى أن تنقل أصلك إلى أصله، وتصل حبلك بحبله، وتعر الناس منك أذنا صماء^(٣)..

أقول: هذا من مصاديق قول الله تعالى "شياطين الجنّ والإنس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا. يقول الله تعالى: ﴿ادعوهم لأبائهم﴾، ويقول المغيرة بن

(١) تاريخ بغداد، ج ٤ ص ٢٤٥.

(٢) تاريخ دمشق، ج ١٢ ص ٢١٣.

(٣) تاريخ دمشق، ج ١٩ ص ١٣٠.

شعبة ادعواهم للزناة. ويقول النبي ﷺ: "الولد للفراش" ويقول المغيرة: "الولد لغير الفراش" ويقول الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البرِّ والتقوي﴾، ويقول المغيرة: "وتعير الناس منك أذنا صماء".

قالوا: وأما اللذان أفسدا أمر الناس فعمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحكمت الخوارج، فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة، والمغيرة بن شعبة فإنه كان عامل معاوية على الكوفة، فكتب إليه معاوية إذا قرأت كتابي هذا فأقبل معزولا، فأبطأ في مسيره، فلما ورد عليه قال له: يا مغيرة ما الذي أبطأ بك؟ قال: أمر والله كنت أوطئه وأهينته. قال وما هو؟ قال: البيعة ليزيد من بعدك! قال: أو فعلت؟ قال: نعم. قال: ارجع إلى عملك فأنت عليه. فلما خرج من عند معاوية قال له أصحابه: ما وراءك يا مغيرة؟ قال: ورائي والله أنني قد وضعت رجل معاوية في غرز بني لا يزال فيه إلى يوم القيامة. قال الحسن [البصري]: فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة^(١).

وعن هشام بن عمار قال: وسمعت مالك بن أنس يقول: قال عمر بن الخطاب من يدلني على رجل برّ تقيٍّ أوليه؟ قال المغيرة بن شعبة: أنا أدلك عليه. قال: من هو؟ قال: عبد الله بن عمر! قال: قاتلك الله! والله ما الله أردت بها^(٢).

أقول: المغيرة هنا يتملق عمر، وانظر إلى قول عمر: "قاتلك الله والله ما الله أردت بها". فإذا لم يكن أراد الله فقد أراد الشيطان..

(١) تاريخ دمشق، ج ٣٠ ص ٢٨٧.

(٢) تاريخ دمشق، ج ٣١ ص ١٧٩.

عن ابن شهاب عن سليمان بن أبي خيثمة عن جدته الشفاء، وكانت من المهاجرات الأول، وكان عمر بن الخطاب إذا دخل السوق أتاها! قال: سألتها من أول من كتب عمر أمير المؤمنين فقالت: كتب عمر أمير المؤمنين إلى عامله عن العراقيين أن ابعث إليّ رجلين جلدتين نبيلين أسألهما عن أمر الناس، قال فبعث إليه بعديّ بن حاتم طيء وليبد بن ربيعة، فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا المسجد فاستقبلا عمرو بن العاص فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين فقلت: أنتما والله أصبتما اسمه، هو الأمير ونحن المؤمنون! فانطلقت فدخلت على عمر فقلت: يا أمير المؤمنين. فقال لتخرجنّ ممّا قلت أو لأفعلنّ. قال: يا أمير المؤمنين بعث عامل العراقيين بعديّ بن حاتم وليبد بن ربيعة فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد ثم استقبلاني فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين. فقلت أنتما والله أصبتما اسمه، هو الأمير ونحن المؤمنون. وكان قبل ذلك يكتب من عمر خليفة خليفة رسول الله ﷺ فجرى الكتاب من عمر أمير المؤمنين من ذلك^(١).

أقول: هذه القصة تبطل قصّة المغيرة بن شعبة السابقة، وساعتها تفوته أيضاً منقبة أن يكون أول من سمى عمر بن الخطاب "أمير المؤمنين"؛ ولم يكن عمرو بن العاص بعيداً من المغيرة فيطلب السمعة.

عن سفيان بن عيينة عن عمر قال: كان بين عمرو بن العاص وبين المغيرة بن شعبة كلامٌ في الوهط، فسبّه المغيرة فقال عمرو: يا آل هصيص، أيسبني ابن شعبة؟ قال ابنه عبد الله: "إنا لله وإنا إليه راجعون" دعوت بدعوى القبائل وقد نهى

(١) تاريخ دمشق، ج ٤٤ ص ٢٦٠.

رسول الله ﷺ عن دعوى القبائل، قال فأعتق ثلاثين رقبة^(١).

أقول: هذه القصة - إلى جنب قصص أخرى كثيرة - تكشف مدى احترام الصحابة بعضهم لبعض، إذ يكفي أن يختلف أحدهم مع الآخر بخصوص شيء من حطام الدنيا حتى يسبّه. ويكون جواب المسبوب أن يدعوا بدعوى الجاهليّة. وإذا صحّ الحديث الذي يقول "سباب المسلم فسوقٌ وقتاله كفرٌ" فإنّ المغيرة بن شعبة يكون قد فسق.

وعن سماك بن سلمة قال: أوّل من سلّم عليه بالإمرة المغيرة بن شعبة، يعني قول المؤدّن عند خروج الإمام إلى الصلّاة: السلام عليك أيّها الأمير ورحمة الله^(٢).

وعن يوسف بن موسى قال: سمعت جريراً يقول: أخبرني بعض البصريين قال لما قبض النبي ﷺ قال المغيرة بن شعبة لعليّ: قم فاصعد المنبر، فأئك إن لم تصعد صعد غيرك! قال فقال عليّ: والله إني لأستحي أن أصعد المنبر ولم أدفن رسول الله ﷺ. قال فصعد غيره؛ قال وقال له المغيرة بن شعبة حين كانت الثورى: انزع نفسك منهم فإثمهم لن يبايعوا غيرك. قال وأخبرنا يوسف [أخبرنا] عن جرير عن المغيرة قال: قال المغيرة بن شعبة لعليّ حين قتل عثمان: اقعد في بيتك ولا تدع الناس إلى نفسك، فأئك لو كنت في جحر بمكة لم يبايع الناس غيرك. قال وقال المغيرة بن شعبة: لئن لم تطعني في هذه الرابعة لأعتزلتك، ابعث إلى معاوية عهده ثمّ اخلعه بعد ذلك، فلم يفعل، فاعتزله المغيرة بن شعبة باليمن؛ فلما اشتغل عليّ و معاوية فلم يبعثوا إلى الموسم

(١) تاريخ دمشق، ابن عسّكر، ج ٤٦ ص ١٨١. و تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ١ ص ٥٠٩.

(٢) تاريخ دمشق، ج ٦٠ ص ٤١.

أحداً جاء المغيرة بن شعبة فصلّى بالناس ودعا لمعاوية^(١).

يقول جرير: "أخبرني بعض البصريين: قال لما قبض النبي ﷺ قال المغيرة بن شعبة لعلي قم فاصعد المنبر فإني إن لم تصعد صعد غيرك..". فهل كان بعض البصريين هذا حاضراً يوم قبض النبي ﷺ؟! وهل غاب عن بعض البصريين هذا ما جرى بعد وفاة النبي ﷺ من هجوم على بيت كان جبريل يستأذن لدخوله؟ وقد مرّ بك ما ثبت أن المغيرة كان يوم وفاة النبي ﷺ إلى جنب أبي بكر وعمر لا يفارقهما، وهو الذي كان معهما من أوّل يوم جاء فيه إلى المدينة بعد قتل أصحابه في السّفر غيلةً وغدرًا، وبعد أن سمى النبي ﷺ فعلته غدرًا. وحتى لو صحّ وثبت ما ذكره فإنه لا يعدو مناورةً من مناورات المغيرة، لأنّ المهمّ عنده هو ضمان المصالح عند المرشّح للحكم، سواء كان المرشّح الإمام علياً عليه السلام أو أبا بكر أو معاوية!

عن مالك بن أنس عن عمّه أبي سهيل بن مالك عن أبيه قال: لقي عمار بن ياسر المغيرة بن شعبة في زقاق من سكك المدينة وهو متوشّح سيفاً فناده: يا مغيرة! فقال: ما تشاء؟ قال: هل لك في الله عزّ وجلّ؟ قال: وأين هو؟! قال: تدخل في هذه الدّعوة فتسبق من معك وتدرّك من سبقك. قال فقال المغيرة: وددت والله أنّي لو علمت ذلك. إني والله ما رأيت عثمان مصيباً ولا رأيت قتله صواباً! فهل لك يا أبا اليقظان أن تدخل بيتك وتضع سيفك، وأدخل بيتي، حتّى تنجلي هذه الظّلمة ويطلع قمرها، فتمشي مبصرين نطاً أثر المهتدين، ونجتنب سبيل الحائرين؟ فقال عمار: أعوذ بالله أن أعمى بعد إذ كنت بصيراً، يدركني من سبقته، ويعلمني من علّمته. فقال المغيرة بن

(١) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ج ٦٠ ص ٤٣.

شعبة: يا أبا اليقظان إذا رأيت السَّيلَ جارٍ فاجتنب جريته - قال الزنبري يعني بحار جارياً - ولا تكن كقاطع السلسلة فرّ من الضَّحَل فوقع في الغمر. فقال عمار: اسمع ما أقول وانظر ما أفعل، فلن تراني إلاّ في الرّغيل الأوّل. قال: واطّلع عليهما عليّ فقال: ما يقول لك الأعور؟! إنّه والله على عمد يلبس عزله ولن يأخذ من الدّين إلا ما خلطته الدنيا. فانتجاه عمّار فأخبره فقال عليّ: ويحك يا مغيرة، إنّ هذه الدّعوة المودية تودي من دخل فيها إلى الجنّة، وأنا أجتاز إليهما، توهل من وهل، فإذا غشيناك فالزم بيتك. فقال له المغيرة: أنت أعلم ممّي وأوقر، أما إذا لم أعنك فلن أعين عليك^(١).

أقول: هل كان المغيرة بن شعبة صادقاً حين قال لعمار بن ياسر (رض): "تدخل بيتك وتضع سيفك وأدخل بيتي حتى تتجلي هذه الظلمة ويطلع قمرها فتمشي مبصرين نظاً أثر المهتدين ونجتنب سبيل الحائرين؟" فإنّه انضمّ إلى معاوية بن أبي سفيان الذي قاتل المسلمين من أجل الحكم، وهادى وهادن^(٢) ملك الروم ليتفرغ لحرب المسلمين. وبقي المغيرة عوناً لمعاوية على الإمام عليّ عليه السلام ولا زال يسبّه ويشتمه ويلعنه على المنبر تقريباً إلى بني أميّة حتى خرج من الدّنيا مصراً على ذلك.

قال الغزالي: ونقل أبو طالب المكيّ إباحة السّماع من جماعة، فقال سمع من الصّحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم

(١) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ج ٦٠ ص ٤٣.

(٢) هادى من المهادة وهي تبادل الهدايا وهادن من الهدنة وهي وقف الحرب مؤقتاً.

وقال: قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح، صحابي وتابعي بإحسان^(١).

أقول: كيف لا يكون المغيرة كذلك وصاحبه بنت الأقم من أضرب الناس على العود؟!

قال المدائني: حدثني من سمع الزهري يقول هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا علياً، ولم يبايعه قدامة بن مظعون، وعبد الله بن سلام، والمغيرة بن شعبة^(٢)..

أقول: كيف يبايع المغيرة الإمام علياً عليه السلام وقد سمعه يقول: " لا يأخذ من الدين إلا ما خالطته الدنيا"، ويعلم أنه لن يكون له نصيب من حكمه، فالإمام علي عليه السلام في غنى عن دهاء المغيرة ومؤامراته، وقد كان الإمام عليه السلام يقول: لو قد أدركت المغيرة لرجمته بأحجاره، وهذا يعني أنه يعتقد أن المغيرة مارس الزنا وهو محصن، وأن ما قام به عمر بن الخطاب من درء الحد عنه لا قيمة له عند الله تعالى، لأنه قام به باعتباره حاكماً لا باعتباره فقيهاً، ولم تكن دولة السقيفة لتضحى بأحد أعضائها تطييباً لخاطر أبي بكر نفيح الحارث وشبل بن معبد ومن معهما. والمغيرة لم يبايع الإمام علياً عليه السلام، وفي ضوء حديث "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" يكون المغيرة قد عاش الجاهلية بعد الإسلام..

قالوا: دخل [علي الإمام علي عليه السلام] ^(٣) المغيرة بن شعبة على إثر ذلك فقال له إني

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، ج ٢ ص ٢٦٩.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير.

(٣) أي دخل على الإمام علي عليه السلام.

أرى أن تقرّ عمّالك على البلاد فإذا أتتك طاعتهم استبدلت بعد ذلك بمن شئت وتركت من شئت؛ ثمّ جاءه من الغد فقال له: إني أرى أن تعزّهم لتعلم من يطيعك ممّن يعصيك! فعرض ذلك عليّ على ابن عبّاس فقال: لقد نصحك بالأمس وغشّك اليوم. فبلغ ذلك المغيرة فقال: نعم، نصحته فلمّا لم يقبل غشّشته. ثمّ خرج المغيرة فلحق بمكّة، ولحقه جماعة منهم طلحة والزبير وكانوا قد استأذنوا عليّاً في الاعتمار فأذن لهم^(١)..

أقول: المعلوم لدى العقلاء أنّ التّاصح مشيرٌ أدّى ما عليه، وليس على المنصوح العمل بنصيحته حرفياً، إذ لو كان كذلك للزم أن يعمل بالشيء وضده حين يختلف التّاصحون، وليس بعضهم أولى من بعض إلّا بما تلميه المصلحة؛ لكنّ المغيرة يشترط غير ذلك، فإمّا أن يعمل الإمام عليّ عليه السلام بنصيحته وإمّا أن يغشّه، وقد قال النبي ﷺ: من غشّنا فليس منا.

قال خليفة: كانت ولاية الحسن بن عليّ سبعة أشهر وسبعة أيّام. أقرّ عمال أبيه. وافتعل المغيرة بن شعبة عهداً على لسان الحسن فأقام الحجّ سنة أربعين^(٢).

وقال ابن كثير: وحجّ بالتّاس في هذه السنّة أعنى سنة أربعين المغيرة بن شعبة. وزعم ابن جرير فيما رواه عن إسماعيل بن راشد أنّ المغيرة بن شعبة افتعل كتاباً على لسان معاوية ليلى إمرة الحجّ عامّته، وبادر إلى ذلك عتبة بن أبي سفيان وكان معه كتاب من أخيه بإمرة الحجّ، فتعجّل المغيرة فوقف بالتّاس يوم الثّامن

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٧ ص ٢٢٩.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ج ١ ص ٤٨.

ليسبق عتبة إلى الإمرة وهذا الذي نقله ابن جرير لا يُقبل [١] ولا يظنّ بالمغيرة (رض) ذلك، وإِثْمًا نَبَّهْنَا عَلَى ذَلِكَ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ بَاطِلٌ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ أَجَلٌ قَدْرًا مِنْ هَذَا، وَلَكِنْ هَذِهِ نَزْعَةٌ شِيعِيَّةٌ^(١).

أقول: هذا الفقيه المفسر المحدث ابن كثير يقول بسذاجة: "ولا يظنّ بالمغيرة (رض) ذلك" كأنه لا يعلم شيئاً من جرائم المغيرة بن شعبة، بدايةً بقتله رفاقه في السَّفر غيلةً وغدراً، إلى قصّة الزَّنا التي شاعت وانتشرت في الآفاق، وانضمامه إلى الفئة الباغية طمعاً في الدُّنيا، وتوظيفه الخطباء من الخوارج يسبّون ويلعنون الإمام علياً عليه السلام، وتبجّحه أنّه أوّل من رشا في الإسلام، وأمور أخرى موزّعة في كتب التاريخ والأدب. يقول ابن كثير: "وهذا الذي نقله ابن جرير لا يُقبل [١]" وكأنّ مسألة القبول والردّ بيده لا يشاركه فيها أحدٌ ولا تخضع لميزان أو معيار. ويختم كلامه كالعادة بقوله: "فإنّ الصَّحَابَةَ أَجَلٌ قَدْرًا مِنْ هَذَا وَلَكِنْ هَذِهِ نَزْعَةٌ شِيعِيَّةٌ"، وهو يعلم أنّ الذين رَوَوْا الخبر ليس فيهم شيعيٌّ واحدٌ، وهو بقوله "فإنّ الصَّحَابَةَ أَجَلٌ قَدْرًا مِنْ هَذَا" يردّ كثيراً من القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف، وهو من أعلم النّاس بقصّة الوليد بن عتبة الذي صلّى بالنّاس الصّبح أربعاً وهو سكران ثمّ التفت إليهم وقال: إن شئتم زدّكم!! فهل كان الصّحابيُّ الوليد أَجَلٌ قَدْرًا مِنْ ذَلِكَ؟ ولكنّ مدرسة ابن كثير تعفي نفسها من المسؤولية أمام القرآن الكريم والحديث التَّبَوِيّ الشريف، لأنّها تبنت ما يخالفهما، ولوتُ أعناق الآيات البيّنات والأحاديث الواضحات لأنّها تعتقد أنّها دائماً على الحقّ، يدور معها حيث دارت!

وفي تاريخ ابن كثير: ... ثم إن معاوية أراد أن يستخلف على الكوفة عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال له المغيرة بن شعبه: توليه الكوفة وأباه مصر، وتبقى أنت بين لحبي الأسد؟! فتنه عن ذلك وولى عليها المغيرة بن شعبه؛ فاجتمع عمرو بن العاص بمعاوية فقال: أتجعل المغيرة على الخراج؟ هلا ولى الخراج رجلاً آخر؟ فعزله عن الخراج وولاه على الصلاة. فقال المغيرة لعمرو في ذلك فقال له: ألسنت المشير على أمير المؤمنين في عبد الله بن عمرو؟ قال: بلى. قال: فهذه بتلك^(١).

أقول: هؤلاء الذين تربوا على يد رسول الله ﷺ كما يقال، فهل رباهم رسول الله ﷺ على الغيبة والتهمية والغش والاحتيال؟!

قال الشافعي: سمعت من يذكر أن المغيرة بن شعبه دخل على امرأته وهي تتخلل - أي تخلل أسنانها لتخرج ما بينها من أذى - وكان ذلك في أول النهار فقال: والله لئن كنت باكرت الغداء إنك لرعينة دنية، وإن كان الذي تخللين منه شيء بقي في فيك من البارحة إنك لقذرة، فطلقها؛ فقالت: والله ما كان شيء مما ذكرت ولكنني باكرت ما تباكره الحرّة من السواك، فبقيت شظية في فمي منه فحاولتها لأخرجها؛ فقال المغيرة ليوسف أبي الحجاج: تزوجها فإنها لخليقة بأن تأتي برجل يسود. فتزوجها يوسف أبو الحجاج، قال الشافعي: فأخبرت أن أبا الحجاج لما بنى بها واقعها فنام، فقيل له في الثوم: "ما أسرع ما ألقحت بالمير"^(٢).

أقول: المعلوم أن أهل المروءة لا يجادلون النساء في مثل هذه الأمور، ولو أن كل

(١) البداية والنهاية، ج ٨ ص ٢٢.

(٢) البداية والنهاية، ج ٩ ص ١١٨.

رجل تتبّع حركات زوجته صغيرها وكبيرها لتحوّلت الحياة في البيوت الزوجيّة إلى شيء لا يُطاق. ويبقى المرء متحيّراً في إقدام المغيرة على الطلاق لأجل ما ذكر، فهل هو - فعلاً - مبرّر للطلاق؟

قالوا: كان التّرجمان يوم الهرمزان المغيرة بن شعبة إلى أن جاء المترجم، وكان المغيرة يفقه شيئاً من الفارسيّة، فقال عمر للمغيرة: قل له من أيّ أرض أنت؟ فقال المغيرة: أز كدام أرضي؟ فقال: مهرجاني. فقال: تكلم بحجّتك. قال: كلام حيّ أو ميت؟ قال: بل كلام حيّ. قال: قد آمنتني. قال: خدعتني، إنّ للمخدوع في الحرب حكمه، لا والله لا أوّمتك حتّى تسلم، فأيقن أنّه القتل أو الإسلام فأسلم، ففرض له على ألفين وأنزله المدينة، وقال للمغيرة: ما أراك بها حاذقاً! ما أحسنها منكم أحدٌ إلّا خبّ، وما خبّ إلّا دقّ، إياكم وإياها فإنّها تنقض الإعراب^(١).

قوله " وكان المغيرة يفقه شيئاً من الفارسيّة " يفيد أن المغيرة كان على علاقة ببعض الفرس، إذ لا طريق لتعلّم الفارسيّة إلّا بالحياة في بلد فارسيّ أو مخالطة ناس من الفرس، وقد كان في الصحابة سلمان الفارسيّ، لكن لم يعرف عنه أنّه كان يعلم الصحابة أو التابعين اللّغة الفارسيّة؛ وقد تبين فيما بعد أن أبا لؤلؤة كان يتحدّث باللّغة العربيّة، وأبو لؤلؤة سكن المدينة، وكان غلاماً للمغيرة بن شعبة، فهل تعلّم المغيرة اللّغة الفارسيّة منه؟ إن كان الأمر كذلك فهو يعني أن أبا لؤلؤة عاش في المدينة مدّة كافية لتعلّم اللّغة العربيّة وكافية ليتعلّم المغيرة الفارسيّة أيضاً؛ ولم يظهر من أحد من الصحابة ميلٌ إلى تعلّم الفارسيّة باستثناء المغيرة بن شعبة، فهل كان ذلك بدافع حبّ التميّز أم

بدافع آخر؟ الله أعلم.

وأما قول عمر بن الخطاب "إياكم وإياها فإثما تنقض الإعراب" فيبطله أن معظم اللغويين والنحاة كانوا من أبناء فارس، يتقدمهم سيبويه وأبو علي الفارسي، وقد شاع اللحن في العرب حتى كان ابن عباس وابن عمر يضربان على ذلك أولادهما، وهم جميعاً - الآباء والأبناء - من صميم قريش، وكان الحجاج بن يوسف يلحن في القرآن الكريم، وكذلك أولاد عبد الملك بن مروان. فلا علاقة لتعلم الفارسية باللحن في اللغة العربية.

قال الطبري: وعطف عليهم التعمان ف ضرب عسكره، ثم عبأ كتابه وخطب الناس فقال: إن أصبت فعليكم حذيفة بن اليمان، وإن أصيب فعليكم جرير بن عبد الله، وإن أصيب جرير بن عبد الله فعليكم قيس بن مكشوح، فوجد المغيرة بن شعبة في نفسه إذ لم يستخلفه فاتاه فقال له: ما تريد أن تصنع؟ فقال: إذا أظهرت قاتلتهم لأني رأيت رسول الله ﷺ يستحب ذلك؛ فقال المغيرة: لو كنت بمنزلك باكرتهم القتال^(١)!!

أقول: وجد المغيرة في نفسه أن حرمه ملك مصر ولم يلتفت إليه، ووجد في نفسه أن انتهره رسول الله ﷺ، ووجد في نفسه أن لم يستخلفه التعمان، ووجد في نفسه أن لم يعمل الإمام علي عليه السلام بنصيحته.. ما أكثر ما يجد المغيرة في نفسه! ثم هو يصرح بأن الصواب في مخالفة رسول الله ﷺ! فبعد أن قال له التعمان: "إذا أظهرت قاتلتهم لأني رأيت رسول الله ﷺ يستحب ذلك" ردّ هو قائلاً: "لو كنت بمنزلك باكرتهم القتال!" أي دع عنك ما يستحبه رسول الله ﷺ وافعل ما أستحبه أنا! هكذا يقول المغيرة.

كان المغيرة والأشعث وجريراً يوماً متواقفين بالكوفة بالكناسة، فطلع عليهم أعرابي، فقال لهم المغيرة: دعوني أحرّكه! قالوا: لا تفعل فإنّ للأعراب جواباً يؤثّر. قال: لا بدّ. قالوا: فأنت أعلم. قال له: يا أعرابي هل تعرف المغيرة بن شعبة؟ قال نعم أعرفه أعور زانياً فوجم ثمّ تجلّد فقال: هل تعرف الأشعث بن قيس؟ قال: نعم ذاك رجلٌ لا يغرّى قومه^(١)..

أقول: لم يكن الأعرابي يعرف المغيرة بن شعبة شخصياً، وإلّا ما كان يعرفه من خلال ما يُنقل عنه في قضية النساء، وأغلب الظنّ أنّ هذه القصة كانت بعد شهادة أبي بكر وإخوته على المغيرة بن شعبة بالزنا في البصرة، وقد ولي المغيرة الكوفة بعد أن عزل عن ولاية البصرة. وبخصوص شهرة المغيرة بالزنا قال الأصفهاني: "وقد روى المدائني أنّ المغيرة كان أزنّى الناس في الجاهلية، فلما دخل في الإسلام قيده الإسلام، وبقيت عنده منه بقيّةٌ ظهرت في أيام ولايته البصرة"^(٢).

فنحن إذاً نتحدّث عن أزنّى الناس في الجاهليّة والإسلام، فإنّ المغيرة كان معروفاً بالزنا.

قال ابن قتيبة: وأوّل من رشا في الإسلام المغيرة بن شعبة وقال: ربّما عرق الدّرهم في يدي أرفعه ليرفاً ليسهلّ إذني على عمر^(٣).

أقول: لم تكن القضية إذاً تتعلّق بعمامة وهبها المغيرة ليرفاً غلام عمر، وإلّا هناك

(١) الأغاني، الأصفهاني ج ١٦ ص ٩٨.

(٢) الأغاني، الأصفهاني ج ١٦ ص ٨٩.

(٣) المعارف، ابن قتيبة، ص ٥٥٨.

دراهم أيضاً، وهو ما يفيد أن المغيرة كان يرشو يرفاً مولى عمر بصورة مستمرة.
وفي البصائر والذخائر: وقال المغيرة لعمر بن الخطاب (رض): نحن بخير ما أبقاك الله
لنا، فقال له عمر: أنت بخير ما اتقيت الله تعالى^(١).

قال ابن حبان: في هذه السنة كان فتح همدان ثانياً، وكانت قد انتقضت على
أميرها المغيرة بن شعبة على رأس ستّة أشهر من مقتل عمر^(٢).

وفي الحجة: أفقبل هذا بترك السنّة والآثار المعروفة بقول رجل لا يروي حديثاً
واحداً، وقد روينا حديث رسول الله هذا بعينه عن إمام كان من أئمّة المسلمين يأمنه
عمر بن الخطّاب (رض) على الأمصار ويستعمله عليها، أعرف بالرواية وأعلم بها
وأشهر بصحبة رسول الله ﷺ^(٣)!

هذا هو رأي محمد بن الحسن الشيباني في المغيرة بن شعبة: " إمام كان من أئمّة
المسلمين " لأنّ عمر بن الخطّاب كان يولّيه على الأمصار. ومن هوان الدنيا على الله
أن تضافى عبارة " إمام " على من وُصف بأنه كان أذى الناس في الجاهلية والإسلام.

عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أنّ عمر استعمل المغيرة بن شعبة على البحرين، فكرهوه،
فعزله عمر، فخافوا أن يرده. قال قائلهم : إن فعلتم ما أمركم لم يرده علينا. قالوا : مُرنا.
قال: تجمعون مئة ألف حتى أذهب بها إلى عُمر، فأقول: إنّ المغيرة اختان هذا، فدفعه إليّ.
قال فجمعوا له مئة ألف، وأتى عُمر، فقال ذلك. فدعا المغيرة، فسأله، قال: كذب أصلحك

(١) البصائر والذخائر، أبو حيان التوحّدي ج ١. ص ١٥.

(٢) الثقات، ابن حبان، ج ٢ ص ٢٤٣.

(٣) كتاب الحجّة، محمد بن الحسن الشيباني، ج ١ ص ٢٢٦، عالم الكتب بيروت ١٤٠٢.

الله، إنما كانت مائتي ألف، قال: فما حملك على هذا؟ قال: العيال والحاجة. قال: عمر للعلاج: ما تقول؟ فقال: لا والله لأصدقك، ما دفع إليّ قليلاً ولا كثيراً. قال: عمر للمغيرة: ما أردت إلى هذا؟ فقال: الخبيث كذب عليّ، فأحببت أن أخزيه^(١).

أقول: لقد اضطرّ أهل البحرين إلى الحيلة لأنهم يعلمون أن للمغيرة عند عمر منزلة، فجوزوا لأنفسهم الاجتماع والتواطؤ على الكذب كي يتخلّصوا منه، وأهل زمانه أدركوا به؛ وإن وجود أمير يضطرّ أمة إلى الكذب حتى تتخلّص منه لدليل على عدم الالتزام بالأوامر والآداب الشرعية التي تقضي أن يكون الإمام مقبولاً من المأمومين، ولا يحلّ لرجل أن يؤمّ قوماً وهم له كارهون.

وفي الكامل في التاريخ، قال ابن الأثير: وفي هذه السنة [أي سنة ٥٦] بايع الناس يزيد بن معاوية بولاية عهد أبيه، وكان ابتداء ذلك وأوله من المغيرة بن شعبة فإنّ معاوية أراد أن يعزله عن الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص، فبلغه ذلك فقال: الرأي أن أشخص إلى معاوية فأستغفیه ليظهر للناس كراحتي للولاية، فسار إلى معاوية وقال لأصحابه حين وصل إليه: إن لم أكسبكم الآن ولاية وإمارة لا أفعل ذلك أبداً ومضي حتّى دخل علي يزيد وقال له: إنّه قد ذهب أعيان أصحاب التّبي وآله وكبراء قريش وذوو أسنانهم، وإنّما بقي أبناؤهم، وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً وأعلمهم بالسّنة والسياسة، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة؟ قال: أو ترى ذلك يتم؟ قال: نعم! فدخل يزيد علي أبيه وأخبره بما قال المغيرة، فأحضر المغيرة وقال له: ما يقول يزيد؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قد رأيت ما كان من

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٣ ص ٢٦، ٢٧.

سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان وفي يزيد منك خلفٌ فاعقد له، فإن حدث بك حادثٌ كان كهفاً للناس وخلفاً منك، ولا تسفك دماءً ولا تكون فتنةً. قال: ومن لي بهذا؟ قال: أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زيادُ أهل البصرة، وليس بعد هذين المصريين أحدٌ يخالفك. قال: فارجع إلي عملك، وتحدث مع من تثق إليه في ذلك، وترى ونرى؛ فودّعه ورجع إلي أصحابه فقالوا: مه؟ قال: لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية علي أمة محمد وفقت عليهم فتقاً لا يرتق أبداً وتمتل:

بمثلي شاهدي النجوي وغالي بي الأعداء والخصم الغضابا

وسار المغيرة حتى قدم الكوفة وذاكر من يثق إليه ومن يعلم أنه شيعة لسبي أمية أمر يزيد، فأجابوا إلي بيعته، فأوفد منهم عشرةً ويقال أكثر من عشرة وأعطاهم ثلاثين ألف درهم، وجعل عليهم ابنه موسى بن المغيرة، وقدموا علي معاوية فزيتوا له بيعة يزيد ودعوه إلي عقدها، فقال معاوية: لا تعجلوا بإظهار هذا وكونوا علي رأيكم؛ ثم قال لموسى: بكم اشتري أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال بثلاثين ألفاً قال: لقد هان عليهم دينهم. وقيل أرسل أربعين رجلاً وجعل عليهم ابنه عروة، فلما دخلوا علي معاوية قاموا خطباء فقالوا: إنما أشخصهم إليه النظر لأمة محمد وقالوا: يا أمير المؤمنين كبرت سنك، وخفنا انتشار الحبل، فانصب لنا علماً، وحدّ لنا حدّاً تنتهي إليه! فقال: أشيروا عليّ، فقالوا: نشير بيزيد ابن أمير المؤمنين، فقال: أو قد رضيتموه؟ قالوا: نعم. قال: وذلك رأيكم؟ قالوا: نعم، ورأي من وراءنا! فقال معاوية لعروة سراً عنهم: بكم اشتري أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بأربعمئة ديناراً قال: لقد وجد دينهم عندهم رخيصةً، وقال لهم نظروا ما قدمتم له، ويقضي الله ما أراد والأناسة خيرٌ من

العجلة^(١)...

هذه شهادة معاوية على الوفد الذي أرسله المغيرة بن شعبة يزّين له فعلته التي لا زالت آثارها إلى اليوم تدمي القلوب....

ماذا يقول علماء الرجال في حقّ أمير وفد الرّشوة عروة بن المغيرة بن شعبة ؟
قال محمد بن سعد:

عروة بن المغيرة بن شعبة التّقفيّ ويكنى أبا يعفور، روى عن أبيه. أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال حدثنا سلام بن مسكين قال حدثنا أبو التّضر المازني عن الشعبي أنّ عروة بن المغيرة بن شعبة كان أميراً على الكوفة وكان خير أهل ذلك البيت^(٢).

قال ابن حبان بخصوص عروة بن المغيرة:

عروة بن المغيرة بن شعبة التّقفي، كنيته أبو يعفور، وكان من أفاضل أهل بيته وكان عاملاً لعليّ على الكوفة يروى عن أبيه. روى عنه الشعبيّ والتّساس وأولاد المغيرة عروة وعقار وحزمة ويعقوب وقد حدّثوا كلّهم وروى عنهم^(٣).

أقول: أفضل أهل ذلك البيت رجلٌ برأس وفداً إلى معاوية لتملّقه و تزوين فعل السوء له، ويشهد معاوية المستفيد من ذلك على الوفد بأنّ المغيرة وجد

(١) الكامل في التاريخ، ج ٣ ص ٥٠٤، دار صادر للطباعة والنشر - دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٦ -

١٩٦٦م

(٢) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد ج ٦ ص ٢٦٩.

(٣) الثقات، ابن حبان، ج ٥ ص ١٩٥.

دينهم عندهم رخيصاً^(١).

ثم إنَّ المغيرة بن شعبه يقول لشرّ خلق الله يزيد بن معاوية: "إنَّه قد ذهب أعيان أصحاب التَّبي وآله وكبراء قريش وذوو أسنانهم، وإنَّما بقي أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً، وأعلمهم بالسَّنة والسَّياسة، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة!" فمتى كان يزيد بن معاوية من أفضلهم وأحسنهم رأياً، وأعلمهم

(١) وهاهي الأمانة العلمية تتجلى في سلسلة عجيبة: ، في الثقات ، ابن حبان ج ٧ ص ١٥٨ ، ١٥٩ عباد بن زياد بن أبي سفيان يروى عن عروة بن المغيرة بن شعبه عن أبيه روى عنه الزهري. عباد: قال الرازي في المرح والتعديل ج ٦ ص ٨٠: عباد بن زياد قال مالك هو من ولد المغيرة بن شعبه ووهم مالك في نسب عباد وليس من ولد المغيرة ويقال انه من ولد زياد بن أبي سفيان روى عن عروة وحمة ابني المغيرة بن شعبه روى عنه الزهري سمعت أبي يقول ذلك. زياد : الذي ادعى إلى غير أبيه فهو إذن ملعون على لسان رسول الله ﷺ. عروة : أمير وفد الرشوة و التملق إلى معاوية بن أبي سفيان. المغيرة بن شعبه: في المواقف أشهر من نار على علم. الزهري: خادم بني أمية. ذكر ابن حبان في الثقات ج ٨ ص ٥ ما يلي: ... أحمد بن عبدويه قال سمعت خارجة يقول قدمت على الزهري وهو صاحب شرط لبعض بني مروان قال فرأيت يركب وفي يده حربة وبين يديه الناس بأيديهم كافر كويات قتل قبح الله ذا من عالم فانصرفت فلم أسمع منه ثم قدمت على يونس فسمعت منه عن الزهري. و في تاريخ ابن معين ج ١ ص ١٢٥ : (٧٣٨) سمعت يحيى يقول حدثنا أبو ضمرة عن عبيد الله بن عمر قال كنت أرى الزهري يؤتى بالكتاب ما قرأه ولا قرئ عليه فيقال له زوي هذا عنك فيقول نعم! والمغيرة بن شعبه هو الذي احتال على جبير بن مطعم وخدعه لما ولّاه عمر فعزله قبل أن يسافر إلى عمله وولى المغيرة بن شعبه مكانه بعد أن كان عزله (البداية و النهاية ج ٧ ص ١٢٨) وشهد على نفسه أنه غشّ عثمان في النصيحة وهو خليفة المسلمين (البداية و النهاية ج ٧ ص ٢٥٠) وغشّ علياً عليه السلام إذ نصحه بتولية معاوية الشام فأبى عليه مستشهداً بقوله تعالى (ما كنت متخذ المضلين عضداً) البداية و النهاية ج ٨ ص ١٣٧ وقد قال رسول الله ﷺ الدين النصيحة. و مات المغيرة و هو مصرّ على لعن علي بن أبي طالب عليه السلام على المنبر. ففي سير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٠٥: خطب المغيرة فنال من علي... وأيضاً ص ١٠٣: أن المغيرة كان في المسجد الأكبر و عنده أهل الكوفة فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسب و سب فقال سعيد بن زيد من يسب هذا يا مغيرة قال: يسب علي بن أبي طالب... وفي ص ١٠٤ منه: خطب المغيرة فنال من علي...

بالسنة و السياسة. و هل هتك حرمة الإسلام إلا يزيد و أبوه و الممهّدون لهما؟

قال [معاوية]: يا مغيرة ما ترى ؟ قال: يا معاوية، لو وسعني أن أنصرك لنصرتك، ولكن عليّ أن آتيك بأمر الرّجلين. فركب حتى أتى دومة الجندل فدخل على أبي موسى كأنه زائر له، فقال : يا أبا موسى، ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر وكره الدّماء؟ قال : أولئك خيار النّاس، خفّت ظهورهم من دمائهم، وخصت بطونهم من أموالهم. ثمّ أتى عمراً فقال : يا أبا عبد الله، ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر وكره هذه الدّماء؟ قال : أولئك شرار النّاس، لم يعرفوا حقاً ولم ينكروا باطلاً. فرجع المغيرة إلى معاوية فقال له : قد ذقت الرّجلين، أما عبد الله بن قيس فخالعٌ صاحبه وجاعلُها لرجل لم يشهد هذا الأمر، وهواه في عبد الله بن عمر. وأمّا عمرو فهو صاحبك الذي تعرف، وقد ظنّ النّاس أنّه يرومها لنفسه، وأنّه لا يرى أنّك أحقّ بهذا الأمر منه ^(١).

قالوا: وكانوا يعدّون دهاء النّاس حين ثارت الفتنة خمسة رهط فقالوا: ذوو رأي العرب ومكيدتهم: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة وقيس بن سعد، ومن المهاجرين عبد الله بن بديل الخزاعي. وكان قيس وابن بديل مع عليّ عليه السلام وكان المغيرة بن شعبة وعمرو مع معاوية، إلا أن المغيرة كان معتزلاً بالطائف حتى حكّم الحكماء فاجتمعوا بأذرح ^(٢).

أقول: ألم يكن المغيرة مبعوثاً من طرف معاوية ليمارس التجسّس في قضية حسّاسة فتحت على المسلمين باب فتنة لا يزال مفتوحاً إلى اليوم؟ أيسمى مثل هذا

(١) وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، ص ٥٣٩.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٤ ص ١٢٥.

معتزلاً للفتنة و القتال وهو في قلب المسألة، يطلع على ما لا يطلع عليه المقاتلون الذين يعرضون أنفسهم للموت ؟ ! هل كان معاوية يعرف ما انطوى عليه باطن أبي موسى الأشعري لولا التقرير السري الذي رفعه إليه المغيرة ؟

و حينما يحاول الداهية مخادعة الداهية ينقلب السحر على الساحر، و يجد المغيرة نفسه في وضعية مزرية: فعن معمر عن جعفر بن برقان أن المغيرة كتب إلى معاوية أما بعد، فأني قد كبرت سني ودق عظمي وشنفت لي قريش، فإن رأيت أن تعزلي فاعزلي. فكتب إليه معاوية جاءني كتابك تذكر فيه أنه كبرت سنك نلعمري ما أكل عمرك غيرك، وتذكر أن قريشاً شنفت لك، ولعمري ما أصبت خيراً إلا منهم، وتسألني أن أعزلك فقد فعلت، فإن تك صادقاً فقد شفعتك، وإن تك مخادعاً فقد خدعتك^(١).

قال السيد جعفر مرتضى (من علماء الشيعة) :

قد ذكر لنا التاريخ أسماء عدد من المهاجرين، مثل أبي بكر، عمر، قنقد، أبي عبيدة بن الجراح، سالم مولى أبي حذيفة، المغيرة بن شعبة، خالد بن الوليد، عثمان، أسيد بن حضير، معاذ بن جبل، وعبد الرحمان بن عوف، وعبد الرحمان بن أبي بكر، ومحمد بن مسلمة، - وهو الذي كسر سيف الزبير - وزيد بن أسلم، وعياش بن ربيعة، وغيرهم^(٢).

و حين البحث عن هذه المسألة في كتب التاريخ لا يجد الباحث إلا مصادر شيعية

(١) تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٢٦٥.

(٢) مأساة الزهراء عليها السلام، جعفر مرتضى العاملي (الشيعي)، ج ١ ص ٢٢٦.

تحدثت عنها، كما هو شأن كتاب الاحتجاج للطبرسي، وبيت الأحزان للشيخ عباس القمي. فقد روى الطبرسي في الاحتجاج قول الحسن عليه السلام: وأما أنت يا مغيرة بن شعبة! فإنك لله عدو، وكتاباه نابذ، ولنبييه مكذب، وأنت الزاني وقد وجب عليك الرجم، وشهد عليك العدول البررة الأتقياء، فأخر رجمك، ودفع الحق بالأباطيل، والصّدق بالأغاليط وذلك لما أعدّ الله لك من العذاب الأليم، والحزني في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى، وأنت الذي ضربت فاطمة بنت رسول الله ﷺ حتى أدميتها وألقت ما في بطنها، استدلالاً منك لرسول الله ﷺ ومخالفة منك لأمره، وانتهاكاً لحرمته، وقد قال لها رسول الله ﷺ: "يا فاطمة أنت سيّدة نساء أهل الجنّة"، والله مصيرك [يا مغيرة] إلى النار، وجاعلٌ وبال ما نظقت به عليك^(١).

ولا عجب في ذلك، لأنّ الذين كتبوا التاريخ راعوا مبانيهم كما ينبغي، فلم يكتبوا إلا ما لا يضرّ العامّة سماعه، وأفلتت منهم أمورٌ فوجدوا لها من التأويل والتّوجيه ما لا غرابة فيه لمن عرف ديدَنهم. فالنّص الموجود في جمهرة خطب العرب^(٢) - وهو كتاب سنّي - يشبه إلى حدّ بعيد النّص الموجود في كتاب الاحتجاج.... وإذا كان التّظاّم يرى أنّ عمر ضرب فاطمة، فلا عجب أن يضربها المغيرة.

قالوا: ثم تكلم المغيرة بن شعبة فشتّم عليّاً وقال: والله ما أعيبه في قضية يخون ولا في حكم يعيل، ولكنه قتل عثمان^(٣).

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي (الشيعة)، ج ١، ص ٤١٣.

(٢) جمهرة خطب العرب، ج ٢، ص ٢٢.

(٣) جمهرة خطب العرب، ج ٢، ص ٢٢.

يقول المغيرة ذلك وهو أعلم الناس ببراءة الإمام علي عليه السلام من كل ما يتهم به. ففي تاريخ الطبري عن سيف عن المجالد عن الشعبي عن المغيرة بن شعبة قلت لعلي: إن هذا الرجل مقتول، وإنه إن قتل وأنت بالمدينة اتخذوا فيك، فخرج فكن بمكان كذا وكذا، فإنك إن فعلت وكنت في غار باليمن طلبك الناس، فأبى وحُصر عثمان اثنين وعشرين يوماً، ثم أحرقوا الباب وفي الدار أناس كثير فيهم عبد الله بن الزبير ومروان^(١)..

فالمغيرة بن شعبة يقول: قلت لعلي إن هذا الرجل مقتول، وهذا يعني أن قتل عثمان كان حتمياً في نظر المغيرة، والإمام علي بعيد عن ذلك تماماً، لكن المغيرة يغيّر أفكاره وعباراته حسب ما تقتضيه المصلحة الدنيوية.

إن المغيرة سمع حديثاً كثيراً من رسول الله صلى الله عليه وآله في فضائل أهل البيت عليهم السلام، ولكن يمنعه من ذكرها دناءة نفسه وانحطاط همته وخسة طبعه، وما دام النبي صلى الله عليه وآله قد قال لعلي عليه السلام لا ييغضك إلا منافق أو ابن زنا، وقد ثبت بغض المغيرة لعلي عليه السلام فلا غرابة فيما يصدر من المغيرة بعدها.

المغيرة والرشوة

وقد علم المسلمون أن النبي صلى الله عليه وآله لعن صريحاً الرّاشي والمرتشى ...

و يشهد المغيرة على نفسه أنه أول من رشا:

قال ابن حجر : وقال البغوي حدثني حمزة بن مالك الأسلمي حدثني عمي شيبان

(١) تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٦٧٦.

بن حمزة عن دويد عن المطّلب بن حنطب قال: قال المغيرة أنا أوّل من رشا في الإسلام؛ جئت إلى يرفاً حاجب عمر وكنت أجالسه فقلت له: خذ هذه العمامة فالبسها، فإنّ عندي أختها. فكان يأنس بي ويأذن لي أن أجلس من داخل الباب، فكنت آتي فأجلس في القائلة فيمرّ المارّ فيقول: إنّ للمغيرة عند عمر منزلة، إنّه ليدخل عليه في ساعة لا يدخل فيها أحد^(١).

و في أسد الغابة: وهو أوّل من وضع ديوان البصرة و أوّل من رشا في الإسلام. أعطى برقاً [وفي تاريخ دمشق ج ٦٠ ص ١٨ يرفاً] حاجب عمر شيئاً حتى أدخله على دار عمر^(٢).

و افتعل كعاداته وفدا رشاهم و أرسلهم إلى معاوية و كان في الوفد ابنه، ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق..^(٣)

قال عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة لمعاوية: إن الحسن بن علي عيى وإنّ له كلاماً ورأياً، وإنّه قد علمنا كلامه فيتكلّم كلاماً فلا يجد كلاماً، فقال: لا تفعلوا؛ فأبوا

(١) الإصابة ابن حجر، ج ٦ ص ١٥٧.

(٢) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٤ ص ٤٠٧، في ترجمة المغيرة، .

(٣) عن جويرية يعني ابن أسماء حدثني خالد الحذاء أن المغيرة بن شعبة حيث أراد معاوية البيعة ليزيد وفد أربعين من وجوه أهل الكوفة وأمر عليهم ابنه عروة بن المغيرة فدخلوا على معاوية فقاموا خطباء فذكروا أنه إنّما أشخصهم إليه التيه والظر لأمة محمد ﷺ فقالوا: يا أمير المؤمنين كبرت سنك وتخوفنا الانتشار من بعدك يا أمير المؤمنين اعلم لنا علماً وحدّ لنا حدّاً ننتهي إليه! قال: أشيروا عليّ. قالوا: نشير عليك بيزيد بن أمير المؤمنين قال: وقد رضيتموه؟ قالوا: نعم. قال: وذاك رأيكم؟ قالوا: نعم ورأي من بعدنا فأصغى إلى عروة وهو أقرب القوم منه مجلساً فقال: لله أبوك بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بأربعمائة! قال: لقد وجد دينهم عندهم رخيصة [ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٠ ص ٢٩٨].

عليه فصعد عمرو المنبر فذكر علياً ووقع فيه، ثمَّ صعد المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى علي عثمان ثم وقع في عليّ (رض) ثمَّ قيل للحسن بن علي اصعد؛ فقال: لا أصعد ولا أتكلّم حتى تعطوني إن قلت حقاً أن تصدّقوني وإن قلت باطلاً أن تكذّبوني، فأعطوه، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال: يا الله يا عمرو وأنت يا مغيرة تعلّمان أن رسول الله ﷺ قال: "لعن الله السائق والراكب" أحدهما فلان؟ قال: اللهم نعم. قال: أنشدك الله يا معاوية ويا مغيرة أتعلّمان أن رسول الله ﷺ لعن عمرا بكلّ قافية قالها لعنة؟ قال: اللهم بلى! قال: أنشدك الله يا عمرو وأنت يا معاوية بن أبي سفيان أتعلّمان أن رسول الله ﷺ لعن قوم هذا؟ قال: بلى. قال الحسن: فإني أحمد الله الذي وقعتم فيمن تبرأ من هذا وذكر الحديث^(١)..

عن سفيان بن منصور عن هلال عن عبد الله بن ظالم وذكر سفيان رجلاً فيما بينه وبين عبد الله بن ظالم قال: سمعت سعيد بن زيد قال: لما قدم معاوية الكوفة أقام المغيرة بن شعبة خطباء يتناولون عليّاً فأخذ بيدي سعيد بن زيد فقال: ألا ترى هذا الظالم الذي يأمر بلعن رجل من أهل الجنة^(٢).

لقد استعظم الإمام أحمد بن حنبل لعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولذلك هذب العبارة فقال ينالون من عليّ بدل يلعنون عليّاً، لكنّه في معرض رواية الحديث لا بدّ له من روايته بلفظه كما تقتضيه أصول الفنّ، فوقع في ما فرّ منه. وتلك شهادة سعيد بن زيد أحد العشرة المبشّرين بالجنة على المغيرة بن

(١) المعجم الكبير، الطبراني ج ٣ ص ٧١، ٧٢.

(٢) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل ص ٣٢.

شعبة بأنه ظالم، فهو يتحدث عمن أمر بلعن علي بن أبي طالب عليه السلام، و فاعل ذلك هو من أقام خطباء يتناولون من علي إرضاءً لمعاوية وهو المغيرة بن شعبة. و العجيب أن المغيرة نفسه يذكر أنه سمع رسول الله ﷺ ينهى عن سب الأموات، فما أعظم احترام المغيرة لكلام رسول الله ﷺ!

عن سفيان عن زياد بن علاقة أنه سمع المغيرة بن شعبة يقول قال رسول الله ﷺ لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء^(١).

يقيم المغيرة خطباء يلعنون علياً عليه السلام بعدما علم أن النبي ﷺ قال: يا علي من سبك فقد سبني و من سبني فقد سب الله تعالى. ومع ذلك يبقى المغيرة يتمتع بمحاصرة منيعة، و يتقلد المناصب الرقيعة، ويستمتع إليه من عميت قلوبهم التي في صدورهم، ليقولوا بعد ذلك بكل وقاحة وصلافة : حدثنا المغيرة..

منزلة المغيرة عند الخلفاء

أول ما أسلم المغيرة بن شعبة عرف أنه لا يستطيع أن يكون من خواص النبي ﷺ ، وأسباب ذلك واضحة، فقد أخبره النبي ﷺ من أول يوم أنه قام بغدر، وأن الغدر لا خير فيه؛ ولم يخف ذلك على الصحابة خصوصاً بعد أن بلغهم تهائم الحيين في الطائف؛ إضافة إلى كونه قتل ثلاثة عشر نفرًا من رفقائه في السفر وهو أمر تنفر منه طباع بني آدم، حتى القتل أنفسهم. لذلك اختار أن يكون مع المهاجرين دون الأنصار، ويسهل عليه ذلك كونه على علاقة سابقة بأهل مكة، وقد مرّ خبر شهوده

(١) موارد النظمان ، الهيثمي، ص ٤٨٧.

حواراً بين النبي ﷺ وأبي جهل، وقوله أيضاً: " فنظر إلى أبي بكر بن أبي قحافة وكان بي عارفاً "؛ فلا عجب أن يختار المغيرة ملازمة أبي بكر وعمر في حياة النبي ﷺ وفي الحقيقة لم يكن ذاك الاختيار وتلك الملازمة إلا استثماراً يجني عائداً فيهما بعد، وبعد وفاة النبي ﷺ بلا فصل. وقد كان المغيرة في طاعة أبي بكر وعمر كالسكة المحماة، حتى حين يقتضي الأمر الهجوم على بيت كان يستأذن لدخوله جبريل عليه السلام قال المغيرة: وكنت أكون مع أبي بكر الصديق (رض)، وألزم النبي ﷺ فيمن يلزمه^(١). وقد كان المغيرة في حياة النبي ﷺ يتصرف تصرفات بعيدة من المروءة، حتى إذا كشف أمره تعلل وتسكع في المعاذير؛ فعن أبي الخليل عن علي قال: كان المغيرة بن شعبة إذا غزا مع النبي ﷺ حمل معه رحماً، فإذا رجع طرّحه كي يحمل له، فقال له علي: لأذكرن هذا للنبي ﷺ فقال: لا تفعل فإنك إن فعلت لم ترفع ضالّة^(٢).

فالمغيرة يعلم أن ما يقوم به يتنافى وقيم الإسلام، وهو مع ذلك يحرص ألا يعلم به رسول الله ﷺ، ويدعي أن المصلحة في بقاء ذلك خافياً على رسول الله ﷺ. وإذا كان ما يفعله مباحاً أو مشروعاً فلماذا يخشى أن يبلغ رسول الله ﷺ؟! وإذا كان يكتُم الأمور ويصرّ على كتمانها عن رسول الله ﷺ في حياته، فكيف يتورّع أن يكتُم من كلامه وفعله أو أن يضيف إلى كلامه وفعله بعد وفاته ﷺ؟!!

عن قيس بن أبي حازم عن المغيرة بن شعبة أنه كان قائماً على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وهو ملثم، وعنده عروة، قال فجعل عروة يتناول الحية

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ج ٣ ص ٥٠٦.

(٢) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧، ص ٦٣٨.

النبي ﷺ ويحدثه، قال فقال المغيرة لعروة: لتكفّن يدك عن لحيته أو لا ترجع إليك! قال فقال عروة: مَنْ هذا؟ قال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة؛ فقال عروة: يا غدر، ما غسلت رأسك من غدرتك بعد^(١)..

يريد عروة بن مسعود أن يقول لابن أخيه: " لا تتظاهر بغير حقيقتك، فإثما أنت غدارٌ غدرت برفقتك في السقر، ولا زالت غدرتك رطبةً طريةً ". وللعلم فإنّ مجيء عروة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ في صلح الحديبية كان بُعيد فعلة المغيرة.

قالوا: كان المغيرة بن شعبة من كبار المدمنين للشراب، لم ينهه الإسلام وصحة الرسول عليه السلام حتّى قال لصاحب له يوم خيبر: قدمت إلى الشراب ومعي درهمان زائفان، فأعطني زكرتين [كذا]، فأعطاه، فصبّ في إحداها ماء، وجاء بعض الخمارين فقال: كل بدرهمين، فكال في زكرته، فأعطاه الدرهمين فردّهما وقال: هما زئفان، فقال: ارتجع ما أعطيتني، فكاله وأخذه، وبقيت في الزكرة بقيّة فصيّها في الفارغة، ثمّ فعل ذلك بكل خمار بخير حتى ملأ زكرته ورجع ومعه درهما. وهذا الفعل يجمع ندالةً وإثماً وخبثاً وسقوطاً^(٢).

هكذا يتصرّف المغيرة بن شعبة في حياة النبي ﷺ؛

في دولة أبي بكر:

قال الزبيدي: وفي حديث أبي بكر (رض) وقد شكى إليه بعض عمّاله يعني المغيرة

(١) صحيح ابن حبان، ج ١٠ ص ٤٤٤.

(٢) البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدى، ج ١ ص ٣٢٨.

بن شعبة ليقصّ منه فقال أنا أقيد من وزعة الله؟ أراد أأقيد من الذين يكفّون الناس عن الأقدام على الشر^(١).

أقول: هذه منزلة المغيرة عند أبي بكر، "من وزعة الله" وهذه صفة عظيمة أو لقب عظيم، فما هي المعايير التي بنى عليها أبو بكر حكمه هذا؟ ومتى كان المغيرة بن شعبة من وزعة الله؟ وهل هناك "وزعة" هم فوق الشريعة والقصاص؟ وهل اعتبر رسول الله ﷺ المغيرة يوماً من وزعة الله؟

إن الأمر يزداد تعقيداً حينما نضمّ إلى عبارة الخليفة أبي بكر قول الإمام علي عليه السلام بخصوص المغيرة "لا يأخذ من الدين إلا ما خالطته الدنيا"، ومن كانت هذه صفته لا يمكن أن يكون من وزعة الله، إذ وزعة الله لا تهمهم الدنيا وزخارفها، ولا يخلطون نياتهم بالمصالح العاجلة؛ والخليفة أبو بكر في هذه المسألة يختلف تماماً مع الإمام علي عليه السلام، ولا سبيل إلى الجمع بين القولين. فإذا كان المغيرة من وزعة الله كما يقول الخليفة أبو بكر فلماذا لم يعرف له بقيّة الصحابة ذلك المقام؟! ولماذا بقوا ينادونه "الأعور"؟! على أن وزعة الله تعالى يكونون في صفّه لا في صف أعدائه، ويحبّون فيه سبحانه وتعالى ويبغضون فيه، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال في حق الإمام علي عليه السلام يوم خيبر "يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله"^(٢) والمغيرة بن شعبة لم يبال بهذه المحبة

(١) تاج العروس، الزبيدي، ج ٢٢ ص ٣١٩.

(٢) صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٢ وج ٤، ص ٢٠ وج ٤، ص ٢٠٧ وج ٥، ص ٧٦ و، صحيح مسلم، ج ٥، ص ١٩٥ و، ج ٧، ص ١٢٠ و، ج ٧، ص ١٢٢ و، سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٤٤ - ٤٥ و، ج ١، ص ٤٩٧ و سنن الترمذي ج ٣، ص ١٢٤ وج ٥، ص ٣٠٢ و، فضائل الصحابة، النسائي، ص ١٥ و المستدرک الحاکم التيسابوري، ج ٣، ص ٣٨ و مسند أحمد، ج ١،

الإلهية، وإنما كان معلناً يبغض أهل بيت النبي ﷺ جميعاً، فهل يصح أن يكون وزعة الله تعالى مبغضين لأحب الخلق إليه؟!

ولللخليفة أبي بكر كلمات أخرى مشابهة بخصوص من ينسجمون معه في مزاجه ومراده، منها قوله في حق خالد بن الوليد "سيفُ سَلَّه الله على الأعداء" علماً أن رسول الله ﷺ تبرأ من عمل خالد ورفع صوته بذلك حتى سمعه كل من كان معه. ولو كان خالد سيفاً من سيوف الله لما تبرأ رسول الله ﷺ من فعله^(١)، لأنه ﷺ لا يتبرأ إلا مما هو مناف للإسلام.

ربما كان كذلك لأنه شارك في الهجوم على بيت فاطمة ﷺ، فإن السقيفة منحت ألقاباً وحصانات لمن شارك في الهجوم على بيت فاطمة الزهراء عليها السلام، ولم تسمح الرقابة والحظر لأحد أن يتناول تلك الشخصيات بعين النقد والتحليل والتحقق، وحتى حينما تخالف تلك الشخصيات القرآن الكريم والشريعة المحمدية فإن الإسعاف السريع جاهز بركة المشايخ (الأخبار والرهبان) الذين اتُّخذوا أرباباً من دون الله، وتفننوا في خلق

ص ٩٩ ج ١، ص ١٨٥ ج ١، ص ٣٣١ ج ٢، ص ٣٨٤ ج ٤، ص ٥٢ ج ٥، ص ٣٣٣ ج ٥، ص ٣٥٨ ..

(١) في مصنف عبد الرزاق ج ١٠ ص ١٧٤ تحت رقم ١٨٧٢١ أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال بعث النبي (صلى الله عليه وسلم) خالد بن الوليد إلى بني أحسبه قال جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صباناً صباناً فجعل خالد قتلاً وأسراً قال ودفع إلى كل رجل منا أسيراً حتى إذا كان يوماً أم رنا خالد أن يقتل كل واحد منا أسيره قال ابن عمر قلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره فقدمنا النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له صنع خالد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ورفع يديه اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد الله إني أبرأ إليك مما صنع خالد.

الانسجومات والتوافقات، واجتهدوا في إطفاء كل ما من شأنه أن يندد بالباطل.

عن ابن شهاب أن قبيصة بن ذؤيب أخبره أن الجدة جاءت إلى أبي بكر الصديق تسأله حقها، فقال: ما أعلم لك شيئاً، وسأسال الناس؛ فلما صلى الناس الصبح سألهم فقال المغيرة بن شعبة: أنا سمعت رسول الله ﷺ أعطاها السدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقال محمد بن سلمة: أنا سمعت رسول الله ﷺ أعطاها ذلك؛ فأعطاها ذلك أبو بكر^(١).

أقول: هذه مسألة فيها نظر عند من ديثه من قلبه بمكان، فإنه لا يُعقل أن تكذب فاطمة والحسان وعلي وكلهم مطهرون بنص الكتاب العزيز، وتكذب معهم المرأة الصالحة أم آيين، ويصدق المغيرة الذي غدر برفاقه في السفر وقتلهم جميعاً - وكان عددهم ثلاثة عشر رجلاً - بعد أن سقاهم الخمر حتى همدوا، وكان يتبجح - فيما بعد - أنه أول من رشا في الإسلام!

في دولة عمر

في تاريخ دمشق عن هشام عن محمد قال: كان الرجل يقول للرجل غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة، عزله عن البصرة واستعمله على الكوفة^(٢).

هكذا كان يتفكك الناس بسيرة عمر مع المغيرة. فقد عزله عن البصرة بعد الشهادة عليه بالزنا، ثم ولّاه الكوفة التي هي أكبر وأهم من البصرة، وبها أكابر الصحابة

(١) السنن الكبرى النسائي ج ٤، ص ٧٣.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساکر ٦٠ ص ٤١.

والقرءاء، وبهذا الفعل يكون قد حباه بترقية يستحقها مَنْ قام بإنجاز كبير فترقى من منصب إلى منصب أعلى منه.

قال ابن كثير: وكان نائبه على مكة عتاب وعلى الشام أبو عبيدة وعلى العراق سعد، وعلى الطائف عثمان ابن أبي العاص، وعلى اليمن يعلي بن أمية، وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحضرمي، وعلى عمان حذيفة بن محصن، وعلى البصرة المغيرة بن شعبة، وعلى الموصل ربعي الأفكل، وعلى الجزيرة عياض بن غانم الأشعري^(١).

والعلاقة الحميمة بين المغيرة وعمر تعود إلى أيام حياة النبي ﷺ ففي مسند أحمد عن سويد بن سرحان عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ أكل طعاماً ثم أقيمت الصلاة فقام وقد كان توضأً قبل ذلك، فأتيته بماء ليتوضأ منه فانتهرني وقال: وراءك فسأني والله ذلك ثم صلي، فشكوت ذلك إلى عمر! فقال: يا نبي الله، إن المغيرة قد شق عليه انتهارك إياه، وخشي أن يكون في نفسك عليه شيء. فقال النبي ﷺ: ليس عليه في نفسي شيء إلا خير، ولكن أتاني بماء لأتوضأ، وإنما أكلت طعاماً، ولو فعلته فعل ذلك الناس بعدي^(٢).

أقول: النبي ﷺ على خلق عظيم، لا ينتهر لأجل قضية بسيطة، وقد علم الناس تعامله مع الأعرابي الذي بال في المسجد؛ ويبدو أنه انتهر المغيرة لقضية أخفاها المغيرة حتى على عمر؛ ولولا وجود حميمية بين المغيرة وعمر لما شكأ إليه دون غيره! علماً أن شكوى رسول الله ﷺ إلى غيره أمر عظيم! وكيف يسمح مسلم لنفسه أن يشكو

(١) البداية والنهاية، ج ٧ ص ٧٣.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج ٤ ص ٢٥٣، تحت رقم ١٨٢٤٤.

رسول الله الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم ؟ أيكون المشكوك إليه أرفأ وأرحم من رسول الله ﷺ ؟ وكون الراوي هو المغيرة نفسه يجعل من المتعذر معرفة القصة على وجهها الصحيح. وبما أن الله تعالى قد أطلع نبيه ﷺ على كثير من القضايا الغيبية كحرب الجمل، وحرب صفين، وقتل الحسين عليه السلام وخروج الزبير على الإمام علي عليه السلام ظالماً له، ونبح كلاب الحوآب إحدى أزواجه عليه السلام، فإنه لا يبعد أن يكون سبحانه وتعالى أطلع على موقف المغيرة من حبيب الله ورسوله علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنه سوف يلعنه ويوظف الخطباء لللعنه، ويموت مصرّاً على ذلك، وساعتها لا غرابة في أن ينتهره النبي ﷺ لأنه يستحق أكثر من الانتهار.

قالوا: افتتح عتبة بن غزوان الأبلّة، ثم اختطّ مسجد البصرة وأمر محجن بن الأدرع فاخطّ مسجد البصرة الأعظم وبناه بالقصب؛ ثم خرج عتبة حاجاً وخلف مجاشع بن مسعود، وأمره أن يسير إلى الفرات، وأمر المغيرة بن شعبة أن يصلي بالناس، فلم ينصرف عتبة من سفره ذلك في حجّته حتّى مات، فأقرّ عمر المغيرة بن شعبة على البصرة^(١).

وقال ابن عساکر: قتل عمر وهو - أي المغيرة - على الكوفة^(٢).

لكن ابن كثير يقول: "لما استكمل عتبة فتح تلك التّاحية استأذن عمر في الحجّ فأذن له، فسار إلى الحجّ، واستخلف على البصرة أبا سبرة بن أبي رهم، واجتمع بعمر في الموسم وسأله أن يقيه فلم يفعل، وأقسم عليه عمر ليرجعنّ إلى عمله؛ فدعا

(١) الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ١ ص ٣١٥ وج ٣ ص ١٠٢٧.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ج ٦٠ ص ٤٢.

عتبة الله عز وجل فمات بطن نخلة وهو منصرف من الحج، فتأثر عليه عمر وأثنى عليه خيراً، وولّى بعده بالبصرة المغيرة بن شعبة، فولّيا بقيّة تلك السنّة والتي تليها لم يقع في زمانه حدث. وكان مرزوق السّلامة في عمله، ثم وقع الكلام في تلك المرأة من أبي بكر، فكان أمره ما قدّمنا، ثم بعث إليها أبا موسى الأشعري والياً عليها (رض). وهذا يطرح أكثر من سؤال، لأنّ الولاة عادة يتعلّقون بأعمالهم ولا يطلبون الإقالة والإعفاء، وعتبة بن غزوان في القصّة المذكورة سأل عمر بن الخطاب أن يعفيه من عمله، فأبى عليه عمر! لماذا؟

يفصّل ابن عساکر ما دار بين عمر وعتبة فيقول: كان سعد بن أبي وقاص يكتب إلى عتبة بن غزوان كتاب الأمير عليه، فأنف من ذلك عتبة، وكتب إلى عمر أن يقدم عليه فأذن له، واستخلف المغيرة بن شعبة وخرج حتّى أتى عمر فشكا إليه تسليط سعد بن أبي وقاص عليه، فسكت عمر عنه، فأعاد ذلك مراراً حتّى إذا أكثر عليه فقال: وما عليك يا عتبة أن تقرّ بالإمارة لرجل من قريش له صحبة مع رسول الله ﷺ وشرفاً! فلمّا قضى حاجته أمره عمر أن يرجع إلى عمله فأبى أن يفعل وحلف أن لا يرجع إليه أبداً ولا يلي عملاً^(١). وهذا يعني أنه لم يدعُ على نفسه بالموت!

ثم إنّه هنا حرصاً من عمر بن الخطاب على إذلال التّاس لكبراء قريش، ولو كان عتبة بن غزوان عاملاً لرسول الله ﷺ واستغفاه لأعفاه، لأنّه لا إكراه في الدّين. ومع ذلك فإنّ في ما استدللّ به عمر حجّة على عمر نفسه، إذ كلّ ما أثبتّه عمر لسعد بن أبي وقاص ثابت لعتبة بن غزوان، وقد مرّ بك قولهم "هاجر عتبة بن غزوان إلى

(١) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ج ٦٠ ص ٣٤.

أرض الحبشة وهو ابن أربعين سنة، ثم عاد إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة فأقام معه حتى هاجر إلى المدينة مع المقداد، وكان من السابقين". وهذا يعني أن له هجرتين، هجرة إلى الحبشة وهجرة إلى المدينة، وليس سعد بن أبي وقاص من المهاجرين إلى الحبشة. وقد ذكر عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص عيوباً حين رشحه ضمن من رشح للخلافة فقال له: "إنما أنت صاحب مقنب من هذه المقانب، تقاتل به، وصاحب قنص وقوس وأسهم، وما زهرة^(١)، والخلافة وأمور الناس" ! فأين قوله من فعله؟!

ونقل ابن أبي الحديد عن الجوهري أن عثمان "أقبل على الناس [في المسجد]، وقال : إن هاتين [يعني عائشة وحفصة] لفتانتان، يحل لي سبهما، وأنا بأصلهما عالمٌ. فقال له سعد بن أبي وقاص: أتقول هذا لحبائب رسول الله ﷺ؟! فقال: وفيهم أنت وما ها هنا ! ثم أقبل نحو سعد عامداً ليضربه، فانسل سعدٌ. فخرج من المسجد، فاتبعه عثمان، فلقي علياً عليه السلام بباب المسجد، فقال له عليه السلام: أين تريد ؟ قال: أريد هذا الذي كذا وكذا - يعني سعداً يشتمه - فقال له علي رضي الله عنه: أيها الرجل، دع عنك هذا. قال فلم يزل بينهما كلامٌ، حتى غضبا.."^(٢) فإذا كان سعد بن أبي وقاص شريفاً بالقدر الذي يصوره عمر فلم يعامله عثمان بهذه الطريقة المهينة، ويهم بضربه لولا أنه انسل؟ وهل يُضرب الأشراف؟

(١) زهرة هي قبيلة سعد بن أبي وقاص.

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ٩ ص ٥.

وقد مات عتبة بن غزوان بعد ذلك بمدة قصيرة، ويبقى موته بهذه الطريقة لغزاً للباحثين يشبه إلى حد بعيد موت سعد بن عبادَة الذي ادَّعوا أن الجنَّ قتلته، وهذا معناه أن الجنَّ صارت جهاز أمن سرِّي في دولة السَّقِيفَة. وهم قد ذكروا على كلِّ حال أنه دعا على نفسه بالموت كي لا يرجع إلى عمله!

عن مجالد عن الشَّعْبِيِّ قال: بعث عمر بن الخطَّاب أوَّل ما بعث إلى الكوفة أبا عبيد الثقفيَّ أبا المختار فقتل، فبعث سعد بن أبي وقَّاص فمكث خمس سنين، ثمَّ نزعهُ، ثمَّ بعث عمار بن ياسر فمكث سنةً ثمَّ نزعهُ، وبعث المغيرة بن شعبة فمكث سنةً، ثمَّ قُتل عمر؛ فلمَّا ولي عثمان بعث سعداً إلى الكوفة فمكث سنةً ثمَّ نزعهُ، وبعث الوليد بن عقبة فمكث خمس سنين ثمَّ نزعهُ، وبعث سعيد بن العاص فمكث خمس سنين ثمَّ نزعهُ وبعث أبا موسى الأشعريَّ فمكث سنة، ثمَّ قُتل عثمان وكانت الفتنة، ثمَّ كان أوَّل من أمره معاوية على الكوفة المغيرة بن شعبة تسع سنين ثمَّ مات^(١).

عن معمر عن قتادة قال : اجتمع نفرٌ فيهم المغيرة بن شعبة، فقالوا : من ترون أمير المؤمنين مستخلفاً ؟ فقال قائلٌ: عليّ، وقال قائلٌ: عثمان، وقال قائلٌ: عبدالله بن عمر فإنَّ فيه خلفاً، فقال المغيرة: أفلا أعلم لكم ذاك ؟ قالوا : بلى^(٢)...

هكذا يتحدث المغيرة متأكداً من النتيجة، فهو يستطيع أن يسأل عمر بن الخطَّاب عن أشدَّ الأمور حساسيةً. وللمغيرة مثلها في دولة عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قالوا: .. ووافي معاوية بأهل الشام، ووافي أبو موسى الأشعريَّ وعمرو بن العاص،

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٠ ص ٣٦٧، تحت رقم ٨٥٧. وجمع الزوائد، الهيثمي ج ١٠ ص ١٢.

(٢) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ٥ ص ٤٤٧ تحت رقم ٩٧٦٢.

وهما الحكمان، وأبي علي وأهل العراق أن يوافوا، فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوي رأي أهل قريش: هل ترون أحداً يقدر على أن يستطيع أن يعلم أيجتمع هذان الحكمان أم لا؟ فقالوا له: لا نرى أن أحداً يعلم ذلك، قال: فوالله إني لأظنني سأعلمه منهما حين أخلو بهما^(١).

تقلب المغيرة في المناصب على عهد عمر

عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبي موسى أن عمر بعث على البصرة المغيرة بن شعبة ثم عزله عنها حين كان من أمر أبي بكر ما كان، وبعث عليها أبا موسى، ثم بعث المغيرة على اليمن، ثم عزله عنها وبعثه إلى الكوفة، فقتل عمر وهو على الكوفة^(٢).

أقول: يعزله ويوليّه، إن كان أهلاً للولاية فلماذا يعزله؟! وإن كان عزله بحق فلماذا يوليّه بعد ذلك؟! ثم بأي حق استحق هذا التقلب في المناصب، إن قيل بدعائه قلنا إن الإسلام لا يقيم وزناً للدعاء، وإنما يحترم أولى المروءة والقائمين بالقسط من الناس، ولم يول رسول الله ﷺ شخصاً لأجل دعائه!

قال الطبري: فخلا [عمر] في ناحية المسجد فنام، فأتاه المغيرة بن شعبة فكلأه حتى استيقظ فقال: ما فعلت هذا يا أمير المؤمنين إلا من عظيم فهل نأبك من نائب؟ قال وأي نائب أعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير، ولا يرضى عنهم أمير، وقال في

(١) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ٥ ص ٤٦٣.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ج ٦٠ ص ٤٢.

ذلك ما شاء الله ^(١) ...

قال ابن خلدون: ثم ولّى عمر على الكوفة سنة إحدى وعشرين المغيرة بن شعبة وعزل عمّاراً ^(٢).

وقد ذكروا أنّ المغيرة هو أوّل من دعا عمر "أمير المؤمنين". قال ابن عبد البر: وأما القصة التي ذكرت في تسمية عمر نفسه أمير المؤمنين فذكر الزبير قال: قال عمر لما ولي: كان أبو بكر يقال له خليفة رسول الله ﷺ فكيف يقال لي خليفة خليفة رسول الله؟ يطول هذا. قال فقال له المغيرة بن شعبة: أنت أميرنا ونحن المؤمنون، فأنت أمير المؤمنين قال: فذاك إذن ^(٣).

أقول: يقول المغيرة بن شعبة: "فنحن المؤمنون" وكأنّه يحمل تفويضاً من جميع المسلمين بأن يتكلّم باسمهم! لكن تبيّن في مواطن عدّة أنّهم كانوا ينادونه "يا أعور" خصوصاً في الفتنة التي عصفت بعثمان.

في دولة عثمان

أبدى المغيرة سروراً بمبايعة عثمان يوم بُويع، وزعم أنّه لو بويع غيره لما قبل! ولم يكن ذلك إلّا "غير" سوى عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبما أنّ عبد الرحمن بن عوف لم يعجبه كلام المغيرة فإنّه قال له بحضر الصحابة: "كذبت يا أعور، لو بايعت غيره

(١) تاريخ الطبريّ، ج ٢ ص ٥٤٥.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ٥٥٦.

(٣) الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٣ ص ١١٥٠.

لباعته ولقلت هذه المقالة^(١)؛ فإذا كان الصحابة من أمثال عبد الرحمن بن عوف لا يقبلون من المغيرة مثل هذا فكيف يصح لنا قبوله؟! لكن عثمان قبل ذلك، وبأمثاله جعل المغيرة من بطانته حتى كان يقال "لمكانه من عثمان"^(٢).

في تاريخ المدينة ومسند ابن المبارك عن محمد بن عبد الملك أن المغيرة بن شعبه دخل على عثمان بن عفان وهو بالباب قد حاصروه، فقال: اختر إحدى ثلاث، إما أن يُحرق لك بابٌ سوى الباب الذي هم عليه فتخرج، ثم تقعد على راحلتك فتلحق بمكة، فإنهم لن يستحلوك وأنت بها؛ وإما أن تقعد على راحلتك فتلحق بالشام، فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية؛ وإما أن تخرج بمن معك، فإن معك عددا وقوة تقاتل فإنك على الحق وهم على الباطل. فقال عثمان: أما قولك أن أخرج على راحلتي حتى ألحق بمكة فإنهم لن يستحلوني وأنا بها فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول يلحد رجل من قريش بمكة^(٣) عليه نصف عذاب العالم فلن أكون إياه؛ وأما قولك أن أقعد على راحلتي فألحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية فلن أفارق دار هجري ومجاورة رسول الله ﷺ فيها؛ وأما قولك أخرج بمن معك فلن أكون أول من خالف

(١) تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٥٨٣ و ص ٥٨٦.

(٢) طالع قصته مع الزبير في تاريخ المدينة لابن شبة النميري، ج ١ ص ١٢٦.

(٣) هذا الحديث في مسند أحمد بن حنبل: ج ١ ص ٦٧ والأحاديث المختارة: ج ١ ص ٥٢١ ومسند البراز: ج ٦ ص ٣٤٨ وجمع الزوائد: ج ٣ ص ٢٨٤ و ج ٧ ص ٢٣٠ وتاريخ مدينة دمشق: ج ٣٩ ص ٣٨١ وأخبار المدينة: ج ٢ ص ٢٤٦ والصواعق المحرقة: ج ١ ص ٣٢٧ والسيرة الحلبية: ج ١ ص ٢٨٤ وفضائل الصحابة لابن حنبل: ج ١ ص ٤٨٥ والبداية والنهاية: ج ٧ ص ٢١١ و تاريخ الخلفاء: ج ١ ص ١٦١ والرجل الذي ألحد بمكة هو عبد الله بن الزبير.

رسول الله ﷺ بهراقة ملء محجمة من دم بغير حق^(١).

هذا كلام المغيرة وهو يشير على عثمان وينصحه، بعد أن بلغ السيل الزبى والحزام الطبيين، ولم يقبل منه عثمان، ومع ذلك لم يغضب؛ وقد أشار المغيرة بضمير الجمع في قوله "فإثمهم لن يستحلوك" وقوله "إلك على الحق وهم على الباطل" فلماذا يقول المغيرة فيما بعد إن الإمام علياً عليه السلام هو الذي قتل عثمان؟ وهل كان الإمام علي عليه السلام ممن حاصر عثمان؟! وقد شهد مروان بن الحكم وهو أقرب إلى عثمان من المغيرة أنه "ما كان أحدٌ أدفع عن عثمان من علي"^(٢)، فلماذا يصرّ المغيرة على تهمة الإمام علي عليه السلام؟

وأنت ترى كيف ردّ عثمان على المغيرة جميع مقترحاته، لأنّ المغيرة لا يقترح إلاّ ما يكون له فيه فائدة، وقد بيّن ذلك الإمام علي عليه السلام بوضوح حين قال لعمار بن ياسر وعمار يحاور المغيرة: "دعه يا عمار فإنه لا يأخذ من الدين إلا ما خالطته الدنيا!"

عن جرير بن حازم قال، سمعت محمد بن سيرين يحدث قال: لما قدم أهل مصر على عثمان (رض) قال المغيرة بن شعبة: إنّ القوم تفرّقوا في الدّور فليس أمرهم بشيء، وإنّ نزلوا زمزمة واحدة فأمرهم سديد. قال: فنزلوا زمزمة واحدة، فقال: دعني فلاّتهم، قال: فأتاهم المغيرة، فلما رأوه قالوا: إليك عنا يا أعور ثقيف. فرجع

(١) تاريخ المدينة لابن شبة ج ٤ ص ١٢١٢ ومسند ابن المبارك ج ١ ص ١٥١، تحت رقم ٢٤٦ و بغية

الباحث عن زوائد مسند الحارث، ص ٢٩٣، تحت رقم ٩٧٩.

(٢) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي، ص ٣٣.

إليه فأخبره بذلك، فدعا عليّ بن أبي طالب فقال: آت هؤلاء فأعطيهم كتاب الله. فأتاهم عليّ (رض) فعرض عليهم فأبوا عليه، فانصرف عنهم. فقال القوم: أتاكم ابن عمّ نبيّكم فعرض عليكم كتاب الله فرددتموه!! فبعثوا إلى عليّ (رض) فدعوه، وقبلوا ما أعطاهم، واشترطوا أشياء - قال ابن عون، عن ابن سيرين -: فمنها أشياء كتبوها في كتابهم، ومنها أشياء لم يكتبوها^(١).

أقول: وأنت ترى كيف خاطبوه وما خاطبوه به وهم أعلم بحاله، "إليك عنّا يا أعور ثقيف"! وهم أعلم بحاله من محمّد بن الحسن الشيبانيّ والذهبي، لأنهم معاصرون له، وشهادة المعايين شهادة حقيقية مقدّمة على ما يقوله الغائب عن الواقعة.

في دولة علي بن أبي طالب عليه السلام:

أمّا في دولة عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإنّ المغيرة لم يجد بُغيته، وظنّ أو لبس على نفسه أن الإمام عليّاً عليه السلام قد يحتاج إلى دهائه شأن الخلفاء السابقين، لكنّه ووجه من البداية بتصرّف تملّيه التقوى وسلوك يحدوه الورع، وعبارات معطّرة بالذكر الحكيم، فقرّر أن يلتحق بأصحاب الدّنيا يشاطروهم الكيد لأولياء الله تعالى. قال ابن عبد البر: ولما قُتل عثمان وبايع الناس عليّاً دخل عليه المغيرة بن شعبه فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ لك عندي نصيحة قال: وما هي؟ قال: إنّ أردت أن يستقيم لك الأمر فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة والزبير بن العوام على البصرة، وابعث إلى معاوية بعهدة على الشام حتّى تلمّزه طاعتك، فإذا استقرّت لك الخلافة فأدرها كيف شئت

(١) تاريخ المدينة، ابن شبة النميري، ج ٣ ص ١١٣٨.

برأيك. قال عليّ: أمّا طلحة والزبير فسأرى رأيي فيهما، وأمّا معاوية فلا والله لا رأيي الله مستعملاً له ولا مستعيناً به ما دام على حاله، ولكنني أدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المسلمون، فإن أبي حاكمته إلى الله؛ وانصرف عنه المغيرة مغضباً لما لم يقبل عنه نصيحته. فلما كان الغد أتاه فقال: يا أمير المؤمنين نظرت فيما قلت بالأمس وما جاوبتني به فرأيت أنك وفقت للخير، فاطلب الحقّ، ثمّ خرج عنه، فلقيه الحسن وهو خارجٌ فقال لأبيه: ما قال لك هذا الأعور؟ قال: أتاني أمس بكذا وأتاني اليوم بكذا قال: نصح لك والله أمس، وخدعك اليوم. فقال له عليّ: إن أقررت معاوية على ما في يده كنت متخذ المضلّين عضداً. وقال المغيرة في ذلك:

نصحت عليّاً في ابن هند نصيحةً	فردّ فلا يسمع له الدّهر ثانية
وقلت له أرسل إليه بعهده	على الشّام حتى يستقرّ معاوية
ويعلم أهل الشّام أن قد ملكته	فأمّ ابن هند عند ذلك هاوية
فلم يقبل النّصح الذي جئت به	وكانت له تلك النّصيحة كافية ^(١)

أقول: انصرف المغيرة مغضباً لأنّ الإمام عليّاً عليه السلام لم يقبل نصيحته، مع أنّ النّصيحة ليست ملزمة بالاتباع، وهذا في كلّ الثقافات والملل لا يختلف فيه اثنان، لكنّ الذي يثير تعجّب اللّبيب، هو أنّ المغيرة بن شعبة يلزم غيره بما لا يلتزم به هو نفسه، ويرى لنفسه حقّاً على غيره ولا يرى للآخرين حقّاً عليه. فهو قد استشار عمّه عروة بن مسعود الثّقفي قبل الخروج إلى مصر، ونصحه عمّه بعدم الخروج، وقال له " ليس

(١) الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ١ ص ٤٥٤.

معك من بني أبيك أحدًا! وكُتِبَ التَّراجُم والتَّاريخ والأدب شاهدةً على أنَّ عروة بن مسعود أفضل من المغيرة بن شعبة بلا نزاع، ومع ذلك خالف المغيرة وضرب بنصيحة عمِّه عرض الحائط، وتصرَّف كأن لم يحدث شيء؛ وهذا يفيد أنَّ المغيرة يعتقد بحقَّ المنصوح في قبول النَّصيحة أو ردِّها، ومع ذلك غضب حين لم يعمل الإمام عليه السلام بنصيحته^(١). ثمَّ إنَّ الإمام عليه السلام لم يذهب إلى المغيرة يستنصحه، وإنَّما المغيرة هو الذي تطوَّع بنصيحته، فالمغيرة بذلك قد ذهب إلى مائدة لم يُدع إليها، ولو أنَّ الإمام عليه السلام قال له: "لا حاجة بنا إلى نصيحتك" لما رأى العقلاء في ذلك إلاَّ عين الصَّواب، لأنَّ النَّصيحة تكون في محلِّها عند الاستنصاح أو الخوف على من يُراد نُصحه من الوقوع فيما يصعب عليه الخروج منه، وليس ذلك شأن الإمام عليه السلام؛ ومتى احتاج الإمام علي عليه السلام إلى أحد من قريش أو غيرها لمعرفة الحقِّ والصَّواب والتَّبيُّن عليه السلام يقول في حقِّه "عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ مع عليٍّ، يدور معه حيث دار؟" وهو أعلم الأُمَّة وأقضاها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. أفمن كانت هذه حاله يحتاج إلى نصيحة مَنْ أثَّر طول عبادة الأصنام في أقوالهم وأفعالهم؟! وهلاًَّ نصح المغيرة نفسه ليلة قتل رفاقه في السَّفر؟

لم يكن عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام ليقبل نصيحة خاليةً من الورع، لأنَّه يرسم للأجيال صورة الحاكم الصَّالح الذي لا تحفَزه المنافع الشَّخصيَّة، ولا يستهويه حبٌّ

(١) في سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٩ عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة أن المغيرة بن شعبة قال لعلي حين قتل عثمان أقعد في بيتك ولا تدع إلى نفسك فإنك لو كنت في جحر بمكة لم يبايعوا غيرك! وقال لعلي إن لم تطعني في هذه الرابعة لأعتزلتك! ابعت إلى معاوية عهده ثم اخلعه بعد فلم يفعل فاعتزله المغيرة باليمن فلما شغل علي ومعاوية فلم يبعثوا إلى الموسم أحدًا جاء المغيرة فصلى بالناس ودعا لمعاوية!

البقاء في المنصب، ولا كثرة الأنصار والمتعاطفين؛ لذلك تراه ردّ على المغيرة بن شعبة بمنطق قرآنيٍّ محض، واختصر الكلام في آية قرآنيّة عالية المضامين ﴿وما كنت متخذ المضلّين عضداً﴾. فهو أعلم بمعاوية وحزبه، صحبهم صغاراً وكباراً فكانوا شرّاً صغار وشرّاً كبار^(١)؛

قال ابن حبان: " في هذه السنّة كان فتح همدان ثانياً، وكانت قد انتقضت على أميرها المغيرة بن شعبة على رأس سنّة أشهر من مقتل عمر^(٢) ". ولم يتعرّض المؤرّخون وكتاب السير والتراجم لسبب انتقاض همدان على المغيرة^(٣).

و مع أن الخلفاء كانوا يُعنون بالمغيرة ويولّونه على الأمصار، إلا أنّهم لم يكونوا يثقون فيه، بل كانوا يجهونه أحياناً بقولهم " إنك امرؤ فاسقٌ ". اتّهم أبو بكر المغيرة بن شعبة إذ ردّ خبره في ميراث الجدة حتّى شهد معه محمّد بن مسلمة، ذكر ذلك جماعة منهم الغزاليّ في المستصفى^(٤). و ذكر أبو جعفر الإسكافيّ أن المغيرة كان يضع الأحاديث القبيحة في أمير المؤمنين عليه السّلامُ بترغيب من معاوية بن أبي سفيان.

(١) قال الإمام عليّ عليه السّلام: كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢١٦ في وصف معاوية وحزبه: أنّها الناس إني أحقّ من أجاب إلى كتاب الله، ولكنّ معاوية وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وابن أبي سرح، وابن مسلمة، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني أعرفُ بهم منكم، صحبهم صغاراً ورجالاً فكانوا شرّاً صغار وشرّاً رجال. ويحكّم إنّها كلمة حقّ يُرادُ بها باطل! إنّهم ما رفعوها أنّهم يعرفونها ويعملون بها ولكّنها الخديعة والوهن والمكيدة! أعيروني سواعدكم وجماعكم ساعة واحدة فقد بلغ الحقّ مقطّعة، ولم يبقَ إلّا أن يُقطع دابرُ الذين ظلّموا.

(٢) الثقات، ابن حبان، ج ٢ ص ٢٤٣.

(٣) اختلفوا في تسمية من انتقضت عليه همدان، وهو عند ابن حبان المغيرة بن شعبة .

(٤) المستصفى، الغزالي، ج ١ ص ١٣٥.

واتهمه عمر بن الخطاب إذ ردّ خبره في دية الإملاص، فقد جاء في [تذكرة الحفاظ]:
 " وروى هشام عن أبيه [عن] المغيرة بن شعبة : أن عمر استشارهم في إملاص المرأة -
 يعني السقط - فقال له المغيرة : قضى فيه رسول الله ﷺ بغرة، فقال له عمر : إن كنت
 صادقاً فأنت أحدٌ يعلم ذلك. قال : فشهد محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ قضى
 به ^(١) .

أقول: يقول له عمر بن الخطاب : " إن كنت صادقاً، وهذا يعني أنه لا يصدّقه،
 وكذلك كان أيضاً في قصة العباس بن عبد المطلب حين ذكر لعمر أن النبي ﷺ أقطعه
 البحرين، فقد شهد له المغيرة بن شعبة، لكن عمر بن الخطاب لم يقبل شهادته، وغضب
 العباس يومها وأسمع عمر ما يكره، غير أن مقصّ الرقابة حرّمنا من قول العباس
 يومها، لأن كل ما من شأنه أن يمسّ شخص عمر ينبغي أن يمحذوف!

وفي قضية استشارة عمر الناس في مسألة الجنين تطرحه المرأة، تشير أكثر
 الروايات في القضية تشير إلى أن عمر بن الخطاب " استشار الناس " ^(٢) ، وفي رواية
 "سأل عن الجنين" ^(٣) ، وهذا يدعو إلى العجب، لأن عمر بن الخطاب سمع رسول الله ﷺ

(١) صحيح البخاري، ج ٨، ص ٤٥٥ ومسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٢٤٤ وفتح الباري، ابن
 حجر، ج ١٢، ص ٢٢١ وتعليق التعليق، ابن حجر، ج ٥، ص ٣٢٣ وعمدة القاري، العيني، ج ٢٤، ص ٦٧
 المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ١٠، ص ٦١ والمعجم الكبير، الطبراني، ج ١٩، ص ٢٢٧ المعجم الكبير،
 الطبراني، ج ١٩، ص ٢٢٧ والمعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٠، ص ٤٣٩ وكنز العمال، المتقي الهندي، ج ١٥،
 ص ١٢٦ وتاريخ مدينة دمشق، ابن عسّكر، ج ٥٥، ص ٢٥٢ وتذكرة الحفاظ، الذهبي، ج ١، ص ٢ ونيل
 الأوطار، الشوكاني، ج ٧، ص ٢٢٧.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، ج ١٩ ص ٢٢٧.

(٣) المعجم الكبير، الطبراني، ج ١٩ ص ٢٢٧.

يقول : " أنا مدينة العلم وعليّ بابها"، والقضية قضية علم لأنها تتعلق بالأحكام الشرعية، والأحكام الشرعية لا تثبت باستشارة العوام؛ هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإنّ الروايات تذكر أنّ الواقعة نفسها حدثت في عهد أبي بكر وقضى فيها أبو بكر بشهادة المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة. ذكروا أن الجدة "جاءت إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها في كتاب الله، فقال لها أبو بكر: مالك في كتاب الله شيء، وما علمت لك في سنة رسول الله ﷺ شيئاً، فارجمي حتى أسأل الناس؛ فسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله ﷺ أعطاهما السدس، فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاريّ فقال مثل ما قال المغيرة، فأنفذه لها أبو بكر^(١). فإذا كان أبو بكر قد قضى لها وأنفذ لها، فما معنى سؤال عمر؟ اللهم إلا أن يكون ينسب في ذلك الخطأ إلى أبي بكر. وأعجب ما في المسألة أن محمد بن مسلمة هو الذي شهد مع المغيرة في الواقعتين. ومحمد بن مسلمة هذا معروف بعدائه للإمام عليّ عليه السلام، وقد كان رئيس جهاز مخابرات في دولة عمر بن الخطاب، وهو الذي حرّق على سعد بن أبي وقاص قصره بالكوفة، وله مع ذلك أحوال^(٢). وتبقى المسألة محلّ تأمل للمتدبّرين.

في دولة معاوية :

أمّا في دولة معاوية فإنّ المغيرة مارس التملّق ممارسةً لم يسبقه إليها غيره، لذلك

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ج ١٩ ص ٢٢٩.

(٢) قال سهل بن أبي خيثمة رأيت محمد بن مسلمة يطارد بئينة بنت الضحاك على أجار من أجاجير المدينة فقلت له: أتفعل هذا؟ فقال: نعم، قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا ألقى الله في قلب أحدكم خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٤ ص ٣٩٤.

تركه معاوية أميراً على الكوفة مدى الحياة، بعد أن تحقق لديه بغضه للإمام علي عليه السلام. قال ابن حجر: وكانت إمارة المغيرة على الكوفة من قبل معاوية من سنة إحدى وأربعين إلى أن مات وهو عليها سنة خمسين^(١).

وفي تهذيب الكمال: قال أبو عمر بن عبد البر لما شهد على المغيرة عند عمر عزله عن البصرة وولاه الكوفة، فلم يزل عليها إلى أن قتل عمر، فأقره عثمان ثم عزله، فلم يزل كذلك واعتزل صفين، فلما كان حين الحكمين لحق بمعاوية، فلما قتل علي^ص وصالح معاوية الحسن ودخل الكوفة ولّاه عليها^(٢).

وقال الطبراني: ثم كان أول من أمره معاوية على الكوفة المغيرة بن شعبة تسع سنين، ثم مات، ثم بعث زياد بن أبيه فمكث أربع سنين^(٣)...

وهكذا تأمر المغيرة بن شعبة على البدرين، وأنفق المال على المغنيات، وغرق في شهوة النساء، وتحدى مشاعر المسلمين بسب ولعن علي^ص بن أبي طالب عليه السلام، كل ذلك بفضل المشاركة في الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام وموالاة بني أمية.

قال ابن حجر العسقلاني: كانت إمارة المغيرة على الكوفة من قبل معاوية من سنة إحدى وأربعين إلى أن مات وهو عليها سنة خمسين^(٤).

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج ٣ ص ١٦٢. ونقله المباركفوري في تحفة الأحوذى ج ٤ ص ٦٩ قال: كان المغيرة بن شعبة أميراً على الكوفة وكانت إمارة المغيرة على الكوفة من قبل معاوية من سنة إحدى وأربعين إلى أن مات وهو عليها سنة خمسين كذا في فتح الباري.

(٢) تهذيب الكمال، ج ٢٨ ص ٣٧٤.

(٣) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٠ ص ٣٦٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ج ٣ ص ١٦٢.

وعن معاوية بن صالح قال: مات المغيرة بن شعبة وهو وال لمعاوية على الكوفة^(١).

أقول: لم يتزحزح عن إمارة الكوفة إلا إلى قبره.
قال ابن عبد البر: وولى المغيرة بن شعبة فلم يزل عليها حتى قتل عمر (رض)
فأقره عثمان يسيراً ثم عزله^(٢).

أقول: لقد كان للمغيرة بن شعبة منزلة عند حكام بني أمية، لكن ذلك لم يكن ليجعله أحدهم رغم كل ما قام به في خدمتهم، ولذلك ترى عثمان بن عفان يقره قليلاً على ولاية الكوفة ثم يعزله، ليجعل مكانه سعداً تمهيداً لولاية أمويّ سمّاه القرآن الكريم فاسقاً^(٣).

عن المدائني، عن مسلمة بن محارب، قال: قال رجل من قريش لعمر بن الخطاب (رض): ألا تتزوج أم كلثوم بنت أبي بكر، فتحفظه بعد وفاته، وتخلفه في أهله. فقال: عمر: بلى، إني لأحبّ ذاك؛ فاذهب إلى عائشة، فاذكر لها ذلك، وعد إليّ بجوابها. فمضى الرسول إلى عائشة، فأخبرها بما قال عمر، فأجابته إلى ذلك، وقالت له: حباً وكرامةً. ودخل عليها بعقب ذلك المغيرة بن شعبة، فرآها مهمومة^(٤)، فقال لها: مالك يا أمّ المؤمنين؟ فأخبرته برسالة عمر، وقالت: إنّ هذه

(١) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ج ٦٠ ص ٥٦.

(٢) الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٢ ص ٦٠٩.

(٣) اتفق المؤرخون أن قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] " في حق الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

(٤) المفروض أن نساء النبي ﷺ لا يُسألن إلا من وراء حجاب، لكن المغيرة هنا رآها، هكذا تقول الرواية. فكيف رآها وهو ليس لها بحرم؟!

جاريةٌ حدثتُ، وأردت لها ألين عيشاً من عمر. فقال لها: عليّ أن أكفيك. وخرج من عندها، فدخل على عمر، فقال: بالرقاء والبنين، قد بلغني ما أتيتك من صلة أبي بكر في أهله، وخطبتك أمّ كلثوم. فقال: قد كان ذاك. قال: إلّا أنّك، يا أمير المؤمنين، رجل شديد الخلق على أهلك، وهذه صبيّةٌ حديثه السنّ، فلا تزال تنكر عليها الشّيء، فتضربها فتصيح: يا أبتاه! فيغمك ذلك، وتتألّم له عائشة، ويذكرون أبا بكر، فيكون عليه، فتجدّد لهم المصيبة به، مع قرب عهدها في كلّ يوم. فقال له: متى كنت عند عائشة، واصدقني؟ فقال: آنفاً. فقال عمر: أشهد أنّهم كرهوني، فتضمن لهم أن تصرفني عمّاً طلبت، وقد أعفيتهم. فعاد إلى عائشة، فأخبرها بالخبر، وأمّسك عمر من معاودتها^(١).

.....عبد الملك بن عبيد الله الثقفيّ عن أشياخ من ثقيف والهلذليّ ويعقوب بن داود عن أبيه وغيرهم يزيد بعضهم على بعض أن المغيرة بن شعبة قال لزياد وهو بفارس وجهه إليه معاوية: أبا المغيرة خذ لنفسك من هذا الرجل قال أشر علي فإنّ المستشار مؤتمن؛ قال: أرى أن تنقل أصلك إلى أصله، وتصل حبلك بحبله، وتعيّر الناس منك أذنا صماء! قال: قلت ما لا يكون يا ابن شعبة، مغرس في غير منبته لا عرق يسقيه ولا مدرّة^(٢)!

أقول: لا بأس أن يعير زياد الناس منه أذنا صماء، لكن هل يعير رسول الله ﷺ أيضاً أذنا صماء؟ ما العمل مع قول النّبي ﷺ: الولد للفراس

(١) إمتاع الأسماع، المقرئ، ج ٦، ص ٢٠٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عسّار، ج ١٩ ص ١٣٠.

وللعاهر الحجر؟ وقول الله تعالى ﴿ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله...﴾ وهل هناك أرذل ممن ينتفي من أبيه لينتسب إلى زانٍ؟ وإنما فضح الله أعداء الإمام علي عليه السلام، فأحدهم ينتفي من أبيه، والآخر يشهد على أبيه بالزنا، وثالث بينهما يزيّن ذلك.

وحينما يكون المغيرة بن شعبة أميراً فإنّه يتصرّف بالمزاج، ويزيّن الأعمال القبيحة، ويسجّل البخاري ذلك في باب المعرفة! فعن يونس عن أبي إسحاق عن المغيرة بن شعبة، قال رجل: أصلح الله الأمير، إنّ أذنك يعرف رجالاً فيؤثرهم بإذن؛ قال: عذّره الله، إنّ المعرفة لتتفع عند الكلب العقور وعند الحمل الصّوّول^(١)...

عن زاجر بن عبد الله الثقفي، مولى الحجاج بن يوسف، قال: كان بين المغيرة بن شعبة وبين مصقلة بن هبيرة الشّيباني تنازع، فضرع له المغيرة، وتواضع في كلامه، حتى طمع فيه مصقلة. واستعلى عليه، فشتمه. فقدمه المغيرة إلى شريح، وهو القاضي يومئذ، فأقام عليه البيّنة، فآلى مصقلة ألاّ يقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حيّاً، وخرج إلى بني شيبان، فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة. ثمّ دخل الكوفة، فتلّقاه قومه، وسلّموا عليه. فما فرغ من التّسليم حتّى سألهم عن مقابر ثقيف، فأرشدوه إليها. فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة، فقال: ما هذا؟ قالوا: ظنّنا أنّك تريد أن ترحم قبره. فقال: ألقوا ما في أيديكم. فألقوه، وانطلق حتّى وقف على قبره، ثمّ قال: والله لقد كنت ما علمت نافعاً لصديقك، ضائراً لعدوك، ما مثلك إلّا كما قال مهلهل في أخيه كليب:

(١) الأدب المفرد، البخاري، ص ٢٧٥ تحت رقم ١٣٣٢.

إنَّ تحت الأحجار حزماً وعزماً... وخصيماً ألدَّ ذا معلاق
حيَّةً في الوجار أريد لا ينـ... فع منه السليم نث الرّاقى

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزيان، عن أحمد بن القاسم، عن العمري، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبي: أن مصقلة قال له: والله إني لأعرف شبي في عروة ابنك. فأشهد عليه بذلك، وجلده الحد. وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله^(١).

دورالمغيرة في بيعه يزيد

قالوا: وكان ابتداء بيعه يزيد وأوله من المغيرة بن شعبة، فإن معاوية أراد أن يعزله عن الكوفة، ويستعمل عوضه سعيد بن العاص، فبلغه ذلك، فسار إلى معاوية، وقال لأصحابه: إن لم أكسبكم ولاية وإمارة لا افعل ذلك أبداً^(٢)....

وتفصيل القصة أن المغيرة رجع إلى الكوفة، وأوفد مع ابنه موسى عشرة ممن يثق بهم من شيعة بني أمية، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم، فقدموا عليه، وزينوا له بيعه يزيد... ثم قال (معاوية) لموسى سرّاً: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بثلاثين ألفاً، قال: لقد هان عليهم دينهم!!

وقد انبرى بعض المتأخرين للدفاع عن المغيرة زاعمين أنه لا علاقة له ببيعة يزيد، ودليلهم في ذلك أنهم يستبعدونه كما استبعد ابن كثير وابن خلدون قبلهم سمّ الحسن

(١) الأغاني، الأصفهاني، ج ٤ ص ٢٧٩.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج ٣ ص ٢١٤ - ٢١٥ وتاريخ الطبري ج ٦ ص ١٦٩١٧٠.

من طرف معاوية؛ وما أسهل الاستبعاد.

المغيرة والرياء^(١)

موقف الإسلام من الرياء معلومٌ، فليس إلى تبريره سبيلٌ. وكلّما ابتعد الإنسان من الرياء ازداد معرفةً بربه، كما أنّه كلّما ازداد رسوخاً فيه ازداد ولاؤه للشيطان، حتى يغدو هو نفسه شيطاناً من شياطين الإنس.

ولا تكاد تجد أمة من الأمم إلّا وهي تمقت الرياء، وتعدّه من خوارم المروءة، سواء كانت الأمة متديّنة أو غير متديّنة؛ وقد ورد في الحديث الثبويّ الشّريف أنّ المرأى يُنادى يوم القيامة "يا فاسق"، "يا فاجر"، "يا كافر"، وهو نداء يدلّ على عظم الجريمة والحرص على فضح صاحبها في ذلك الموقف الرّهيب. وقد حذّر النبي ﷺ من الرياء حتى عدّه الشّرك الأصغر^(٢)، وهذا يعني أنّ المرأى مشركٌ، فهو وإن كان لا يشرك بالله

(١) قال المباركفوري في تحفة الأحوذى، ج ٧، ص ٤٤: قال الحافظ في الفتح الرياء بكسر الراء وتخفيف التحتانية والمد وهو مشتق من الرؤية، والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها. والسمعة بضم المهملة وسكون الميم مشقة من سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر. انتهى وقال الغزالي: الرياء مشتق من الرؤية، والسمعة من السماع وإنّا الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإرائهم الخصال المحمودة فالرياء هو إراءة العبادة بطاعة الله تعالى فالمرأى هو العابد والمرأى له هو الناس والمرأى به هو الخصال الحميدة والرياء هو قصد إظهار ذلك (من يرأى يرأى الله به) بإثبات الباء في الفعلين على أن من موصولة مبتدأ والمعنى من يعمل عملاً ليراه الناس في الدنيا...

(٢) الأحاديث في التحذير من الرياء كثيرة منها: مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢١٢: عن الأعمش عن عمرو بن مرة قال كنا جلوساً عند أبي عبيدة فذكروا الرياء فقال رجل يكنى بأبي يزيد سمعت عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله ﷺ من سمع الناس بعمله سمع الله بن سامع خلقه يوم القيامة فحقره وصغره. وفي مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٤٢٨:

صنماً أو شيطناً إلا أنه يشرك معه نفسه فيعبدها وينقاد لها ويضحّي لأجل أن يقال عنه فعل، وهذا معناه أنه لا يعمل لله تعالى، وإنما يعمل لتحصيل ما وراء شهوة

عن عمرو بن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل ﴿لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء﴾ وفي سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني ، ج ٢ ، ص ١٣٢١ : أن عمر بن الخطاب خرج يوماً إلى مسجد رسول الله ﷺ فوجد معاذ بن جبل قاعداً عند قبر النبي ﷺ يبكي فقال : ما يبكيك ؟ قال : يبكي شيء سمعته من رسول الله ﷺ . سمعت رسول الله ﷺ يقول " إن يسير الرياء شرك . وإن من عادى الله ولياً فقد بارز الله بالمحاربة . إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا . وإن حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا . قلوبهم مصابيح الهدى . يخرجون من كل غبراء مظلمة " . وفي مستدرک ، الحاكم النيسابوري ، ج ١ ص ٤ و ج ٣ ، ص ٢٧٠ و ج ٤ ، ص ٣٢٨ ، والمستدرک ، الحاكم النيسابوري ، ج ٤ ، ص ٣٢٨ : أن عمر خرج إلى المسجد يوماً فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله ﷺ وآله يبكي فقال ما يبكيك يا معاذ قال يبكي حديث سمعته من رسول الله ﷺ وآله يقول اليسير من الرياء شرك ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة . هذا حديث صحيح ولم يخرج في الصحيحين وقد احتجا جميعاً بزيد بن أسلم . وفي مجمع الزوائد للهيتمي ج ١ ص ١٠٢ : عن محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قال وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل ﴿إذا جزي الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء﴾ وفي مجمع الزوائد ، الهيتمي ، ج ٨ ، ص ٩٦ : وعن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يقوم في الدنيا مقام رياء وسمعة إلا سمع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة . وفي مجمع زوائد للهيتمي [ج ١٠ ، ص ٢٢٠] عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ بشر هذه الأمة بالسنة والرفعة والدين والتمكين في الأرض وهو يشك في الثالثة قال فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب . رواه أحمد وابنه من طرق ورجال أحمد رجال الصحيح . وفي مجمع الزوائد أيضاً ج ١٠ ، ص ٢٢٢ بحجاء بآدم يوم القيامة كأنه بذبح وربما قال كأنه حمل يقول يا ابن آدم أنا خير قسيم أنظر إلى عملك الذي عملته فأنا أجزيك به وانظر إلى عملك الذي عملته لغيري فيجازيك على الذي عملت له .

السُّمعة والشُّهرة. فأهمُّ شيء عنده أن يقال عنه "فعل"! قال ابن أبي الحديد: وقد جاء في الآثار من التَّهَى عن الرِّياء والسُّمعة كثيرٌ، روى عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال "يُؤْتَى في يوم القيامة بالرجل قد عمل أعمال الخير كالجبال - أو قال كجبال تهامة - وله خطيئةٌ واحدة، فيقال إنما عملتها ليقال عنك، فقد قيل، وذاك ثوابك وهذه خطيئتك، أدخلوه بها إلى جهنم" ^(١).

نعم، الرِّياء شركٌ، لأنَّ المرائيَّ حالَ رِيائِهِ ينسى الله تعالى، فلا يكون لعظمته جلَّ شأنه في تصوِّره وجودٌ، بل يكون هناك إلهٌ آخرُ ينفخ فيه التَّشوة والحماس، وذلك الإله هو الهوى، وقد سمَّاه القرآن الكريم فعلاً "إلهاً" حيث قال ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ^(٢). ولا يزال المجتمع بخير ما دام أهل الرِّياء فيه قلةً، فإذا كثروا وتسَلَّقوا المناصب والمسؤوليات دخل المجتمع فيما لا قبل له به من المغامرات والحماقات والفتن، وتعطلت فيه المواهب، وكثرت الدَّعاوى، وسيطر السفهاء، وانزوى العقلاء، واختلطت الأمور. وما أكثر الذين قضوا سنين من أعمارهم في السَّجون لأجل سلوك تافه أملاه الرِّياء وحبُّ الرِّياء في لحظة ما، فكانت الخسارة التي لا تُجبر. والمرائي في الحقيقة يعيش في عالم وهميٍّ محدود، وهو يتصوَّر أنه يحسب نفسه ويحميها ويضعها في مكان مناسب في المجتمع، وقد يؤدي به الرِّياء إلى قطيعة الرِّحم أو المشاركة في سفك دماء أهلها أبرياء.

وإذا عدنا إلى تراثنا وما تضمَّنه من كتب أخلاقية وأدبية وغيرها، فإننا نجد

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣٢٥.

(٢) الفرقان: ٤٣.

العلماء يتفنون في البيان والشرح، ويبينون للناس مضارّ الرياء وسوء عاقبته، ويضربون لذلك الأمثال، حتى إذا ثبت الرياء من طرف صحابيٍّ معروف تراجعوا عن كلّ ما أسلفوه وسكتوا عن الحقّ على طريقة الشيطان الأخرس، وداهنوا في دين الله لا لشيء سوى أنّ مشايخهم أوصوهم بما أوصاهم به مشايخهم عن مشايخهم الأوائل، أنّ الصحابيَّ معفى من الشريعة والعدل، وعليكم أن تلتمسوا له الأعذار مهما أوغل في الباطل، لأنّه رأى رسول الله ﷺ وسمع منه! وهذه كتب التراث شاهدةٌ على ذلك. ففي مصتف ابن أبي شيبة [..] عن سعيد بن سويد: صلى بنا معاوية الجمعة بالتخيلة في الضحى ثمّ خطبنا فقال: ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، وقد أعرف أنّكم تفعلون ذلك، ولكن إنا قاتلتكم لأنّا أمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون^(١). وهذا إقرارٌ وتصريحٌ من معاوية أنّه يستحلّ قتال المسلمين من أجل الوصول إلى الحكم، ولا يكون ذلك إلّا من شدة حبّ الرئاسة، وحبّ الرئاسة أكبر أقسام الرياء وأبغضها إلى الله تعالى؛ لكن، هل يتجرأ المحدثون والرواة والشرّاح على ذكر ذلك أو التلميح إليه ولو من بعيد؟! هل تعرّض الذهبي أو ابن تيمية أو ابن كثير أو ابن حجر أو السبكي إلى شيء من ذلك؟! أبداً، ولا ينبغي لهم، لأنّ عدالة جميع الصحابة بسحرها الخلاب في وسعها قلب الحقائق وتحقيق المعجزات، فيتحولّ الرياء المذموم عند الله تعالى إلى اجتهاد للصحابيّ الجليل، والمجتهد مأجورٌ في كلّ الأحوال، أخطأ أم أصاب! ومن هذا الباب حينما يرفع المغيرة بن شعبة صوته قائلاً: "أنا أوّل من رشا في الإسلام" فإنّه لا حرج عليه، لأنّه صحابيٌّ وإن يكن

(١) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧ ص ٢٥١ الحديث رقم ٢٣.

النبي ﷺ قد لعن الراشي والمرتشى والساعي بينهما، فإن اللعنة ستصطدم بعدالة الصحابة وتفقد وزنها، وتبقى للمغيرة حصانته التي تزول الجبال ولا تزول هي! هكذا شاءت ثقافة الكرسي باسم الإسلام، فليكن كذلك.

في مصنف ابن أبي شيبة أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لجماعة من أهل الكوفة سألوه: أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ؟ قالوا: أجل، عن ذلك جئنا نسألك. قال: أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن عباس^(١).

و المسألة نفسها في تاريخ الطبري: (قال ابن إسحاق) وكان المغيرة بن شعبة يدعى أنه أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ ويقول أخذت خاتمي فألقيته في القبر وقلت: إن خاتمي قد سقط. وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله فأكون آخر الناس به عهداً. عن عبد الله بن الحارث قال اعتمرت مع علي بن أبي طالب في زمان عمر أو زمان عثمان فنزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب. فلما فرغ من عمرته رجع وسكبت له غسلاً فاغتسل، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق فقالوا: يا أبا الحسن جئناك نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا به. فقال: أظن المغيرة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ؟ قالوا: أجل، عن ذا جئناك نسألك قال: كذب؛ كان أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن العباس^(٢).

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٥ ص ٢٩٠.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٤٥٢ و ٤٥٣.

لكن المغيرة يقول: إني آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ، حفرنا له ولحدنا له
لحداً، فلما دفنناه وخرجوا ألقيت الفأس في القبر فدخلت فأخرجتها ومسحت على
التبي ﷺ^(١).

وقد روى ابن سعد وغيره ما يكذب المغيرة في دعواه. وفي هذا الصدد قال ابن
عبد البر في الاستيعاب: وأصح ذلك أنه نزل في قبره العباس عمه وعليّ - رضي الله
عنهما - معه وقثم بن العباس والفضل بن العباس؛ ويقال كان أوس بن خولي وأسماء
بن زيد معهم، وكان آخرهم خروجاً من القبر قثم بن العباس، وكان آخر الناس عهداً
برسول الله. ذكر ذلك ابن عباس وغيره وهو الصحيح. وقد ذكر عن المغيرة بن شعبة
في ذلك خبر لا يصح، أنكره أهل العلم ودفعوه^(٢).

هكذا يقول ابن عبد البر: "خبر لا يصح، أنكره أهل العلم ودفعوه".

و في ترجمة قثم بن العباس : استشهد قثم بسمرقند، قال ابن عباس: هو آخر
الناس عهداً برسول الله ﷺ، وذلك أنه كان آخر من خرج من قبره ممن نزل فيه،
وقد ادّعى ذلك المغيرة بن شعبة لقصة ذكرها، فأنكر ذلك ابن عباس وقال: آخر
الناس عهداً بالتبي ﷺ قثم بن العباس، وقد روى عن عليّ مثل ذلك سواء في أنه
أنكر ما ادّعى المغيرة من ذلك وقال آخر الناس عهداً بالتبي ﷺ قثم بن العباس^(٣).

وهذا يعني أن الإمام علياً عليه السلام وابن عباس (رض) يدفعان ما يدّعيه المغيرة، وهما

(١) الآحاد والمثاني، الضحاك، ج ٣، ص ٢٠٠.

(٢) الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ١ ص ٤٨ ط دار الجيل ١٤١٢ هـ.

(٣) المصدر السابق، ج ٣ ص ١٣٠٤. و تهذيب الأسماء، ج ٢ ص ٣٧٠.

قد حضرا الدفن قطعاً، ولا يقدر في حفظهما قادحٌ.

و في الاستيعاب أيضاً: عن أبي عمران الجوني عن أبي عسيم قال لما قبض النبي ﷺ قالوا: كيف نصلي عليه؟ قال: ادخلوا من هذا الباب أرسالاً أرسالاً، ثم صلّوا عليه واخرجوا من الباب الآخر؛ قال: فلما وضعوه في لحده قال المغيرة بن شعبة: إنه قد بقي من قبل قدميه شيء لم يصلح قالوا: فادخل فأصلحه[!] فدخل فمسّ قدمي النبي ﷺ^(١).

وأنت ترى المغيرة لا يثبت على قول واحد، فتارة يقول: أخذت خاتمي فألقيته في القبر، وقلت إن خاتمي قد سقط، وإما طرحته عمداً لأمسّ رسول الله فأكون آخر الناس به عهداً؛ وأخرى يقول: إنه قد بقي من قبل قدمي النبي ﷺ شيء لم يصلح [قالوا فادخل فأصلحه] فدخل فمسّ قدمي النبي ﷺ. وثالثة يقول: ألقى الفأس في القبر، فدخلت فأخرجتها ومسحت على النبي. وأخرى يزعم أن ذلك كان بعد تمام الدفن، وأنهم فتحوا فتحة في القبر^(٢). على أن الحاكم النيسابوري يروي في مستدركه ما يبين أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان عارفاً بما يرمي إليه المغيرة؛ فعن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن جده قال: قال علي رضي الله عنه لما ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في قبر النبي ﷺ: لا يتحدث الناس أنك نزلت في قبر النبي ﷺ ولا تحدث أنت الناس أن خاتمك في قبره، فنزل علي رضي الله عنه وقد رأى موقعه

(١) المصدر السابق، ج ٤ ص ١٧١٥.

(٢) في المغني ج ٢ ص ٢١٦: قيل فإن أعطاه أولياء الميت قال إن أعطوه حقه أي شيء يريد وقد روي أن المغيرة بن شعبة طرح خاتمه في قبر النبي ﷺ ثم قال خاتمي! ففتح موضع منه فأخذ المغيرة خاتمه فكان يقول أنا أقربكم عهداً برسول الله ﷺ.

فتناوله فدفعه إليه ^(١).

وحق على فرض أن المغيرة نزل فعلاً في قبر النبي ﷺ كما يدّعي فإنه لا يعدو أن يكون لضعته وإفلاسه من القيم لا يبالي أن يحاول استغلال أعظم مصيبة حلت بالمسلمين لإشباع شهوة الرياء والسّمة في نفسه. فهو متهم بالزنا، والتاس أمثال عبد الرحمن بن عوف والمصريين ينادونه يا "أعور"، وعمر بن الخطاب يجبهه بقوله: "أنت رجل فاسق" فأبي سبيل إلى المعالي والهمم بعد هذا إلا الكذب، ولا شيء غير الكذب؟! وبينما يحزن المسلمون لوفاة النبي ﷺ وانقطاع الأخبار من السماء، يخطّط المغيرة كيف يفتخر على غيره من التاس بأثمه آخرهم عهداً برسول الله ﷺ.

مرة ألقى المغيرة خاتمه ومرة ألقى الفأس! وهذا معناه أن النبي ﷺ دفن مرتين!! اللهم إلا أن يكون المغيرة ألقاهما جميعاً في آن واحد! وحتى يضحك المغيرة على عقول المسلمين كما يحلو له، يوهم أن ذلك كان بإذن من علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ففي المطالب العالية: قال أحمد بن منيع حدثنا هشيم، أخبرنا مجالد عن الشعبي، عن المغيرة بن شعبه (رض) قال: كان يحدثنا هاهنا بالكوفة فقال أنا آخر التاس عهداً برسول الله قال: لما خرج علي بن أبي طالب من القبر ودفن النبي أقيت خاتمي فقلت: يا أبا الحسن خاتمي! قال: انزل فخذ خاتمك. فنزلت وأخذت خاتمي ووضعت على الكفن ثم خرجت ^(٢).

لكن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يكذب هذا في جمع من التاس من أهل الكوفة ويقول:

(١) المستدرک الحاكم، النيسابوري، ج ٣ ص ٤٤٨.

(٢) المطالب العالية، ج ١٧ ص ٥٥٠ تحت رقم ٤٣٣٢.

أظنّ المغيرة بن شعبة يحدثكم أنّه كان أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ؟! قالوا: أجل عن ذلك جئنا نسألك. قال: أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ قُثم بن عباس^(١).

والكلام في طبقات ابن سعد أصرح وأبلغ في نفس المغيرة، فعن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنّ المغيرة بن شعبة ألقى في قبر النبي ﷺ بعد أن خرجوا خاتمه لينزل فيه، فقال عليّ بن أبي طالب: إنما ألقيت خاتمك لكي تنزل فيه فيقال نزل في قبر النبي ﷺ، والذي نفسي بيده لا تنزل فيه أبداً ومنعه. أخبرنا محمد بن عمر حدثني عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام لا يتحدث الناس أنّك نزلت فيه ولا يتحدث الناس أنّ خاتمك في قبر النبي ﷺ ونزل عليّ وقد رأى موقعه فتناوله فدفعه إليه. أخبرنا محمد بن عمر حدثني حفص بن عمر عن عليّ بن عبد الله بن عباس قال، قلت: زعم المغيرة بن شعبة أنه آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ؟ قال: كذب والله، أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ قُثم بن العباس، كان أصغر من كان في القبر وكان آخر من صعد^(٢).

وفي رواية لما خرج عليّ من القبر ألقى المغيرة خاتمه في القبر وقال لعليّ خاتمي! فقال عليّ للحسن بن علي: ادخل فناوله خاتمه ففعل^(٣).

ولعلّ هذا ما كان يلهب قلب المغيرة حقداً على الإمام علي عليه السلام حتى أقام خطباء يسبّونه ويلعنونه.

(١) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ١ ص ٩٠٧ وسير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٩٠. و، مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٠٠.

(٢) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٢ ص ٣٠٣.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج ٢ ص ٣٠٢.

وروى ابن سعد عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن المغيرة بن شعبة ألقى في قبر النبي ﷺ بعد أن خرجوا خاتمه لينزل فيه فقال علي بن أبي طالب: إنما ألقى خاتمك لكي تنزل فيه فيقال نزل في قبر النبي ﷺ ، والذي نفسي بيده لا تنزل فيه أبداً ومنعه. أخبرنا محمد بن عمر حدثني عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه قال: قال علي بن أبي طالب لا يتحدث الناس أنك نزلت فيه ولا يتحدث الناس أن خاتمك في قبر النبي ﷺ ، ونزل علي وقد رأى موقعه فتناوله فدفعه إليه^(١).

وقد علق ابن كثير بقوله: وهذا الذي ذكر عن المغيرة بن شعبة لا يقتضي أنه حصل له ما أمله، فإنه قد يكون علي رضي الله عنه لم يمكنه النزول في القبر بل أمر غيره فنأوله إياه، وعلى ما تقدم يكون الذي أمره بمناولته له قثم بن عباس. وقد قال الواقدي: حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في قبر رسول الله ﷺ فقال علي إنما ألقىته لتقول نزلت في قبر النبي ﷺ فنزل فأعطاه أو أمر رجلاً فأعطاه^(٢). وبنفس المعنى في السيرة^(٣).

وفي جوامع الكلم: وقد قيل: إن المغيرة بن شعبة نزل في قبره بحيلة^(٤).

(١) نفس المصدر، ج ٢ ص ٣٠٣.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٤ ص ٥٣٧.

(٣) في سيرة ابن كثير، جزء ٤، ص ٥٣٧: وقد قال الواقدي: حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي: إنما ألقىته لتقول: نزلت في قبر النبي ﷺ فنزل فأعطاه أو أمر رجلاً فأعطاه.

(٤) جوامع الكلم، ج ١ ص ٦.

أقول: بشس العمل أن يمارس الرجل الحيلة عند قبر رسول الله ﷺ وأثناء دفنه لا لشيء إلا ليقال إنه آخر الناس عهداً به ﷺ.

وحكم الذهبي على رواية المغيرة بالانقطاع. قال الذهبي: قال ابن إسحاق : وكان المغيرة بن شعبة يدعي أنه أحدث الناس عهداً برسول الله (ص) قال : أخذت خاتمي فألقيته في قبر النبي ﷺ وقلت حين خرج القوم : إن خاتمي قد سقط في القبر، وإلما طرحته عمداً لأمس رسول الله ﷺ فأكون آخر الناس عهداً به. هذا حديث منقطع^(١).

وإلى نفس المنحى يميل ابن حبان، فقد قال : ونزل في قبر رسول الله ﷺ على بن أبي طالب والفضل بن العباس وقتب بن العباس وشقران مولى رسول الله ﷺ وطرح تحته قطيفة، وكان آخرهم عهداً به قثم بن العباس وكان المغيرة بن شعبة يقول: لا، بل أنا، وكان يحكى قصة^(٢).

ولو كان لقصة المغيرة وزن لحفل بها ابن حبان.

فابن إسحاق يقول: "وكان المغيرة بن شعبة يدعي"، وابن عبد البر يقول: "وقد ذكر عن المغيرة بن شعبة في ذلك خبر لا يصح، أنكره أهل العلم ودفعوه".

وهنا قصة أخرى تفيد أن الصحابة كانوا يسيئون الظن بالمغيرة ويعرفون مدى تعلقه بالرياء وحرصه على السمعة أيّاً كان الثمن. تصوّر القصة أصحاب الشورى وهم خمسة معهم ابن عمر وطلحة غائب وأمروا أبا طلحة أن يحببهم، وجاء عمرو

(١) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ١ ص ١٦٠.

(٢) الثقات، ابن حبان، ج ٢ ص ١٥٩.

بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما وقال: تريدان أن تقولاً حضرنّا وكُنّا في أهل الشورى^(١)...

فما أعرف سعداً بحال المغيرة وعمرو بن العاص، وما أشهر حال المغيرة عند الصحابة. والرواية لا تذكر صراحةً أنّ المغيرة دافع عن نفسه أو ردّ على سعد بن أبي وقاص بشيء؛ وهو ما يعني أنّ سعداً أصاب الهدف. لكنّ رواية في تاريخ الطبري نفسه تفيد أنّ القوم تنافسوا بعد قول سعد وكثر الكلام بينهم. ففي الرواية: وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب، فحصبهما سعد وأقامهما وقال تريدان أن تقولاً حضرنّا وكُنّا في أهل الشورى، فتنافس القوم في الأمر وكثر بينهم الكلام^(٢).

وللمغيرة قصّة أخرى في الرّياء وحبّ السمعة تكشف عن خبايا نفسه. قال ابن عسّكر: ... قال المعافى وقد رويّا بإسناد لم يحضر الآن ولعلّه يأتي فيما بعد أنّ المغيرة بن شعبة خطب حرقة هذه فقالت له: إنّما أردت أن يقال تزوّج ابنة النّعمان بن المنذر وإلاّ فأيّ حظّ لأعور في عمياء^(٣)؟!

و القصّة في المستطرف كما يلي: حكى أنّ المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار إلى دير هند بنت النّعمان وهي فيه عمياء مترهبة، فاستأذن عليها فقالت: من أنت؟ قال: المغيرة بن شعبة التّقفيّ. قالت: ما حاجتك؟ قال: جئت خاطباً! قالت: إنّك لم

(١) تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٢٩٥، و تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ١١٦.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٥٨٢.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ابن عسّكر، ج ٢١ ص ٣٧٦.

تكن جئتني لجمال ولا مال، ولكنك أردت أن تتشرّف في محافل العرب فتقول تزوّجت بنت التّعمان بن المنذر، وإلاّ فأنيّ خير في اجتماع عمياء وأعور^(١).

ويفصّل الأصفهاني فيقول: ... وكانت وفاتها بعد الإسلام بزمان طويل في ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة، وخطبها المغيرة فردّته؛ أخبرني عمّي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن هشام بن محمّد بن الكلبي عن أبيه والشرقي بن القطامي قالاً: مرّ المغيرة بن شعبة لما ولّاه معاوية الكوفة بدير هند فزله، ودخل على هند بنت التّعمان بعد أن استأذن عليها فأذنت له، وبسطت له مسحا، فجلس عليه ثم قالت له: ما جاء بك؟ قال: جئتكم خاطباً! قالت: والصّليب، لو علمت أن فيّ خصلةً من جمال أو شباب رغبتك فيّ لأجبتك، ولكنك أردت أن تقول في المواسم ملكت مملكة التّعمان بن المنذر ونكحت ابنته^(٢)، فبحقّ معبودك أهذا أردت؟ قال: أي والله! قالت: فلا سبيل إليه. فقام المغيرة وانصرف وقال فيها:

(١) المستطرف في كل فن مستظرف، الأبيشي، ج ٢ ص ٤٨٢.

(٢) شرح فتح القدير، ج ٣ ص ٢٣٠ دار الفكر بيروت.

وخطب المغيرة بن شعبة هنداً بنت التّعمان بن المنذر وكانت تنصرت وديرها باق إلى اليوم بظاهر الكوفة، وكانت قد عميت فأبّت وقالت: أي رغبة لشيخ أعور في عجوز عمياء؟ ولكن أردت أن تتفخر بنكاحي فتقول تزوّجت بنت التّعمان بن المنذر فقال صدقت وأنشأ يقول:

أدركت ما منيت نفسي خالياً لله درك يا ابنة النعمان

فلقد رددت على المغيرة ذهنه إن الملوك ذكية الأذهان

وكانت بعد ذلك تدخل عليه فيكرمها ويسألها عن حالها فقالت في أبيات:

فبينما نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة تنتصف

فأفّ لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

أدركت ما مئيت نفسي خاليا لله درك يا ابنة النعمان
فقد رددت على المغيرة ذهنه إن الملوك نقيّة الأذهان
يا هند حسبك قد صدقت فأمسكي فالصدق خير مقالة الإنسان

وفي رواية أخرى إن الملوك بطيّة الإذعان^(١).

وفي رواية، قال أبو الفرج: ودخل عليها المغيرة بن شعبة وقد عميت فحادثها طويلاً، ثمّ خطبها، فضحكت وقالت: شيخ أعور وعجوز عمياء! والصليب ما أردتني طلباً للتسل ولا رغبة في مال ولا شغفاً بجمال، ولكّثك أردت أن تقول نكحت ابنة النعمان. انصرف راشداً^(٢).

و إلى هذه القصّة أيضاً أشار ياقوت الحمويّ في معجم البلدان بقوله: وهند هذه صاحبة القصّة مع المغيرة بن شعبة^(٣).

هذه القصّة^(٤) تؤكد سوء نيّة المغيرة وبحثه عن السّمعة على مذهب من قال " الغاية

(١) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج ٢ ص ١٢٤.

(٢) معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٦٠٥.

(٣) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٢ ص ٥٤٢.

(٤) في الكامل في اللغة والأدب، ج ١ ص ١٢٤. وقد كان المغيرة بن شعبة وهو والي الكوفة سار إلى دير هند بنت النعمان بن المنذر وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقبل لها: أمير هذه المدرة بالباب فقالت: قولوا له: أمن ولد جبلة بن الأيهم أنت؟ قال: لا. قالت: أمن ولد المنذر بن ماء السماء؟ قال: لا قالت فمن أنت؟ قال: المغيرة بن شعبة التقيّ قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتكم خاطباً قالت: لو كنت جئتني لجمال أو مال لأطليتك، ولكّثك أردت تتشرف بي في محافل العرب فتقول: نكحت ابنة النعمان بن المنذر، وإلا فأني خير في اجتماع أعور وعمياء!

تبرّر الوسيلة"، حتى لو اقتضى ذلك الزّواج من عجوز عمياء؛ المهمّ أن يقال إنّ تروّج بنت ملك من ملوك العرب. والله درّ هذه العربيّة التي حافظت على أخلاق بنات الملوك وأوجعت قلبه بتلك الكلمة الصّريحة القارصة، وأخبرته بما في نفسه من خبث الطّويّة حيث قالت: إنّما أردت أن يقال تروّج بنت التّعمان بن المّذر! مثل هذه المرأة - على نصرانيّتها - أوعى من كثير من أهل زماننا الذين يطالعون بأعينهم كلّ الموبقات التي أقدم عليها المغيرة، ومع ذلك يبقى في أعينهم جليل القدر، وفوق كلّ اعتبار، ويسألون الله تعالى أن يرضى عنه ويرفع مقامه. يسألون الله تعالى ذلك ولا يعترهم حياءٌ وهم يتلون قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

المهمّ عند المغيرة بن شعبة أن يقال "آخر النّاس عهداً برسول الله ﷺ"، ويقال "حضر الشورى"، ويقال "تروّج بنت التّعمان". المهمّ أن يقال في الأرض، لا ما يكون عليه الأمر في السّماء، وهذا ما يتوقّع ممّن هو محبوبٌ عن السّماء.

ومن عجيب ما يصادفه الباحث في هذه القصّة دعوى ابن خلدون أنّ المغيرة بن شعبة تروّج هذه المرأة فعلاً! قال ابن خلدون: وقد كان المغيرة بن شعبة تروّج هنداً بنت التّعمان وسعد بن أبي وقّاص تروّج صدقة بنت التّعمان وخبرهما معروف ذكره^(١).

فابن خلدون يدّعي أن المغيرة تروّج هنداً، وهو يعلم أنّه لم يتزوّجها، لكنّها ليست

أول مكابرة يقوم بها ابن خلدون، فإنَّ له هنات وهنات، وهو مولعٌ بتمجيد كلِّ مَنْ ناصب الإمام علياً عليه السلام العداء؛ ومن ذلك الباب تمجيده معاوية بن أبي سفيان وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة، ومن على شاكلتهما.

عن المطلب بن عبد الله قال: قال المغيرة بن شعبة: أتأ أول من رشا في الإسلام. كنت آتي فأجلس بالباب فانتظر الدخول على عمر بن الخطاب، فقلت ليرفا حاجبه: خذ هذه العمامة فإنَّ عندي أختاً لها لتلبسها؛ فكان يدخلني حتَّى أجلس وراء الباب، فمن رأني قال إنَّه ليدخل على عمر في ساعة ما يدخل عليه فيها أحدٌ^(١).

أقول: في هذه القصة لا يكتفي المغيرة بالرَّسوة، وهو يعلم أنَّ رسول الله ﷺ لعن الراشيَ والمرتشى والسَّاعي بينهما، بل يتبجَّح بفعلته وكأنَّ الإسلام يشجِّع على مثل هذه الأمور، والحال أنَّ المسلم الورع يحتنب كل ما من شأنه أن يجلب اللعن، لأنَّ اللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله، فمن بلغه أنَّ رسول الله لعن من تلبَّس بفعل ما، ثمَّ تلبَّس هو بذلك الفعل عامداً غير مكره، فهو لا يبالي أن يكون ملعوناً على لسان رسول الله ﷺ. وهذا يعني أنَّه لا يبالي بأمور الآخرة. ويقول المغيرة: فمن رأني قال إنَّه ليدخل على عمر في ساعة ما يدخل عليه فيها أحدٌ! وهذا رياءٌ لا غبار عليه، فإنَّه يفرح بأن يقال عنه ذلك، علماً أنَّ الأمر على خلافه، لأنَّ الذي أذن له هو يرفأ لا عُمر!

وكان المغيرة يصرِّح أيضاً أنَّه صاحب الدور الأكبر في تولية يزيد بن معاوية

(١) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ج ٦٥ ص ٧٠.

العهد، ووصوله إلى سدة الحكم، ولا يكفي بالتصريح وإنما يتبجح بذلك على عاداته في إتيان المنكر. عن الشعبي قال أخبرني بعض الوفد من سمع المغيرة بن شعبة يقول: لقد وضعت رجلي معاوية في غرز طويل غيّه على أمة محمد يعني بيعة يزيد^(١)..

ويهوى المغيرة رفع صوته في الجامع والمحافل. قال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن [يوم بيعة عثمان]: يا أبا محمد، قد أصبت إذا بايعت عثمان، وقال لعثمان لو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا! فقال عبد الرحمن كذبت يا أعر^(٢) لو بايعت غيره لبايعته ولقلت هذه المقالة^(٣). فعبد الرحمن بن عوف يؤكّد أنّ المغيرة يقول نفس الكلام لأيّ شخص يبلغ منصب الخليفة، وقد صدقتُ فراصة عبد الرحمن إذ كان المغيرة بعد ذلك بسنين طويلة يتملّق معاوية بأمثال الكلام السابق. والقصة عند الجوهري كما يلي: قال المغيرة بن شعبة، لعثمان: أما والله لو بويع غيرك لما بايعناه، فقال عبد الرحمن بن عوف: كذبت، والله لو بويع غيره لبايعته، وما أنت وذاك يا ابن الدبّاعة، والله لو وليها غيره لقلت له مثل ما قلت الآن، تقرّباً إليه وطمعاً في الدنيا، فاذهب لا أبا لك. قال المغيرة: لولا مكان أمير المؤمنين لأسمعتك ما تكره، ومضيا^(٤). وفيها شهادة من طرف عبد الرحمن بن عوف على المغيرة

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٦٥ ص ٤١٠.

(٢) في تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٥٨٦. قام المغيرة بن شعبة خطيباً فقال يا أبا محمد الحمد لله الذي وفّقك والله ما كان لها غير عثمان، وعليّ جالس. فقال عبد الرحمن: يا ابن الدبّاغ ما أنت وذاك لو الله ما كنت أباع أحداً إلا قلت فيه هذه المقالة.

(٣) تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٥٨٣.

(٤) كتاب السقيفة وفدك، الجوهري، ص ٨٧.

من أهل التقرب إلى من يحكم والطمع في الدنيا.

عن عثمان بن مقسم قال: قال المغيرة بن شعبة لعمر أدلك على القوي الأمين؟ قال بلى! قال: عبد الله بن عمر. قال ما أردت بقولك هذا؟ والله لأن يموت فأكفنه بيدي أحب إلي من أن أوليه وأنا أعلم أن في الناس من هو خير منه^(١).

أقول: هل كان عبد الله بن عمر - فعلاً - القوي الأمين؟ أين القوة والأمانة في سيرة عبد الله بن عمر الذي استنكف أن يبايع علي بن أبي طالب عليه السلام وبايع الحجاج بن يوسف؟ أين قوته وهو الذي خالف أهل المدينة جميعاً وزعم أن بيعته يزيد شرعية ملزمة؟ هل هناك موقف بطولي واحد يستطيع ابن عمر أن يستشهد به؟ أليس هو الذي تحسّر نادماً في آخر حياته لكونه لم يحارب الفئة الباغية؟

عن الشعبي عن عثمان بن يسار عن تميم بن حذلم^(٢) قال: أول ما سأل علي أمير بالإمرة بالكوفة، قال: خرج المغيرة بن شعبة من القصر فعرض له رجل من كندة فسلم عليه بالإمرة، فقال: ما هذا؟ ما أنا إلا رجل منهم، فتركت زماناً ثم أقرها بعد^(٣).

أقول: لا يزال المغيرة بن شعبة يسعى وراء الأوائل والأواخر والمشاهير، فهو أول من رشا في الإسلام، وهو - بزعمه - آخرهم عهداً برسول الله ﷺ.

وحتى يوهم المغيرة الناس أنه كان لديه منزلة عند رسول الله ﷺ تراه يصوّر

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٣١ ص ١٧٨.

(٢) اختلف في ضبط اسمه.

(٣) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٨ ص ٣٢٥ والأدب المفرد، البخاري، ص ٢٢٠.

نفسه بين الحين والحين مبعوث رسول الله ﷺ إلى جهة ما، والحال أن رسول الله ﷺ كان يرسل الناس دون أن يكون لديهم خصوصية، فهذا الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه إلى بني المصطلق، وهو أحد الطلقاء، وقد سمّاه القرآن فاسقاً، وذلك أبو سفيان بعثه مصداقاً وهو من المؤلفة قلوبهم، والأمثلة في ذلك كثيرة.

و عن المغيرة بن عبد الله عن المغيرة بن شعبة (رض) قال: كان شاربى قد وفى فقصّه رسول الله ﷺ على سواك^(١).

أقول: وهنا أيضاً يريد المغيرة تميّزاً لم يدّعه غيره، فهو يقول إن النبي ﷺ لم يكتف بأمر المغيرة بقصّ شاربى حتى قصّه بيده الشريفة.

عن معاوية بن مرّة، عن عبد الله بن المغفل قال: "أول من رأيت عليه خفين في الإسلام المغيرة بن شعبة، فأتانا رسول الله ﷺ وعليه خفان"^(٢)..

أقول: أين الخصوصية في لبس الخفين، وبم فاق غيره ممّن لم تخطر ببالهم فكرة لبس الخفين؟! على أن مضمون الرواية لا يخلو من نظر، فإنّها تقول "في الإسلام" وهذا لا يمنع وجود من كان يلبسها في الجاهلية. وليس هذا مما يميّز فيه بين الجاهلية والإسلام.

عن معاوية بن قرّة عن معقل بن يسار قال: كنّا عند رسول الله ﷺ إذ دخل المغيرة بن شعبة وعليه خفّان، فكان أول من رأيت عليه الخفين في الإسلام المغيرة

(١) الآحاد والثاني، الضحاك، ج ٣، ص ٢٠٢.

(٢) الآحاد والثاني، الضحاك، ج ٥، ص ٧٢.

٢٣٨.....المغيرة بن شعبة

فجعل القوم يمسخونها ويقولون ما هذا؟ قالوا هذه الخفاف، فقال رسول الله ﷺ إنكم
سيكثر لكم من الخفاف^(١)...

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٠، ص ٢١٨.

الفصل الخامس

أعمال المغيرة المنافية للإسلام

سبّ علي عليه السلام

نسمع في أيامنا حديثاً طويلاً عريضاً عن اللعن، وأنه ليس من السلوك الحضاري؛ حتى قتلة الحسين عليه السلام لا ينبغي أن يلعنهم أحداً! لأنّ لهم ربّاً يحاسبهم، إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم؛ أما اللعن فلا! ومن بين ما نسمعه أيضاً أنّه لا ينبغي لعن من آذوا فاطمة الزهراء عليها السلام ولا الدعاء عليهم، لأنّه - في نظر الزاعمين - لا معنى له، والقضيّة سالبة بانتفاء الموضوع، ففاطمة لم يؤذها أحدٌ، وإثما اختلق شيعة أهل البيت عليهم السلام أحياناً ورثبوا عليها آثاراً، واستمرّ ذلك في حياتهم حتّى امتزج بدمائهم وأنفاسهم! وأمّا ما جاء في صحيح البخاري وغيره من أنّها عليها السلام تأذّت وهجرت الناس فينبغي أن يُحمل على المحمل الحسن، وإثما هي امرأة كسائر النساء، وإن كانت سيّدة النساء دنيا وآخرة، فإنّ تلك السيّادة إثما هي لكونها بنت رسول الله ﷺ، فالسيّادة أصالة للنبّي ﷺ! وفات هؤلاء الزاعمين أن ربّنا سبحانه وتعالى يلعن^(١)، وملأ كئيبه أيضاً تلعن، واللاعنون أيضاً يلعنون؛ وعليه فقد غدا

(١) ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة : ٨٨ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ البقرة : ٨٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْمُونُ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ البقرة : ١٥٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ البقرة : ١٦١ ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران : ٦١ ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّقُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيَّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ

وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿النساء : ٤٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا
بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَقْطِسَ وَجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ تَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ
السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿النساء : ٤٧﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ
اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿النساء : ٩٣﴾ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْقَالِ لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكْ نَصِيصًا مَفْرُوضًا ﴿
النساء : ١١٨﴾ قَبِمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّقُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا
مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿
المائدة : ١٣﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعْنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ
وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿المائدة : ٦٠﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ
يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْعَرْبِ
أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿المائدة : ٦٤﴾ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿المائدة : ٧٨﴾ وَتَادِي
أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَاهُ رِيتًا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ
فَإِنَّ مَوْذَنَ بَيْنِهِمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿الأعراف : ٤٤﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿التوبة : ٦٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى
اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الظَّالِمِينَ ﴿هود : ١٨﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدَ لَعَادِ قَوْمِ
هُودٍ ﴿هود : ٦٠﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسْرِ الرِّقْدِ الْمَرْفُودِ ﴿هود : ٩٩﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ
عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سُوءُ الدَّارِ ﴿الرعد : ٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿النور : ٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعْنَةُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
مُهِينًا ﴿الأحزاب : ٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿الأحزاب : ٦٤﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ
مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿غافر : ٥٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿
محمد : ٢٣﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ
السَّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعْنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿الفتح : ٦.

فعل ربنا سبحانه وتعالى لا ينسجم مع السلوك الحضاري الذي لا لعن فيه. وبما أن القرآن الكريم قد صرح أن الله تعالى لعن الظالمين، والفاسقين والكافرين، والذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، والذين يؤذون الله ورسوله، ومن يقتل مؤمناً متعمداً، ومن عرف الحق ثم جحد، والذين يكتُمون ما أنزل الله من بينات والهدى من بعدما بينه في الكتاب، والذين كفروا وماتوا وهم كفار، والذين يحرفون الكلم من بعد مواضعه، والذين نقضوا ميثاقهم.. بما أن الله تعالى قد لعن هؤلاء جميعاً فإن الكرة تبقى في ملعب الزاعمين أصحاب السلوك الحضاري.

والحق أن اللعن منه مشروع ومنه غير مشروع؛ والمشروع ما كان في محله كما في الأمثلة المذكورة أعلاه؛ وأما اللعن في غير محله فظلم وتجاوز، ولا شك أنه يعود على صاحبه كما يقتضي العدل الإلهي؛ وقد ابتليت الأمة بما ابتليت به الأمم قبلها كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ، إذ قال: "لتبعن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" (١) فحدث الانقلاب على الأعقاب، والتنكر لرسول الله ﷺ وسنته، والغدر بعترته، وأمور كثيرة يصر صنف من الناس على إنكارها وجحودها، رغم أن آثارها ومعالمها تتكلم بلسان الحال معبرة عن أسوأ حال!

والمقصود أن الأمة تعرضت لأولياء الله تعالى بالسب والشتم واللعن تقرباً إلى

(١) صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٥١ و ج ٨، ص ١٥١، صحيح مسلم، ج ٨، ص ٥٧، سنن ابن ماجه القزويني، ج ٢، ص ١٣٢٢ : و مستدرک الحاكم النيسابوري، ج ١، ص ٣٧ و ج ١، ص ١٢٩، ج ٤، ص ٤٥٥، و، مجمع الزوائد للهيتمي، ج ٧، ص ٢٦٠، مسند أبي داود الطيالسي، ص ٢٨٩ ومصنف عبد الرزاق الصنعاني، ج ١١، ص ٣٦٩، و، كتاب السنة، لعمر بن أبي عاصم، ص ٣٦، و مصنف ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٥، ص ٥٤٥ و ص ٥٤٦ و ج ٨، ص ٦٣٣.

الحاكمين وطمعاً في الدنيا. قال ابن حجر في فتح الباري: ثم كان من أمر علي ما كان فنجمت طائفة أخرى حاربه، ثم اشتد الخطب فتنقصوه واتخذوا لعنه على المنابر سنة، ووافقهم الخوارج على بغضه وزادوا حتى كفروه مضموماً ذلك منهم إلى عثمان، فصار الناس في حق علي ثلاثة: أهل السنة، والمبتدعة من الخوارج، والمحاربين له من بني أمية وأتباعهم، فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله، فكثرت التأمل لذلك لكثرة من يخالف ذلك^(١). وهذا الكلام من ابن حجر وإن كان لا يخلو من مغالطة إلا أنه صريح في الاعتراف بأن أصنافاً من الأمة من الجيل الأول فمن بعدهم سبوا الإمام علياً عليه السلام وشتموه على المنابر واتخذوا ذلك سنة. وعبر ابن حجر بقوله "نجمت طائفة" ليهوّن القضية ويمررها بسلام كما يلزمه به مذهبه في الاعتقاد بعدالة جميع الصحابة، وإلا فإن الطائفة التي يتحدث عنها ما هي إلا طبقة الصحابة والتابعين، ولم يأت أناس من الصين أو اليابان ليسبوا علياً عليه السلام ويلعنوه على منابر المسلمين، بل لعنه مسلمون أكثرهم من قریش!

لكن ابن حجر هذا نفسه يفترى على رسول الله ﷺ ويقول ما لم يقل خضوعاً لانتمائته المذهبي، وهو بذلك يدخل في صنف من كذبوا على رسول الله متعمدين!

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: وقد كنت أستشكل توثيقهم الناصبي^(٢) غالباً وتوهينهم الشيعة مطلقاً، ولا سيما أن علياً ورد في حقه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق. ثم ظهر لي في الجواب عن ذلك أن البغض ها هنا مقيدٌ بسبب، وهو كونه

(١) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج ٧ ص ٧١.

(٢) الناصبي هو من يبغض الإمام علياً عليه السلام وذريته وأهل بيت النبي ﷺ وهو في نفس الوقت يدعي الإسلام ومحبة النبي ﷺ.

نصر النبي ﷺ، لأنّ من الطّبع البشريّ بغض من وقعت منه إساءةٌ في حقّ المبغض والحبّ بعكسه، وذلك ما يرجع إلى أمور الدّنيا غالباً والخبر في حبّ عليّ وبغضه ليس على العموم! فقد أحبه من أفرط فيه حتّى ادّعى أنّه نبيٌّ أو أنّه إلهٌ تعالى الله عن إفكهم، والذي ورد في حقّ عليّ من ذلك قد ورد مثله في حقّ الأنصار وأجاب عنه العلماء أنّ بغضهم إن كان لأجل التّصرّ كان ذلك علامة نفاقه^(١) وبالعكس؛ فكذا يقال في حقّ عليّ. وأيضاً فأكثر من يوصف بالتّصبّ يكون مشهوراً بصدق اللّهيّة والتّمسكّ بأمور الدّيانة! بخلاف من يوصف بالرّقض، فإنّ غالبهم كاذبٌ ولا يتورّع في الإخبار، والأصل فيه أنّ التّأصّب اعتقدوا أنّ عليّاً (رض) قتل عثمان أو كان أعان عليه، فكان بغضهم له ديانةً بزعمهم، ثمّ انضاف إلى ذلك أنّ منهم من قُتلت أقاربه في حروب عليّ^(٢) ..

هكذا يقول ابن حجر "ثمّ ظهر لي! ولو فتح هذا الباب لتغيّرت أمورٌ وأمورٌ.

هل المسلمون معنيّون بما يظهر لابن حجر وغيره؟ وإذا ظهر لغير ابن حجر عكس ما ظهر لابن حجر فأين يكون الصّواب؟ ومن قال إنّ كل ما يظهر لابن حجر يصلح للاحتجاج به؟

إنّ قول رسول الله ﷺ للإمام عليّ عليه السلام: "لا يحبّك إلّا مؤمنٌ ولا يبغضك إلّا

(١) كان معاوية وأتباعه يبيغضون الأنصار لأجل نصرتهم لرسول الله ﷺ واستعمل معاوية الشعراء النصارى والنواصب لهجاء الأنصار بعد أن مدحهم القرآن الكريم، ومع ذلك يترضى ابن حجر عن معاوية وحزبه ويدافع عنهم ويحكم لهم بالنجاة؛ فهو يناقض بفعله ما يقول وهو بذلك يجعل نفسه ضمن مصاديق «كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تعلمون».

(٢) تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج ٨ ص ٤١١.

منافق" هو كلام عربي بلسان عربي مبين فلا يحتاج إلى ترجمان ؛ ولو صح أن يفتح فيه بابٌ للتأويل البعيد لصحّ ذلك فيما بقي من أحاديث النبي ﷺ وساعتها تكون الفوضى العارمة. ثم إن رسول الله ﷺ مأمورٌ بالبيان، فلا يصحّ أن يعتقد فيه أنه يلقي كلاماً حمّالاً أوجه ولا يجعل إلى جنبه قرينةٌ ثم يتوقع أن يكون ذلك الكلام حجةً على الناس. على أنهم ذكروا في علم الأصول أن التقيد بلا مقيد باطل، والتخصيص بلا مخصّص باطل، والترجيح بلا مرجّح باطل، وما قام به ابن حجر لا يعدو أحد الأمور الثلاثة، فإن رسول الله ﷺ لم يذكر شرط التصرة في كلامه لا من قريب ولا من بعيد ، وإما أراد ابن حجر أن يدفع عن مبغضي الإمام علي عليه السلام صفة التفاق، ومبغضو علي عليه السلام هم أسلاف ابن حجر ومشايخه، فاستلهم من شياطينه كما استلهم سلفه ابن تيمية من شياطينه، وبما أن شياطين الجنّ والإنس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، فقد جاء الحلّ السحريُّ وأراح ابن حجر الناس، وحفظ للتواصب ماء الوجه، لكن بأيّ ثمن؟ بعد أن سجّل نفسه في قائمة الكذّابين على رسول الله ﷺ، ومن كذب عليه ﷺ متعمداً فمقعده معلوم.

كلام ابن حجر في فتح الباري تضمّن ما يلي: "حاربوه ثم اشتدّ الخطب فتنقّصوه واتخذوا لعنه على المنابر سنّة، ووافقهم الخوارج على بغضه وزادوا حتى كفروه" (١).

ماذا يقول الزاعمون أصحاب السلوك الحضاريّ بخصوص لعن علي بن أبي طالب عليه السلام؟ هل يلتزمون بما ألزموا به أنفسهم أم ينكصون على أعقابهم؟ عن بكير بن عثمان البجلي قال سمعت أبا إسحاق التميمي يقول سمعت أبا

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج ٧ ص ٧١.

عبدالله الجدلي يقول: حججت وأنا غلام، فمررت بالمدينة، وإذا الناس عنقٌ واحدٌ فاتَّبعتهم فدخلوا على أم سلمة زوج النبي ﷺ فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي؛ فأجابها رجل جلفٌ جاف: لبيك يا أمّاه؛ قالت: يُسبّ رسول الله ﷺ في ناديكُم؟ قال: وأئى ذلك؟ قالت: فعليُّ بن أبي طالب؟ قال: إنّا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا. قالت: فإئتي سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سبّ عليّاً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى ^(١).

فالرجل يسبّ عليّاً عليه السلام لأجل الحياة الدنيا، ومعنى هذا أن سبّ عليٍّ ولعنه وشتمه وتنقّصه صار سبباً من أسباب الوصول إلى المناصب العالية والحصول على الأموال الوافرة في زمان المرأة الصالحة أم سلمة (رض). كيف حدث ذلك في الجيل الأوّل خير القرون؟ وهل كان الإمام علي عليه السلام مستحقاً لذلك؟

هذه المسألة على خطورتها يصّر كثيرٌ من المثقّفين - وأكثرهم من أتباع ابن تيمية - على التّهوين من شأنها، ويتعبّدون بتمريرها في صمتٍ لئلاّ تثير انتباه والتفات العوام؛ والتأمّل في النصوص التالية يوضّح بعض ما يساعدنا على فهم القضية أكثر.

قال ابن حجر: فبايعه المهاجرون والأنصار وكلّ من حضر وكتب بيعته إلى الآفاق فأذعنوا كلهم إلاّ معاوية في أهل الشام، فكان بينهم بعدُ ما كان. (قوله عن أبيه) هو أبو حازم سلمة بن دينار (قوله إن رجلاً جاء إلى سهل بن سعد) لم أقف على اسمه (قوله هذا فلان لأمير المدينة) أي عنى أمير المدينة وفلان المذكور لم أقف على اسمه صريحاً ووقع عند الإسماعيليّ هذا كان فلان بن فلان

(١) المستدرک، الحاكم النيسابوري، ج ٣ ص ١٢١.

(قوله يدعو علياً عند المنبر قال فيقول ماذا) في رواية الطبراني من وجه آخر عن عبد العزيز بن أبي حازم يدعوك لتسب علياً (قوله والله ما سمّاه إلا النبي ﷺ يعني أبا تراب^(١)).

فابن حجر لم يقف على اسم الرجل، ولم يقف على اسم أمير المدينة، ربما لأن الوقوف على اسميهما يحذف رقمين من عدد العدول من الصحابة والتابعين! ويتدّد ابن حجر بين "يدعو علياً" و "يدعوك لتسب علياً! المهم هو أن تغيب مظلوميّة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بين طيّات الشروح.

وقال اليعقوبي: روي أنه - أي زياد بن أبيه - كان أحضر قوماً بلغه أنهم شيعة لعليّ ليدعوهم إلى لعن عليّ والبراءة منه أو يضرب أعناقهم، وكانوا سبعين رجلاً، فصعد المنبر وجعل يتكلّم بالوعيد والتهديد^(٢).. وهذا يعني في دين زياد بن أبيه [المفروض أن كل رجل هو ابن أبيه] مخيّر بين البراءة من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وبين القتل، بينما يرى الإسلام أن الإمام علياً عليه السلام مولى المسلمين لا يحلّ لهم أن يؤذوه فضلاً عن البراءة منه. فقد قال النبي ﷺ أمام مئة ألف أو يزيدون "من كنت مولاه فعليّ مولاه".

قالوا: ..ثم أقبل [أي معاوية] على عبد الرحمن العنزي فقال: إيه يا أخا ريبة، ما قولك في علي؟ قال: دعني ولا تسألني فإنه خير لك. قال: والله لا أدعك حتى تخبرني عنه. قال: أشهد أنه كان من الذّاكرين الله كثيراً، ومن الآمرين بالحقّ والقائمين

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج ٧ ص ٥٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٢٣٥ دار صادر بيروت.

بالقسط، والعافين عن التأس. قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أول من فتح باب الظلم وأرّج أبواب الحق! قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت ولا ربيعة بالوادي - يقول حين كَلِم شمر الخنعمي في كريم بن عفيف الخنعمي ولم يكن له أحد من قومه يكلمه فيه - فبعث به معاوية إلى زياد وكتب إليه: أما بعد، فإنّ هذا العنزيّ شرٌّ من بعثت فعاقبه عقوبته التي هو أهلها واقتله شرّ قتلة! فلما قدم به على زياد بعث به زياد إلى قسّ التّاطف فدُفِن به حيّاً!.

دفنه حيّاً! الأمير المسلم يدفن أحد المسلمين حيّاً لأنّه رفض أن يتبرأ من عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ هل هذا من الإسلام؟ في أيّ سورة قرآنية يوجد هذا؟ في أيّ حديث نبوي؟ منذ متى صارت البراءة من الإمام علي بن أبي طالب من الإسلام والمؤرّخون يروون هذا ولا يظهرون شيئاً يفيد أنّهم من أهل الوجدان، وأن ضمائرهم بقيت حيّة!

وحينما يبحث الباحث في كتب الرّجال عن عبد الرّحمن العنزي لا يكاد يجد له ذكراً، بينما يجد من الرّواة من هو من أبناء عبد الرحمن العنزي.

وقد زعم بعض المتعمّقين في فهم الأحداث أنّ معاوية بن أبي سفيان لم يكن ييغض عليّاً، ولا كان يلعنه ويسبّه ويشتمه، وإنّما تعجب من سعد بن أبي وقاص لم لا يسبّ الإمام عليّاً عليه السلام فقط، فقال له "ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟" عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: ثمّ أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له النّبي ﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حُمُر التّعم. سمعت النّبي ﷺ يقول له وخلفه في

بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان فقال له النبي ﷺ أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي؟ وسمعه يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال فتناولها لها فقال: ادعوا لي علياً؛ فأتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه. ولما نزلت هذه الآية ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ دعا النبي ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي^(١). فمعاوية لم يأمر بسب الإمام علي عليه السلام وإنما تعجب من سعد بن أبي وقاص لا امتناع الأخير من سب علي عليه السلام وبناء على كلامهم يكون المولى سبحانه وتعالى قد تعجب من امتناع إبليس - لعنه الله - من السجود ولم يأمره بذلك؛ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

في رأيي أن الذين كانوا يحملون الناس على البراءة من علي عليه السلام لم يكونوا يتصرفون بدافع انتقام شخصي، وإنما كانوا يريدون من الناس البراءة من رسول الله ﷺ نفسه، لأن الإمام علياً عليه السلام هو الامتداد الطبيعي لرسول الله ﷺ، وهو خليفته الشرعي في مقابل خليفة السقيفة، وتهميشه وحمل الناس على سبه وشتمه قد يؤدي في الأخير إلى نسيانه ونسيان خطئه الذي هو خطأ رسول الله ﷺ؛ وبذلك يمكن للحاكمين أن يخطئوا ويمهدوا لإسلام أموي يحتفظ ببعض الشعائر ويفرغ الإسلام من محتواه الحقيقي؛ وقد كان معاوية يصرح لمقربيه بشدة عداوته وبغضه لرسول الله ﷺ، ويتألم من سماع المآذن تردد "أشهد أن محمداً رسول الله". فسب وشتم ولعن الإمام علي عليه السلام هو مخطط له أهدافه على المدى البعيد، وقد أثمر هذا

(١) صحيح مسلم، ج ٤ ص ١٨٧١ الحديث رقم ٢٤٠٤ دار إحياء التراث العربي بيروت تحقيق الأرنؤوط.

المخطّط إلى حدّ ما، وأوجد للإمام علي عليه السلام أعداءً في بقاع كثيرة من الأرض، وبفضل ذلك المخطّط انتشرت ثقافة التّصب في الأرض، وصارت ديناً يدان به؛ وجاء ابن تيمية وتلاميذه فشتّوا على الإمام علي عليه السلام حرباً شعواء، وافترّوا عليه وتنقّصوه كما تنقّصه آبائهم من قبل، وزعموا أن حبّه لا ينفع وأن بغضه لا يضرّ، فكذبوا بذلك رسول الله ﷺ طائعين غير مكرهين؛ ثم استلم أتباعهم من نجد راية الحقّ على أولياء الله تعالى وسّمّوها التّوحيد، وكفّروا من يخالفهم وعاثوا في الأرض فساداً ولازالوا يعيشون. فالمخطّط الأمويّ قد نجح إلى حدّ ما، لكنّه نجاح مؤقت يعيش على التّضليل والتّجهيل، ولا يخدع أهل البصيرة والدين.

كان بنو أميّة يعلمون أنّ مخطّطهم يحتاج إلى أناس يبغضون الإمام علياً عليه السلام فعلاً، لا إلى أشخاص انتهازيّين يعملون حسب الطّلب لنفخ جيوبهم وإشباع غرائزهم، فإنّ الانتهازيّ قد يتوقّف يوماً ما عن عمل معيّن لأنّه لم يعد مناسباً له، أو لأنّ المرحلة من العمر لم تعد مناسبة، أو لأنّ العمل نفسه صار مُتعباً أو مُرهقاً. أمّا الحقود فإنّ حقه يزداد بمرور السّنين شدة وقوة، والحقّ أياً كان منشؤه فإنّ نتيجته هي نفسها في كلّ زمان ومكان، وقد ظهر ذلك للعالم أجمع في أحداث البوسنة وأحداث رواندا، وما يتعرّض له الفلسطينيون يومياً على يد أعداء البشريّة. فالحقّ يبقى شاباً على مرّ القرون، والحاقدون يعيشون مع حقدهم ويأخذون شيئاً منه معهم إلى قبورهم، ويوصون بالباقي إلى من يتقون فيه من بعدهم. وقد كان بنو أميّة من هؤلاء الحاقدين، وكان المغيرة بن شعبة شريكهم في تلك الصّفة المشثومة؛ فالروايات والأخبار تشير إلى مواقف افتضح فيها المغيرة على يد الإمام علي عليه السلام، وليس

الإمام علي عليه السلام ممن يتتبعون العثرات، لكنّه من المؤمنين على الدين، ومن حقّه أن يحذّر المسلمين من المتلبّسين بالدين لأجل الأغراض الدنيويّة، وقد كان المغيرة بن شعبة ومعاوية وعمرو بن العاص منهم؛ ولذلك فإنّه عليه السلام يقول بخصوص معاوية وعمرو بن العاص: "إنّهما الناس، إنّني أحقّ من أجاب إلى كتاب الله، ولكنّ معاوية وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وابن أبي سرح، وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّني أعرف بهم منكم، صحبتهم صغاراً ورجالا، فكانوا شرّ صغار وشرّ رجال، ويحكم إنّها كلمة حقّ يراد بها باطل! إنّهم ما رفعوها أنّهم يعرفونها ويعملون بها، ولكّنها الخديعة والوهن والمكيّدة! أعيروني سواعدكم وجماحكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحقّ مقطعه، ولم يبق إلّا أن يقطع دابر الذين ظلموا"^(١). فهو يقول عنهم بصراحة "ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن"، وإذا لم يكونوا أهل دين ولا قرآن فهم قطعاً أصحاب دنيا وطمع، وصاحبُ الدنّيا ليس بالشخص المؤمن.

وكما وصف الإمام علي عليه السلام معاوية وأصحابه وصف المغيرة أيضاً، فقد قال عليه السلام لعنّار بن ياسر وقد رآه يوماً يحاور المغيرة: "دعه فإنّه لن يأخذ من الآخرة إلّا ما خالطته الدنّيا"^(٢)! وفعلاً، لم يأخذ المغيرة من الدين إلّا ما خالطته الدنّيا، وكانت حياته عبارة عن طلب الدنّيا بشتّى الوسائل، وهو ما يشهد به سجل حياته. وأشدّ ما فيها أنّه كان متبرّعاً لبني أميّة بسبّ وشتم ولعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام محاولاً بذلك شفاء غيظه وإشباع حقه، وقد كان له ما أراد لكنّه لم يفلح في إطفاء نور الإمام عليه السلام، وإنّما أفلح في إغواء أشباهه ممّن ظاهرهم الدين وباطنهم الشّهوات

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٢١٦.

(٢) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدّينوري [تحقيق الزّيني] ج ١ ص ٥٠.

والأحقاد. ورغم أن المحدثين والمؤرخين تفتنوا في دفن الروايات التي تشير إلى سوء السيرة لدى الصحابة إلا أن روايات كثيرة وصلتنا تشير إلى أن عدداً مهماً منهم لم يتخلّ عن الجاهلية لحظة واحدة وإن كان يحافظ على الظاهر من الإسلام، والدليل على ذلك أنهم عمدوا إلى ما أمر به النبي ﷺ فحاربوه، وإلى ما نهى عنه النبي ﷺ فتبؤوه واتخذوه ديناً. فقد قضى النبي ﷺ مدةً من عمره الشريف ينوّه بالإمام علي عليه السلام ويقيم الحجة على مخالفيه، إلا أن معاوية والمغيرة بن شعبة ومن معهما أبوا إلا أن يشنّوا عليه حرباً لا هوادة فيها، وحملوا الناس بالسيف على سبّه وشتمه والبراءة منه، والمسلم العاقل يعلم أنه لا يحلّ له أن يتبرأ من مسلم بسيط من عوام المسلمين، فكيف بالبراءة ممن هو من رسول الله بمنزلة هارون من موسى؛ وحينما يذكر المغيرة بن شعبة الإمام علياً عليه السلام على ملا من الناس في الجمعة وغير الجمعة، فإنه يفتری عليه افتراءً ظاهراً لا يوافقّه عليه من كان في قلبه ذرّة من إيمان. قال البلاذري: سمع حجر المغيرة يقول يوماً لعن الله فلاناً - يعني علياً - فإنه خالف ما في كتابك، وترك سنّة نبيك، وفرّق الكلمة وهراق الدماء، وقتل ظالماً، اللهم العن أشياعه وأتباعه ومحبيه والمهتدين به، والآخذين بأمره.. " فوثب حجر (رض) فنعر بالمغيرة نكرة سمعت من كل جانب من المسجد، وسمعت خارجاً منه ^(١) ..

كان ذلكم كلام المغيرة بخصوص الإمام علي عليه السلام فهو يقول عنه: خالف ما في كتاب الله، وترك سنّة نبيّه، وفرّق الكلمة وهراق الدماء، وقتل ظالماً!

فمتى حصل ذلك؟ وما هي المواطن التي خالف فيها الإمام علي عليه السلام كتاب الله

(١) أنساب الأشراف، البلاذري، ج ٥ ص ٢٥٢ دار الفكر، الطبعة الأولى.

تعالى؟ وكيف يكون ذلك وقد قال النبي ﷺ: "عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليٍّ"
وأكد بعد ذلك بقوله: "ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض" (١)؟!

كيف يكون الإمام علي عليه السلام مع القرآن ومخالفاً له في نفس الوقت؟!

ثمَّ يقول المغيرة: "وترك سنّة نبيّه" فمتى كان ذلك؟ ومن ذا الذي ادّعاه غير
المغيرة والقاسطين والتاكثين والمارقين؟! أليس الإمام علي عليه السلام هو الذي أحيا سنّة
النبي ﷺ بعد أن كادت تندرس؟! ألم تعرض عليه الخلافة مقابل أن يجعل سيرة
الشيخين من شريعة الإسلام فأبى؟ هل يستطيع المغيرة وأنصاره أن يشيروا إلى
موطن من المواطن ترك فيه الإمام علي عليه السلام سنّة رسول الله ﷺ؟

ثمَّ يقول المغيرة: "وفرق الكلمة وهراق الدماء، وقتل ظالماً!"

أليس الإمام علي عليه السلام هو الذي صبر وهو يرى ترائه نهياً لأجل جمع كلمة
المسلمين؟

ويقول: "قتل ظالماً!" وقد اتفق العلماء أن الإمام علياً عليه السلام كان مصيباً في حروبه كلها
سواء ما كان منها مع الخوارج أم ما كان مع أصحاب الجمل وأصحاب صفين. وقد
سمّى رسول الله ﷺ الفرق الثلاث بـ "الناكثين والقاسطين والمارقين".

(١) المستدرک، الحاكم النيسابوري، ج ٣، ص ١٢٤ ومجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٩، ص ١٣٤ و المعيار
والموازنة، أبو جعفر الإسكافي، ، ص ٤٥ و المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٥، ص ١٣٥ و المعجم الصغير،
الطبراني، ج ١، ص ٢٥٥ و الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي ج ٢، ص ١٧٧ و كنز العمال، المتقي
الهندي، ج ١١ ص ٦٠٣ حديث ٣٢٩١٢ تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٢١ حديث ٧٦٤٣ و المناقب،
الموفق الخوارزمي، ، ص ١٧٧، ونبایع المودة لذوي القربى، القندوزي، ج ١، ص ١٢٤ و ج ٢، ص
٩٦ و ج ٢، ص ٣٩٦ و ج ٢، ص ٤٠٣ والنصائح الكافية، محمد بن عقيل ص ٢٥١.

هل يستطيع أحد أن يثبت أن المغيرة كان صادقاً في كلمة واحدة مما قال؟
وهذه أمثلة أخرى لما كان يقوم به المغيرة بن شعبة بخصوص الإمام علي عليه السلام:
تكلم المغيرة بن شعبة فشتهم علياً وقال: والله ما أعيبه في قضية يخون ولا في حكم
يميل، ولكنه قتل عثمان^(١).

و في البيان و التبيين : جلس معاوية (رض) بالكوفة يبائع على البراءة من
علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه، فجاءه رجل من بني تميم فأراد على ذلك
فقال: يا أمير المؤمنين، نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم؛ فالتفت إلى المغيرة فقال:
إن هذا رجل فاستوص به خيراً^(٢).

وخطب المغيرة فنال من علي^(٣)

و أيضاً: كان [المغيرة] في المسجد الأكبر و عنده أهل الكوفة، فجاء رجل من أهل
الكوفة فاستقبل المغيرة فسبّ و سبّ، فقال سعيد بن زيد: من يسبّ هذا يا مغيرة،
قال: يسبّ علي بن أبي طالب^(٤)...

وفي معجم الطبراني، عن عمران بن حدير أظنه عن أبي مجلز قال: قال عمرو بن
العاص والمغيرة بن شعبة لمعاوية إن الحسن بن علي عيب وإن له كلاماً ورأياً، وإنه قد

(١) جمهرة خطب العرب، ج ٢ ص ٢٢ أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية بيروت.

(٢) البيان و التبيين، الجاحظ، ج ١ ص ٢٦٦: دار صعب بيروت ١٩٦٨.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي ج ١ ص ١٠٥ و سير أعلام النبلاء الذهبي، ج ١ ص ١٠٤ مؤسسة الرسالة
بيروت ١٤١٣.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي ج ١ ص ١٠٣.

علمنا كلامه، فيتكلم كلاماً فلا يجد كلاماً، فقال لا تفعلوا فأبوا عليه، فصعد عمرو المنبر فذكر علياً ووقع فيه، ثم صعد المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى على عثمان ثم وقع في علي رضي الله عنه، ثم قيل للحسن بن علي: اصعد؛ فقال لا أصد ولا أتكلم حتى تعطوني إن قلت حقاً أن تصدقوني وإن قلت باطلاً أن تكذبوني فأعطوه، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: يا الله يا عمرو وأنت يا مغيرة تعلمان أن رسول الله ﷺ قال: "لعن الله السائق والراكب أحدهما فلان؟ قالوا: اللهم نعم. قال أنشدك الله يا معاوية يا مغيرة، أتعلمان أن رسول الله ﷺ لعن عمرا بكل قافية قالها لعنة؟ قالوا: اللهم بلى^١. قال أنشدك الله يا عمرو وأنت يا معاوية بن أبي سفيان أتعلمان أن رسول الله ﷺ لعن قوم هذا قالوا: بلى. قال الحسن: فإني أحمد الله الذي وقعتم في من تبرأ من هذا وذكر الحديث^(٢)..

عن عبد الله بن الأسود بن أبي عاصم الثقفي عن أبيه عن المغيرة بن شعبة قال رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين وقف على رجل من ثقيف مقتول فقال: أبعدك الله فأئك كنت تبغض قريشاً^(٣).

أقول: إذا كان هذا شأن من يبغض قريشاً، فكيف بمن يبغض بني هاشم قبيلة النبي ﷺ ويسب من يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله؟! هذا الحديث حجة على المغيرة يوم القيامة.

(١) الجواب بعبارة بلى في هذا المقام محل إشكال، لأن بلى يجاب بها عن سؤال مصحوب بالنفي.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٣ ص ٧١، ٧٢. دار إحياء التراث العربي، مكتبة ابن تيمية القاهرة.

(٣) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٠ ص ٣٨٢ تحت رقم ٨٩٥.

وقال ابن أبي الحديد [بخصوص المغيرة بن شعبة]: فلهذا قال أصحابنا البغداديون: "من كان إسلامه على هذا الوجه، وكانت خاتمته ما قد تواتر الخبر به، من لعن عليّ عليه السلام على المنابر إلى أن مات على هذا الفعل، وكان المتوسط من عمره الفسق والفجور وإعطاء البطن والفرج سؤالهما، وممالة الفاسقين، وصرف الوقت إلى غير طاعة الله، كيف نتولاه؟! وأيُّ عذر لنا في الإمساك عنه، وألاًّ نكشف للناس فسقه^(١)!" وفيه شهادة صريحة على المغيرة بن شعبة أنّه كان يلعن الإمام علياً عليه السلام وأنه مات مصراً على ذلك.

وأخرج الحافظ محمد بن ماجه بإسناده عن عبد الرحمن بن سابط عن سعد قال: قدم معاوية في بعض حجّاته فدخل عليه سعد، فذكروا عليّاً فقال منه، فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعت النبي ﷺ يقول من كنت مولاه فعليّ مولاه. وسمعتة يقول: أنت مميّ بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدى. وسمعتة يقول: لأعطين الراية اليوم رجلاً يحبّ الله ورسوله^(٢).

وقد بقي سبُّ ولعن الإمام علي عليه السلام عملاً رسمياً تشرف عليه الدولة الأموية، وهذه بعض الشواهد على ذلك:

خرج عطية مع ابن الأشعث على الحجاج فلما انهزم جيش ابن الأشعث هرب عطية إلى فارس، فكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن ادع عطية فإن لعن علي بن أبي طالب وإلاّ فاضربه أربعمائة سوط واحلق رأسه ولحيته! فدعاه

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ١٠.

(٢) سنن ابن ماجه، ج ١ ص ٤٥.

فأقرأه كتابَ الحجاج فأبى عطية أن يفعل، فضربه أربعمئة وحلق رأسه ولحيته^(١)...

قال اليعقوبي: ثم أدب معاوية إلى الشام، ولم يقض لهم حاجة. وفي هذه السنة عمل معاوية المقصورة في المسجد، وأخرج المنابر إلى المصلّى في العيدين، وخطب الخطبة قبل الصلاة، وذلك أن الناس إذا صلّوا، انصرفوا لثلاث يسمعون لعن عليّ، فقدّم معاوية الخطبة قبل الصلاة، ووهب فداً لمروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل رسول الله^(٢)..

وقال في معرض الحديث عن عمر بن العزيز: كتب إلى عمّاله جميعاً: أمّا بعد، فإنّ الناس قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله، وسُنن سيّئة سنّتها عليهم عمّالُ السوء، قلّما قصدوا قصدَ الحقِّ والرّفق والإحسان، ومن أراد الحجّ، فعجّلوا عليه عطاءه، حتى يتجهّز منه، ولا تُحدثوا حدثاً في قطع وصلب حتى تُؤامروني، وترك لعن عليّ بن أبي طالب على المنبر، وكتب بذلك إلى الآفاق، فقال كثير:

وليت فلم تشتم عليّاً ولم تخف برياً ولم تتبع مقالة مجرم.

وأعطى بني هاشم الخمس، وردّ فداً وكان معاوية أقطعها مروان، فوهبها لابنه عبد العزيز، فورثها عمر منه، فردّها على ولد فاطمة^(٣)..

ولم ينبج من هذه البليّة إلاّ أهل سجستان فإنّهم لم يسمحو أن يُلعن على منابرهم أحد.

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٦، ص ٣٠٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٠٥.

المغيرة يفشّ حزبه

عن الليث: قال كان المغيرة بن شعبة قد اعتزل، فلمّا صار الأمر إلى معاوية كتب المغيرة إلى معاوية إني أشكو إلى الله وإليك كبر سنّي، ونفاد أهل بيتي، وجفوة قريش عني؛ فكتب إليه معاوية: أمّا ما ذكرت من كبر سنّك فإنّه لم يكن يشركك فيما ذهب منك أحدٌ، وأمّا ما ذكرت من نفاد أهل بيتك فقد تُوفي آل أبي سفيان فما عدمت أحداً منهم شيئاً. وأمّا جفوة قريش عنك، فهم حملوك على رقاب النّاس! فلمّا رأى أنّه ليس عنده من الغضب إلّا هذا قدم عليه، فلمّا دخل عليه دعا له فيما أعطاه الله من الطّفر، والتّصر، والعون على ما حمّل، ثمّ قال: وجزاك الله عن أبي عبد الله خيراً - يريد عمرو بن العاص وكان قد أمره على مصر وأمر ابنه على العراق - فقد صنعت به وصنعت فقال معاوية: إني والله لقد فعلت. فقال المغيرة في آخر ذلك: أي معاوية داهية العرب، جعلت الأسد بين يديك، وشبليه بين كتفيك، وجعلت في الشّام هذا الذي لو نالت منه عجوز أمعدته؟ قال: فكيف لي به؟ قال: أكفيك. قال فخرج المغيرة ودخل عمرو على معاوية فقال: قد جاءك أعورٌ ثقيف من كل طير بريشة؟ قال: لا تفعل يا أبا عبد الله، فإنّه أوّل ما كلّمني به بعد الدعاء لي فيما حمّلت ما غبطني به فيما فعلت بيبي وبينك، وما عظم من حقّك، وذكر من فضلك. فخرج عمرو من عند معاوية بما أخبره عنه وقد تفتّح قلبه للمغيرة بما أخبره عنه، وذهب الذي في نفسه عليه؛ فأقبل عمرو إلى منزله فوجد المغيرة بالباب يلتمس الدّخول عليه، فأذن له، فدعا لهم فيما أعطاهم الله من الطّفر وما جمع من أمر أمّة محمد ﷺ على أيديهم، ثمّ قال بعد ذلك لعمرو بن العاص: داهية العرب، جعلت شطرك بالمغرب وشطرك

بالمشرق وإنما هذا - يريد معاوية - هامة اليوم أو غداً، فكيف بك إذا اختلف أمر الناس على أيّ شقيك تقبل؟ وبأيّهما تهتم؟ قال: صدقت لعمر الله، ثم ذهب إلى معاوية فقال: اعف لي عبد الله من العراق. فقال معاوية: ما أنا بفاعل! فألح عليه عمرو بن العاص، وألح معاوية في الإبقاء حتى قال عمرو: فإن شئت فررناه جذعة. فقال معاوية: أمّا إذا بلغ هذا منك فقد أعفيناه لك. وأرسل معاوية مكانه حين خرج عمرو بن العاص إلى المغيرة بن شعبة فولّاه العراق، فذكر ذلك لعمرو فقال: خدعني! فأتى معاوية فقال: بعثت المغيرة إلى العراق؟ قال: نعم، هذا عملك غلبتني على عبد الله فلم أجد منه بداً؛ فقال عمر: فتأمنه على المال؟ قال: فما ترى؟ قال: أرى أن تبعث على الأموال رجلاً، فلا يُقدم المغيرة منه على قليل ولا كثير إلاّ بأمرك. ففعل معاوية ذلك؛ فقال المغيرة حين جاءه ذلك: قد استوفى بعض الاستيفاء ولم يبلغ الذي بلغنا^(١).

المغيرة والرشوة

ذكر ابن حجر في ترجمة المغيرة بن شعبة ما يلي:

قال قبيصة بن جابر: صحبت المغيرة، فلو أن مدينتها ثمانية أبواب لا يُخرج من باب منها إلاّ بالمكر لخرج المغيرة من أبوابها كلّها، وولّاه عمر البصرة ففتح ميسان وهمدان وعدّة بلاد، إلى أن عزله لما شهد عليه أبو بكره ومن معه. قال البغوي: كان أوّل من وضع ديوان البصرة. وقال ابن حبّان: كان أوّل من سلّم عليه بالإمرة. ثمّ ولّاه عمر الكوفة وأقرّه عثمان ثمّ عزله، فلما قتل عثمان اعتزل القتال إلى أن حضر مع

(١) تاريخ دمشق، ابن عسّكر، ج ٦٠ ص ٤٧.

الحكمين! ثم بايع معاوية بعد أن اجتمع الناس عليه، ثم ولّاه بعد ذلك الكوفة، فاستمرّ على إمرتها حتّى مات سنة خمسين عند الأكثر... قال البغوي: حدّثني حمزة بن مالك الأسلمي، حدّثني عمّي شيبان بن حمزة عن دويد، عن المطّلب بن حنطب قال، قال المغيرة: أنا أوّل من رشا في الإسلام؛ جئت إلى يرفأ حاجب عمر، وكنت أجالسه، فقلت له: خذ هذه العمامة فالبسها، فإنّ عندي أختها. فكان يأنس بي ويأذن لي أن أجلس من داخل الباب، فكنت آتي فأجلس في القائلة، فيمرّ المارّ فيقول: إنّ للمغيرة عند عمر منزلة! إنّّه ليدخل عليه في ساعة لا يدخل فيها أحد... وذكر البغويّ من طريق زيد بن أسلم أنّ المغيرة استأذن على عمر فقال أبو عيسى قال: من أبو عيسى؟ قال: المغيرة بن شعبة. قال فهل لعيسى من أب؟ فشهد له بعض الصّحابة أنّ النّبي ﷺ كان يكتّبه بها فقال: إنّ النّبي ﷺ غفر له وإنّا لا ندرى ما يفعل بنا وكناه أبا عبد الله..

وأخرج ابن شاهين من طريق كثير بن زيد عن المطّلب بن حنطب عن المغيرة قال: كنت آتي فأجلس على باب عمر أنتظر الإذن على عمر، فقلت ليرفأ حاجب عمر خذ هذه العمامة فالبسها فإنّ عندي أختها، فكان يأذن لي أن أقعد من داخل الباب، فمن رأيّ قال إنّّه ليدخل على عمر في ساعة لا يدخل غيره^(١).

عن نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر قال: توفّي عثمان بن مظعون، وترك ابنة له من خويلة بنت حكيم بن أميّة بن حارثة بن الأوقص، قال وأوصى إلى أخيه قدامة بن مظعون، قال عبد الله وهما خالاي، قال فخطبت إلى

(١) الإصابة، ابن حجر، ج ٦ ص ١٩٧.

قُدّامة بن مظعون ابنة عثمان بن مظعون فزوّجنيها، ودخل المغيرة بن شعبة يعني إلى أمّها فأرغبها في المال [!] فحطت إليه وحطت الجارية إلى هوى أمّها، فأبيا حتى ارتفع أمرهما إلى رسول الله ﷺ، فقال قدامة بن مظعون: يا رسول الله، ابنة أخي أوصى بها إلي فزوّجتها ابن عمّتها عبد الله بن عمر، فلم أقصّر بها في الصّلاح ولا في الكفّاءة، ولكنّها امرأة وإّما حطت إلى هوى أمّها، قال فقال رسول الله ﷺ: هي يتيمةٌ ولا تُتّكح إلّا بإذنّها، قال فانتزعت والله متى بعد أن ملكتها فزوّجها المغيرة بن شعبة^(١).

أقول: رغب المغيرة أمّ البنت في المال - أي رشاه - وانتزعها من عبد الله بن عمر (ابن عمّتها)، فهل احتفظ بها المغيرة أم أنّه طلقها كما طلق المئات قبلها؟! والعجيب أن المغيرة يقول عن عبد الله بن عمر "القويّ الأمين" !

قد يقول قائل: لو كان المغيرة غير مُحقّق في القضيّة لما أنفذها رسول الله ﷺ، وهذا كلامٌ من هو غير ملتفت إلى المسألة، لأنّ الذين ترافعوا إلى النّبي ﷺ الأمّ والبنت وقدامة بن مظعون، وليس المغيرة طرفاً في النزاع، والنّبي ﷺ إمّا حكم بينهم وفقاً للواقع، بغضّ النظر عن أيّ شخص خارج الأطراف الثلاثة، فحتّى لو كان الشّخص الذي رغب أمّ البنت في المال شخصاً آخر غير المغيرة فإنّ الحكم سيكون هو نفسه. ويبقى هناك سؤال يوجّه إلى محبّي المغيرة والمعجبين به، إذ المغيرة كان ذوّاقاً مطلقاً، والسؤال هو: هل بقيت هذه البنت اليتيمة عند المغيرة أم أنّه طلقها بعد أن ذاقها كما طلق العشرات - أو المئات - قبلها؟ هذا هو السؤال المهمّ.

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج ٢ ص ١٣٠.

الفصل السادس

المغيرة و النساء

المغيرة والنساء

قال أبو سليمان في حديث المغيرة أنه قال: أحصنتُ ثمانين امرأةً، فأنا أعلمكم بالنساء^(١).

هكذا يتكلّم المغيرة، حريصاً على أن يكون له خصوصيّةٌ في كلّ شيء؛ فهو آخرهم عهداً برسول الله، وهو أوّلُ مَنْ رشا في الإسلام، وأوّلُ مَنْ سلّم عليه بالإمرة، و...وهو أعلمهم بالنساء!

وعن ابن وضّاح قال : حدّثنا سحنون عن ابن نافع قال : أحصن المغيرة بن شعبة ثلاثمائة امرأة في الإسلام. قال ابن وضّاح : غير ابن نافع يقول : ألف امرأة^(٢).

أقول: هذا في الإسلام! فما هو عدد النساء اللاتي خالطهنّ قبل الإسلام، وهو الذي كان يقال عنه أزنّ ثقيف^(٣)، أي أكثرهم زناً.

وقال ابن الأثير: قيل: إنّ المغيرة أحصن ثلاثمائة امرأة في الإسلام وقيل: ألف امرأة^(٤).

هكذا تحدّثوا عن زواجات المغيرة بن شعبة وطلاقاته كما لو كانت إنجازات، ولم يُشر أحدٌ منهم إلى فظاعة المسألة، وهم يعلمون أنّه لو أصبح كلّ الناس أو جُلّهم

(١) غريب الحديث، الخطابي، ج ٢ ص ٥٤٥ تحت رقم ٥٤.

(٢) الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ١ ص ٤٥٣.

(٣) قال الأصفهاني : وقد روى المدائني أنّ المغيرة كان أزنّ الناس في الجاهليّة، فلمّا دخل في الإسلام قيّده الإسلام وبقيت عنده منه بقية ظهرت في أيام ولايته البصرة.

(٤) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ١ ص ١٠٤٠.

على طريقة المغيرة لما ترك على ظهرها من دابة، لأن الفساد ساعتها يكون أوسع من أن يُرتق، كما يكون استهزاءً بالدين. وهم في نفس الوقت يذكرون أن النبي ﷺ لعن كل مذواق مطلق.

ما هو موقف النبي ﷺ من مثل هذه الأعمال التي يسعى وراءها المغيرة بن شعبه وأمثاله؟ ونحن نفهم من موقف النبي ﷺ موقفاً إلهياً سماوياً تنسجم معه الفطرة، لأن النبي ﷺ ليس من أهل المزاج والهوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

عن شهر بن حوشب قال: تزوج رجل وامراً على عهد النبي ﷺ فطلقها، فقال له النبي ﷺ: طلقته؟ قال: نعم؛ قال: من بأس؟ قال: لا، يا رسول الله. ثم تزوج أخرى ثم طلقها، فقال له رسول الله ﷺ: طلقته؟ قال: نعم؛ قال: من بأس؟ قال: لا، يا رسول الله! ثم تزوج أخرى ثم طلقها، فقال له رسول الله ﷺ: أطلقته؟ قال: نعم، قال: من بأس؟ قال: لا، يا رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ في الثالثة: إن الله لا يحب كل ذواق من الرجال، ولا كل ذواقه من النساء^(١).

أقول: كلام رسول الله ﷺ واضح، وبلسان عربي مبين، لا يحتاج إلى مترجم، بل يفهمه كل من يعرف اللغة العربية، ويفهمه أيضاً كل من يترجم إلى لغته بزاهة وأمانة بما أن النبي ﷺ صادق في كل ما يقول، فإن الله لا يحب كل ذواق من الرجال، والمغيرة ذواق من الرجال، فلا ريب أن تكون النتيجة "إن الله لا يحب المغيرة بن شعبه".

وفي مرقاة المفاتيح: وأما ما روى "لعن الله كل ذواق مطلق" فمحملة الطلاق لغير حاجة، بدليل ما روى من قوله "أيما امرأة اختلعت" من زوجها بغير نشوز

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٤ ص ١٨٧ الحديث رقم ١٩١٩٣.

فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.^(١)

أقول: إذا كان الله تعالى يلعن المرأة التي تختلع من زوجها بغير نشوز، فكيف يكون موقفه ممن يختلع^(٢) من عشرات النساء بدون نشوز؟!

ونقل الآلوسي عن البيهقي قوله: "البغض على إيقاعه كل وقت من رعاية لوقتته المسنون وبطلانه ﷺ حفصة، ثم أمره تعالى إياه أن يراجعها فإنها صوامة قوامة". وقال غير واحد هو محظور لما فيه من كفران نعمة التكاح، ولقوله عليه الصلاة والسلام لعن الله كل مذواق مطلق وإثما أبيح للحاجة"^(٣).

وفي شرح فتح القدير: وأما ما روى "لعن الله كل ذواق مطلق" فمحملة الطلاق لغير حاجة، بدليل ما روى من قوله ﷺ أيما امرأة اختلعت من زوجها بغير نشوز فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. ولا يخفى أن كلامهم فيما سيأتي من التعليل يصرح بأنه محظور لما فيه من كفران نعمة التكاح وللحديثين المذكورين وغيرهما، وإثما أبيح للحاجة، والحاجة ما ذكرنا في بيان سببه، فبين الحكمين منهم تدافع، والأصح حظره إلا لحاجة للأدلة المذكورة^(٤).

وقال السرخسي في المبسوط:

ومن الناس من يقول لا يباح إيقاع الطلاق إلا عند الضرورة لقوله ﷺ: "لعن الله

(١) مرقاة المفاتيح، ج ٦، ص ٣٨٦

(٢) عبارة يختلع هنا للمشكلة، وإلا فإن الخلع خاص بالنساء.

(٣) روح المعاني، الآلوسي، ج ٢٨ ص ١٣٢.

(٤) شرح فتح القدير، ج ٣ ص ٤٦٥.

كلّ ذوّاق مطلق" وقال ﷺ: "أيما امرأة اختلعت من زوجها من نشوز فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين". وقد روي مثله في الرجل يخلع امرأته ولأنّ فيه كفران التّعمة، فإنّ التّكاح نعمة من الله تعالى على عباده، قال الله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ وقال الله تعالى: ﴿زين للناس حبّ الشّهوات من النساء..﴾ الآية، وكفران التّعمة حرامٌ وهو رفع التّكاح المسنون، فلا يحلّ إلاّ عند الضّرورة، وذلك إمّا كبر السنّ لما روي أنّ سودة لما طعنت في السنّ طلقها رسول الله ﷺ^(١). وقال في كتاب الحجر: وكذلك لو تزوّج أربع نسوة أو تزوّج كلّ يوم واحدة ثمّ طلقها، وبهذا يحتجّ أبو حنيفة رحمه الله أنّه لا فائدة في الحجر عليه لأنّه لا ينسد باب إتلاف المال عليه وأنّه يتلف ماله بهذا الطريق إذا اعجز عن إتلافه بطريق البيع والهبة وهو يكتسب المحمّدة في البرّ والإحسان والمذمّة في التزوّج والطلاق، قال عليه الصلاة والسلام: لعن الله كلّ ذوّاق مطلق^(٢).

وفي تفسير الثّعلبي: وقال ﷺ: لا تطلقوا نساءكم إلاّ عن رغبة، فإنّ الله لا يحبّ الذّواقين ولا الذّواقات^(٣).

وفي البحر الرائق: وفي المعراج إيقاع الطّلاق مباح وإن كان مبغضاً في الأصل عند عامّة العلماء، ومن الناس من يقول لا يباح إيقاعه إلاّ لضرورة كبر سنّ أو رغبة لقوله عليه السّلام لعن الله كلّ مذواق مطلق" ولنا إطلاق الآيات، فإنّه يقتضي الإباحة مطلقاً، وطلق النّبي حفصة (رض) فأمره الله تعالى أن يراجعها، فإنّها صوّمة قوامة،

(١) المبسوط، السرخسي، ج ٦ ص ٢.

(٢) المبسوط، السرخسي، ج ٢٤ ص ١٧٠.

(٣) تفسير الثّعلبي، ج ٢ ص ١٨٨.

ولم يكن هناك ريبةٌ ولا كبر سنٍّ، وكذا الصحابة (رض) فإنَّ عمر (رض) طَلَّقَ أمَّ عاصم وابن عوف تماضر والمغيرة بن شعبة أربع نسوة والحسن بن علي^(١) ..

أقول: في هذا الكلام افتراءٌ على سيّد شباب أهل الجَنَّة الحسن بن علي^{عليه السلام}، فإنَّه كلامٌ مرويٌّ من طرق أعدائه وأعداء أبيه، وشهادة الخصم على خصمه مردودةٌ في جميع الشرائع والمثل. ثمَّ أعود إلى التعليق عمّا ورد بخصوص الذّواقين فأقول:

الذّواق ملعونٌ على لسان رسول الله ﷺ، لكن حينما يكون الذّواق صحابياً اسمه المغيرة بن شعبة، يفقد حديث النبي ﷺ مصداقيته، ويتحوّل إشباع الشهوة الحيوانيّة إلى إحسان!

وتكلّموا في سلوك المغيرة الجنسيّ، لكن لم يجرؤ أحدٌ منهم أن يتأسّى برسول الله ﷺ ويظهر نفوره من هذا العمل، لأنّ عدالة جميع الصحابة - من الناحية العمليّة - مقدّمة عندهم على ما يحبه الله ورسوله وما يميّته الله ورسوله! ولعلّهم احتاطوا لمعتقدهم فرووا في صحيح البخاريّ ومسلم وغيرهما أنّ سليمان بن داود^{عليه السلام} طاف في ليلة واحدة على ستّين امرأة! نعم، طاف على ستّين امرأة في ليلة واحدة من ليالي الشّرق الأوسط التي لا تتجاوز أطول ليلة فيها [وهي ليلة ٢١ ديسمبر] خمس عشرة [١٥] ساعة! دون استراحة أو ترائزيت أو تزوّد بوقود أو... وهم يرون بأعينهم الرّياضيّين في الملاعب يأخذون ربع ساعة أو أكثر بين الشّوطين للاستراحة قبل الاستئناف، وحينما تفضي المقابلات إلى الوقت الإضافيّ والركلات التّرجيحيّة يظهر التعب واضحاً على اللاعبين حتّى إنّ بعضهم يسقط أكثر من مرّة، علماً أنّ تلك الرّياضة أقلّ مشقّة من

ذلك الشأن المنسوب إلى سليمان بن داود عليه السلام في الصّحّاحين وغيرهما، إضافةً إلى بشاعة المنظر حيث تُرى ستون (٦٠) امرأةً في صفّ طويل، طويل، في انتظار التوبة، وكلّ واحدةٍ منهنّ عالمةٌ بسبب وقوفها ووقوف الأخريات، وإلاّ فمُنظر ستّين غرفةً مجهزةً لاستقبال نبيٍّ من أنبياء الله تعالى صلوات الله على نبينا وآله وعليهم، وهو ما يعادل حيّاً سكنيّاً كاملاً؛ فإذا كان هذا ديدن نبيّ الله سليمان عليه السلام - وحاشاه من ذلك - فإنّ المغيرة بلهثه وراء الشّهوة سيكون متشبّهاً بسليمان عليه السلام!! هل صلىّ سليمان عليه السلام ليلتها فرائضه؟ هل تهجّد؟ هل ذكر الله تعالى قائماً أو قاعداً أو جنبه؟ هل كان يغتسل لكلّ شوط؟ هل كان يأخذ وقتاً مستقطعاً يلتقط فيه أنفاسه؟

على البخاريّ وأبي هريرة أن يجيبا عن هذه الأسئلة دون اللّجوء إلى فكرة المعجزة أو ما يجري مجراها، فإنّ الله تعالى أجلّ من أن يضع معجزاته في هذه الأمور، والمعجزة إنّما تكون في مقام التحدّي ولم يكن هناك تحدّي وإذا كان الإسراف في شهوتي الطّعام والشّراب غير مقبول عند الله تعالى، فكيف بالإسراف في هذه الشّهوة؟ وعلى كلّ حال، فإنّ كاتب هذه السّطور لا يشكّ في أنّ قصّة سليمان المذكورة في صحيح البخاريّ هي من ذلك الكمّ الهائل من الإسرائيليات التي نُقلت إلى تراث المسلمين عن طريق كعب الأحبار، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، ووهب بن منبه، وتميم الداري.

قال ضمرة بن ربيعة عن ابن شاذب: أحصن المغيرة بن شعبة أربعاً من بنات أبي سفيان! وروى بكر بن عبد الله المزنيّ عن المغيرة بن شعبة - في حديث ذكره - ولقد تزوّجت سبعين امرأةً أو بضعاً وسبعين امرأةً. وقال ليث بن أبي سليم قال المغيرة بن

شعبة: أحصنت ثمانين امرأةً وقال حرملة بن يحيى عن بن وهب: سمعت مالكا يقول: كان المغيرة بن شعبة نكاحاً للنساء، وكان يقول صاحبُ الواحدة إن مرضت مرض معها، وإن حاضت حاض معها، وصاحبُ المرأتين بين نارين تشتعلان، وكان ينكح أربعاً جميعاً ويطلقهنَّ جميعاً^(١)! وقال محمد بن وضاح عن سحنون بن سعيد عن عبدالله بن نافع الصائغ: أحصن المغيرة بن شعبة ثلاث مائة امرأة في الإسلام. قال ابن وضاح غير بن نافع يقول ألف امرأة. وقال الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي: سمعت المغيرة بن شعبة يقول: ما غلبني أحد قط، وفي رواية ما خدعني أحد في الدنيا إلا غلامٌ من بني الحارث بن كعب، فأتي خطبت امرأةً منهم فأصغى إليَّ الغلام وقال: أيها الأمير، لا خير لك فيها، إني رأيت رجلاً يقبلها. فانصرفتُ عنها، فبلغني أن الغلام تزوجها، فقلت: أليس زعمت أنك رأيت رجلاً يقبلها؟ قال: ما كذبت أيها الأمير، رأيت أباها يقبلها؛ فكلما ذكرت قوله علمت أنه خدعني؛ وفي رواية فإذا ذكرت ما فعل بي غاظني ذلك.

أقول: لم يزل المغيرة يتلوّع ويتغيّظ ممّا فعل به الغلام، وكلّما ذكر ذلك تحرّك الألم في جوفه، وهذا واضح في قوله: "فإذا ذكرت ما فعل بي غاظني ذلك"؛ أي غاظه أنّه فوّت عليه شهوةً؛ لكنّه لم يظهر - ندماً أو مشاعر إنسانيّةً بخصوص ثلاثة عشر بريئاً كانوا رفقته في السّرّ ذبحهم وهم نيامٌ. فما أشدّ حسرة المغيرة حينما تفوته شهوة واحدة، وما أبلد حسّه ومشاعره حين يقتل الأبرياء ويتسبّح بفعلته وكأنّها إنجازٌ عظيمٌ.

وحينما يقول المغيرة بن شعبة "صاحب الواحدة إن مرضت مرض معها وإن حاضت حاض معها" هل يُدخل في قوله هذا أيضاً رسول الله ﷺ أيام كان مع خديجة، وعلياً عليه السلام في حياة فاطمة عليها السلام، وآدم مع حواء، وموسى مع أهله، وإبراهيم مع سارة، ونوحاً مع زوجته، وغيرهم من الأنبياء والأوصياء والصالحين الذين لم يكن لهم إلا زوجة واحدة؟ هل يصح أن يقال عن نبي من الأنبياء: "إن مرضت مرضت معها وإن حاضت حاض معها"؟!

وعن يحيى قال: قال المغيرة بن شعبة: "كنت أسترضى النساء بالباه، فأما اليوم فأني أترضاهن بالمال" ^(١).

أقول: هو ذاك، بعد سبعين سنة من الشُّبُّق والتَّهَم الجنسيّ لم يعد للمغيرة طاقة، وقد خرج أبو بكر من الدنيا مصراً على أن المغيرة زنى، وجعل ذلك في وصيته حتى يقطع الطريق على الزورين والمحرفين، حتى لا يقولوا تاب أبو بكر من شهادته على المغيرة؛ وهذا الفعل من أبي بكر دليل على ذكائه وفطنته وتمسكه بموقفه، مع تدبّر وورع، فقد رمى الكرة في شباك المغيرة وعُمر في آخر لحظة!

عن الشعبي قال: لما كان يوم القادسية طعن المغيرة بن شعبة في بطنه، قال فجئ بامرأة من طيء تخيط بطنه، فجعلت تخيطه، فلما نظر إليها وهي تخيط قال: ألك زوج؟ قالت: وما يشغلك ما أنت فيه من سؤالك إياي ^(٢)؟!

أقول: حتّى في مثل هذه الحال لا تنفتر شهوة المغيرة.

(١) تاريخ ابن معين، رواية الدوري، ج ٣، ص ١٩٩ رقم ٩١٤.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ج ٦٠ ص ٥٤.

عن ليث بن أبي سليم قال: قال المغيرة بن شعبة أحصتُ ثمانين امرأةً، فأنا أعلمكم بالنساء. كنت أحبس المرأة لجمالها، وأحبس المرأة لولدها، وأحبس المرأة لقومها، وأحبس المرأة لمالها. فوجدت صاحب الواحدة إن زارت زار، وإن حاضت حاض، وإن نفست نفس، وإن اعتلت اعتلَّ معها بانتظاره لها؛ ووجدت صاحب الاثنين في حرب، هما ناران تشتعلان؛ ووجدت صاحب الثلاث في نعيم. وإذا كنَّ أربعاً كان في نعيم لا يعدله شيءٌ، ولا يقتصرنَّ أحدكم على الواحدة فيكون مثله مثل أبي جفنة^(١).

أقول: هذا كلام من لا يهّمه الحساب والمعاد؛ فقد شهد القرآن الكريم أنَّ العدل بين النساء أمر صعبٌ شديدٌ، وأخبر رسول الله ﷺ أنَّ من كانت عنده امرأتان فمال مع إحداها جاء يوم القيامة يجزَّ أحد شقيّه؛ فالإسلام الحنيف حينما أجاز للرَّجل أربع نسوة لم يهمل مسألة العدل والحقوق؛ والمغيرة رجل لا يبالي أن يصفَّ أربع نسوة معاً، ويطلّتهن في لحظة واحدة لأنّه قضى منهن وطره، ويريد أذواقاً جديدةً.

قال الشنقيطي: وأخذ بعض العلماء من هذه الآية أن الوليَّ إذا أراد نكاح من هو وليّها جاز أن يكون هو التّاكح والمنكح، وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة والأوزاعي والثوري وأبو ثور، وقاله من التابعين الحسن وربيعة، وهو قول الليث. وقال زفر والشافعي لا يجوز له أن يتزوَّجها إلا بإذن السلطان، أو يزوّجها ولي آخر أقرب منه أو مساو له. وقال أحمد في إحدى الروايتين يوكل رجلاً غيره فيزوَّجها منه. وروي

هذا عن المغيرة بن شعبة كما نقله القرطبي وغيره^(١).

وفي هذا الصدد ذكر ابن حجر أن المغيرة خطب امرأة هو أولى الناس بها، فأمر رجلاً فزوجها، هو عثمان بن أبي العاص، بيّنه سعيد بن منصور، وأمّا المرأة فلم تسم^(٢).

وقال التّووي: كان المغيرة بن شعبة (رض) أحد دهاة العرب، كنيته أبو عيسى ويقال أبو عبد الله وأبو محمّد. مات سنة خمسين وقيل سنة إحدى وخمسين، أسلم عام الحندق، ومن طريف أخباره أنّه حكى عنه أنّه أحسن في الإسلام ثلاثاً امرأة وقيل ألف امرأة^(٣).

أقول: يكتفي التّووي بقوله "ومن طريف أخباره أنّه حكى عنه أنّه أحسن في الإسلام ثلاثاً امرأة وقيل ألف امرأة" وكأنّ الأمر طريف فعلاً، ولو صدر مثل هذا العمل من غير صحابيّ لفتح عليه التّووي نيراناً تتلوها نيران، ووصفه بالمتلاعب بالشرع والميثاق الغليظ^(٤).

قال السرخسي: والمغيرة بن شعبة (رض) كان له أربع نسوة فأقامهنّ بين يديه صفّاً وقال: أنتنّ حسان الأخلاق، ناعمات الأرداف، طويلات الأعناق، اذهبنّ فأنتنّ طلاق^(٥).

(١) أضواء البيان، الشنقيطي، ج ١ ص ٢٢١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ج ١ ص ٣٢٢.

(٣) شرح النووي على مسلم، ج ١ ص ٦٣، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢.

(٤) باعتبار أن القرآن الكريم وصف الزواج أنه ميثاق غليظ ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ النساء: ٢١

(٥) المبسوط، السرخسي، ج ٥ ص ٣.

قال السّخاوي: والمعنى أن الذي له شيخٌ واحدٌ ربما احتاج من الحديث لما لا يجده عند شيخه فيصير حائراً، وكذلك من له زوجةٌ واحدةٌ قد يتفق توقانه إلى التّكاح في حال حيضها فيصير حائراً، فإن كانت له زوجةٌ أخرى أو أمةٌ حصل الغرض. وفي معاشرة الأهلين عن المغيرة بن شعبة (رض) قال: وجدت صاحب الواحدة إن زارت زار، وإن حاضت حاض، وإن نفست نفست، وكلّما اعتلّت اعتلّ معها بانتظاره لها، ثمّ ذكر صاحب الاثنتين وصاحب الثلاث والأربع^(١).

أقول: استشهاد السّخاويّ بكلام المغيرة غير سديد، لأنّ هذا يُقبل في حقّ من يحتاج إلى امرأةٍ ثانية وثالثة، أمّا المغيرة فإنّه لم يكن كذلك، بل كان يجمع بين أربع من النّساء ويطلقهنّ دفعةً واحدةً، ويتزوّج أربعاً أخرى! فالمغيرة كان يتلاعب بما سمّاه الله تعالى ميثاقاً غليظاً.

قال الصّفيّ: وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في تلقيح فهوم أهل الأثر أنّ الفارعة أم الحجاج هي المتمرّنة، ولما تمّت كانت تحت المغيرة بن شعبة^(٢).

قال الذّهبي في معرض أحداث سنة ٥٠: وفيها توفي المغيرة بن شعبة التّقفيّ. أسلم عام الحندق وولي العراق لعمر ولغيره. وكان من رجال الدّهر حزماً وعزماً ورأياً ودهاءً. يُقال إنّهُ أحصن ثلاث مئة امرأةٍ وقيل ألف امرأة^(٣).

(١) فتح المغي، السخاوي، ج ٢ ص ٣٤٥.

(٢) الوافي في الوفيات، الصفي، ج ١ ص ١٥٩٠.

(٣) العبر في خبر من غير، الذّهبي، ج ١، ص ٥٦ دار النشر: مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤، الطبعة: ط ٢، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد.

هذا مبلغ علم الذهبي ، وهذا مبلغ مصداقية كلام عمر بن الخطاب عنده! فبينما يقول عمر بن الخطاب للمغيرة بن شعبة وجهاً لوجه: "إنما أنت رجلٌ فاسقٌ"، يقول الذهبي عن المغيرة "من رجال الدهر حزمًا وعزمًا ورأيًا ودهاءً" !فما أبعد ما بين كلام الرجلين، وعمر بن الخطاب أعلم بالمغيرة لأنه عاش معه في زمن واحد، وكان بينهما حميميةٌ يعرفها أهل ذاك الزمان وأهل هذا الزمان.

و قال ابن وهب سمعت مالكا يقول: كان المغيرة بن شعبة يقول : صاحب المرأة الواحدة يحبض معها و يرض معها، و صاحب المرأتين بين نارين يشتعلان وصاحب الأربعة قرير العين، وكان يتزوج أربعة [كذا] معاً، و يطلقهنّ معاً، وقال عبد الله بن نافع الصائغ: أحسن المغيرة ثلاثمائة امرأة. وقال غيره ألف امرأة. وقيل مئة امرأة و قيل ثمانين امرأة^(١) !

أقول: القدر المتيقن من أقوالهم ثمانون امرأة، وإن كان المغيرة نفسه يقف عند السّتين كما سيأتي، و الحال أن أبغض الحلال إلى الله الطلاق، و المغيرة لم يكن يبالي بطلاق أربع دفعةً واحدةً. ترى ما يكون موقف امرأة من غير المسلمين مثقفة باحثة تحدث نفسها باعتراف الإسلام و هي تطالع سلوك المغيرة صاحب ألف امرأة، وتقف بعد ذلك على أنه مشهودٌ له بالعدالة، و أنه من الذين رضي الله عنهم، و أنه من أهل الجنة؟!

وفي المعجم الكبير: قال المغيرة.. "ولقد تزوّجت ستّين امرأة"^(٢).

(١) البداية و النهاية، ابن كثير، ج ٨ ص ٤١.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني ج ٢ ص ٣٧٠.

عن بكر بن عبد الله، عن المغيرة بن شعبة قال: لقد تزوّجت سبعين امرأةً أو أكثر. أبو إسحاق الطالقاني : حدّثنا ابن المبارك قال : كان تحت المغيرة بن شعبة أربع نسوة. قال : فصقهنّ بين يديه وقال : أنتنّ حسنات الأخلاق، طويلات الأعناق، ولكنّي رجلاً مطلقاً، فأنتنّ الطلاق^(١).

وفي شرح فتح القدير: ومن قول المغيرة بن شعبة حين طلق الأربع: اذهبن فأنتنّ الطلاق أو طلاق^(٢).

أقول: وأنت ترى أنّه يقول عن نفسه " لكنّي رجلاً مطلقاً "، ومع ذلك لم يقولوا عنه " مطلقاً"، ونسبوا هذا العمل المشين إلى سيّد شباب أهل الجنّة ظلماً وعلوّاً، فويلٌ لهم ممّا كتبت أيديهم وويلٌ لهم ممّا يكسبون.

قال ابن شاذب : أحصن المغيرة أربعاً من بنات أبي سفيان، وكان آخر من تزوج منهن بها عرج^(٣).

أقول: هذه الزّواجات من دهاء المغيرة، ومعاوية بن أبي سفيان على علم بما يرمي إليه المغيرة، فهو لا يتزوّج بنات أبي سفيان حبّاً فيهنّ، وإنّما يستثمر العلاقات ويحافظ على منصبه وامتيازاته، لأنّ رجلاً يتزوّج أربعاً من عائلة واحدة قد أصبح عضواً من تلك العائلة بلا شكّ، ومعاوية محتاجٌ إلى دهاء المغيرة ومكره وفسقه^(٤)، فلا بأس أن

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي ج ٣ ص ٣١.

(٢) شرح فتح القدير، محمد بن عبد الواحد السيواسي، ج ٤ ص ٦٣.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٣ ص ٣٠.

(٤) بناء على قول عمر بن الخطاب له " إنّما أنت رجل فاسق".

يتزوَّج من بنات أبي سفيان، و نعم الصَّهر المغيرة تجمعه بمعاوية عداوة راسخة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن حقّ الباحث في سير وسلوك الصَّحابة أن يتساءل عن سرّ هذا التعلُّق بينات رأس الأحزاب !

قال الأبشيهي: وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأةً وكان شاباً جميلاً فأرسلت إليهما أن يحضرا عندها فحضرا، وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما؛ فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعانين جماله علم أنها تؤثره عليه، فأقبل على الفتى وقال: لقد أوتيت جمالاً، فهل عندك غير هذا؟ قال: نعم، فعدّد محاسنه ثمّ سكت. فقال له المغيرة: كيف حسّابك مع أهلك؟ قال: ما يخفى عليّ منه شيء، وإني لأستدرك منه أدقّ من الخردل. فقال المغيرة: لكّني أضع البدرة في بيتي، فينفقها أهلي على ما يريدون، فلا أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها. فقالت المرأة: والله لهذا الشَّيخ الذي لا يحاسبني أحبُّ إليّ من هذا الذي يحصي عليّ مثقال الذرّة، فتزوَّجت المغيرة^(١).

أقول: قد كذب المغيرة ههنا ودّلس، فإنّه كان معروفاً بالشُّع، وتأتى لاحقاً قصّته مع الوليد بن عقبة، ومن أبغض الخلق إلى الله تعالى شيخٌ كذاب!

وقال البخاريّ في [باب إذا كان الوليّ هو الخاطب]: وخطب المغيرة بن شعبة امرأةً هو أولى الناس بها، فأمر رجلاً فزوَّجه^(٢).

والرواية في مصنّف عبد الرزاق: عن الثوري عن عبد الملك بن عمير قال: أراد المغيرة بن شعبة أن يتزوَّج امرأةً هو أقرب إليها من الذي أراد أن يزوّجها إيّاه، فأمر

(١) المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي، ج ٢ ص ٢٠٠.

(٢) صحيح البخاري، ج ٥ ص ١٩٧٢ تحت رقم ٣٨.

غيره أبعد منه، فزوّجها إياه^(١).

أقول: رغم أن المغيرة يعلم أنها لن تبقى عنده إلاّ مدّة قليلة، باعتبار أنّه رجلٌ مطلقٌ يقرّ بذلك على نفسه، إلاّ أن المبدأ عنده هو: المصلحة قبل كلّ شيء!

عن ثابت عن أنس، أن المغيرة بن شعبه أراد أن يتزوَّج امرأة فقال له النّبي ﷺ إذهب فانظر إليها فإنّه أخرى أن يؤدّم بينكما، قال ففعل فتزوَّجها، فذكر من موافقتها. إسناده صحيح^(٢).

عن أبي عمران الجونيّ عن أبي فراس رجل من أصحاب النّبي ﷺ عن المغيرة بن شعبه قال: جئت إلى رسول الله ﷺ أريد التّساء فقال رسول الله ﷺ ائت [بنت] فلان فانظر إلى ما بهم [كذا] فإنّه أثبت للودّ، فإن رضيتهما أنكحتك، فأتاها فسلّم عليهم فقال أرسلني رسول الله ﷺ وأمرّك أن يروك إياي، قالت: نعم؛ فكشفت عن خدرها وقالت: أنظر. فتزوَّجتها فما تزوّجت شيئاً قطّ أحبّ إليّ منها ولقد تزوّجت ستّين امرأة^(٣).

أقول: أين ذهبت الستّون امرأة؟ وهل يرضى مؤمنٌ أن تكون ابنته أو أخته إحداهن؟ ومع ذلك لم يقولوا عن المغيرة "مطلق"!! وهو الذي تزوّج ستّين على أقلّ تقدير، ولا يصحّ في الإسلام الجمع بين أكثر من أربع. وقد اهتمّ الرواة بهذه الواقعة التي يروونها المغيرة وهو يوهّم أنّه من أهل العفة الذين يستشيرون النّبي ﷺ في

(١) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ٦، ص ٢٠١ تحت رقم ١٠٥٠٢.

(٢) الأحاديث المختارة، ج ٥ ص ١٦٩ تحت رقم ١٧٨٩.

(٣) المعجم الكبير، ج ٢٠ ص ٣٧٠ تحت رقم ٨٦٢.

الزَّوْج ويستأذنون منه في النَّظَر إلى المرأة المراد خطبتها!

ففي منتخب مسند عبد بن حميد : عن ثابت عن أنس أن المغيرة بن شعبه أراد أن يتزوج امرأة فقال له النبي ﷺ اذهب فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما قال ففعل فتزوجها فذكر من موافقتها^(١) .. وفي سنن الدارقطني : عن عاصم الأحول، عن بكر المزني، عن المغيرة بن شعبه قال: خطبت امرأة، فقال لي رسول الله ﷺ: " نظرت إليها؟"، قلت : لا، قال : " فأنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما"^(٢). وعن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال: قال المغيرة بن شعبه لرسول الله ﷺ: إني ذكرت فلانة أتطلق لي أن أراها؟ قال: نعم. فإن كنت لأحتالها في أصول التَّخْل لتمرَّ بي^(٣).

أقول: يريد المغيرة أن يقول إنه أخذ إذنًا من رسول الله ﷺ لمطاردة النساء، وحاشا لنبي الإسلام من ذلك، بل الرواية الصحيحة ما ذكره الحسن بن علي رضي الله عنهما من أن النبي ﷺ قال له في جواب سؤاله: ما لم ينو الزَّنا يا مغيرة! ثم أردف الحسن بن علي رضي الله عنهما: لعلمه أنك زان!!

قال التَّووي: أسلم [المغيرة بن شعبه] عام الخندق، ومن طرف أخباره أنه حكى عنه أنه أحصن في الإسلام ثلاثمائة امرأة وقيل ألف امرأة^(٤).

(١) منتخب مسند عبد بن حميد، ص ٣٧٥.

(٢) سنن الدارقطني، ج ٣، ص ١٧٧.

(٣) المعجم الكبير، ج ٢٠ ص ٤٣٧ تحت رقم ١٠٦٦.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ج ١ ص ٦٣. وفي الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٤، ص ١٤٤٦: حدثنا سعيد بن مسور قال حدثنا عبد الله بن محمد بن علي حدثنا محمد بن قاسم حدثنا ابن وضاح قال حدثنا سحنون عن ابن نافع قال أحصن المغيرة ابن شعبه ثلاثمائة امرأة في الإسلام قال ابن وضاح

وعن الزبير بن بكار قال: حدثني أبو سلمى الكلابي قال: لما شهد على المغيرة بن شعبة بما شهد به عليه، كتب عمر بن الخطاب في حمله في الحديد. فورد ماءً عليه جارية من بني البكاء بن عامر بن ربيعة، مثل الظبية، مع أبيها تمتح على إبله وهي تقول:

ليس بنا فقرٌ إلى التشكي
صلادمُ كحمر الأبك

لا ضرعٌ فيها ولا مذكي

قال: فخطبها إلى أبيها فقال: كيف وأنت على هذه الحال؟

قال: إن أعش فكفايتي ما قد علمت، وإن أمت أورها الغنى. فزوجها إياه، فوقع بها على الماء مكانه^(١).

أقول: حتى في مثل هذه الحال لا يستطيع المغيرة كبج جماع شهوته، فإنه "وقع بها على الماء مكانه". فكأنما خلق للشهوة لا غير! وانظر إلى ذاك الأعرابي الذي يعلم أن الرجل مشهود عليه بالزنا، وأنه في طريقه إلى المحاكمة، ومع ذلك يزوجه لأنه صاحب مال!

و لا يخفي المغيرة خبرته بالنساء، فقد أورد له في النهاية في غريب الحديث ما يكشف عن ذلك، ففيه: ومنه حديث المغيرة إياك وكل مجفرة مبخرة يعني من النساء^(٢).

غير ابن نافع يقول ألف امرأة ولما شهد على المغيرة عند عمر عزله عن البصرة وولاه الكوفة فلم يزل عليها إلى أن قتل عمر.

(١) أشعار النساء، المرزباني ص ٦٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث، ج ١ ص ١٠١.

و فيه : ومنه حديث المغيرة يصف امرأة كأنها يُغاث^(١).

و فيه: وفي حديث المغيرة إِيَّاكَ وَكُلَّ مُجْفِرَةٍ أَيْ مُتَغِيرَةٍ رِيحَ الْجَسَدِ وَالْفِعْلُ مِنْهُ أَجْفَرُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ امْرَأَةٌ مُجْفِرَةٌ الْجَنَبِينَ: أَيْ عَظِيمَتُهُمَا. وَجَفَرَ جَنْبَاهُ: إِذَا اتَّسَعَا كَأَنَّهُ كَرِهَ السَّمْنَ^(٢).

وقوله: ومنه حديث المغيرة طَلَّقَهَا حَرِيْبَةً أَيْ لَهُ مِنْهَا أَوْلَادٌ إِذَا طَلَّقَهَا حُرُبُوا وَفَجَعُوا بِهَا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ سَلَبُوا وَنَهَبُوا^(٣).

و قوله: وفي حديث المغيرة كَأَنَّهُ أُمَةٌ مُخْرَبَةٌ أَيْ مَثْقُوبَةُ الْأُذُنِ وَتِلْكَ الثَّقْبَةُ هِيَ الْحُرْبَةُ^(٤).

و قوله: وفي حديث المغيرة حَمَلَهَا رَبَابُ رَبَابُ الْمَرْأَةِ حَدَثَانُ وَلادَتْهَا، وَقِيلَ هُوَ مَا بَيْنَ أَنْ تَضَعَ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ عَلَيْهَا شَهْرَانِ، وَقِيلَ عَشْرُونَ يَوْمًا، يُرِيدُ أَنَّهَا تَحْمِلُ بَعْدَ أَنْ تَلِدَ بَيْسِيرَ، وَذَلِكَ مَذْمُومٌ فِي النِّسَاءِ، وَإِنَّمَا يُحْمَدُ أَنْ لَا تَحْمِلَ بَعْدَ الْوَضْعِ حَتَّى تُتِمَّ رِضَاعَ وَلَدِهَا^(٥).

و فيه: وفي حديث المغيرة مَلِيلَةُ الْإِرْغَاءِ أَيْ مَمْلُوءَةُ الصَّوْتِ يَصِفُهَا بِكَثْرَةِ الْكَلَامِ وَرَفَعِ الصَّوْتِ حَتَّى تُضْجِرَ السَّامِعِينَ؛ شَبَّهَ صَوْتَهَا بِالرُّغَاءِ، أَوْ أَرَادَ إِزْبَادَ شِدْقَيْهَا لِكَثْرَةِ

(١) نفس المصدر السابق، ج ١ ص ١٤٣.

(٢) نفس المصدر السابق، ج ١ ص ١٤٣ ج ١ ص ٢٧٨.

(٣) نفس المصدر السابق، ج ١ ص ١٤٣ ج ١ ص ٢٧٨ ج ١ ص ٣٥٨.

(٤) نفس المصدر السابق، ج ٢ ص ١٨.

(٥) النهاية في غريب الحديث، ج ٢ ص ١٨١.

كلامها من الرغوة الزبد^(١).

وفيه: وقيل هو الذي في أنامله غلظٌ بلا قصر، ويُحمد ذلك في الرجال لأنه أشدُّ لقبضهم، ويُذمُّ في النساء؛ ومنه حديث المغيرة شتنة الكف أي غليظته^(٢).

وفيه: ومنه حديث المغيرة "فضل ضبات" أي مختالة معتقلة بكل شيء ممسكة له. هكذا جاء في رواية. والمشهور "مئنات": أي تلد الإناث^(٣).

وفيه: في حديث المغيرة "عارية الظنوب" هو حرف العظم اليابس من الساق: أي عري عظم ساقها من اللحم لها^(٤).

وفيه: ومنه حديث المغيرة لا تُحرّم العيفة قيل: وما العيفة؟ قال: المرأة تلد فيُحصَر لبنها في ضرعها فتَرْضَعُ جارتها^(٥).

وفيه: ومنه حديث المغيرة: ولا غريبة نجبة، أي أنها مع كونه غريبة فإنّها غير نجبة الأولاد^(٦).

وفيه: وفي حديث المغيرة في صفة امرأة: فضل ضبات كأنها بغاث وقيل أراد أنّها مختالة تفضل من ذيلها^(٧).

(١) النهاية في غريب الحديث، ج ٢ ص ٢٤٠.

(٢) نفس المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٤٤.

(٣) نفس المصدر، ج ٣ ص ٧١.

(٤) نفس المصدر، ج ٣ ص ١٦٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث، ج ٣ ص ٣٣٠.

(٦) نفس المصدر، ج ٣ ص ٣٤٨.

(٧) نفس المصدر، ج ٣ ص ٤٥٦.

و فيه: وحديث المغيرة يصف امرأة: فقهاء سلفع؛ الفقهاء: المائلة الحنك. وقيل: هو تقدم الثنايا السفلى حتى لا تقع عليها العليا. والرجل أقم. وقد فقم يفقم فقماً^(١).
و فيه: ومنه حديث المغيرة دائمة القطوب أي العُبوس، يقال قطب يقطب قُطوباً وقد تكرر في الحديث^(٢).

و فيه: وفي حديث المغيرة تأكل لما وتوسع ذمّاً، أي تأكل كثيراً مجتمعاً^(٣).
و فيه: وفي حديث المغيرة مليلة الإرغاء أي مملولة الصوت فعيلة بمعنى مفعولة يصفها بكثرة الكلام ورفع الصوت حتى تُمل السامعين^(٤).

و فيه: وفي حديث المغيرة منتفخة الوريد، هو العرق الذي في العنق ينتفخ عند الغضب، وهما وريدان يصفها بسوء الخلق وكثرة الغضب^(٥).

هذا بعض ما وصلنا من وصف المغيرة بن شعبة للنساء، وهو وصف دقيق، ربّما عجزت النساء عن مثله. لكن المغيرة دقيق في الملاحظة، ولعل ذلك الحاجة في نفسه؛ وحسبك أنه كان يتزوج أربعاً ثم يطلقهنّ دفعةً واحدةً .

وأما الحجاج فهو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثَّقَفي، أمّه فارعة بنت همام بن عقيل بن عروة بن مسعود الثَّقَفي، كانت قبل أبيه تحت المغيرة بن شعبة؛

(١) نفس المصدر، ج ٣ ص ٤٦٥.

(٢) نفس المصدر، ج ٤ ص ٧٩.

(٣) نفس المصدر السابق، ج ٤ ص ٢٧٣.

(٤) نفس المصدر السابق، ج ٤ ص ٣٦٢.

(٥) نفس المصدر السابق، ج ٥ ص ١٧٢.

كان الحجاج عند جمهور العلماء أهلاً أن لا يروى عنه، ولا يؤثر حديثه، ولا يذكر بخير لسوء سرّه وإفراطه في الظلم؛ ومن أهل العلم طائفة تكفّره، وقد ذكرنا أخبارهم فيه بذلك في باب مفرد له^(١).

أقول: يتزوج من تزوّجها عمّه عروة بن مسعود، ومن ولدّها عمّه عروة بن مسعود. المهم أن يحطّم الرّم القياسي فيقال عنه في حياته وبعد خروجه من الدنيا إنّّه تزوّج أكبر عدد من النساء!

الزنا في الجاهلية^(٢)

قبل الخوض في قصّة زنا المغيرة لا بأس بالتذكير أنّ تقيفاً كانوا أهل زنا، وأهل ربا! كما أن الزّنا كان شائعاً في العرب قبل الإسلام.

قال ياقوت الحموي : فخافت ثقيف أن يعود إليهم فبعثوا إليه وفدهم، وتصالحوها على أن يُسلموا ويقرّوا على ما في أيديهم من أموالهم وركازهم، فصالحهم رسول الله ﷺ، على أن يسلموا وعلى أن لا يزنا ولا يربوا، وكانوا أهل زنا وربا^(٣)

(١) التمهيد، ابن عبد البر، ج ١٠، ص ٦.

(٢) القصة مشهورة روتها كثير من كتب الفقه والحديث والتاريخ منها: الزواجر، ج ٢ ص ٦٢٨: جمهرة الأمثال ج ٢ ص ٢٦٩: المغرب في ترتيب المغرب، ج ١ ص ٤٣١ المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٥٠٨ تحت رقم ٥٨٩٣ في سير أعلام النبلاء، الذهبي ج ٣ ص ٧ وفتح الباري ج ٥ ص ٢٥٦ ذكر ابن جرير الطبري في تاريخه ج ٣ عند ذكره أحداث سنة ١٧ وفي تاريخ المدينة، ابن شبة النميري ج ١ ص ١٢٦..... الإصابة، ابن حجر، ج ٢ ص ٢٨، ٢٩. الجوهر في كتاب، السقيفة وفدك، ص ٩٥، ٩٦: فتوح البلدان، البلاذري ج ٢ ص ٤٢٣، المعجم الكبير، الطبراني، ج ٧، ص ٣١١.

(٣) معجم البلدان، الحموي، ج ٤ ص ١١.

كانت ظاهرة الزنا متفشية في العرب في الجاهلية، ولم يكن أكثرهم يرون في ذلك بأساً، بل إن في أشعارهم الجاهلية كثيراً من الشواهد عليه. وقد بقيت آثار ذلك واضحة في التعامل بينهم بعد وفاة النبي ﷺ؛ وكان بعض الصحابة يعزّون إلى ثلاثة أو أربعة أشخاص كما هو شأن معاوية وعمرو بن العاص^(١)، كما كان أمية بن عبد شمس معروفاً بالفجور؛ قال المقرئزي: قال نفيل بن عبد العزى جدّ عمر بن الخطاب حين تنافر إليه حرب بن أمية وعبد المطلب بن هاشم، فنفر عبد المطلب وتعجّب من إقدامه عليه، وقال:

أبوك مُعاهِرٌ وأبوه عَفٌّ وذاد الفيل عن بلد حرام^(٢)

فقوله "مُعاهِر" من العُهر وهو الزنا والفجور^(٣).

وعن ابن عباس، في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنَ﴾ قال: كانوا في الجاهلية لا يرون بالزنا بأساً في السرّ، ويستقبحونه في العلانية،

(١) وأما أنت يا ابن العاص فإن أمرك مشترك وضعتك أمك مجهولا من عهر وسفاح فتحا كم فيك أربعة من قريش فغلب عليك جزاها ألأمهم حسبا وأخبثهم منصبا ثم قام أبوك فقال أنا شائع محمد الأثر فأنزل الله فيه ما أنزل وقاتلت رسول الله وآله في جميع المشاهد وهجوته وأذيته بمكة وكدته جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت ج ٢ ص ١٩.

(٢) كتاب النزاع والتخاصم، المقرئزي، ص ٥٠.

(٣) الصحاح، الجوهري، ج ٢ ص ٧٦٢ وكتاب العين، الخليل الفراهيدي، ج ١ ص ١٠٥ ولسان العرب، ابن منظور، ج ٤ ص ٦١١ وترتيب إصلاح المنطق، ابن السكيت الأهوازي، ص ٢٧٢، ومعجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، ج ٤ ص ١٧٠ و النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج ٣ ص ٣٢٦، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج ٢ ص ٩٨.

فحرّم الزّنا في السّرّ والعلانية^(١).

وقالوا أيضاً: "كنّ نساءً بغايا في الجاهليّة هنّ راياتٌ يعرفن بها"^(٢).

وهذا يعني أنّه كان هناك نوعٌ من الاعتراف بهنّ وبحقّهن في ممارسة ما كنّ يمارسن، وإلاّ لكان المجتمع يلجأ إلى نفيهن وإبعادهن أو شيء من ذلك القبيل^(٣). فكونهن ذوات رايات يعرفن بها يشير إلى غض البصر عن ذلك الفعل على أقلّ تقدير. ولم يتغيّر الوضع كثيراً بعد مجيء الإسلام، فقد روي عن مجاهد في قوله تعالى ﴿الزّاني لا ينكح إلاّ زانيةً أو مُشركةً و الزّانية لا ينكحها إلاّ زان أو مُشركٌ و حرّم ذلك على المؤمنين﴾ قال: كنّ نساءً في الجاهليّة باغيات فيهنّ امرأةٌ تدعى أمّ مهزول جميلةٌ فكان الرّجل من المسلمين يتزوّج بإحداهنّ لتنفق عليه من كسبها! فنهى عن ذلك أن يتزوّجهنّ أحدٌ من المسلمين^(٤). وقالوا أيضاً بخصوص ذلك: "كانت بيوتٌ تسمّى المواخير في الجاهليّة، و كانوا يؤاجرون فيها فتياتهنّ، وكانت بيوتاً معلومة الزّنا لا يدلّ عليهنّ ولا يأتينّ إلاّ زان من أهل القبلة، أو مشركٌ من أهل الأوثان، فحرّم ذلك على المؤمنين"^(٥). فإذا تأملت قوله "و لا يأتينّ إلاّ زان من أهل القبلة أو مشركٌ" تبين لك أنّ الوضع في الإسلام بقي على ما كان عليه في الجاهليّة، فإنّه يقول بوضوح "زان من أهل القبلة"، وأهل القبلة هم المسلمون. ونفس الشّيء بالنسبة إلى قوله: "فكان الرّجل من المسلمين

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ج ٥، ص ٤٣٤.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ج ١٠، ص ١١.

(٣) ذكر في الأخبار أن عبيد المطلب نفى البغايا ذوات الرايات.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم، ج ١٠، ص ١٢.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم، ج ١٠، ص ١٤.

يتزوَّج بإحداهنّ لتنفق عليه من كسبها " وهو تصوير تشمئزّ له نفس كلّ غيور، إذ كيف يجمع الإنسان بين الإسلام دين العزّة، وبين الأكل من كسب البغايا الذي هو في غاية الذلّة والمهانة!

قصة زنا المغيرة^(١)

هذه قصّة زنا المغيرة وهي بيت القصيد، لأنّها تكشف حقيقة المغيرة بن شعبة، كما تكشف عن تعامل الدّولة أيّامها مع الحدود الشرعيّة حينما يتعلّق الأمر بالأشخاص الموالين لخطّ السقيفة. وقد تكرّر تسامح الدّولة مع الموالين لها بدايةً بخالد بن الوليد الذي اعتدى على مالك بن نويرة، فقتله وبات بين أحضان أرملة في نفس اللّيلة التي قتله فيها؛ وزعم خالد أنّ مالك بن نويرة ارتدّ عن الإسلام، لكنّ مالكاً لم يخف عليه هدف خالد الذي سالّ لعبه لمجرّد رؤية ليلي (زوجة مالك) التي كانت فاتنة الجمال؛ وكان عمر بن الخطّاب يومها حريضاً على إقامة الحدّ على خالد - فيما يبدو - لولا أنّ أبا بكر بن أبي قحافة سمّى فعل خالد تأويلاً وأبطل الحدّ. والذي أثبتته كتب التاريخ أنّ عمر بن الخطّاب كان يهتف في وجه خالد يومها: " لأرجمك بأحجارك!" لكن كان خالد بن الوليد عنصراً أساسياً فعّالاً في حزب السقيفة، كما أنّه كان من

(١) القصة مشهورة روتها كثير من كتب الفقه والحديث والتاريخ منها: الزواجر، ج ٢ ص ٦٢٨: جبهة الأمثال ج ٢ ص ٢٦٩: المغرب في ترتيب المغرب، ج ١ ص ٤٣١ المستدرک علی الصحیحین ج ٣ ص ٥٠٨ تحت رقم ٥٨٩٣ في سير أعلام النبلاء، الذهبي ج ٣ ص ٧ وفتح الباري ج ٥ ص ٢٥٦ ذكر ابن جرير الطبري في تاريخه ج ٣ عند ذكره أحداث سنة ١٧ وفي تاريخ المدينة، ابن شبة التميمي ج ١ ص ١٢٦..... الإصابة، ابن حجر، ج ٢ ص ٢٨، ٢٩. الجوهري في كتاب، السقيفة وفدك، ص ٩٥، ٩٦: فتوح البلدان، البلاذري ج ٢ ص ٤٢٣ و، المعجم الكبير، الطبراني، ج ٧، ص ٣١١.

خواصّ أبي بكر بن أبي قحافة، وكان بينه وبين عمر حساسيّاتٌ جعلت العلاقات بينهما متوتّرةً طيلة حكم أبي بكر، ولهذا كان من أولويّات عمر وأوائل سياسته بمجرّد وصوله إلى الحكم أن يعزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش، وفعلاً، اتخذ القرار الذي يقضي بعزله، فعزله وحاسبه بطريقة مهينة. أمّا قصّة المغيرة فإنّها تختلف عن قصّة خالد، إذ كان المغيرة بن شعبة ملازماً لأبي بكر وعمر على حدّ سواء، وقد بدأ ارتباطه بهما فور وصوله إلى المدينة وإعلانه الإسلام - بلسانه - فراراً من ثأر المالكيين الذين قتل أبناءهم غدرًا في طريق عودتهم من مصر.

قصّة زنا المغيرة بعثرت أوراقَ دولة السّقيفة، واضطّرتها إلى قطع الطّريق أمام الذين سيقولون بعدالة جميع الصّحابة فيما بعد، ولهذا فإنّها تحتاج إلى تأنٍّ وتروٍّ وتدبّر أثناء القراءة، كما تحتاج إلى تحليل دقيق معتمّد للوصول إلى معرفة حقيقة ما جرى. وحينما أقول هذا الكلام، فإنّني أتوجّه إلى من تهّمهم معرفة الحقيقة، لا إلى الذين قرّروا بصفة نهائيّة أنّ الحقيقة عندهم لا عند غيرهم، قد احتكروها وليس لغيرهم أن يطّلع عليها بدون إذن منهم، ولا إلى أولئك الذين يتكلّمون - بأذواقهم - وينسبون أحلامهم وأمانيتهم إلى الله تعالى، فيوزّعون قصور الجنّة على أحبّائهم، ويحكمون بالخلود في الثّار على كل مخالف لأهوائهم، فالأمور بالنّسبة إليهم قد قُضيت، وليس لله تعالى أيّ هامش ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون.

لقد كان المغيرة بن شعبة معروفاً في الجاهليّة بالزّنا، لا الزّنا العادي الذي كان متفشياً في العرب يومها، وإنّما الزّنا المفرط الذي يقرب صاحبه إلى البهيمة بحيث تكون همّته شهوته. قال الأصفهاني : وقد روى المدائني أنّ المغيرة كان أزنى النّاس في

الجاهلية فلمّا دخل في الإسلام قيّده الإسلام، وبقيت عنده منه بقيّة ظهرت في أيام ولايته البصرة^(١). فالرجل يقول عنه إنه كان "أزنى الناس" ولم يقل: "من أزنى الناس". وقد أطلق المغيرة لشهوته العنان حينما أصبح يتقلّب في المناصب على عهد الخلفاء وأيام دولة معاوية. وقد ذكر ابن أبي الحديد في ذلك أخباراً أورد منها ما يلي: قال أبو الفرج: وروى المدائني أنّ المغيرة لما شخص إلى عمر في هذه الواقعة رأى في طريقه جاريةً فأعجبته فخطبها إلى أبيها، فقال له: وأنت على هذه الحال! قال: وما عليك؟ إن أبقَ فهو الذي تريد، وإن أقتل ترثني! فزوّجه. وقال أبو الفرج: قال الواقدي كانت امرأة من بني مرة، تزوّجها بالرقم^(٢) فلمّا قدم بها على عمر، قال: إنك لفارغ القلب طويل الشبق^(٣). وقد علّق ابن أبي الحديد بعد رواية قصّة زنا المغيرة بقوله: "فهذه الأخبار كما تراها تدلّ متأمّلتها على أنّ الرّجل زنى بالمرأة لا محالة، وكلّ كتب التّواريخ والسّير تشهد بذلك"^(٤).

أقول: فتأمّل قوله "لا محالة"، ثمّ انظر - حفظك الله - إلى مدى تدبّي الأخلاق وضياع القيم لدى القوم؛ رجل متهم بالزّنا وهو يشغل منصب الوالي [محافظ ولاية بمصطلح أيامنا] لا يستحي وهو في تلك الحال أن يخطب جارية أعجبته، أي سال لها لعبه، لأنّ الزّواج عند المغيرة قضيّة شهوة لا أكثر، وإلّا فما الدّاعي إلى تكرار الطّلاق لديه بتلك الطريقة المقنّنة، والطّلاق أبغض الحلال إلى الله تعالى؛ وقد كان المغيرة

(١) الأغاني، الأصفهاني، ١٦: ٨٩.

(٢) الرقم: موضع بالحجاز قريب من وادي القرى.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٢، ص ٢٣٩ - ٢٤١.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٢، ص ٢٣٩.

يومها في حدود الأربعين، وهو يعلم أنه لن يحتفظ بتلك الجارية إلا قدر ما يطفى نار شهوته ليبحث عن لون جديد. ومن حق تلك الجارية أن تتزوج من شاب قريب منها في السن، وتؤسس معه بيتاً عائلياً، وتربي أولاداً، لكن أتى لها ذلك بعد أن وقعت عليها عين المغيرة [الأمير] وتحركت لها شهوته. وانظر إلى والدها الذي قطع رحمها فزوجها من زان، وهو يعلم أنه زان، وكان في طريقه إلى المحاكمة في قضية زنا. ومع ذلك يبقى هو أيضاً ضحيةً للمغيرة الداهية، فإن المغيرة قال في كلامه: " إن أبق فهو الذي تريد، وإن أقتل ترثني " فذكر الميراث، فتحركت شهوة الشيخ للمال كما تحركت شهوة المغيرة للوقاع، وضاعت البنت بين الشهوتين، وكان الذي كان.

تلکم كانت ثقافة القرن الأول ثم الذين يلونهم، شهوة المال وشهوة النساء، ولا يزوج ابنته من زان إلا ديوث، ولا يريح الديوث ریح الجنة!

وابن أبي الحديد وإن كان لا يشك في أن المغيرة زنى بأثم جميل وقال: إن الخبر بزناه كان شائعاً مشهوراً مستفيضاً بين الناس - إلا أنه لم يخطئ عمر بن الخطاب في درء الحد عنه، بل دافع عنه بقوله: لأن الإمام يستحب له درأ الحد وإن غلب على ظنه أنه قد وجب الحد عليه. وقد علق بعض العلماء على ذلك بقوله: "عزب على ابن أبي الحديد أن درأ الحد بالشبهات لا يخص بالمغيرة فحسب بل للإمام رعاية حال الشهود أيضاً ودرأ الحد عنهم، فأئى للإمام درأ الحد عمن يقال: إنه كان أزنى الناس في الجاهلية فلما دخل في الإسلام قيده الإسلام وبقيت عنده منه بقية ظهرت في أيام ولايته بالبصرة؟ أتى له رفع اليد عن مثل الرجل وقد غلب على ظنه وجوب الحد عليه، وحكمه بالحد على أبرياء ثلاثة يشك في الحد عليهم وفيهم من يعد من

العباد؟ وأتى يتأتى الاحتياط في درء الحدّ عن واحد مثل المغيرة برمي ثلاثة بالكذب والقذف وتشويه سمعتهم في المجتمع الدّيني وتخذيّلهم بإجراء الحدّ عليهم؟

على أنّ مسألة الشّهوة التي استعصت على المغيرة، وفضحت سيرته بين المسلمين وغير المسلمين جيلا بعد جيل، لها حلّ في الصيام وفي غير الصّيام. قال ابن أبي الحديد في الشرح: ويروى أنّه عليه السّلام كان جالسا في أصحابه إذ مرّت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم، فقال عليه السّلام: إنّ أبصار هذه الفحول طوامح، وإنّ ذلك سبب هبابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلا مس أهله، فإنّما هي امرأة كامرأته^(١). وهذا هو الحلّ المناسب الذي يضمن استمرار حياة اجتماعيّة متوازنة تُصان فيها الأعراض، وتحفظ فيها الحرمات، ولو كان النّاس جميعا على شاكلة المغيرة في الاستجابة لشهواتهم لكانت الحياة جحيماً لا يطاق.

عودة إلى كلام ابن أبي الحديد: قال ابن أبي الحديد:

"فهذه الأخبار كما تراها تدلّ متأمّلها على أنّ الرّجل زنى بالمرأة^(٢) لا محالة وكلّ كتب التّواريخ والسير تشهد بذلك، وإنّما اقتصرنا نحن منها على ما في هذين الكتابين. وقد روى المدائني أنّ المغيرة كان أزنى النّاس في الجاهلية، فلمّا دخل في الإسلام قيّده الإسلام وبقيت عنده منه بقيّة ظهرت في أيام ولايته البصرة. وروى أبو الفرج في كتاب الأغاني عن الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر قال: كان المغيرة بن شعبة

(١) يقصد الإمام عليا عليه السلام.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، ص ٦٣.

(٣) يريد المرأة التي اتهم بالولنا بها لا الجارية التي جاء بها معه إلى عمر، فإن ارتباطه بهذه كان بواسطة أبيها كما مر بك في القصة.

والأشعث بن قيس وجريير بن عبد الله البجلي يوما متوافقين بالكناسة في نفر، وطلع عليهم أعرابيُّ فقال لهم المغيرة : دعوني أحركه، قالوا : لا تفعل فإنَّ للأعراب جوابا يؤثّر، قال: لا بدّ، قالوا : فأنت أعلم، فقال له : يا أعرابيُّ أتعرف المغيرة بن شعبة ؟ قال: نعم أعرفه أعمور زانيا؛ فوجم ثمّ تجلّد، فقال: أتعرف الأشعث بن قيس ؟ قال: نعم ذاك رجل لا يعرى قومه، قال: وكيف ذاك ؟ قال: لأنّهم حاكّة^(١). قال: فهل تعرف جريير بن عبد الله ؟ قال: كيف لا أعرف رجلا لولاه ما عرفت عشيرته ! فقالوا : قبحك الله فإنك شرّ جليس؛ هل تحبّ أن يوقر لك بعيرك هذا مالا وتموت أكرم العرب مودة ؟ قال: فمن يبلغه إذن أهلي؟ فانصرفوا عنه فتركوه^(٢). قال أبو الفرج : وروى علي بن سليمان الأخفش، قال: خرج المغيرة بن شعبة وهو يومئذ على الكوفة ومعه الهيثم بن التيهان التخعي غبّ مطر يسير في ظهر الكوفة والتّجف فلقي ابن لسان الحمرة أحد بني تيم الله بن ثعلبة، وهو لا يعرف المغيرة ولا يعرفه المغيرة، فقال له : من أين أقبلت يا أعرابيُّ، قال: من السّماوة قال: كيف تركت الأرض خلفك؟ قال: عريضة أريضة^(٣)، قال: فكيف كان المطر ؟ قال: عفي الأثر وملاً الحفر، قال: فمن أنت ؟ قال: من بكر بن وائل، قال: كيف علمك بهم ؟ قال: إن جهلتهم لم أعرف غيرهم، قال: فما تقول في بني شيان ؟ قال: سادتنا وسادة غيرنا. قال فما تقول في بني ذهل ؟ قال: سادة نوكي، قال: فقيس بن ثعلبة ؟ قال: إن جاورتهم

(١) جمع حائك، حاكّ الثوب يَحِيكُ حَيْكاً وَحَيْكاً وَحَيْكَةً نسجه والحِيَاكَةُ حرفته قال الأزهري هذا غلط الحائك يَحْكُ الثوب وجمع الحائك حَوَكَةٌ والحَيْكُ النسج وحاك في مشيه يَحِيكُ حَيْكاً وَحَيْكَاناً فهو حائك وَحَيْكًا تَخْتَرُ واختال وحاك يَحْكُ إذا نسج. (لسان العرب، ج ١٠، ص ٤١٨).

(٢) الأغاني ١٦: ٨٩

(٣) الأريضة : المعشبة.

سرقوك وإن ائتمنتهم خانوك، قال: فبنو تيم الله بن ثعلبة ؟ قال: رعاء النقد^(١) وعراقيب الكلاب، قال: فبني يشكر ؟ قال: صريح تحسبه مولى. قال هشام بن الكلبي : لأنّ في ألوانهم حمرة، قال: فعجل ؟ قال: أحلاس^(٢) الخيل، قال: فعبد القيس ؟ قال: يطعمون الطّعام ويضربون الهام، قال: فعنزة ؟ قال: لا تلتقي بهم الشفتان لؤماً، قال: فضبيعة أضجم ؟ قال: جدعاً وعقراً ! قال: فأخبرني عن النساء، قال: النساء أربع : ربيع مربعٌ وجميع مجمعٌ وشيطانٌ سمعٌ وغلٌ لا يخلع، قال: فسّر، قال: أما الربيع المربع، فالتّي إذا نظرت إليها سرّتك وإذا أقسمت عليها برّتك، وأمّا التي هي جميعٌ مجمعٌ، فالمرأة تتزوّجها ولها نسبٌ، فيجتمع نسبها إلى نسبك، وأمّا الشيطان السمعع فالكالحة في وجهك إذا دخلت، المولولة في أثرك إذا خرجت، وأمّا الغلّ الذي لا يخلع فبنت عمّك السوداء القصيرة، الفوهاء الدّميمة، التي قد نثرت لك بطنها، إن طلقها ضاع ولدك وإن أمسكتها فعلى جدع أنفك، قال المغيرة بل أنفك. قال: فما تقول في أميرك المغيرة بن شعبه ؟ قال: أعورُ زان، فقال: الهيثم بن الأسود : فضّ الله فاك ! ويلك إنّهُ الأمير المغيرة ! قال: إنّها كلمة تُقال. فانطلق به المغيرة إلى منزله وعنده يومئذ أربع نسوة وستون - أو سبعون - أمةً وقال: ويحك ! هل يزني الحرّ وعنده مثل هؤلاء ! ثم قال هنّ : أرمين إليه بجليكنّ ففعلن، فخرج بلاء كسائه ذهباً وفضةً. وإنّما أوردنا هذين الخبرين ليعلم السّامع أن الخبر بزناه كان شائعاً مشهوراً مستفيضاً بين النّاس ولائهما يتضمّنان أدباً وكتابتنا هذا موضوعٌ للأدب^(٣).

(١) النقد: صغار الغنم، وفي الأغاني: (البقر).

(٢) أحلاس الخيل : شجعان فرسان ملازمون لركوب الخيل.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٢، ص ٢٣٩ - ٢٤١.

أقول: ماذا يصنع شيخ بستين أو سبعين أمةً لو لم تكن الشهوة قد سدّت عليه الآفاق، فلم يعد يرى غيرها؟!

وقد كان عمر عارفاً بشبّيق المغيرة سيّء الظنّ به؛ روى عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع أن عمر قال لرجل من ثقيف قال غير أيوب وهو المغيرة بن شعبة قال فقال له عمر: ما فعل غلامك المولد؟ قال فذلك حين دعاه عمر فسأله عنه فقال خيراً يا أمير المؤمنين، وقد أنكحته. قال: فلعلك تُخالفه إلى امرأته إذا غاب؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين؛ فقال: لو أخبرتني أنك تفعل لجعلتك نكالا؛ قال وبلغني أن عليّاً أشار إليه أن لا يعترف^(١).

شهد صحابة على المغيرة بالزنا لأنهم باغته وعابوا بأعينهم عن قرب ما جرى، وعرفوا المرأة التي كان معها في فراش واحد، وهي امرأة مغتبية من أضرب الناس على العود، كانت تغشى الأمراء في زمانها، وأمراء زمانها هم أمراء خير القرون. وحتى لا نظلم المغيرة وأتباع المغيرة، لابدّ لنا من تتبّع القصة ومطالعتها في مصادر شتى كلّها تابعة لمدرسة الجمهور، مدرسة أهل السنة والجماعة، لأنّ ملفّ المغيرة في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام مفروغ منه، وبما أنّه قد صحّ عند الفريقين أنّ النبي ﷺ قال للإمام علي عليه السّلام لا يبغضك إلّا منافق، والمغيرة كان يبغض الإمام علياً عليه السّلام ويسبهه ويشتمه ويلعنه في الجُمع والأعياد والمجالس وغير ذلك، فإنّه لا حرج في تصنيف المغيرة في المنافقين؛ وبما أنّ المغيرة بن شعبة لم يتراجع عن بغضه للإمام علي عليه السّلام وسبهه وشتمه ولعنه حتّى خرج من الدّنيا، فإنّه يكون قد خرج من الدّنيا منافقاً، ومن خرج من

(١) مصنف عبد الرزاق، ج ٧ ص ٢١٧ تحت رقم ١٢٨٥٩.

الدُّنْيَا منافقاً فقد مات على غير ملة رسول الله ﷺ.

الشهود

لا بد في أيّ قضية زنا من الشهود، اللهم إلا أن يقرّ الزاني على نفسه مرّات وهو في كامل قواه العقلية غير مستكره^(١). ولا بد أن يكون الشهود عدولاً وإلا لم تمض الشهادة. وإذا أخذنا بعين الاعتبار ما عليه أتباع المذاهب القائلة بعدالة جميع الصحابة فإن الإشكال سيكون عريضاً، والمسألة لا تحتل تعدّد الحلول؛ لأننا إذا قبلنا شهادة الصحابي على صحابي آخر في قضية زنا نُسفت عدالة جميع الصحابة فصارت قاعاً صاففاً، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً. والمقصود أنه - والحال هذه - إمّا أن يكون الصحابي الشاهد صادقاً، فيكون المشهود عليه زانياً، وبين الزاني والعدالة بعد المشرقين. وإما أن يكون الصحابي الشاهد كاذباً فيكون قاذفاً، والقاذف قال في حقّه القرآن الكريم ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢). والفاسق ليس عدلاً.

والشهود في قصّة المغيرة بن شعبة هم: أبو بكرة نفيح بن الحارث. وشبل بن معبد المزني. ونافع. وزباد بن أبيه. وهم أربعة إخوة لأمّ اسمها سمية^(٣).

ذكر الطبري في الجزء الثالث من تاريخه عند استعراضه أحداث سنة ١٧ ما يلي:

[.... فاجتمع إلى أبي بكرة نفر يتحدثون في مشربته، فهبّت ريح ففتحت باب الكوة، فقام أبو بكرة ليصفقه فبصر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب كوة مشربته وهو

(١) تفصيل ذلك في كتب الفقه في باب الحدود.

(٢) النور، ٤.

(٣) المغرب في ترتيب المغرب، ج ١ ص ٤٣١.

بين رجلي امرأة، فقال للنفر: قوموا فانظروا! فقاموا فنظروا ثم قال: اشهدوا قالوا: ومن هذه؟ قال: أمّ جميل ابنة الأقم؛ وكانت أمّ جميل إحدى بني عامر بن صعصعة، وكانت غاشيةً للمغيرة وتغشى الأمراء والأشراف [من الصحابة طبعاً لأنّ هذا كان في زمن عمر] وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانها [صحابيات أو تابعيات أيضاً] فقالوا: إنّما رأينا أعجازاً ولا ندري ما الوجه! ثمّ إنهم صمّموا حين قامت! فلما خرج المغيرة إلى الصلّة حال أبو بكر بينه وبين الصلّة وقال: لا تصلّ بنا. فكتبوا إلى عمر بذلك وتكتبوا، فبعث عمر إلى أبي موسى فقال: يا أبا موسى، إني مستعملك، إني أبعثك إلى أرض قد باض بها الشيطان وفرّخ فالزم ما تعرف.. ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم قال: رأيته جالساً بين رجلي امرأة فرأيت قدمين مخضوبتين تحفقان واستين مكشوفتين وسمعت حفزاً شديداً!

لا مناصّ من تصديق ذلك أيّها القارئ الكريم، لأنّ الشاهد صحابيٌّ والمشهود عليه صحابيٌّ، والحاكم صحابيٌّ... والصحابة كلّهم عدولٌ. كما أنّه لا مناصّ من تصديق أنّه مع ذلك، وبعد هذه الفعلة الفظيعة والتهمة الشنيعة، لم يتأثّر المغيرة بن شعبة ولم يتعرّض لأيّ مكروه، بل ولاه عمر على الكوفة!

ولك أن تصوّر سلوك الطبقة الحاكمة انطلاقاً من قوله [تغشى الأمراء والأشراف]، [وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانها]، وهذا معناه أنّها كانت تنتقل من حضن إلى حضن، وأنّها لم تكن وحدها في تلك السيرة بدليل قوله: "وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانها"، ولم يذكر في كتب التاريخ والتراجم أنّ واحداً من هؤلاء الأمراء والأشراف أقيم عليه الحدّ الشرعيّ. ولم يذكر في كتب التاريخ صراحةً أنّ الدّعارة

المنظمة كانت موجودة في بلاد المسلمين على عهد عمر بن الخطاب، وأنه كان يشرف عليها الأمراء الذين يعيّنهم عمر بن الخطاب!

هذا ما كان سنة ١٧ في خلافة عمر وقد درأ عنه عمر الحدّ بما شاء وأقامه على الشهود...

و هذا ما أورده الذهبي بخصوص هذه القضية، قال: قال البيهقي في سننه إن صحّ هذا، فلائكه امتنع من التوبة من قذفه، وأقام على ذلك. قلت: كأّنه يقول: لم أقذف المغيرة، وإنّما أنا شاهد، فجنح إلى الفرق بين القاذف والشاهد، إذ نصاب الشهادة لو تمّ بالرّابع لتعيّن الرّجم، ولذا سمّوا قاذفين. قال أبو كعب صاحب الحرير: حدّتنا عبد العزيز بن أبي بكرة، أن أباه تزوّج امرأة، فماتت، فحال إختوها بينه وبين الصّلاة عليها، فقال: أنا أحقّ بالصّلاة عليها، قالوا صدق صاحب رسول الله ﷺ، ثمّ إنّه دخل القبر، فدفعوه بعنف، فغشي عليه، فحُمِلَ إلى أهله، فصرخ عليه عشرون من ابن وبنت، وأنا أصغرهم، فأفاق، فقال: لا تصرخوا، فوالله ما من نفس تخرج أحبّ إليّ من نفسي، ففرع القوم، وقالوا: لم يا أبانا؟ قال: إني أخشى أن أدرك زماناً لا أستطيع أن آمر بمعروف ولا أنهي عن منكر، وما خير يومئذ^(١).

والقصّة عند البلاذري كما يلي:

... قالوا: إنّ المغيرة جعل يختلف إلى امرأة من بني هلال يقال لها أمّ جميل بنت محجن بن الأفقم بن شعبيثة بن الهزم. وقد كان لها زوج من ثقيف يقال له الحجاج بن عتيك. فبلغ ذلك أبا بكرة بن مسروح، مولى التّبي ﷺ من مولدي ثقيف، وشبل بن

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٣ ص ٧.

معبد بن عبيد البجليّ، ونافع بن الحارث ابن كلدة الثقفيّ، وزباد بن عبيد، فرصدوه. حتى إذا دخل عليها هجموا عليه، فإذا هما عريانان وهو متبطّنها^(١)! فخرجوا حتّى أتوا عمر بن الخطّاب فشهدوا عنده بما رأوا. فقال عمر لأبي موسى الأشعريّ: إني أريد أبعثك إلى بلد قد عشتّ فيه الشيطان. قال: فأعطني بعدّة من الأنصار. فبعث معه البراء بن مالك، وعمران بن الحصين أبا نجيد الخزاعيّ، وعوف بن وهب الخزاعيّ، فولّاه البصرة، وأمره بإشخاص المغيرة. فأشخصه بعد قدومه بثلاث. فلمّا صار إلى عمر جمع بينه وبين الشهود. فقال نافع بن الحارث: رأيته على بطن المرأة يحتفز عليها، ورأيته يدخل ما معه ويخرجه كالميل في المكحلة. ثمّ شهد شبيل بن معبد على شهادته، ثمّ أبو بكرة، ثمّ أقبل زياد رابعاً. فلمّا نظر إليه عمر قال: أما إني أرى وجه رجل أرجو أن لا يُرجم رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ على يده ولا يخزي بشهادته! وكان المغيرة قدم من مصر فأسلم، وشهد الحديبية مع رسول الله ﷺ. فقال زياد: رأيت منظرًا قبيحاً وسمعت نفساً عالياً. وما أدري أخاطبها أم لا؟ ويقال لم يشهد بشيء. فأمر عمر بالثلاثة فجلدوا. فقال شبيل: أتجلد شهود الحقّ وتبطل الحدّ؟ فلما جلد أبو بكرة قال: أشهد أنّ المغيرة زان. فقال عمر: حدّوه. فقال عليّ: إن جعلتها شهادةً فارجم صاحبك. فحلف أبو بكرة أن لا يكلم زياداً أبداً، وكان أخاه لأُمّه سميّة. ثمّ إنّ عمر ردّهم إلى مصرهم^(٢).

وقال عمر بن شبّة في معرض حديثه عن أخبار البصرة بإسناد له: إنّ المرأة التي رُمي بها المغيرة هي أمّ جميل بنت عمرو بن الأَقَم الهلاليّة، ويقال إنّ أصل أبيها من

(١) متبطّنها: أي جاعل بطنها تحت بطنه!

(٢) فتوح البلدان، البلاذري، ج ٢ ص ٤٢٣.

ثقيف، [أي من نفس قبيلة المغيرة] قال واسم زوجها الحجاج بن عتيك بن الحارث بن عوف بن وهب بن عمرو الجشمي، وكان ممن قدم البصرة أيام عتبة بن غزوان وولي حائط المسجد مما يلي بني سليم أيام زياد، وكان قد رحل بامرأته إلى الكوفة لما جرى للمغيرة ما جرى، ثم رجع إليها في إمارة أبي موسى فاستعمله على بعض أعماله^(١)!

أقول: وهذا - إن صح - كلامٌ عجيبٌ، وأعجب منه ألاَّ يعلّق عليه المؤرّخون والمحدثون لكونه حدث في عهد عمر بن الخطّاب. وإلاَّ فما معنى قوله "وكان قد رحل بامرأته إلى الكوفة لما جرى للمغيرة ما جرى"؟ أيعقل أن يكون المسلم في عصر أفضل القرون ديوّناً إلى هذا المستوى^(٢)؟! تسير الركبان بغمارة زوجته مع المغيرة بن شعبة، ومع ذلك يحتفظ بها ويرحل بها من البصرة، ثم يعود إلى البصرة؟ أين الكرامة والشرف؟! أين قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا

(١) تاريخ المدينة، ابن شبة التميمي، ج ١ ص ١٢٦.

(٢) قال ابن حجر في ترجمته: الحجاج بن عبد الله ويقال بن عبد ويقال ابن عتيك الثقفي ذكره خليفة فيمن نزل البصرة ثم الكوفة من الصحابة وذكر أبو حذيفة إسحاق بن بشر في المبتدأ أنه كان زوج أم جميل الهلالية فهلك عنها فكان المغيرة بن شعبة يدخل عليها فأنكر ذلك عليه أبو بكر فكان من قصة الشهادة عليه ما كان وذلك سنة سبع عشرة من الهجرة. وقال عمر بن شبة في أخبار البصرة بإسناد له إن المرأة التي رمى بها المغيرة هي أم جميل بنت عمرو بن الأرقم الهلالية ويقال إن أصل أبيها من ثقيف قال واسم زوجها الحجاج بن عتيك بن الحارث بن عوف بن وهب بن عمرو الجشمي وكان ممن قدم البصرة أيام عتبة بن غزوان وولي حائط المسجد مما يلي بني سليم أيام زياد وكان قد رحل بامرأته إلى الكوفة لما جرى للمغيرة ما جرى ثم رجع إليها في إمارة أبي موسى فاستعمله على بعض أعماله الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٢ ص ٣٣ تحت رقم ١٦٢٣. وقال أيضاً:

الحجاج بن عبيد ويقال بن عتيك له إدراك ذكر بن الكلبي أنه كان زوج أم جميل الهلالية التي رمى بها المغيرة بن شعبة. الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ١٦٧ تحت رقم ١٩٥٦.

يَعْلَمُونَ؟! وانظر إلى سلوك أبي موسى الأشعري معه، فإن الرواية تقول بكلّ وضوح: "ثمّ رجع إليها في إمارة أبي موسى فاستعمله على بعض أعماله"؛ أي استعمل ديوثاً على أعماله!

على أن ابن حجر نفسه يذكر كلاماً لا ينسجم مع السابق، فقد قال: وذكر أبو حذيفة إسحاق بن بشر في المبتدأ أنّه كان زوج أم جميل الهلالية فهلك عنها، فكان المغيرة بن شعبة يدخل عليها فأنكر ذلك عليه أبو بكر فكان من قصّة الشّهادة عليه ما كان وذلك سنة سبع عشرة من الهجرة. وقال عمر بن شبّه في أخبار البصرة بإسناد له إنّ المرأة التي رمى بها المغيرة هي أمّ جميل بنت عمرو بن الأفقم الهلالية، ويقال إنّ أصل أبيها من تقيف^(١). ومعنى قوله "فهلك عنها" أنّه توفّي وبقيت أرملّة بعده؛ فإذا كان كذلك فما معنى قوله: "وكان قد رحل بامرأته إلى الكوفة لما جرى للمغيرة ما جرى"؟

وفي الإصابة^(٢): روى الطبريّ في ترجمته من طريق سليمان التميمي عن أبي عثمان قال: شهد أبو بكر ونافع وشبل بن معبد على المغيرة وأنهم نظروا إليه كما ينظرون المروء في المكحلة! فجاء زياد فقال عمر: جاء رجل لا يشهد إلا بحق! فقال: رأيت منظرأ قبيحاً وابتهاراً ولا أدري ما وراء ذلك^(٣). فجلدهم عمر الحدّ. وروى القصّة مطوّلة ابن أبي شيبة والطبريّ من طريق الزّهرّي عن سعيد بن المسيّب^(٤). قال الجوهري:

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ج ٢ ص ٣٣.

(٢) الإصابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٣ ص ٣٧٧.

(٣) وماذا يكون وراء ذلك يالبيب؟ لو رأى صبي يميّز ما رآه زياد ماذا كان يخطر بباله؟

(٤) الإصابة، ابن حجر، ج ٢ ص ٢٨ - ٢٩.

وكانت الرقطاء التي رمي بها المغيرة تختلف إليه في أيام إمارته الكوفة في خلافة معاوية في حوائجها فيقضيها لها ... وكانت الرقطاء هذه مغتبية من أضرب الناس على آلات الطرب، وقال حسان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة في هذه القصّة:

لو أن اللؤم ينسب كان عبدا قبيح الوجه أعور من ثقيف
تركت الدين والإسلام لما بدت لك غدوة ذات النصيف
وراجعت الصبا وذكرت لهوا من القينات والعمر اللطيف^(١)

أقول : وبما أن ولاية المغيرة للكوفة من طرف معاوية كانت بعد وفاة عمر بزمان طويل، فإن هذا يعني استمرار العلاقة بين المغيرة وفاتنته حتّى في زمن شيخوخته، ومن أبغض الخلق إلى الله تعالى شيخ زان !

وقال الرازي في تفسيره :

الثاني ما روي أن المغيرة بن شعبة شهد عليه بالزنا عند عمر بن الخطاب أربعة: أبو بكره ونافع ونفيع وقال زياد وكان رابعهم: رأيت استا تنبو ونفسا يعلو ورجلاها على عاتقه كأذني حمار ولا أدري ما وراء ذلك! فجلد عمر الثلاثة ولم يسأل هل معهم شاهد آخر، فلو قبل بعد ذلك شهادة غيرهم لتوقّف لأن الحدود مما يتوقّف فيها ويحتاج^(٢).

أقول: انظر إلى ما يقوله هذا الرجل الظريف! رأى " استا تنبو ونفسا يعلو

(١) السقيفة وفدك، الجوهري، ص ٩٥، ٩٦.

(٢) التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج ٢٣ ص ١٣٩.

ورجلاها على عاتقه كأذني حمار ولا يدري ما وراء ذلك" نعم، ليس وراء ذلك شيء. فهل كان ليقول هذا الكلام لو أنه رأى ما رأى في بيته؟

وقد شهد على المغيرة بالزنا غير من ذكر، قال الحسن بن الإمام علي عليه السلام للمغيرة في حوار جرى بينهما بحضور معاوية:

ولا يشقّ علينا كلامك، وإنّ حدّ الله في الزنا ثابت عليك، ولقد درأ عمر عنك حقاً، الله سائله عنه ! ولقد سألت رسول الله ﷺ هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها ؟ فقال : " لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا "، لعلمه بأثك زان. وأمّا فخركم علينا بالأمانة : فإن الله تعالى يقول : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ ثمّ قام الحسن فنفض ثوبه، وانصرف، فتعلّق عمرو بن العاص بثوبه وقال : يا أمير المؤمنين، قد شهدت قوله فيّ وقذفه أمي بالزنا، وأنا مطالب له بحدّ القذف. فقال معاوية: خلّ عنه لا جزاك الله خيراً. فتركه ^(١).

فيستفاد من عبارات الحسن بن الإمام علي عليه السلام أنّ المغيرة بن شعبة زان، وإلاّ لما جاز للحسن عليه السلام أن يقول له: " وإنّ حدّ الله في الزنا ثابت عليك"، لأنّ ذلك يكون قذفاً، ولم يعترض المغيرة مع شدّة دهائه. وأكّد الإمام الحسن عليه السلام ذلك مرّة أخرى حين قال للمغيرة " لعلمه بأثك زان"، وليس الحسن بالرجل الذي يحدث عن علم جدّه ﷺ رجماً بالغيّب، فقلّبه هذا يفهم منه أن النبي ﷺ كان يعلم أنّ المغيرة بن شعبة زان. ونحن لا نتوقّع من تيّار السقيفة أن يروي مثل هذا في الصّحاح فيكون ممن

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ٢٩٤.

يخربون بيوتهم بأيديهم، فإنَّ نظريَّةَ عدالة جميع الصَّحابة قد عودتهم قبول المنكر وتسمية الزَّنا إحصانا وتسمية الغدر دهاء وأمورا كثيرة لا تمتَّ إلى الإسلام بشيء.. وإذا كان الصَّحابة جميعهم عدولا فإنَّ الحسن بن علي عليه السلام صحابيٌّ، فهو - إذاً - من العدول، إضافة إلى كونه مطهراً بنصِّ الكتاب الكريم، وهو أيضاً ممَّن يصلِّي عليهم في كل صلاة فرضاً ونفلاً، وعليه ينبغي قبول ما يقوله في حقِّ المغيرة وغيره.

و في مصنف ابن أبي شيبة عن ابن عيينة عن أبيه قال: لقي أبو بكرة المغيرة بن شعبة بقوم نصف النهار وهو مقتنع! فقال: أين تريد؟ فقال: أريد حاجة. قال: إنَّ الأمير يزار ولا يزور^(١). وهذا يعني أنَّ المغيرة كان يتقنَّ حتى لا يعرف حينما يتوجه إلى بنت الأقمم لممارسة الزنا.

لماذا يتقنَّ المغيرة وهو الرجل الأوَّل في البصرة؟ وما هي هذه الحاجة التي يريدُها والتي تحمله على التقنُّع؟

إن كانت هذه الحاجة حلالاً فإنَّه لا داعي للتقنُّع؛ وإن كانت حراماً فما أقبح بصحابيٍّ أن يطلب الحرام وهو وال بيده مقاليد البصرة.

لماذا يتقنَّع وهو الوالي الذي ليس بينه وبين الخليفة أحد؟

لا شكَّ أنَّه يتقنَّع كي لا يُعرف! لكنَّ أبا بكرة عرفه حتى وهو متقنَّع. فأبو بكرة من الطَّائف، والمغيرة من الطَّائف! فهو يعرف صوته وشكله وحجمه ومشيته والتفاتاته وسيرته الذاتيّة..و.. يعرفه حتَّى وهو متقنَّع.

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٦ ص ١٩٠ و ج ٧ ص ٢٥٦.

جزاء الإحسان

لم ينس المغيرة لزياد تلك اليد؛ قال ابن الأثير: وفي هذه السّنة قدم زياد على معاوية من فارس، وكان سبب ذلك أن زيادا كان قد استودع ماله عبد الرحمن بن أبي بكرة، وكان عبد الرحمن يلي ماله بالبصرة، وبلغ معاوية ذلك فبعث المغيرة بن شعبة لينظر في أموال زياد، فأخذ عبد الرحمن فقال له: إن كان أبوك قد أساء إليّ لقد أحسن عمك، يعني زيادا، وكتب إلي معاوية إني لم أجد في يد عبد الرحمن مالا يحلّ لي أخذه، فكتب إليه معاوية أن عذب عبد الرحمن، فأراد أن يعذر ويبلغ ذلك معاوية فقال لعبد الرحمن: احتفظ بما في يديك وألقى علي وجهه حريرة ونضحها بالماء فغشي عليه، ففعل ذلك ثلاث مرّات ثمّ خلاه، وكتب إلي معاوية إني عذبتك فلم أصب عنده شيئا، وحفظ لزياد يده عنده^(١).

وقد تكلم الفقهاء في قضية المغيرة، ولكنهم لم يسمحوا لأنفسهم أن يتّهموه بعد أن برأ عمر ساحته.

فمن ذلك قول الشنقيطي: ومما يؤيّده قصّة عمر مع الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة فإنّ رابعهم لما لم يصرّح بالشّهادة على المغيرة بالزّنا جلد عمر الشّهود الثلاثة جلد القذف ثمانين وفيهم أبو بكرة (رض)، والقصّة معروفة مشهورة وقد أوضحناها في غير هذا الموضع^(٢).

وقال: روى الأثرم بإسناده عن ظبيان بن عمارة قال: شهد على المغيرة بن شعبة

(١) الكامل في التاريخ، ج ٣ ص ٢٨٤، ط دار الكتب العلمية ١٩٩٥.

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي، ج ٥ ص ٣٧٣.

ثلاثة نفر أنه زان، فبلغ ذلك عمر فكبر عليه وقال: شاط ثلاثة أرباع المغيرة بن شعبة؛ وجاء زياد فقال: ما عندك؟ فلم يثبت فأمر بجلدهم فجلدوا. وقال شهود زور! فقال أبو بكرة: أليس ترضى إن أتاك رجل عندك يشهد رجه؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده. فقال أبو بكرة: وأنا أشهد أنه زان! فأراد أن يعيد عليه الحد فقال علي: يا أمير المؤمنين، إنك إن أعدت عليه الحد أوجبت عليه ^(١) الرجم. وفي حديث آخر فلا يعاد في فرية جلد مرتين. قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله: قول علي إن جلده فارجم صاحبك؟ قال: كأنه جعل شهادته شهادة رجلين. قال أبو عبد الله وكنت أنا أفسره على هذا حتى رأيته في هذا الحديث فأعجبني ثم قال: يقول إذا جلده ثانية فكأنك جعلته شاهداً آخر ^(٢).

وقال الرازي: الثاني ما روي أن المغيرة بن شعبة شهد عليه بالزنا عند عمر بن الخطاب أربعة، أبو بكرة ونافع ونفيع وقال زياد وكان رابعهم: رأيت إستا تنبو ونفسا يعلو ورجلاها على عاتقه كأذني حمار ولا أدري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يسأل هل معهم شاهد آخر ^(٣).

أقول: ماذا يقول القارئ لو أعطينا عبارات زياد إلى أحد الرّسامين وطلبنا منه رسماً وفق العبارات؟!.

وقال الذهبي: وأتوا عمر فشهدوا حتى قدّموا زيادا فقال: رأيتهما في لحاف واحد

(١) الضمير هنا يعود على المغيرة.

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي، ج ٥ ص ٤٤٤.

(٣) التفسير الكبير، الرازي، ج ٢٣ ص ١٣٩.

وسمعت نفسا عاليا، ولا أدري ما وراءه! فكبر عمر وضرب القوم إلا زيادا^(١)!

أقول: كبر عمر لأن المغيرة شوهد مع امرأة في لحاف واحد وسمع الشاهد نفسا عاليا. ولو فرضنا أن عمر بن الخطاب رأى مثل ذلك في بيته أو بيت أحد أولاده، هل كان يتعامل مع المغيرة كما تعامل معه في القصة المذكورة؟ هل كان يكبر؟!

وقال الرازي: روي عن عمر بن الخطاب أنه ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم أبو بكره ونافع ونفيع ثم قال لهم: من أكذب نفسه قبلت شهادته، ومن لم يفعل لم أجز شهادته، فأكذب نافع ونفيع أنفسهما وتابا وكان يقبل شهادتهما؛ وأما أبو بكره فكان لا يقبل شهادته، وما أنكر عليه أحد من الصحابة فيه. فهذا تمام الكلام في هذه المسألة^(٢).

أقول: من شهد على نفسه أنه كان كاذبا صار صادقا، ومن دفع عن نفسه الكذب فهو فاسق، هذه شريعة عمر بن الخطاب. وإن تعجب فعجب قول الرازي "لم ينكر عليه أحد من الصحابة"، وكأن الشريعة تدور مدار رضا الصحابة وسخطهم! والقرآن الكريم يهتف ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾.

وقال ابن المسيب: شهد على المغيرة بن شعبة أربعة نفر بالزنا، فنكل زياد فحدّ عمر الثلاثة ثم سألهم أن يتوبوا فتاب اثنان فقبلت شهادتهما، وأبى أبو بكره أن يتوب فكانت شهادته لا تقبل حتى مات، وكان قد عاد مثل التصل من العبادة^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٣ ص ٢٨.

(٢) التفسير الكبير، الرازي، ج ٢٣ ص ١٤٢.

(٣) تفسير الصنعاني، ج ٣ ص ٥٢.

أقول: هذا من أعجب ما يجده الباحث؛ رجل عاد مثل النّصل من العبادة، والنّاس يشهدون له بالصدّق والتّعبّد، لكنّه عند الدّولة فاسق لا تقبل شهادته حتى يرضى عنه المغيرة بن شعبة! ورجل فاسق يدعو الخليفة نفسه "فاسقا" يتأمّر على المؤمنين ويؤمّمهم في الصلاة.

وقال ابن العربي: فكان عمر يقول لأبي بكر تب أقبل شهادتك، فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وأنّ المغيرة بن شعبة زنى بفلانة^(١).

أقول: كان أبو بكر المشهود له بالعبادة إلى أن صار كالنّصل يقرن شهادتي التّوحيد والرّسالة بالشّهادة على المغيرة بالزّنا، وفي هذا الكلام تحدّ كبير للخليفة عمر بن الخطّاب، فكانّ أبا بكر يقول لعمر: إنك حين تطلب منّي التّخلّي عن شهادتي على المغيرة بالزّنا فكأنما تطلب منّي أن أتخلّى عن شهادتي لله تعالى بالوحدانيّة ومحمد ﷺ بالرّسالة!! وللمرء أن يتساءل عن إصرار عمر على ما يسمّيه توبة أبي بكر.

وموقف عمر بن الخطّاب في غاية الغموض، فإنّه كان يقول لأبي بكر: تب، وفي نفس الوقت كان يقول للمغيرة ويحك يا مغيرة والله ما رأيتك قطّ إلاّ خشيت أن أرمى بحجارة من السّماء^(٢). ومثل هذا التّضارب لا مكان له في الإسلام.

(١) أحكام القرآن، ابن العربي، ج ٣ ص ٣٤٦.

(٢) في مصنف ابن أبي شيبة ج ٦ ص ٢٠١ تحت رقم ٣٠٦٦٦. حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا شيبان عن الأعمش عن أبي الضحى قال حدثني من سمع عمر يقول إذا رأى المغيرة بن شعبة ويحك يا مغيرة والله ما رأيتك قطّ إلاّ خشيت أن أرمى بحجارة من السماء.

وقال أيضا: وردَّ عمر شهادة أبي بكره وكان يقول له: "تب أقبل شهادتك" فيأبى حتى كتب عهده عند موته: هذا ما عهد به أبو بكره نفيح بن الحارث وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله وأنَّ المغيرة بن شعبة زنا بجارية بني فلان، وحمد الله عمر حين لم يفضح المغيرة^(١).

أقول: لقد أصرَّ أبو بكره على موقفه حتى جعله قسما من وصيته، فهو يريد أن يثبت للناس أنه عصى عمر في طاعة الله تعالى على عكس ما يفعله كثير من دراويش زماننا!

إذاً، فقد أصرَّ أبو بكره على شهادته على المغيرة حتى مات، ولم يكتف بذلك حتى كتبه في وصيته، وفي هذا خطاب لكل من لم يدرك أبا بكره يبين فيه موقفه من المغيرة وموقفه من عمر. وقد كان موقف الإمام علي عليه السلام من المغيرة في هذه القصة واضحاً. فعن عمرو عن أبي جعفر أن علياً بلغه عن المغيرة بن شعبة شيء فقال: لئن أخذته لأتبعته أحجاره^(٢). وهذا يعني أن الإمام علياً عليه السلام يرى المغيرة مستحقاً للرجم ولا يلتفت إلى ما حكم به عمر بن الخطاب. ولهذا وأمثاله كان المغيرة يسبب الإمام علياً عليه السلام ويوظف الخطاب لسبه.

وروى الطبراني عن أبي عثمان النهدي قال: شهد أبو بكره ونافع وشبل بن معبد على المغيرة بن شعبة أنهم نظروا إليه كما ينظر إلى المروء في المححلة، فجاء زياد فقال عمر: جاء رجل لا يشهد إلاَّ بحق فقال: رأيت

(١) أحكام القرآن، ابن العربي، ج ٣ ص ٣٤٨.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٦ ص ١٩١ تحت رقم ٣٠٥٨٢.

منظرا قبيحا وابتهارا قال فجلدهم عمر الحد^(١).

وروى ابن عساکر أنَّ أبا بكرة ونافع بن الحارث بن كلدة وشبل بن معبد شهدوا على المغيرة بن شعبة أنَّهم رأوه يولجه ويخرجه وكان زياد رابعهم، وهو الذي أفسد عليهم؛ فأما الثلاثة فشهدوا بذلك فقال أبو بكرة: والله لكأني بأثر جدري في فخذه. فقال عمر حين رأى زيادا: إني لأرى غلاما كيّسا لا يقول إلّا حقّا، ولم يكن ليكتمني شيئا! فقال زياد: لم أر ما قال هؤلاء، ولكّني قد رأيت ريبة وسمعت نفسا عاليا! قال فجلدهم عمر وخلّى عن زياد^(٢).

ولم يعلّق الطبراني.

وقال ابن عبد البر: وكان [يعني أبا بكرة] من فضلاء الصّحابة وهو الذي شهد على المغيرة بن شعبة فبتّ الشّهادة وجلده عمر حدّ القذف إذ لم تتمّ الشّهادة، ثمّ قال له عمر: تب تقبل شهادتك. فقال له: إنّما تستيّبني لتقبل شهادتي؟ قال: أجل. قال: لا جرم، إني لا أشهد بين اثنين أبدا ما بقيت في الدّنيا^(٣).

وقال ابن عساکر: سأل عمر زيادا عن شهادته فقال: لقد رأيت منظرا قبيحا ونفسا عاليا وما رأيت الذي فيه ما فيه الأمر، فكبرّ عمر وجلد أبا بكرة ونافعا وشبلا! فقال أبو بكرة: أما والذي بعث محمّدا بالحقّ لقد رأى زياد مثل الذي رأيت ولكّنه كتم الشّهادة، وإنّ المغيرة لزان. فأراد عمر أن يعيد عليه الحدّ مرّة أخرى، فقال له عليّ: يا

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٧ ص ٣١١ تحت رقم ٧٢٢٧.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ج ٦٠ ص ٣٣.

(٣) الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ١ ص ٥١٤.

أمير المؤمنين، إذن تكمل شهادته أربعة ويحلّ على صاحبك الرّجم؛ فتركه، وكتب إلى أبي موسى أن لا تجالسوا أبا بكره فإنّه شيطان! فحلف أبو بكره أن لا يكلم زياداً أبداً، فولي زياد البصرة بعد ذلك فلم يكلمه حتى مات^(١).

أقول: أقسم أبو بكره بـ"الذي بعث محمّداً بالحقّ" وهو صحابيٌّ، ومع ذلك لم يقبل منه عمر، وقال عنه "شيطان"، وهو الذي وُصف بأنّه نحل من العبادة حتى صار كالعود، وأنّه لم يدخل البصرة أفضل منه ومن عمران بن حصين!! والذي يلفت الانتباه هو طريقة عمر مع من يحاول إسقاط عدالتهم، فإنّه ينعن الناس من مجالستهم، ولعلّه يفعل ذلك لأنّه يخاف أن تتسرّب منهم أقوالٌ تكشف بعض ما يحرص على كتمانها! المهمّ أن عمر يقول عن الزّاني "رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ"، وعن الصّحابي العابد العفيف "شيطان".

قال ابن حجر: وقد حكى الإسماعيلي في المدخل أن بعضهم استشكل إخراج البخاريّ هذه القصّة واحتجّاجه بها مع كونه احتجّ بمحدث أبي بكره في عدّة مواضع، وأجاب الإسماعيليّ بالفرق بين الشّهادة والرّواية، وأنّ الشّهادة يطلب فيها مزيد تنبّت لا يطلب في الرّواية، كالعدد والحريّة وغير ذلك، واستنبط المهلب من هذا أن إكذاب القاذف نفسه ليس شرطاً في قبول توبته، لأنّ أبا بكره لم يكذب نفسه ومع ذلك فقد قبل المسلمون روايته وعملوا بها^(٢).

أقول: أبو بكره قال عن نفسه إنّهم فسّقوه، وهذا معناه أنّه لا تُقبل شهادته، ومن لم

(١) تاريخ دمشق، ابن عسّكر، ج ٦٠ ص ٣٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر [ج ٥ ص ٢٥٦].

تقبل شهادته فهو ليس بعدل، لكنهم قبلوا روايات أبي بكرة وعملوا بها، مع أن عنوان الفسق باق عليه، والعدالة مشترطة في الرواية والشهادة جميعاً، ويصعب الخروج من هذه المسألة بقول مقنع!

وقال أبو إسحاق الشيرازي في المذهب: وشهد على المغيرة بن شعبة ثلاثة: أبو بكرة، ونافع، وشبل بن معبد، وقال زياد: رأيت استأ، ونفساً يعلو، ورجلان كأثمهما أذننا حمار، ولا أدري ما وراء ذلك^(١).

أقول: لا يدري زياد ما وراء ذلك! نعم، وراء ذلك تهجدٌ وذكرٌ وتُسبيحٌ! هذا مع أنهم يزعمون أن لزياد فضل عقل، ولو جيء بصبيٍّ وردد على مسمعه كلام زياد لدري ما وراء ذلك بدون تردد! ولم يكلم أبو بكرة أخاه زياداً حتى مات، وهذا الإصرار والثبات من أبي بكرة جدير بالتأمل، فقد أصرّ أبو بكرة أن يعرف الناس موقفه من عمر والمغيرة وزياد عند خروجه من الدنيا ليقطع الطريق على المتأولين والمصويين لأعمال الحاكمين باسم الإسلام.

وتفتنوا في تصويب فعل عمر بن الخطاب؛ قال ابن قدامة: ولنا أن أبا بكرة ونافعاً وشبل بن معبد شهدوا عند عمر على المغيرة بن شعبة بالزنا، ولم يشهد زياد، فحدّ الثلاثة ولو كان المجلس غير مشروط لم يحز أن يحدّهم، لجواز أن يكملوا برابع في مجلس آخر، ولأنه لو شهد ثلاثة فحدّهم، ثم جاء رابعٌ فشهد لم تقبل شهادته، ولولا اشتراط المجلس لكمّلت شهادتهم^(٢).

(١) المذهب في فقه الإمام الشافعي، ج ٣ ص ٤٥٠، أبو إسحاق الشيرازي، دار الفكر - بيروت.

(٢) المغني في فقه الإمام أحمد، ابن قدامة المقدسي، جزء ١٠، ص ١٦٩، دار الفكر، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥.

وقال: وروى صالح في مسائله بإسناده عن أبي عثمان التَّهْدِي قال: جاء رجل إلى عُمر فشهد على المغيرة بن شعبة فتغيَّر لون عُمر، ثمَّ جاء آخر فشهد فتغيَّر لون عُمر، ثمَّ جاء آخر فشهد فاستكبر ذلك عُمر، ثمَّ جاء شابٌّ يخطر بيديه، فقال عُمر: ما عندك يا سلح العقاب؟ وصاح به عُمر صيحة! فقال أبو عثمان: والله لقد كدت يغشى عليّ! فقال: يا أمير المؤمنين رأيتُ أمراً قبيحاً فقال: الحمد لله الذي لم يشمت الشيطان بأصحاب محمد ﷺ قال: فأمر بأولئك التفر فجلدوا. وفي رواية أنَّ عُمر لما شُهد عنده على المغيرة شَهِد ثلاثةٌ وبقي زياد، فقال عُمر: أرى شاباً حسناً، وأرجو أن لا يفضح الله على لسانه رجلاً من أصحاب محمد رسول الله ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتُ أستا تنبو، ونفساً يغلو، ورأيت رجليها فوق عنقه كأثما أذنا حمار، ولا أدري ما وراء ذلك؟ فقال عمر: الله أكبر، وأمر بالثلاثة فضربوا^(١).

أقول: لماذا صاح عمر بن الخطاب بالشَّاهد صيحةً كاد أبو عثمان - وهو أجنبيٌّ عن القضية - أن يُغشى عليه منها؟! هل كان رسول الله ﷺ يصيح بالشَّهود؟ لاشكَّ أن الصيحة كانت تتضمَّن معنىً فطن له زياد ورَّتب عليه الأثر المناسب فتراجع عن الشَّهادة.

ثم ما معنى التكبير في هذا المقام؟

وقال في الشَّرح الكبير: وفي رواية أنَّه لما شُهد عنده على المغيرة، شهد ثلاثةٌ وبقي واحد، فقال عمر: أرى شاباً حسناً، وأرجو أن لا يفضح الله على لسانه رجلاً من

(١) نفس المصدر السابق، ج ١٠ ص ١٧٥.

أصحاب محمد ﷺ، وهذا تعريض ظاهر^(١).

أقول: كان أولى بصاحب الشرح الكبير أن يقول: وهذا تلقينٌ ظاهرٌ، فإنها العبارة المناسبة المطابقة. والتعريض نفسه يحتوي على شيء من التلقين، لكن التلقين هنا واضحٌ.

وقال آخر: ولأنَّ أبا بكره ونافع بن الحارث وشبل بن معبد شهدوا على المغيرة بن شعبة بالزنا عند عمر بن الخطاب (رض) ولما لم يصرَّح زياد بذلك بل قال: رأيت أمرا قبيحا فرح عمر، وحمد الله، ولم يقم الحدّ عليه، وكان بمحضر من الصحابة^(٢).

أقول: لماذا فرح عمر؟ وما هو موضع الفرح في كلام زياد؟ إن كان القصد أنه درأ الحدّ عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فإنه قد أثبتته في حقّ رجل آخر من أصحاب رسول الله ﷺ اسمه أبو بكره، وكان أبو بكره قبل هذه الحادثة أتقى وأعبد وأصدق من المغيرة بإجماع المسلمين، ولم يكن في سجلّ حياته من الجرائم شيءٌ ممّا كان في سجلّ المغيرة؛ وإثما كان المغيرة عضواً أساسياً في دولة السقيفة، ولم يكن أبو بكره كذلك.

وقال ابن خلدون: ثمّ استعمل المغيرة بن شعبة عليها، وكان بينه وبين أبي بكره منافرةً، وكانا متجاورين في مشرتين ينفذ البصر من إحداها إلى الأخرى من كوتّين، فزعموا أنَّ أبا بكره وزياد بن أبيه وهو أخوه لأُمّه وآخرين معهما عاينوا

(١) الشرح الكبير، ج ١٢ ص ٦.

(٢) منار السبيل في شرح الدليل، ج ٢ ص ٣٣٩، تأليف: إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٥، الطبعة: الثانية، تحقيق: عصام القلعجي.

المغيرة على حالة قذفه بها، و ادّعوا الشّهادة، و منعه أبو بكر من الصّلاة، و بعثوا إلى عمر^(١) ..

يقول ابن خلدون: "زعموا"، وكأنّ القصة مختلقة، وقد تناولها الفقهاء في كتبهم بخصوص الشّهادة والحدود مسلمين بصحتها، لكنها عند ابن خلدون مجرد زعم، وليست هذه أولى مكابرات ابن خلدون!

وفي مثلها وقع ابن كثير فقال: قال أبو بكر لأصحابه: تعالوا فانظروا إلى أميركم يزني بأمّ جميل، فقاموا فنظروا إليه وهو يجامع تلك المرأة، فقالوا لأبي بكر: ومن أين قلت إنّها أمّ جميل؟ وكان رأسهما من الجانب الآخر، فقال انتظروا. فلما فرغا قامت المرأة، فقال أبو بكر: هذه أمّ جميل! فعرفوها فيما يظنون^(٢). فهم في نظر ابن كثير يظنون مرتين، لأنهم قالوا لأبي بكر: ومن أين قلت إنّها أمّ جميل؟ فطلب منهم الانتظار، وانتظروا حتى فرغت وقامت، فعرفوها؟ لماذا يقول ابن كثير "فيما يظنون"؟!

وقال الصّفيدي: سكن أبو بكر البصرة، وبها مات سنة إحدى وخمسين للهجرة وكان ممّن اعتزل يوم الجمل، ولم يقاتل مع أحد من الفريقين، وكان أحد فضلاء الصحابة. قال الحسن: لم يسكن البصرة أحد من الصحابة أفضل من عمران بن حصين وأبي بكر، وله عقب كثير كان لهم وجهة وسؤدد بالبصرة، وكان ممّن شهد على المغيرة بن شعبة بالزّنا فبّت الشهادة، وجلده عمر حدّ القذف إذ لم تتمّ الشّهادة ثمّ قال له: تُبّ لتقبل شهادتك، فقال: لا جرم لا أشهد بين اثنين أبداً ما بقيت في الدّنيا.

(١) تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ٥٤٨.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٧ ص ٨١.

وكان أبو بكرة يقول : أنا مولى رسول الله ﷺ، ويأبى أن ينتسب، وكان مثل التّصل من العبادة حتى مات، وأوصى أن يصلّي عليه أبو برزة الأسلمي، فصلّي عليه. وقد روى له الجماعة كلّهم، وقد مرّ ذكر الشّهادة التي شهدها على المغيرة بن شعبة، وما جرى في ذلك في ترجمة المغيرة بن شعبة.

أقول: ههنا إشكال، فإنّ عمر بن الخطاب لم يكن يقبل شهادة أبي بكرة، وكان يقول له: تُبّ لتقبل شهادتك؛ لكنّ الجماعة كلّهم ^(١) رَوَوْا له! وهذا يعني أنّهم لم يحفلوا بموقف عمر بن الخطاب منه. فعمر بن الخطاب يرى أبا بكرة فاسقاً يحتاج إلى توبة حتّى تُقبل شهادته، والجماعة كلّهم يرونه عدلاً ضابطاً لا يحتاج إلى توبة لتقبل روايته.

وفي معرفة الثّقات: "نفع أبو بكرة من أصحاب التّي ﷺ بصريّ، وكان من خيار أصحاب التّي ﷺ" ^(٢)! فهو من جهة من خيار أصحاب التّي ﷺ، ومن جهة أخرى فاسقٌ لا تُقبل شهادته!

وقد كان لأبي بكرة كلامٌ عظيمٌ في حقّ معاصريه، فعن أبي عثمان التّهدي قال: كنت خليلاً لأبي بكرة، فقال لي يوماً: أترى النّاس؟ إني إنّما عتبت على هؤلاء في الدّنيا، وقد استعملوا عبيد الله يعني ابنه على فارس، واستعملوا رواداً يعني ابنه على دار الرّزق، واستعملوا عبد الرحمن يعني ابنه على الدّيوان وبيت المال، أفليس في هؤلاء دنيا؟ كلا والله، إنّما عتبت عليهم لأنهم كفروا فذكر كلمة ^(٣)! وكان في نسخة

(١) تهذيب التهذيب ج ١٢: ص ٤٨ تحت رقم ١٨١ : أبو بكرة الثقفي الصحابي اسمه نفع بن الحارث بن كلدة.

(٢) معرفة الثّقات، ج ٢: ص ٣١٩ تحت رقم ١٨٦ هـ.

(٣) ما هي الكلمة أيها الحكيم العاقل؟

أخرى "كفروا صراحةً أو صراحاً" (١) ..

عن حاجب بن عمر أبي حبشية، عن عمّه الحكم الأعرج قال: جلب رجلٌ حبشياً من السّند أو الهند، فطلبه زياد أو ابن زياد منه، فأبى أن يبيعه، فغصبه إيّاه فبنى صفةً مسجد البصرة، قال فلم يصل أبو بكره فيها حتى قُلت (٢).

عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: لما اشتكى أبو بكره عرض عليه بنوه أن يأتوه بطبيب فأبى، فلما نزل به الموتُ فعرف الموتَ من نفسه وعرفوه منه قال: أين طبيبكم ليردّها إن كان صادقاً؟! فقالوا: وما يغني الآن؟ قال: وقبل الآن؛ فجاءت ابنته أمة الله فلما رأت ما به بكت فقال: أي بنية لا تبكي. قالت: يا أبت فإذا لم أبك عليك فعلى من أبكي؟ فقال: لا تبكي فوالذي نفسي بيده ما على الأرض نفسٌ أحبُّ إليّ من أن تكون قد خرجت من نفسي هذه، ولا نفس هذا الذّباب الطّائر، فأقبل على حمران يعني ابن أبان وهو عند رأسه فقال: ألا أخبرك ممّ ذاك؟ حسبت والله أن يوشك أن يجيء أمرٌ يحول بيني وبين الإسلام! ثمّ جاء أنسُ بن مالك فقعده بين يديه وأخذ بيده وقال: إن ابن أمّك زياداً أرسلني إليك يقرئك السّلام، وقد بلغه الذي نزل بك من قضاء الله فأحبّ أن يحدث بك عهداً، وأن يسلم عليك ويفارقك عن رضا؛ فقال: أبلغه أنت عني. قال: نعم. قال: فإني أحرّج عليه أن يدخل لي بيتاً ويحضر لي جنازة! قال: لم يرحمك الله وقد كان لك معظماً ولبنيك واصلاً؟ قال:

(١) تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٢: ص ٢١٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٢، ص ٢١٥.

في ذلك غضبت عليه؛ قال: ففي خاصّة نفسك ما علمته إلاّ مجتهداً. قال: فأجلسوني! قال فأجلس فقال: نشدتك بالله لما حدّثتني عن أهل التّهر^(١) أكانوا مجتهدين؟ قال: نعم. قال: فأصابوا أم أخطأوا؟ قال: هو ذاك. ثمّ قال أضجعوني. فرجع أنسٌ إلى زياد فأبلغه فركب من مكانه متوجّهاً إلى الكوفة، فتوفّي^(٢) وهو بالجلحاء، فقدّم بنوه أبا برزة فصلّى عليه^(٣)..

أقول: وهذا يعني أن أبا بكره لا يرضى أن يحضر أخوه زياد جنازته، وهذا أمر عظيم.

وهذه بعض أقوالهم فيه:

* نفع بن الحارث بن كلدة أبو بكره الثّقفي، وقيل اسمه مسروح، كنّاه النّبي ﷺ لتدليّه ببكره من الطّائف، روى عنه أولاده والحسن وعدّه، توفّي سنة ٥١^(٤).

* نفع بن الحارث بن كلدة بفتحتي بن عمرو الثّقفي أبو بكره، صحابيٌّ مشهورٌ بكنيته، وقيل اسمه مسروحٌ بمهمات، أسلم بالطّائف، ثمّ نزل البصرة ومات بها سنة إحدى أو اثنتين وخمسين^(٥).

* كان قد أسلم وهو ابن ثمانين سنة، وانتقل إلى البصرة، ومات سنة تسع وخمسين، وأمر أن يصلّي عليه أبو برزة الأسلمي، وكانا متآخيين. وقد قيل إنّه توفّي

(١) المقصود أهل النهروان الخوارج.

(٢) أي أبو بكره.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٢، ص ٢١٨.

(٤) الكاشف، ج ٢ ص ٣٢٥ تحت رقم ٥٨٦٩.

(٥) تقريب التهذيب، ج ١ ص ٥٦٥ تحت رقم ٧١٨٠.

سنة ثلاث وخمسين وله ثلاث وستون سنة^(١).

* كان يقول أنا مولى رسول الله ﷺ، وكان رجلاً ورعاً صالحاً، آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي برزة، سكن البصرة وتوفي بها سنة إحدى وأربعين وخمسين^(٢).

* الليث بن سعد قال: حدثني ابن شهاب أنه بلغه أن عمر بن الخطاب استتاب أبا بكرة فيما قذف به المغيرة بن شعبة فأبى أن يتوب، وزعم أن ما قال حق، وأقام على ذلك وأصر عليه فلم يكن تجوز له شهادة^(٣).

أقول: لماذا زعم؟! أليس الرجل قد رأى بعينه؟ ولم يتلکأ في الشهادة إلا زياد، وقد شهد زياد هذا فيما بعد على أمه بالزنا وعلى أبيه بالديانة.

أصبح أبو بكرة ممقوتاً لأن الحكومة تقمت عليه، ويفرح بالموت مخافة أن يعجز عن التهي عن المنكر فيموت قلبه. والتأس على دين ملوكهم، وإلا فإن صفحته بيضاء، ومن ترجم له من علماء الرجال ضمن ترجمته أنه من فضلاء الصحابة وصالحينهم. ولكن هل يجديه ذلك وليس معه موافقة للحاكمين؟

وقد كان لأولاده سهم في الرواية: ففي التاريخ الكبير: بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة الثقفي أبو بكرة البصري عن أبيه وعمته كيسة؛ سمع منه أبو عاصم وموسى بن إسماعيل. قال أبو عبد الله حدثنا كلاهما عنه^(٤).

(١) مشاهير الأمصار، ج ١ ص ٣٨ تحت رقم ٢٢٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر ج ٦٢ ص ٢٠٨.

(٣) شرح مشكل الآثار، ج ١٢ ص ٣٦٢.

(٤) التاريخ الكبير، ج ٢ ص ١٢٢ تحت رقم ١٩٠٩.

وفي الجرح والتعديل: نفي بن الحارث أبو بكر له صحة يعدّ في البصريين روى عنه بنوه عبد الرحمن وعبد العزيز وعبيد الله ومسلم وروى عنه الحسن البصري سمعت أبي يقول ذلك^(١).

وقد بقي العلم في ذريّته، فمنهم:

بكار بن قتيبة بن أسد بن أبي بردة بن عبيد الله بن بشر بن عبيد الله بن أبي بكر نفي بن الحارث الصحابي الثقيي البكراوي البصري الفقيه، قاضي مصر أبو بكر؛ مولده بالبصرة سنة اثنتين وثمانين ومائة فيما نقله الطحاوي في تاريخه، تفقه بالبصرة على بلال بن يحيى بن مسلم^(٢)..

سلخ العقاب

عن أبي عثمان التّهدي قال: جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب (رض) فشهد على المغيرة بن شعبة فتغيّر لون عمر، ثمّ جاء آخر فشهد فتغيّر لون عمر، ثمّ جاء آخر فشهد فتغيّر لون عمر، ثمّ جاء آخر فشهد فتغيّر لون عمر حتّى عرفنا ذلك فيه وأنكر لذلك، وجاء آخر يحرك يديه فقال: ما عندك يا سلخ العقاب وصاح أبو عثمان صيحة تشبه صيحة عمر^(٣)..

أقول: لماذا صاح عمر بن الخطاب؟ وما هو محلّ الصيحة من الإعراب؟

(١) الجرح والتعديل، ج ٨ ص ٤٨٩ تحت رقم ٢٢٣٩.

(٢) طبقات الحنفية، ج ١ ص ١٦٨ تحت رقم.

(٣) شرح معاني الآثار، أحمد بن محمد بن سلمة، ج ٤، ص ١٥٣.

هل كان رسول الله ﷺ يصيح بالشهود ويناديهم "يا سلح العقاب"؟
 لقد أراد عمر بن الخطاب أن يدرأ الحدَّ على المغيرة، لكن ضاق عليه الوقت، إذ لو
 أتمَّ زياد الشَّهادة لوجب عليه رجم المغيرة بن شعبة، فلجأ إلى ما لجأ إليه وناقض
 نفسه في عين المكان؛ فقد قال فيما قال: "أما إني أرى وجه رجل أرجو أن لا يرجم
 رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ على يده ولا يخزي بشهادته"^(١). والحال أن المغيرة
 لم يكن الصحابيَّ الوحيد في القصة، فأبو بكر أيضاً صحابيٌّ، ومن أجلاء الصحابة
 حسب ما قال علماء الرجال في ترجمته، فلا بدَّ أن يخزي أحد أصحاب رسول الله في
 القصة، لكنَّ منطق الدولة يقضي بأن تحفظ حياة الصحابيِّ الذي هو من خطَّ السَّقيفة
 ومن المستميتين في الدِّفاع عن خطَّ السَّقيفة، فإنَّ في كتب التاريخ والتَّراجم ما يشير
 إلى أن المغيرة كان من المشاركين في الهجوم على بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

(١) فتوح البلاذري، ج ٢ ص ٤٢٣.

الفصل السابع

أقوال في المغيرة بن شعبة

أقوال في المغيرة بن شعبه

قال ابن كثير في البداية والنهاية في ترجمة المغيرة: كان المغيرة من دهاة العرب، وذوي آرائها، أسلم عام الخندق بعد ما قتل ثلاثة عشر رجلاً من ثقيف مرجعهم من عند المقوقس وأخذ أموالهم، فغرم دياتهم عروة بن مسعود، وشهد [المغيرة] الحديبية، وكان واقفاً يوم الصلح على رأس رسول الله ﷺ بالسيف صلتاً، وبعثه رسول الله ﷺ بعد إسلام أهل الطائف هو وأبو سفيان بن حرب، فهدما اللات، وقد قدمنا ذلك، وبعثه الصديق إلى البحرين، وشهد اليمامة واليرموك، فأصيب عينه يومئذ، وقيل : بل نظر إلى الشمس وهي كاسفة، فذهب ضوء عينه. وشهد القادسية، ولآه عُمر فتوحاً كثيرة، منها همدان وميسان، وهو الذي كان رسول سعد إلى رُسْتَم، فكلّمه بذلك الكلام البليغ، فاستنابه عُمر على البصرة، فلما شهد عليه بالزنا ولم يثبت عليه، عزله عنها، و لآه الكوفة واستمرّ به عثمان حيناً، ثم عزله، فبقي معزولاً حتى كان أمر الحكمين، فلحق بمعاوية؛ فلما قُتل عليٌّ وصالح الحسن معاوية ودخل الكوفة ولآه معاوية عليها، فلم يزل أميرها حتى مات في هذه السنة على المشهور. قاله محمد بن سعد وغيره. وقال الخطيب: أجمع الناس على ذلك، وذلك في رمضان منها، عن سبعين سنة. وقال أبو عبيد: مات سنة تسع وأربعين. وقال ابن عبد البر: سنة إحدى وخمسين. وقيل : سنة ثمان وخمسين. وقيل: سنة ست وثلاثين. وهو غلط... وقال عبد الله بن نافع الصائغ: أحصن المغيرة ثلاثمائة امرأة. وقال غيره: ألف امرأة. وقيل: مائة امرأة.

وقيل: ثمانين امرأة. فإله أعلم^(١).

أقول: انظر إلى قولهم "أحصن المغيرة" وهم يعلمون أن العبارة لا تتفق مع العبث الذي كان يمارسه المغيرة، وقد سمي الله تعالى الزواج «ميثاقاً غليظاً»، والإحصان يتضمن العفة وصون النفس عن التوق إلى الحرام، ولم يكن المغيرة محتاجاً إلى هذا العدد الهائل ليصون نفسه كما يصونها أي مسلم، وعليه فإما أن يكون قصد بذلك رقماً قياسياً يميز به عن غيره وهذا ليس غريباً عنه بعد أن قال "أنا أول من رشا في الإسلام" وبعد أن ادعى كاذباً أنه "آخرهم عهداً برسول الله ﷺ". وإما أن يكون قد استسلم لشهوة فرجه استسلاماً لا يليق بأهل المروءة أن يفكروا فيه فضلاً عن أن يطبقوه. وبما أنه قد شهد عليه الصحابة العدول بالزنا في قصة مشهورة، واستعملت الدولة أساليبها لتدراً عنه الحد، لحاجتها إلى مكروهه ودهائه، فإن كلا الاحتمالين وارد. ولو كان الانهماك في شهوة الفرج على طريقة المغيرة فضيلة لرغب فيه الإسلام، والحال أنه كلما ازدادت الحكمة قلت الشهوة. وفي وسع المرء أن يتصور مجتمعاً يقلد المغيرة بن شعبة في انهماكه في شهوة فرجه، ولا مناص ساعتها من البحث عن عدد هائل من النساء ليحصل الاكتفاء الذاتي للمجتمع، فإن كل شخص يحصن - كما زعموا - ثمانين امرأة وهو القدر المتيقن في ما أورده ابن كثير، وعليه يحتاج مجتمع فيه مليون رجل إلى ثمانين مليون امرأة، وهلمّ جرّاً!

ويوم الحديبية رفع عروة بن مسعود رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة؛ فقال: أي غدر - وهو معدول عن غادر على ما في النهاية - ألسنت أسعى في

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨ ص ٤٩.

غدرتك؟! وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي: أمّا الإسلام فأقبل وأمّا المال فلست منه في شيء^(١).

وللتذكير فإنّ عروة بن مسعود الثقفي هو عمُّ المغيرة بن شعبة^(٢). وذكر ابن سعد في الطبقات أنّ ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية، وأمّها لبابة بنت أبي العاص بن أمية، تزوّجها عروة بن مسعود الثقفي فولدت له، ثمّ خلف عليها^(٣) المغيرة بن شعبة الثقفي^(٤).

وعن قبيصة بن جابر الأسدي:.. صحبت المغيرة بن شعبة فلو أنّ مدينة لها أبواب لا يخرج من كلّ باب منها لا بالمكر لخرج منها كلّها^(٥).

أقول: إلى هذه الدرجة أحاط المغيرة بفنون الشّيطنة، وللإمام علي عليه السلام كلام في الدّهاء، ولو كان الدّهاء فضيلة لما فات الأنبياء منه شيء، فالدّهاء والمروءة لا يجتمعان فضلاً عن الإيمان.

وعن قبيصة قال: ألا أخبركم عنّ صحبت؟ صحبت عمر بن الخطّاب فما رأيت أحداً أفقه في دين الله تعالى ولا أحسن مدارساً منه. وصحبت طلحة بن عبيدالله فما رأيت أحداً أعطى للجزيل في غير مسألة منه. وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت

(١) مرقة المفاتيح، ج ٧ ص ٥٦٠.

(٢) ذكر ذلك الحاكم في المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ٧١٣ و الطبراني في المعجم الكبير ج ١٧ ص ١٤٧ وابن حجر العسقلاني في فتح الباري ج ٥ ص ٣٤١ و الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٤٦١ و العيني في عمدة القاري ج ١٤ ص ١١ و العظیم آبادي في عون المعبود ج ٧ ص ٣١٧ و ابن الجوزي في كشف المشكل، ج ٤ ص ٥٥ و الشوكاني في نيل الأوطار، ج ٨ ص ١٩٧.

(٣) خلف عليها: أي تزوّجها بعد وفاة زوجها.

(٤) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٨ ص ٢٤٠.

(٥) التاريخ الكبير، البخاري، ج ٧ ص ١٧٥.

أحداً أنصع ظرفاً أو أبين ظرفاً منه. وصحبت معاوية فما رأيت أحداً أكثر حلماً منه ولا أكرم ولا أبعد أناةً منه! وصحبت زياداً فما رأيت أحداً أحلم ولا أكرم جليساً منه، ولا أخصب رفيقاً منه. وصحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينةً لها ثمانية أبواب لا يخرج من كل باب منها إلا بالمكر لخرج منها كلها^(١).

أقول: لم يصحب قبيصة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ولا الحسين عليه السلام ولا سلمان الفارسي، ولا أبا ذرّ، ولا المقداد، ولا عمّار بن ياسر، ولا خزيمة بن ثابت. ولم نر في هؤلاء من وصف المغيرة بتقوى أو ورع أو حفظ قرآن.

وفي معجم الشعراء: هو - أي المغيرة - صاحب معاوية في سائر حروبه ومواطنه، وهو أوّل من أشار عليه بولاية العهد ليزيد ابنه، وأوّل من أجهد نفسه في ذلك بالكوفة عند تقلّده إيّاها لمعاوية، وفضائله في هذه المعاني كثيرة^(٢)!

وقال كعب بن جعيل يهجو المغيرة بن شعبة:

إذا راح في قوهيّة متأزّراً فقلْ جُعِلْ يَسْتَنْ في لَبَنٍ مَحْنُضٍ
وتحسبُه إن قام للمشي قاعداً لقلّة مقياسيه في الطّول والعرض
فأقسم لو خرت من إستك بيضةً لما انكسرت من قرب بعضك من بعض
فيا خِلقة الشّيطان أقصر فائماً رأيْتُك أهلاً للعداوة والبُغض^(٣)

وفي جمهرة اللّغة: كذلك حديث الأعرابيّة التي تزوّجها المغيرة بن شعبة فسئلت عنه

(١) التاريخ الكبير، البخاري، ج ٧ ص ١٧٥. وسيرة ابن كثير، ج ٤ ص ٦٦٤.

(٢) معجم الشعراء، ج ١ ص ٨٥ وانظر إلى هذا العالم الجليل يسمى التملّق والكذب فضائل!

(٣) الحماسة البصرية، ج ٢ ص ٢٨٠.

فقال: عسيلته طائفة في وعاء خبيث. وكان رجلاً شحيحاً قويّ الدّلك صلبه^(١)!

وفي حوار بين الإمام علي عليه السلام وعثمان، قال عثمان: قد علمت والله ليقولنّ الذي قلت، أما والله لو كنت مكاني ما عنتك ولا أسلمتك ولا عبت عليك ولا جئت منكراً أن وصلت رحماً، وسددت خلّة، وآويت ضائعاً، وولّيت شبيهاً بمن كان عمر يولّي. أنشدك الله يا عليّ، هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك؟ قال: نعم. قال فتعلم أن عمر ولّاه؟ قال: نعم. قال فلم تلومني أن ولّيت ابن عامر في رحمه وقرابته؟ قال عليّ: إن عمر كان يطأ على صماخ من ولّي، إن بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به أقصى العقوبة، وأنت لا تفعل، ضعفت ورقت على أقبائك^(٢).

وقال ابن أبي الحديد: أصحابنا غير متفقين على السّكوت على المغيرة، بل أكثر البغداديين يفسقونه ويقولون فيه ما يقال في الفاسق، ولما جاء عروة بن مسعود النّقي إلى رسول الله ﷺ عام الحديبية نظر إليه قائماً على رأس رسول الله متقلداً سيفاً، فقال: من هذا؟ قيل: ابن أخيك المغيرة، قال: وأنت هاهنا يا غدر! والله إني إلى الآن ما غسلت سواتك. وكان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح، ولا إنابة ونية جميلة، كان قد صحب قوماً في بعض الطّرق، فاستغفلهم وهم نيام، فقتلهم وأخذ أموالهم، وهرب خوفاً أن يلحق فيقتل، أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم، فقدم المدينة فأظهر الإسلام، وكان رسول الله ﷺ لا يردّ على أحد إسلامه، أسلم عن علّة أو عن

(١) جمهرة اللغة، ج ٢ ص ٨٤٢

(٢) الكامل في التاريخ، ج ٣ ص ٤٤ و البداية والنهاية، ج ٧ ص ١٦٨.

إخلاص، فامتنع بالإسلام، واعتصم وحمى جانبه^(١).

أقول: هذا هو الكلام الذي استنكف المحدثون وعلماء الرجال أن يقولوه!

"يفسّقونه ويقولون فيه ما يقال في الفاسق"

"فاستغفلهم وهم نيام، فقتلهم وأخذ أموالهم"

"وكان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح، ولا إنابة ونية جميلة"

"وهرب خوفاً أن يلحق فيقتل، أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم"

"قدم المدينة فأظهر الإسلام"

رأي الإمام علي عليه السلام في المغيرة:

وقد نعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام المغيرة بما هو أهله حينما راجعه عمّار بن ياسر فقام عمّار فقال: معاذ الله يا مغيرة، تقعد أعمى بعد أن كنت بصيراً. يغلبك من غلبته، ويسبقك من سبقته، انظر ما ترى وما تفعل، فأما أنا فلا أكون إلا في الرّغيل الأول. فقال له المغيرة: يا أبا اليقظان؛ إياك أن تكون كقاطع السلسلة فرّ من الضّحل فوقع في الرّمضاء. فقال عليّ لعمّار: دعه، فإنّه لن يأخذ من الآخرة إلا ما خالطه الدّنيا، أما والله يا مغيرة إنّها المثوبة المؤدّية، تؤدّي من قام فيها إلى الجنة، ولما اختار بعدها، فإذا غشيناك فم في بيتك. فقال المغيرة: أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم ممّي، ولئن لم أقاتل معك لا أعين عليك، فإن يكن ما فعلت صواباً فأياه أردت، وإن

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠ ص ٨ - ٩.

يكن خطأً فمنه نجوت، ولى ذنوبٌ كثيرةٌ، لا قبل لي بها^(١).

وكذب المغيرة في قوله "لا أعين عليك"، فإنه لم يكتف بالإعانة عليه بل بلغ به اللؤم والشقاء أن يسب ويلعن ويشتم من يُصلّى عليه في الأرض و السماء، ويوظّف لذلك الخطباء من الخوارج وأصحاب الأهواء.

وقال ابن أبي الحديد بخصوص موقف الإمام عليّ عليه السلام من المغيرة وأشباهه:

فأما عليّ عليه السلام فإنه عندنا بمنزلة الرسول ﷺ في تصويب قوله، والاحتجاج بفعله، ووجوب طاعته، ومتى صحّ عنه أنّه قد برئ من أحد من الناس برئنا منه كائناً من كان، ولكنّ الشّأن في تصحيح ما يُروى عنه عليه السلام، فقد أكثر الكذب عليه، وولدت العصبية أحاديث لا أصل لها. فأما براءته عليه السلام من المغيرة وعمر بن العاص ومعاوية، فهو عندنا معلومٌ جار مجرى الأخبار المتواترة، فلذلك لا يتولّاهم أصحابنا، ولا يثنون عليهم، وهم عند المعتزلة في مقام غير محمود^(٢)..

رأي عمر بن الخطاب في المغيرة:

قال اليعقوبي: ... ووجه [أي عمر] جُبَيْر بن مُطعم، فمكر به المغيرة، وحمل عنه خبراً إلى عمر وقال له: ولّني، يا أمير المؤمنين. قال: أنت رجلٌ فاسقٌ! قال: وما عليك منّي؟ كفايتي ورجولتي لك، وفسّقي على نفسي، فولاه الكوفة، فسألهم عن المغيرة، فقالوا: أنت أعلم به وفسقه. فقال: ما لقيت منكم يا أهل الكوفة! إن وليتكم

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزيني، ج ١ ص ٥٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠ ص ٣٥.

مسلماً تقيّاً قُلتُم: هو ضعيفٌ، وإن وليتكم مجرماً قُلتُم: هو فاسقٌ. فيقال إنّه ردّ سعد بن أبي وقاصٍّ^(١).

وهذا الحوار بين الرجلين جديرٌ بأن يُتوقّف عنده، وأوّل ما فيه أن عمر بن الخطّاب لم يؤاخذ المغيرة لا على تجسّسه ولا على نقله الخبر، ولا على مكره بالصّحابيّ جُبَيْر بن مطعم، وكلّها أمورٌ منهيٌّ عنها في الشّرّع الحنيف! والأمر الثّاني هو أن المغيرة بن شعبه لم يدافع عن نفسه حين قال له عمر "أنت رجلٌ فاسقٌ"، بل قال: "وما عليك منّي" وقال بعدها: "فسقي على نفسي!"

وهذا إقرارٌ صريحٌ منه على نفسه بالفسق! وموقف الإسلام من الفاسق معلومٌ؛ وقد ذكر القرآن الكريم الفاسقين في أكثر من ثلاثين موضعاً، في كلّها ذمٌّ ووعيدٌ^(٢)، ومن بينها آياتٌ تصرّح أنّه سبحانه وتعالى ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. وإذا كان الله سبحانه وتعالى لا يهدي القوم الفاسقين، والمغيرة يشهد على نفسه أنّه فاسقٌ، ولم يثبت أنّه تاب من الفسق قبل موته، فهذا معناه أن المغيرة مات على غير هداية. أضف إلى ذلك قول أهل الكوفة لعمر "أنت أعلم به وبفسقه!" والأدهى من ذلك كلّه قول عمر "وإن وليتكم مجرماً قُلتُم هو فاسقٌ!" فهل تجوز تولية المجرم في الإسلام؟!

عن معمر عن الزّهريّ قال: ثارت الفتنة ودهاة الثّاس خمسة، يعدّ من قريش

(١) تاريخ البعقوي، ج ٢ ص ١٥٥.

(٢) البقرة: ٢٦ و ٩٩ وآل عمران: ٨٢ و ١١٠ والمائدة: ٢٥ و ٢٦ و ٤٧ و ٤٩ و ٥٩ و ٨١ و ١٠٨ و الأعراف: ١٠٢ و ١٤٥ والتوبة: ٨ و ٢٤ و ٥٣ و ٦٧ و ٨٠ و ٨٤ و ٩٦ والأنبياء: ٧٤ والنور: ٤ و ٥٥ والنمل: ١٢ والقصاص: ٣٢ والسجدة: ١٨ والزخرف: ٥٤ والأحقاف: ٣٥ والحجرات: ٦ و الذاريات: ٤٦ والحديد: ١٦ و ٢٦ و ٢٧ والحشر: ٥ و ١٩ والصف: ٥ والنافقون: ٦.

معاوية وعمر، ويعدّ من الأنصار قيس بن سعد، ويعدّ من المهاجرين عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، ويعد من ثقيف المغيرة بن شعبة^(١).

أقول: من حقّ قبيلة عبس أن تفخر بشجاعة وعفة عنترة بن شدّاد، ومن حقّ الطائيين أن يفخروا بكرم حاتم، ومن حقّ بني قيلة أن يفخروا بمزيمة بن ثابت ذي الشهادتين (رض)، ومن حق قبيلة غفار أن تفخر بأبي ذر (رض)، ولا تملك ثقيف إلا أن تغضّ الطرف لأنّ منها المغيرة بن شعبة والحجاج بن يوسف!

وقال [ابن شهاب] أيضاً: كان قيس وابن بديل مع عليّ، وكان المغيرة معتزلاً في الطائف، وكان عمرو مع معاوية. وقال قيس: لولا أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: " المكر والخديعة في التار " لكنت من أمكر هذه الأمة^(٢).

أقول: لكنّ المغيرة بن شعبة قضى عمره كلّ في المكر والخديعة.

وقوله "كان المغيرة معتزلاً في الطائف مجانباً للصواب، وقد مرّ بك قولهم في حقّ المغيرة [صاحب معاوية في سائر حروبه ومواطنه] فكيف يكون معتزلاً من هذا شأنه؟!

مواقف من المغيرة

اتّهم أبو بكر المغيرة بن شعبة إذ ردّ خبره في ميراث الجدة حتّى أخبره معه محمّد بن مسلمة، ذكر ذلك جماعة منهم الغزالي في المستصفى^(٣). وذكر أبو جعفر الإسكافي

(١) مصنف عبد الرزاق، ج ١١ ص ٣٤٩، تحت رقم ٢٠٧٢٦.

(٢) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ١ ص ٩١٩.

(٣) المستصفى، الغزالي، ج ١ ص ١٣٥.

أن المغيرة كان يضع الأحاديث القبيحة في أمير المؤمنين عليه السلام بترغيب من معاوية بن أبي سفيان. واتهمه عمر بن الخطاب إذ ردّ خبره في دية الإملاص؛ واتفق الإمام علي عليه السلام وعثمان بن عفان في شهادتهما على المغيرة بن شعبة على أنه ليس هناك، وهي كلمة عظيمة في لغة العرب يقصد بها دناءة الهمة وقلة المروءة عند المعني. والإمام علي عليه السلام وعثمان اثنان من الخلفاء الراشدين ومن المبشرين بالجنة في كتب الجمهور، فشهادتهما معاً لها وزنها.

وقال مجالد عن الشعبي: دهاة العرب أربعة: معاوية بن أبي سفيان، وعمر بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزباد؛ فأما معاوية فلأناة والحلم، وأما عمرو فلمعضلات، وأما المغيرة بن شعبة فللمبادهة، وأما زياد فللصغير والكبير^(١).

وفي تاريخ دمشق: عن أحمد بن بشير عن عوانة قال: ذكر عمر شيئاً فقال المغيرة: الرأي فيه كذا وكذا. فقال: وما أنت والرأي! إذا جاء الرأي غلبك عليه عمرو ومعاوية^(٢). هذا موقف عمر من المغيرة! يقول له: "وما أنت والرأي؟" وقد ذكروا أنه كان يسمى "مغيرة الرأي"، فكيف غاب ذلك عن عمر وهو الشاهد المعين الخبير بالمغيرة وأمثاله؟!

وعن مجالد عن الشعبي قال كان دهاة العرب أربعة أحدهم المغيرة بن شعبة لم يأخذ عقدة إلا حلّها. قال بهامش الصفحة [وفي الأغاني ج ١٦ ص ٨٦]: أحسن

(١) تهذيب الكمال، المزي، ج ٢٢ ص ٨٢.

(٢) تاريخ دمشق، ج ٦٠ ص ٤٩.

المغيرة بن شعبة إلى أن مات ثمانين امرأةً فيهنّ ثلاث بنات لأبي سفيان بن حرب^(١).

أقول : ثلاث بنات لأبي سفيان تزوّجهن المغيرة ليفهم معاوية ولاءه المطلق لآل أبي سفيان، ولو عاش المغيرة إلى سقوط دولة بني أمية للعن آل أبي سفيان أيضاً تقريباً إلى الحاكمين الجدد.

وقال الذهبي : ويروى أن عمرًا ومعاوية اجتمعا، فقال معاوية له: من الناس؟ قال: أنا وأنت والمغيرة بن شعبة وزيدا! قال : وكيف ذاك؟ قال : أما أنت فللتأني، وأما أنا فللبديهة، وأما مغيرةٌ فللمعضلات، وأما زيادٌ فللصّغير والكبير^(٢).

وروى زحر بن حصن عن جدّه حميد بن منهب قال : زرت الحسن بن أبي الحسن فخلوت به فقلت : يا أبا سعيد ما ترى ما الناس فيه؟ فقال لي : أفسد أمر الناس اثنان : عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحملت وقال: أين القرءاء فحكّم الخوارج، فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة. والمغيرة بن شعبة فإنه كان عامل معاوية على الكوفة فكتب إليه معاوية : إذا قرأت كتابي هذا فأقبل معزولاً؛ فأبطأ عنه، فلما ورد عليه قال : ما أبطأ بك؟ قال : أمرٌ كنت أوطئه وأهينّه. قال: وما هو؟ قال : البيعة ليزيد من بعدك قال : أ وفعلت؟ قال : نعم. قال: ارجع إلى عملك؛ فلمّا خرج قال له أصحابه: ما وراءك؟ قال: وضعت رجلٌ معاوية في غرز غيٍّ لا يزال فيه إلى يوم القيامة. قال الحسن: فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم، ولولا

(١) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ج ٦٠ ص ٤٩.

(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ١ ص ٥٠٨.

ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة^(١).

أقول: هذا الكلام من طرف الحسن البصريّ يحمّل المغيرة بن شعبة مسؤولية إفساد أمر المسلمين في مسألة الحكم، وإن كان معاوية في غنى عن مناورة المغيرة؛ فالمغيرة لا يبالي أن يضع رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه إلى يوم القيامة، وتتعكس آثار ذلك على الأمة الإسلامية قرناً بعد قرن! المهم أن يسلم للمغيرة منصبه في دولة بني أمية، فيضمن بذلك شهوة فرجه التي صار يضرب بها المثل! وإذا كان المغيرة قد أفسد أمر الناس كما يقول الحسن البصري، فهو إذاً من المفسدين، والله لا يصلح عمل المفسدين. وبعد هذا، هل ينصف الذهبي في الحكم على المغيرة بعد أن علم أنه أفسد أمر الناس.

عن أنس بن الحسن أن عمر بن الخطاب كتب إلى المغيرة بن شعبة أن يقضى بين الناس وقال: إن أمير العامة أجدر أن يهاب، وقال: إذا رأيت من الخصم تكدياً فأوجع رأسه! ويقال إن عمر فعل هذا حين اشتكى ضعف أبي مريم فقال: لأعزلته و لأستعملن رجلاً إذا رآه الفاجر فرقه^(٢).

أقول: نعم، سواء في ذلك الفاجر والتقي، كل من يرى شخصاً قتل ثلاثة عشر شخصاً من رفقاءه في السفر أثناء نومهم يقشعر بدنه، خصوصاً إذا علم أنهم أخذوا منه الموائيق ألا يغدر بهم. وأنت لا تجد مع ذلك في العالم كله بلداً يؤهل صاحب فعلة كفعله المغيرة ليكون قاضياً على الناس، فإن القضاء نفسه يفقد منزلته في القلوب

(١) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ١، ص ٦٢١.

(٢) أخبار القضاء، ج ١، ص ٢٧٤.

حينما يكون القاضي قاتلاً، متّهماً بالزنا من طرف شهود في مستوى أبي بكرة العابد، ومتبجحاً بممارسة الرّسوة. ومع ذلك فقد أهّله عمر بن الخطّاب لمنصب القاضي ومنصب الوالي!

قال الإتيدي: وقيل: إنّهُ قدّم أهل الكوفة على عمر بن الخطّاب (رض) يشكون سعد بن أبي وقاص، فقال: من يعذرني من أهل الكوفة؟ إن وليّتهم التّقيّ ضعفه، وإن وليّتهم القويّ فجّروه. فقال له المغيرة بن شعبة: يا أمير المؤمنين، إنّ التّقيّ الضّعيف له ثِقاه ولك ضعفه، وإنّ القويّ الفاجر لك قوّته وعليه فجوره. قال: صدقت! أنت القويّ الفاجر فاخرج إليهم. فلم يزل عليهم أيّام عمر وعثمان (رض) وأيام معاوية حتى مات المغيرة^(١).

وفي جمهرة خطب العرب من كلام الحسن بن عليّ عليهما السّلام يردّ على المغيرة بن شعبة في مجلس معاوية: وأما أنت فلم تكن بخلق أن تقع في هذا وشبهه، وإنّما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنّحلة استمسكي فأبّتي طائراً عنك؛ فقالت النّحلة: وهل علمت بك واقعةً عليّ فأعلم بك طائراً عنّي! والله ما نشعر بعداوتك إيّانا، ولا اغتمنا إذ علمنا بها، ولا يشقّ علينا كلامك؛ وإنّ حدّ الله في الزّنا ثابتٌ عليك، ولقد درأ عمر عنك حقّاً الله سائله عنه، ولقد سألت رسول الله هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوّجها فقال: لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزّنا لعلمه بأنك زان^(٢)!

قال ابن الحديد ما لفظه: وقد برئ كثيرٌ من أصحابنا من قوم من الصّحابة

(١) إلام التاس بما وقع للبرامكة، الإتيدي، ص ٢٥.

(٢) جمهرة خطب العرب، ج ٢ ص ٢٢.

أحبطوا ثوابهم كالمغيرة بن شعبة^(١).

وقال أبو جعفر أيضا: وكان المغيرة بن شعبة صاحب دنيا يبيع دينه بالقليل التزر منها، ويُرضي معاوية بذكر عليّ بن أبي طالب^(٢).

هذا قول أبي جعفر في المغيرة بن شعبة: صاحب دنيا يبيع دينه بالقليل التزر منها. وروى البلاذريّ في الأنساب قال: وأتى المغيرة بن شعبة عثمان فقال له: دعني آت القوم فانظر ماذا يريدون... فلما دنا منهم صاحوا به: يا أعور، وراءك! يا فاجر، وراءك! يا فاسق، وراءك^(٣)!

وعن ابن عيينة عن عمرو عن أبي جعفر أن عليّاً بلغه عن المغيرة بن شعبة شيء فقال: لئن أخذته لأتبعته أحجاره^(٤).

كان عروة [بن مسعود التّقفيّ] يكلم رسول الله ﷺ، فكلّما مدّ يده يمّسّ لحية رسول الله ﷺ، قرعها المغيرة بقدح كان في يده، حتّى إذا أخرجه قال: من هذا؟ قالوا: هذا المغيرة بن شعبة، قال عروة: أنت بذاك يا غدر، وهل غسّلتُ عنك غدرتك إلّا أمّس بعُكاظ^(٥).

عن حمّاد بن زيد عن هشام عن محمّد، قال: كان الرّجل يقول للرّجل: "غضب الله تعالى عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة بن شعبة، عزله عن البصرة

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ٩، ط دار إحياء الكتب العربية.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٦٩٧٠ دار إحياء الكتب العربية.

(٣) أنساب الأشراف، البلاذري، ج ٥ ص ٦٣٦٤.

(٤) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧، ص ٢٥٦.

(٥) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٨، ص ٥١٤.

واستعمله على الكوفة" ^(١)!

وفي جامع ابن عبد البر: عن علي بن أبي طالب أنه قال: كذب المغيرة بن شعبة ^(٢) ..

وليس القصد من هذا الفصل تقصي كل ما قيل في المغيرة بن شعبة، فإن الأقوال فيه موزعة في الكتب، وهي في كتب الأدب والتاريخ أكثر منها في كتب الحديث، لأنّ المحدثين قد بنوا لأنفسهم مباني لا يحدون عنها، وإذا ما عارض مبانيهم شيء فتحوا أبواب التبرير والتوجيه والاحتمال وغير ذلك. وعليه فقد اقتصرنا على الأقوال المشهورة الواضحة المعنى، وليس في هذه الأقوال ما ينسب إلى شيعي، وإن كان موقف شيعة أهل البيت عليهم السلام من المغيرة بن شعبة محسوماً.

(١) الآحاد والمثاني، الضحاك، ج ٣، ص ٢٠٣ تحت رقم ١٥٥٣.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، ج ٢، ص ١٥٥.

الفصل الثامن

الحق على الإمام علي عليه السلام

الحق على الإمام علي عليه السلام

هذه القضية سببت مشاكل كبيرةً لمدرسة الجمهور، واضطرت أتباع تلك المدرسة إلى تصحيح أحاديث موضوعية وتضعيف أحاديث صحيحة، ولا زال التناقض هو السائد هناك. والعاقل لا يخفى عليه التمييز بين طلب الحقيقة وبين المراوغة والإصرار على الباطل، لأن لكل من الموقفين خصائصه ومواصفاته التي تختلف تماماً عنها في الجهة المقابلة. وليست معرفة الحقيقة بذاتها موجبةً لتبنيها والعمل بها، إذ المعرفة تبقى نظريةً، بينما العمل يحتاج إلى دافع، خصوصاً حينما يكتشف الإنسان أن الحقيقة تخالف هواه، وليس كل متلبس بالدين مخالفاً فعلاً لهواه. وقد كفانا القرآن الكريم مؤونة البحث في ذلك الشأن، وأخبر أن الذين اختلفوا إنما اختلفوا من بعد ما جاءهم البينات من ربهم، فاختلافهم لم يكن عن دليل كما يروج له في كتب الكلام والسير والتاريخ، وإنما هو اختلاف ناشئ عن عناد!

والذي يدمي فؤاد كل غيور على الإسلام وعلى مؤسس الإسلام ﷺ هو تلك الحصانة التي حازها من رأوا رسول الله ﷺ وسمعوه، بينما بقي آل رسول الله ﷺ مباحةً أعراضهم، مهدورةً دماؤهم، من يوم وفاته إلى يومنا هذا إلا ما شاء ربك. وهذا الكلام هو الذي يخشى الخوض فيه كثير من مشايخ التقط ووعاظ السلاطين لعلمهم بنتيجته قبل الخوض فيه؛ فهم يعلمون أن المسلم معصوم الدم والعرض والمال، أيّاً كان لونه وشكله وبلده واتماؤه؛ وعليهم أن يلتزموا بذلك حتى لا يدخلوا تحت قوله تعالى ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، لكن أيّ لهم الالتزام بذلك

وهو يخالف ما بنوه لأنفسهم من اعتقاد بعدالة جميع الصحابة فرداً فرداً، مهما صدر منهم. إنَّ مبدأ عصمة دم وعرض ومال المسلم من المسلّمات في الإسلام، لكنّه يصطدم بما جرى بعد وفاة النبي ﷺ من بلاء تعرّض له أهل بيت النبوة، فكيف العمل؟ هل نضحّي بعدالة جميع الصحابة فينهار المذهب؟! أم نفتح أبواب التبرير والتّوجيه والاحتمال وتعدّد القراءات وتعدّد الصّواب؟! ولا شكّ أنّ الثّانية أسهل وأقلّ مؤونةً. ههنا بقيت مدرسة الجمهور تراوح منذ قرون، ولا زالت تراوح وستبقى تراوح، لأنّ الله لا يغيّر ما يقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم.

صعوبة القضية تتمثّل في أنّ الحاقدين على الإمام علي عليه السلام أصرّوا على بغضه ولعنه سبّه وشتّمه، ولعنه - وسبّه وشتّمه - لم يجز في مجلس واحد مثلاً، في حالة غضب أو خصومة، وإنّما كان أمراً مدروساً مدبّراً مخطّطاً له بدقّة، ودام - بشكل رسميّ تحت إشراف الدّولة - ثمانين سنة؛ واللّعن هو الطّرد والإبعاد من رحمة الله تعالى. وقد أريد من ورائه عزل الإمام علي وأهل البيت عليه السلام عن رسول الله ﷺ، وصبغهم بصبغة مخالفة، ليتسنى بعد ذلك مهاجمتهم ومحاربتهم، بل وتكفيرهم والشّهادة عليهم أنّهم على خلاف ما عليه أمة محمد ﷺ!! وإلّا فما هو العمل الذي ارتكبه الإمام علي عليه السلام واستحقّ به السّبّ والشتّم؟! هل هناك للإمام علي عليه السلام موقفٌ خالف فيه رسول الله ﷺ؟ ألم يقل النبي ﷺ في حقّه يوم خيبر "يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله"؟ فهو بهذا حبيب الله ورسوله؛ كيف يطلب عاقلٌ من الله تعالى أن يلعن حبيبه؟. ثمّ لماذا يستمرّ لعنه على المنابر بعد خروجه من الدّنيا عقوداً من الزّمن كيما يشبّ عليه الصّغير ويهرم عليه الكبير؟ هل كان الذين لعنوا الإمام علي عليه السلام ليفعلوا ذلك

في حياة رسول الله ﷺ؟ كيف وقد أخبر النبي ﷺ أنه لا يبغض علياً عليه السلام إلا منافقاً^(١). وإذا كان النبي ﷺ قد شهد على من يبغض الإمام علياً عليه السلام أنه منافق، فهل على المسلم حرج إن هو صدق رسول الله ﷺ واعتقد أن من يبغض الإمام علياً عليه السلام منافق؟! وإن كان هناك حرج فما فائدة كلام النبي ﷺ إذا؟! أليس الحرج كل الحرج في عدم الاعتقاد بنفاق مبغض الإمام علي عليه السلام؟! نعم، كل من أبغض الإمام علياً عليه السلام فهو منافق شاء أم أبي، أحب من أحب وكره من كره، ومن زعم أن هذا غير صحيح فهو مكذب لرسول الله ﷺ، ولا قيمة لكلام من يكذب رسول الله ﷺ.

"لا يحببك إلا مؤمن" كلام بسيط واضح سهل فهمه، معناه أن حب الإمام علي عليه السلام منحصر لدى المؤمنين، فلا يحبّه الكفار والمشركون، ولا يحبّه المنافقون والذين في قلوبهم مرض؛ وقوله ﷺ "لا يبغضك إلا منافق" كلام بسيط واضح سهل فهمه أيضاً، معناه أن كل من يبغض الإمام علياً عليه السلام فهو منافق، صحابياً كان أم تابعياً، من أهل القرن العاشر أم من أهل القرن العشرين، لا فرق في ذلك لأن

(١) مسند احمد، ج ١ ص ٨٤، و ج ١ ص ٩٥ و ج ١ ص ١٢٨ وصحيح مسلم، ج ١ ص ٦١ وسنن ابن ماجه، ج ١ ص ٤٢ وسنن الترمذي، ج ٥ ص ٣٠٦ وسنن النسائي، ج ٢ ص ١١٧ وفضائل الصحابة، النسائي ص ١٧ وجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٩ ص ١٣٣ وفتح الباري، ابن حجر، ج ١ ص ٦٠ ومسند الحميدي ج ١ ص ٣١ والمصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧ ص ٤٩٤ وكتاب السنة، عمرو بن أبي عاصم، ص ٥٨٤ والسنن الكبرى، النسائي، ج ٥ ص ٤٧ و ج ٥ ص ١٣٧ و ج ٦ ص ٥٣٤ و مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، ج ١ ص ٢٥١ و ج ١ ص ٣٤٧ وصحيح ابن حبان، ابن حبان، ج ١٥ ص ٣٦٧ والمعجم الأوسط، الطبراني، ج ٢ ص ٣٣٧ و ج ٥ ص ٨٧ والمعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٣ ص ٣٧٥ ومعرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري ص ١٨٠ والاستذكار، ابن عبد البر، ج ٨ ص ٤٤٦ والاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٣ ص ١١٠٠.

التي ﷺ لم يختص ولم يقيد. ومن صعب عليه فهم هذا فالمشكلة عنده في الفهم ولا مشكلة في وضوح كلام النبي ﷺ.

عن أبي مريم السلولي قال: سمعت عمار بن ياسر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: يا علي، إن الله عز وجل قد زينك بزينة لم يترين العباد بزينة أحب إليه منها، الزهد في الدنيا، فجعلك لا تنال من الدنيا شيئاً، ولا تنال الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حب المساكين ورضوا بك إماماً ورضيت بهم أتباعاً؛ فطوبى لمن أحببك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك. فأما الذين أحبوك وصدقوا فيك فهم جيرانك في دارك، ورفقاؤك في قصرك، وأما الذين أبغضوك وكذبوا عليك فحق على الله أن يوقفهم موقف الكذابين يوم القيامة^(١).

وقد روى البخاري في صحيحه حديثاً يتعلق بلعن المؤمن، لكنه روى ونقل قبل ذلك وبعده عن كل من لعنوا سيد المؤمنين؛ ففي صحيح البخاري عن ثابت بن الضحاك - وكان من أصحاب الشجرة - أن رسول الله ﷺ قال: من حلف على ملّة غير الإسلام فهو كما قال، وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة، ومن لعن مؤمناً فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله^(٢).

وفي سنن أبي داود: عن أم الدرداء، قالت: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: "إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ج ٤ ص ٢٣.

(٢) صحيح البخاري، ج ٧ ص ٨٤.

السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً فإذا لم تجد مساعدا رجعت إلى الذي لعن، فإن كان لذلك أهلا وإلا رجعت إلى قائلها" ^(١)

مسألة لعن علي بن أبي طالب عليه السلام لا يمكن أن تتحول إلى قضية ثانوية لأنها ذات علاقة بمسألة الإمامة. والذين أرادوا أن يجعلوها من الماضي المنسي لم يفلحوا ولن يفلحوا، لأن لعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من العلامات الفاصلة بين الإيمان والكفر، فمن سوّلت له نفسه لعن الإمام علي عليه السلام فإنه لا حظ له في الإسلام، وذلك بشهادة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، كما جاء في كتب المسلمين. فعن أبي إسحاق عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكم؟ قلت: سبحان الله أو معاذ الله. قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من سب علياً فقد سبني ^(٢). وعن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا نعرف المنافقين نحن معاشر الأنصار بيبغضهم علي بن أبي طالب ^(٣). وهو صريح في أن مبغض علي بن أبي طالب عليه السلام منافق، فكيف بمن صرح ببغضه وأقدم على سبه وشتمه ولعنه؟!

وعن صدقة بن المشي التخعي، حدثني جدّي رياح بن الحارث، قال: كنت قاعداً عند فلان ^(٤) في مسجد الكوفة وعنده أهل الكوفة، فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فرحب به وحيّاه وأقعده عند رجله على السرير، فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة فاستقبله فسب وسب، فقال سعيد: من يسب هذا الرجل؟

(١) سنن أبي داود، ج ٢ ص ٤٥٧.

(٢) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، النسائي ص ٩٩.

(٣) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٤ ص ٣٠.

(٤) فلان هو المغيرة كما دلّت عليه باقي الروايات التي صرحت بالاسم.

فقال: يسبّ عليّاً، قال : ألا أرى أصحاب رسول الله ﷺ يسبّون عندك ثم لا تتكر ولا تغيّر^(١).

وفي سنن النسائي الكبرى: عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم قال: خطب المغيرة بن شعبة فسبّ عليّاً...

وفي سير أعلام النبلاء: خطب المغيرة فنال من علي^(٢) ..

وأيضا في سير الذهبي أنّ المغيرة كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة، فجاء رجلٌ من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسبّ وسبّ، فقال سعيد بن زيد: من يسبّ هذا يا مغيرة؟ قال: يسبّ عليّ بن أبي طالب^(٣) ...

من هو هذا الرجل الكوفي الذي كان يلعن علي بن أبي طالب عليه السلام؟

صرّح ابن أبي عاصم باسمه في كتاب السنة حيث قال: حدثنا أبو بكر، حدّثنا محمد بن بشر، حدّثني صدقة بن المشثي، حدّثني رياح بن الحارث عن سعيد بن زيد، عن النبي ﷺ مثله. غير أنّه قال : قام رجلٌ من أهل الكوفة يدعى قيس بن علقمة فاستقبل المغيرة بن شعبة فسبّ وسبّ^(٤) ...

وصرّح باسمه أيضا ابن أبي شيبة في مصنّفه حيث قال: .. جاء رجلٌ من أهل المدينة يدعى سعيد بن زيد بن نفيل، فرحّب به المغيرة وأجلسه عند رجله على

(١) سنن أبي داود، ج ٢ ص ٤٠٢.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١ ص ١٠٥.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج ١ ص ١٠٣.

(٤) كتاب السنة، عمرو بن أبي عاصم، ص ٦٠٦ تحت رقم ١٤٣٤.

السَّير، فبينما هو على ذلك إذ دخل رجلٌ من أهل الكوفة يدعى قيس بن علقمة، فاستقبل المغيرة فسبَّ فسبَّ، فقال له المدني: يا مغيرة بن شعبه، من يسبُّ هذا الشاب، قال: يسبُّ عليَّ بن أبي طالب، قال له مرتين: يا مغيرة بن شعبه! ألا أسمع أصحاب رسول الله ﷺ يسبون عندك لا تنكر ولا تغير^(١) ..

وصرّحوا باسم الرجل أيضا في تاريخ ابن عساكر؛ فعن محمد بن جحادة عن الحرّ بن الصباح عن المغيرة بن الأخنس قال: دخلنا على المغيرة بن شعبه وعنده سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قال فدخل قيس بن علقمة فنال من عليّ، فقال سعيد بن زيد: ألا أرى أصحاب رسول الله ﷺ يُنال منهم وأنت ساكت^(٢) ..

وأما في سنن النسائي الكبرى فالرواية كما يلي: عن شعبه عن حرّ بن صيَّاح عن عبد الرحمن بن الأخنس قال: شهدت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عند المغيرة بن شعبه فذكر من عليّ شيئا^(٣). فما هو هذا الشيء الذي ذكره المغيرة من الإمام علي عليه السلام؟! ولعله أراد "شيئا قليلا"، لأنَّ سبَّ ولعن وشم الإمام علي عليه السلام ليس بالأمر الخطير وإن كان يحبَّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله! المهمّ ألاّ يسمح المسلم لنفسه بنقد أبي هريرة ومعاوية وعمرو بن العاص وحزب السقيفة، أولئك الذين لا يجوز بحال من الأحوال أن يتعرّض لهم مسلم، لأنَّ عدالتهم لا تقبل النقاش، ولأنَّ الله تعالى - وحاشا له سبحانه وتعالى - قد تكفّل بصون أعراضهم وحرّماهم حتى حين يسبون ويلعنون أحبّ الخلق إليه.

(١) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧ ص ٤٧٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٢١ ص ٧٠.

(٣) العبارة سنن النسائي الكبرى، ج ٥ ص ٦٠ تحت رقم ٨٢١٠.

وتلك شهادة سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة على المغيرة بن شعبة بأنه ظالم^(١)، فهو يتحدث عن أمر بلعن علي بن أبي طالب عليه السلام، وفاعل ذلك هو من أقام خطباء ينالون من علي إرضاءً لمعاوية، وهو المغيرة بن شعبة. والعجيب أن المغيرة نفسه يذكر أنه سمع رسول الله ﷺ ينهى عن سب الأموات^(٢)، فما أعظم احترام المغيرة لكلام رسول الله ﷺ !

يقيم المغيرة خطباء يلعنون الإمام عليا عليه السلام بعدما علم أن النبي ﷺ قال: يا علي من سبك فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله تعالى، ومع ذلك يبقى المغيرة يتمتع بحصانة منيعة، ويتقلد المناصب الرفيعة، ويستمتع إليه من عميت قلوبهم التي في صدورهم ليقولوا بعد ذلك بكل وقاحة وصلافة: حدثنا المغيرة بن شعبة عن رسول الله ﷺ !

وفي صحيح مسلم: [..] عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: استعمل على المدينة رجل من آل مروان^(٣) قال فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم علياً، قال فأبى سهل

(١) وفي فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، ص ٣٢: عن سفيان بن منصور عن هلال بن عبد الله بن ظالم وذكر سفيان رجلاً فيما بينه وبين عبد الله بن ظالم قال: سمعت سعيد بن زيد قال لما قدم معاوية الكوفة أقام المغيرة بن شعبة خطباء يتناولون علياً فأخذ بيدي سعيد بن زيد فقال: ألا ترى هذا الظالم الذي يأمر بلعن رجل من أهل الجنة.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٣ ص ٤٥ تحت رقم ١١٩٨٥.

(٣) مرة أخرى " رجل من آل مروان " ! لماذا لا يذكره الراوي باسمه؟! ولعل الراوي ذكره باسمه ولكن مقص الرقابة تحرك ليؤدي ما عليه! لأن القارئ إذا عرف اسم الرجل من آل مروان ثم رآه في الصحيحين يصعب عليه قبوله، والتعظيم يسهل تمرير القضية بسلام، فيجد القارئ في الصحيحين وغيرهما أسماء رجال من آل مروان ولا يحظر بباله أنهم كانوا يسبون ويلعنون الإمام علياً عليه السلام.

فقال له: أما إذ أبيت فقل لعن الله أبا التراب! فقال سهل: ما كان لعليّ اسم أحبّ إليه من أبي التراب، وإن كان ليفرح إذا دعي به. فقال له: أخبرنا عن قصّته ^(١)...

وفي معجم الطبراني: صعد عمرو المنبر فذكر عليّاً ووقع فيه، ثمّ صعد المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى على عثمان ثمّ وقع في عليّ رضي الله عنه ^(٢).

ومات المغيرة وهو مصرّ على لعن علي بن أبي طالب عليه السلام كلّما تيسّر له الأمر، في قصره، وفي المسجد، وفي الأسواق، ويصعب أن يثبت مثبت أنّه تاب من ذلك، وهذا يعني أنّه مات على التّفاق ولم يمت على ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعن قطبة بن مالك قال: نال المغيرة بن شعبة من عليّ بن أبي طالب فقال له زيد بن أرقم: أما إنّك قد علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينهى عن شتم الهلكى، فلمّ تسبّ عليّاً وقد مات ^(٣)؟ وروى أحمد بن حنبل في مسنده عن سفيان عن زياد بن علاقة قال سمعت رجلاً عند المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تسبّوا الأموات فتؤذوا الأحياء ^(٤).

وفي مسند أبي داود: عن الحرّ بن الصباح التّخميّ قال: سمعت عبد الرّحمن بن الأخنس قال: شهدت المغيرة بن شعبة يخطب فقال من عليّ رضي الله عنه فقام سعيد بن زيد.. الحديث ^(٥).

(١) صحيح مسلم، ج ٧ ص ١٢٣، ١٢٤.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٣ ص ٧١ - ٧٢.

(٣) مسند ابن المبارك، ص ١٦٥.

(٤) مسند أحمد بن حنبل، ج ٤ ص ٢٥٢.

(٥) مسند أبي داود الطيالسي، ص ٣٢.

وقصة سبّ علي من طرف المغيرة أيضا في سير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٠٥ وج ١ ص ١٠٣ وج ١ ص ١٠٤.

عن رياح بن الحرث بن المغيرة أن المغيرة بن شعبة كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره، فجاءه رجل يدعى سعيد بن زيد فحياه المغيرة وأجلسه عند رجله على السرير، فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسبّ وسبّ فقال: من يسبّ هذا يا مغيرة؟ قال: يسبّ علي بن أبي طالب^(١). وفي المستدرك عن زياد بن علاقة عن عمّه أن المغيرة بن شعبة سبّ علي بن أبي طالب فقام إليه زيد بن أرقم فقال: يا مغيرة، ألم تعلم أن رسول الله ﷺ نهى عن سبّ الأموات؟ فلم تسبّ عليًا وقد مات؟ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه هكذا، إنما اتفقا على حديث الأعمش عن مجاهد عن عائشة أن النبي ﷺ قال: لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا^(٢). وفي مسند أبي يعلى عن الحر بن صياح عن عبد الرحمن بن الأخنس أن المغيرة بن شعبة خطب فنال من علي، قال فقام سعيد بن زيد^(٣). وفي مسند الشاشي عن عبد الرحمن بن الأخنس رجل منهم أن المغيرة بن شعبة خطب فنال من علي فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل^(٤)....

(١) مسند أحمد ابن حنبل، ج ١ ص ١٨٧.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج ١ ص ٥٤١ تحت رقم ١٤١٩.

(٣) مسند أبي يعلى، ج ٢ ص ٢٥٩ و مسند أحمد بن حنبل، ج ١ ص ١٨٨ تحت رقم ١٦٣١ والأحاديث المختارة، ج ٣ ص ٢٨٨ والسنة لابن أبي عاصم، ج ٢ ص ٦١٩ تحت رقم ١٤٢٨ و تاريخ مدينة دمشق، ج ٢١ ص ٧٠ و تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٥ ص ٢٧٤.

(٤) مسند الشاشي، ج ١ ص ٢٤٧ تحت رقم ٢١٠.

والقصة أيضاً في تهذيب التهذيب وتاريخ مدينة دمشق^(١).

وقال الأصفهاني في معرض الحديث عن حجر بن عدي: فلم يزل كذلك حتى كان المغيرة يوماً في آخر أيامه يخطب على المنبر فنال من علي بن أبي طالب عليه السلام ولعنه ولعن شيعته، فوثب حجر فنعر نكرةً أسمعت كل من كان في المسجد وخارجه فقال له: إنك لا تدري أنها الإنسان بمن تولع أو هربت^(٢)..

وفعل المغيرة هنا فيه تكذيب لرسول الله ﷺ، فقد روى جمع من الحفاظ أن النبي ﷺ قال للإمام علي عليه السلام "أنت وشيعتك تردون علي المحوض رواية مرويّة مبيضة وجوهكم، وإن عدوك يردون علي المحوض ظمأً مقمحين"^(٣).

لكن أعداء الإمام علي عليه السلام لم تطب نفوسهم بهذا الحديث، لأنه يشير إلى طوائف القاسطين والتاكثين والمارقين، فأدخلوا فيه ما ليس منه وأخرجوا منه ما هو من صميمه كعادتهم في تقليد اليهود في التحريف والكتمان، فكان من ذلك مثلاً ما رواه عن أبي سعيد الخدري عن أم سلمة قالت كانت ليلتي وكان النبي ﷺ عندي فأتته فاطمة فسبقها علي فقال له النبي ﷺ يا علي أنت وأصحابك في الجنة، أنت وشيعتك في الجنة، إلا أنه ممن يزعم أنه يحبك أقوام يرفضون الإسلام ثم يلفظونه، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، بهم نيز يقال لهم الرافضة، فإن أدركتهم فجاهدهم فإنهم مشركون! فقلت: يا رسول الله ما العلامة فيهم؟ قال: لا يشهدون جمعة ولا جماعة،

(١) تهذيب الكمال، المزي، ج ١٦ ص ٥٠٤ و تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٠ ص ٣٢٨.

(٢) الأغاني، الأصفهاني، ج ١٧ ص ١٣٨.

(٣) جمع الزوائد، الهيثمي، ج ٩ ص ١٣١.

ويطعنون على السلف^(١). والحال أن هذا الحديث - إن صح - إنما هو في الخوارج، ولا خلاف أن الخوارج كلاب النار. لكن حديث " تردون على الحوض رواة مرويين مبينة وجوهكم " لا يدخل مع شيعة الإمام علي عليه السلام غيرهم، فكان على المحرفين أن يدخلوا فيه كلاماً جديداً يجعلهم هم شيعة لعلي عليه السلام، ويخرج شيعته من المضمون، وليس هذه أولى افتراءاتهم على رسول الله ﷺ، ومن علامات الوضع في هذا الحديث عبارة " السلف " التي لم تكن تجري على ألسن المسلمين في حياة رسول الله ﷺ، ولا يزالون يكذبون على أتباعهم، وليحملن أوزارهم وأوزاراً مع أوزارهم.

والحديث في نظم درر السمطين : عن ابن عباس (رض) قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال لعلي: هو أنت وشيعتك، تأتي يوم القيامة أنت وشيعتك راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين. فقال يا رسول الله : ومن عدوي؟ قال من تبرأ منك ولعنك^(٢). والذين تبرأوا منه ولعنوه معلومون، وهم معاوية وعمرو بن العاص والتَّعْمان بن بشير والمغيرة بن شعبة، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، ومروان بن الحكم، والقائمة طويلة، لكن أرباب التحريف أرادوا أن يعكسوا القضية بحيث يصبح شيعته من أعدائه، ويصبح أعداؤه من شيعته!!

وقد كان أتباع معاوية يتبارون في سب الإمام علي عليه السلام طلباً للحظوة عند

(١) المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٦ ص ٣٥٤. وعبارة السلف تلقي ظلالة من الشك على هذا الحديث لأنها

عبارة متأخرة عن أيام النبي ﷺ، وإلا فهل كان للنبي ﷺ سلف؟!

(٢) نظم درر السمطين، الزرندي الحنفي، ص ٩٢.

السُّلْطَان، روى الطبراني عن عمران بن حدير^(١) عن أبي مجلز قال: ...صعد عمرو المنبر فذكر عليًا ووقع فيه، ثمَّ صعد المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى عليه ثم وقع في عليّ رضي الله عنه^(٢) ..

وفي شواهد التنزيل أن النبي صلى الله عليه وآله قال: يا عليّ، فيكم نزلت ﴿لَا يَخْزِيهِمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [أنت وشيعتك]^(٣) تطلبون في الموقف وأنتم في الجنان تنتعمون^(٤). فمن هم شيعة علي عليه السلام؟! هل هم الذين حاربوه يوم الجمل؟ أم الذين حاربوه في صفين؟ أم الذين حاربوه في النهروان؟ هل هم الذين يمينون روايته والرواية عنه؟ هل هم الذين يلعنونه على أكثر من ثمانية عشر ألف منبر مدّة تسعين سنة؟ على الرجاليين والمؤرخين أن يجيبوا عن هذه الأسئلة، وليس بمجدبهم أن يقولوا ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ لائها ﴿أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾.

وعن شعبة عن الحرّ بن الصّباح عن عبد الرحمن بن الأُخس قال خطبنا المغيرة بن شعبة فنال من علي^(٥) ..

(١) نص العبارة: عن عمران بن حدير أظنه عن أبي مجلز..

(٢) المعجم الكبير، ج ٣ ص ٧١ تحت رقم ٢٦٩٨.

(٣) في الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج ٦ ص ٣٧٩.

أخرج ابن عدي عن ابن عباس قال لما نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين. وأخرج ابن مردويه عن علي قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله ألم تسمع قول الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ أنت وشيعتك وموعدي وموعدهم الحوض إذا جثت الأمم للحساب تدعون غرا محجلين.

(٤) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، ج ١ ص ٥٠٠.

(٥) مسند أحمد بن حنبل، ج ١ ص ١٨٨ تحت رقم ١٦٣١ ومسند أبي يعلى، ج ٢ ص ٢٥٩ تحت رقم ٩٧١.

وكان المغيرة بن شعبة عالما بحال أهل الكوفة في زمانه، فإنها كانت مدينة مختلفة الأهواء، وكما كان فيها شيعة لأهل البيت (عليه السلام) كان فيها خوارج ونواصب يستغلون كل فرصة تتاح ليسبوا الإمام علياً (عليه السلام).^(١)

(١) في مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٦٩ تحت رقم ١٩٣٠٧: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن بشر ثنا مسعر عن الحجاج مولى بني ثعلبة عن قطبة بن مالك عم زياد بن علاقة قال: نال المغيرة بن شعبة من علي فقال زيد بن أرقم قد علمت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان ينهى عن سب الموتى فلم تسب عليا وقد مات.. وفي مسند الشاشي، ج ١ ص ٢٣٤ تحت رقم ١٩٠: حدثنا محمد بن عيسى بن حيان المدائني نا شابة نا شعبة عن الحر بن الصباح سمعت عبد الرحمن بن الأخنس يقول شهدت المغيرة بن شعبة يخطب بالكوفة فذكر عليا فقال منه.. (المغيرة وسب علي (عليه السلام)). وفي مسند الشاشي ج ١ ص ٢٤٧ تحت رقم ٢١٠: وحدثنا إسحاق بن إبراهيم بن جبلة نا مسلم نا شعبة عن الحر بن الصباح عن عبد الرحمن بن الأخنس رجل منهم أن المغيرة بن شعبة خطب فقال من علي.. وفي مسند الشاشي ج ١ ص ٢٥٠ تحت رقم ٢١٦: حدثني ابن سليمان نا إبراهيم بن حجاج نا عبد الواحد بن زياد نا صدقة بن المثني النخعي نا رياح بن الحارث قال كنا عند المغيرة بن شعبة وهو في المسجد فجاء سعيد بن زيد فأوسع له المغيرة فجلس معه على السرير فجاء شاب من أهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة فشتم وشتم فقال سعيد يا مغيرة من يسب هذا الرجل قال يسب عليا فقال يا مغيرة ألا أرى أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) وعلى آله وسلم يشتمون عندك..... - لم يعترض المغيرة على الشخص الذي شتم عليا (عليه السلام) لأنه هو الذي أقام خطباء ينالون من علي كما سبق ذكره). وفي مسند الشاشي ج ١ ص ٢٥٦ تحت رقم ٢٢٥: حدثنا الحسن بن علي بن عفان العامري أنا أبو يحيى عن حنش بن الحارث عن الحر بن الصباح قال قام رجل من أهل الشام يسب علي بن أبي طالب في مسجد الكوفة قال وأمير الكوفة يومئذ المغيرة بن شعبة قال فقام إليه سعيد بن زيد فقال للمغيرة يا مغيرة أيسب صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنت شاهد ولا تنكر ولا تغير.

وفي مسند الشهاب ج ٢ ص ٨١ تحت رقم ٩٢٥: أخبرنا عبد الرحمن بن عمر البزاز أبنا أحمد بن محمد بن الأعرابي ثنا الحسن بن علي بن عفان ثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن زياد بن علاقة قال سمعت المغيرة بن شعبة يقول قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء.. وفي مسند الطيالسي ج ١ ص ٣٢ تحت رقم ٢٣٦: حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة عن الحر بن الصباح النخعي قال سمعت

عبد الرحمن بن الأحنس قال شهدت المغيرة بن شعبة يحطّب فنال من علي رضي الله عنه..وفي مجمع الزوائد، ج٧ ص٢٤٧: سعد عمرو المنبر فذكر عليًا ووقع فيه ثمّ سعد المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى عليه ثم وقع في علي..وفي مجمع الزوائد، ج٨ ص٧٦: عن زياد بن علاقة قال نادى المغيرة بن شعبة بسب علي فقال له زيد بن أرقم علمت أن رسول الله ﷺ كان ينهانا عن سب الموتى فلم تسب عليا رحمه الله وقد مات. رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحد أسانيد الطبراني ثقات..وفي [حديث خيثة] ج١ ص٩٣: أنبأنا رياح بن الحارث قال كنا في المسجد مع المغيرة بن شعبة قال فتناول رجل من أهل الشام علي بن أبي طالب فنال منه، قال فقال سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل: يا مغيرة ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ عندك وأنت لا تغيّر على الشامي..من حديث خيثة، ج١ ص٩٤: زياد بن علاقة قال كنت عند المغيرة بن شعبة فذكر عليا بشيء فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يا مغيرة ألم تسمع عليا يذكر وأنت لا تغير..

وفي حلية الأولياء، ج١ ص٩٦: عن عبد الله بن ظالم المازني قال لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة قال فأقام خطباء يقعون في علي وأنا إلى جنب سعيد بن زيد قال فغضب فقام فأخذ بيدي فتبعته. وفي حلية الأولياء، ج٧ ص٢٣٦: عن قطبة بن مالك ثنا المغيرة بن شعبة عن علي قال له زيد بن أرقم أما إنك قد علمت أن رسول الله ﷺ كان ينهى عن شتم الملوك فلم تسب عليا وقد مات. رواه الناس عن المبارك عن مسعر وروى أيضا وكيع عن مسعر نحوه..

وفي تهذيب الكمال، ج١٠ ص٤٥٠: رياح بن الحارث أن المغيرة بن شعبة كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره فجاء رجل يدعى سعيد بن زيد فحياه المغيرة وأجلسه عند رجله على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسب وسب قال من يسب هذا يا مغيرة قال يسب علي بن أبي طالب قال يا مغير بن شعيب يا مغير بن شعيب ثلاثا ألا أسمع أصحاب رسول الله ﷺ يسبون عندك لا تنكر ولا تغير..وفي تهذيب الكمال، ج١٣ ص١٤٧:

رياح بن الحارث قال كنت قاعدا عند المغيرة بن شعبة في مسجد لكوفة وعنده أهل الكوفة فجاء سعيد بن زيد بن عمرو فرحب به المغيرة وحسب وأقعدته عند رجله على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة فاستقبله فسب وسب فقال سعيد يا مغيرة من يسب هذا الرجل قال له يسب عليا فقال له سعيد يا مغيرة ألا أرى أصحاب رسول الله ﷺ يسبون عندك ثم لا تغير ولا تنكر. وفي تهذيب الكمال، جزء ١٦ ص٥٠٤: عن الحر بن الصباح قال سمعت عبد الرحمن بن الأحنس يقول شهدت المغيرة بن شعبة خطب فنال من علي فقام سعيد بن يزيد بن عمرو بن نفيل

العدوي عدي قريش فقال أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول عشرة في الجنة رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن مالك وعبد الرحمن بن عوف ولو شئت أن أسمى العاشر لسميته ثم سماه فقال سعيد بن زيد. (المغيرة وسب علي عليه السلام). قلت : وأنت ترى أن أبا عبيدة بن الجراح غير مذكور بين المبشرين في هذا الحديث. وفي تاريخ دمشق، ج ١٨ ص ٣٨٨ : عن الحر بن الصباح قال سمعت عبد الرحمن بن الأحنس قال شهدت المغيرة بن شعبة يخطب بالكوفة فذكر عليا فقال منه.. تاريخ دمشق، ج ١٨ ص ٣٩٠ : عن زيد بن الحارث العبيدي قال قام سعيد بن زيد بالكوفة ودخل على المغيرة بن شعبة وهو أمير فأوسع يعني له إلى جنبه فجاء رجل فوقع في علي فقال ألا أرى أصحاب محمد يسبون عندكم قال إنهم يتناولون من أبي الحسن.. (المغيرة وسب علي عليه السلام). وفي تاريخ دمشق، ج ٢٠ ص ٣٢٨ : شعبة عن الحر بن صياح قال سمعت عبد الرحمن بن الأحنس يقول شهدت المغيرة بن شعبة خطب فقال من علي..

وفي تاريخ دمشق، ج ٣٥ ص ٢٧٤ : عن عبد الرحمن بن الأحنس قال خطبنا المغيرة بن شعبة فقال من علي.. وفي تاريخ دمشق، ج ٣٥ ص ٢٧٥ : عن الحر بن صياح عن عبد الرحمن بن الأحنس قال خطبنا المغيرة بن شعبة فقال من علي.. وفي تاريخ ابن خلدون، ج ٣ ص ١٢ : كان المغيرة بن شعبة أيام إمارته على الكوفة كثيرا ما يتعرض لعلّي في مجالسه وخطبه و يترحم على عثمان و يدعو له فكان حجر بن عدي إذا سمعه يقول : بل إياكم قد أضل الله و لعن ثم يقول أنا أشهد أن من تدمون أحق بالفضل و من تزكون أحق بالذم.. وفي جمهرة خطب العرب، ج ٢ ص ٢٢ : ثم تكلم المغيرة بن شعبة فشتّم عليا وقال والله ما أعيبه في قضية يخون ولا في حكم يعيل ولكنه قتل عثمان..

أخبار مكة للفاكهي ج ٤ ص ٩٠ تحت رقم ٢٤٢٣ : حدثنا محمد بن أبان البلخي قال ثنا عبد الله بن إدريس الأودي قال أخبرني حصين بن عبد الرحمن السلمي عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم المازني قال لما قدم معاوية رضي الله عنه إلى الكوفة أقام المغيرة بن شعبة خطباء يتناولون عليا رضي الله عنه وفي الدار سعيد بن زيد وفي سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣١ : أبو بكر بن عياش عن حصين عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم قال كان المغيرة ينال في خطبته من علي وأقام خطباء يتناولون منه. وفي البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٧ ص ٣٥٧ : قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عاصم قال حصين أنا على عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم المازني قال لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة قال فأقام خطباء يقعون في علي. وفي خزنة الأدب ج ٦ ص ٥١ : وكان معاوية وعماله يدعون لعثمان في الخطبة يوم الجمعة ويسبون عليا ولما كان المغيرة متولي الكوفة كان يفعل ذلك وكان

حجر يقوم ومعه جماعة يردون عليه وكان المغيرة يتجاوز عنهم فلما ولي زياد ودعا لعثمان وسب عليا قام حجر وقال كما كان يقول من الثناء على علي ففضب زياد وأمسكه وأوثقه بالحديد وثلاثة عشر نفرا معهم وأرسلهم إلى معاوية. (المغيرة وسب علي عليه السلام).

وفي كتاب الأذكياء، ابن الجوزي، ص ٢٥٦: عن حجر المدري قال، قال لي علي رضي الله عنه كيف بك إذا أمرت أن تلعنني؟ قلت: أو كائن ذلك؟ قال: نعم! قلت: كيف أصنع؟ قال: العني ولا تتبرأ مني. قال فقام محمد بن يوسف إلى جنب المنبر يوم الجمعة، فقال له: العن علياً. فقال: إن الأمير محمد بن يوسف أمرني أن ألعن عليا فالعنوه لعنه الله فلقد تفرق أهل المسجد وما فهمها إلا رجل واحد. قالوا: قامت الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة فقام صعصة بن صوحان فتكلم فقال المغيرة: أرجوه فأقيموه على المصطبة فليلعن علياً فقال: لعن الله من لعن الله ولعن علي بن أبي طالب فأخبره بذلك فقال: أقسم بالله لتقيده فخرج فقال: إن هذا يا أبي إلا علي بن أبي طالب فالعنوه لعنه الله! فقال المغيرة أخرجوه أخرج الله نفسه. و روى الطبري في ج ٤ ص ١٨٨ : .. أن معاوية بن أبي سفيان لما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة ٤١ دعاه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وقد قال المتلمس لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلمنا وقد يجزى عنك الحكيم بغير التعلم وقد أردت إيضاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطاني ويصلح به رعيتي ولست تاركاً إيضاءك بخصلة لا تتحم عن شتم على وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب على أصحاب علي والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه والإدناء لهم والسماع منهم. فقال المغيرة قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك فلم يذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع فستبلو فتحمد أو تذم ثم قال بل نحمد إن شاء الله.

و في البيان و التبيين ج ١ ص ٢٦٦: وجلس معاوية رضي الله تعالى عنه بالكوفة يبائع على البراءة من علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه فجاءه رجل من بني تميم فأراه على ذلك فقال يا أمير المؤمنين تطيع أحياءكم ولا نبراً من موتاكم فالتفت إلى المغيرة فقال إن هذا رجل فاستوص به خيراً. نعم! جلس رسول الله ﷺ يوم الغدير يبائع على ولاية علي عليه السلام، وجلس معاوية بالكوفة يبائع على البراءة من علي عليه السلام و كلاهما على صواب وعلى ملّة واحدة! فاعتبروا يا أولي الأبصار! وفي مسند ابن حنبل ج ١ ص ١٨٧: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يحيى بن سعيد عن صدقة بن المشي حدثني رياح بن الحرث بن المغيرة إن شعبة كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن

يساره فجاءه رجل يدعى سعيد بن زيد فحياه المغيرة وأجلسه عند رجله على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسب وسب فقال من يسب هذا يا مغيرة قال يسب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وفي مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٦٩: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن بشير ثنا مسعر عن الحجاج مولى بنى ثعلبة عن قطبة بن مالك عم زياد بن علاقة قال نال المغيرة بن شعبة من علي فقال زيد بن أرقم قد علمت أن رسول الله ﷺ كان ينهى عن سب الموتى فلم تسب عليا وقد مات. وفي تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٣٠: وكان حجر بن عدي الكندي، وعمر بن الحمق الخزاعي وأصحابهما من شيعة علي بن أبي طالب، إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية، وهم يلعنون عليا على المنبر، يقومون فيردون اللعن عليهم، ويتكلمون في ذلك. وفي تاريخ الكوفة للبرقي ص ٢٧٧: (حادثة حجر بن عدي...) إن معاوية لما استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة ٤١ وأمره عليها دعاه وقال له... ولست تاركا إيضاءك بمخضلة لا تترك، شتم علي وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له... أقام المغيرة عاملا على الكوفة وهو لا يدع شتم علي والوقوف فيه والدعاء لعثمان والاستغفار له فإذا سمع ذلك حجر بن عدي قال بل إياكم فذم الله ولعن، ثم قام وقال أنا أشهد أن من تدمون أحق بالفضل ومن تزكون أولى بالذم... فلما كان آخر إمارته (المغيرة) قال في علي وعثمان ما كان يقوله فقام حجر... وقال له مر لنا أيها الإنسان بأرزاقنا فقد حبست عنا ذلك لك وقد أصبحت مولعا بدم أمير المؤمنين (عليه السلام) فقام أكثر من ثلثي الناس يقولون صدق حجر وير.

مجمع الزوائد للهيتمي ج ٨ ص ٧٦: عن زياد بن علاقة قال نادى المغيرة بن شعبة بن علي فقال له زيد بن أرقم علمت أن رسول الله ﷺ كان ينهى عن سب الموتى فلم تسب عليا رحمه الله وقد مات. رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحد أسانيد الطبراني ثقات. وفي مسند ابن المبارك ص ١١١ تحت رقم ٢٦٩: عن الحجاج مولى ثعلبة، عن قطبة بن مالك قال: قال المغيرة بن شعبة. من علي بن أبي طالب؟ فقال له زيد بن أرقم: أما أنك قد علمت أن رسول الله ﷺ كان ينهى عن شتم الهلكى فلم تسب عليا وقد مات (المغيرة ولعن علي رضي الله عنه). وفي مسند أبي داود الطيالسي، ص ٣٢: حدثنا أبو داود قال: حدثنا شعبة عن الحر بن الصباح النخعي قال: سمعت عبد الرحمن بن الأحنس قال: شهدت المغيرة بن شعبة يخطب فقال من علي (رض) فقام سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي عدي قریش فقال أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول عشرة في الجنة رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة. وفي مصنف ابن أبي شيبة ج ٣ ص ٢٤٤ تحت رقم ١٦٩: ما قالوا في سب الموتى وما كره من ذلك (١) حدثنا وكيع بن الجراح عن سفيان عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال

نهي رسول الله عليه وسلم عن سب الموتى. حدثنا وكيع عن مسعر عن أيوب مولى بني ثعلبة عن قطبة بن مالك قال سب أمير من الأمراء علياً فقام إليه زيد بن أرقم فقال أما إني قد علمت أن رسول الله ﷺ... وفي مصنف ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧ ص ٤٧٤ : حدثنا محمد بن بشر قال ثنا صدقة بن المثنى قال : سمعت جدي رباح بن الحارث يذكر أنه شهد المغيرة بن شعبة وكان بالكوفة في المسجد الأكبر، وكانوا أجمع ما كانوا يميناً وشمالاً حتى جاء رجل من أهل المدينة يدعى سعيد بن زيد بن نفيل، فرحب به المغيرة وأجلسه عند رجله على السرير، فبينما هو على ذلك إذ... وفي كتاب السنة لعمر بن أبي عاصم ص ٦٠٤ تحت رقم ١٤٢٧: حدثنا وهبان بن بقية، حدثنا خلف بن عبد الله، عن حصين، عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم قال : لما بوع لمعاوية بالكوفة أقام المغيرة بن شعبة خطباء يلغون علياً (رض) قال : فأخذ بيدي سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقال: ألا ترى إلى هذا الرجل الظالم يأمر بلعن رجل من أهل الجنة أشهد على تسعة إنهم في الجنة ولو شهدت على العاشر... وفي كتاب السنة لعمر بن أبي عاصم ص ٦٠٥ تحت رقم ١٤٣٣

حد ثنا أبو موسى وأبو بكر بن خلاد قال ثنا يحيى بن سعيد، ثنا صدقة ابن المثنى ثنا رباح بن الحارث أن المغيرة بن شعبة كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره فجاء رجل يدعى سعيد بن زيد فحياه المغيرة بن شعبة فأجلسه عند رجله على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسب وسب فقال... وفي كتاب السنة ، عمرو بن أبي عاصم ص ٦٠٦ : حدثنا أبو موسى وأبو بكر بن خلاد قال ثنا يحيى بن سعيد، ثنا صدقة ابن المثنى ثنا رباح بن الحارث أن المغيرة بن شعبة كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره فجاء رجل يدعى سعيد بن زيد فحياه المغيرة بن شعبة فأجلسه عند رجله على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسب وسب فقال : يا مغيرة من يسب هذا ؟ قال : يسب علياً. قال: يا مغيرة ابن شعبة ألا أسمع أصحاب رسول الله ﷺ... وقال الشيخ حسن بن فرحان المالكي في كتابه نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي، ص ٢٤: انظر صحيح سنن أبي داود الألباني (٣ ٨٨٠) عن رباح بن الحارث قال : كنت قاعداً عند فلان (أي المغيرة بن شعبة) في مسجد الكوفة فجاء سعيد بن زيد فرحب به (أي المغيرة) وحياه وأقعدته على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة فاستقبله (أي استقبل المغيرة) فسب وسب فقال سعيد : من يسب هذا الرجل ؟ قال (المغيرة) يسب علياً ! ! قال: ألا أرى أصحاب رسول الله يسبون عندك ثم لا تتكر ولا تغير.. الحديث. أقول : والمغيرة لم يصرح باسمه أبو داود هنا ولكن مصرح به في مسند الإمام أحمد وكان المغيرة والي معاوية على الكوفة وإنما ذكرته بين

الأسطر لمجيء الروايات الصحيحة في المسند والسنة لابن أبي عاصم بذكر اسمه صريحا. وفي كتاب السنة لعمر بن أبي عاصم ص ٦٠٦ تحت رقم ١٤٣٤ حدثنا أبو بكر ثنا محمد بن بشر، حدثني صدقة بن المثني، حدثني رياح بن الحارث عن سعيد بن زيد، عن النبي ﷺ مثله. غير أنه قال : قام رجل من أهل الكوفة يدعى قيس بن علقمة فاستقبل المغيرة بن شعبة فسب وسب. [أقول: مرة يقولون جاء رجل فاستقبل المغيرة بن شعبة فسب وسب، ومرة يقولون " جاء شاب " ^(١)]. المصنف ، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧ ص ٤٧٤ : وكان [المغيرة بن شعبة] بالكوفة في المسجد الأكبر، وكانوا أجمع ما كانوا يميننا وشمالا حتى جاء رجل من أهل المدينة يدعى سعيد بن زيد بن نفيل، فرحب به المغيرة وأجلسه عند رجله على السرير، فبينما هو على ذلك إذ دخل رجل من أهل الكوفة يدعى قيس بن علقمة، فاستقبل المغيرة فسب فسب، فقال له المدني : يا مغيرة بن شعب، من يسب هذا الشاب، قال : سب علي بن أبي طالب، قال له مرتين : يا مغيرة بن شعب ! ألا أسمع أصحاب رسول الله ﷺ يسبون عندك لا تتكر ولا تغير، فإني أشهد على رسول الله ﷺ بما سمعت أذناي وبما وعى قلبي فإني لن أروي عنه من بعده كذبا فيسألني عنه إذا لقينته أنه قال : " أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان.. وفي سنن النسائي الكبرى، ج ٥ ص ٦٠ تحت رقم ٨٢١٠ : أخبرنا حاجب بن سليمان عن وكيع عن شعبة عن حر بن صياح عن عبد الرحمن بن الأخنس قال شهدت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عند المغيرة بن شعبة فذكر من علي شيئا.. وفي مسند أبي يعلى الموصلي، ج ٢ ص ٢٥٩ تحت رقم ٩٧١ : حدثنا زهير، حدثنا وكيع، حدثنا شعبة، عن الحر بن الصباح، عن عبد الرحمن بن الأخنس، قال : خطبنا المغيرة بن شعبة فنال من علي.. وفي حديث خيثمة بن سليمان الأتاربليسي، ص ٩٣ : أنبأنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة قال أخبرنا أبو عمرو بن أبي غرزة قال أخبرنا أبو نعيم النخعي حدثنا الحسن بن الحكم النخعي وحرملة ومصعب قالوا أنبأنا رياح بن الحارث قال كنا في المسجد مع المغيرة بن شعبة قال فتناول رجل من أهل الشام علي بن أبي طالب فنال منه قال فقال سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل يا مغيرة ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ عندك وأنت لا تغير على الشامي؟!.. وفي حديث خيثمة بن سليمان الأتاربليسي، ص ٩٤-٩٥ : قال حدثنا الحسن بن عبد المؤمن بن عمر القرشي بالرملة قال أخبرنا محمد بن أبي السري قال أخبرنا عطاء بن مسلم قال أخبرنا الحسن قال محمد ليس هو ابن عمارة وهو الحسن بن حي قال سمعت زياد بن علاقة قال كنت عند المغيرة بن شعبة فذكر عليا بشيء فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يا مغيرة ألم تسمع عليا يذكر وأنت لا تغير.. وفي صحيح ابن حبان، ج ٧، ص ٢٩٢ : ذكر البعض من العلة التي من أجلها نهى عن سب

عن عبد الله بن ظالم المازني قال: لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة، قال فأقام خطباء يقعون في عليّ، قال وأنا إلى جنب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قال فغضب، فقام، فأخذ بيدي، فتبعته فقال: ألا ترى إلى هذا الرجل الظالم لنفسه الذي يأمر بلعن رجل من أهل الجنة^(١).

وأمثال المغيرة لا يجدون مبرراً لسب الإمام علي عليه السلام لذلك يعمدون إلى الافتراء ويدعون أنه شارك في قتل عثمان، والردّ عليهم مضمونٌ من طرف بني أمية أنفسهم، الذين هم أمسّ الناس رحماً بعثمان. قال ابن أبي الحديد: روى محمد بن سعيد الأصفهاني، عن شريك، عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن عليّ بن الحسين، عن أبيه عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قال لي مروان "ما كان في القوم أذفع عن صاحبنا من صاحبكم" قلت: فما بالكم تسبّونه على المنابر؟! قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلاّ بذلك^(٢). وعن أبي الطفيل عن سعيد بن زيد - وكان بدرياً - أنه كان جالساً مع المغيرة بن شعبة فجاء رجلٌ فتناول عليّاً، فغضب سعيد وقال: يُتناول أصحاب رسول الله عندك^(٣)؟! وعن عطاء بن مسلم الخفاف، عن الحسن بن صالح، عن زياد بن علاقة قال: كنت

الأموات أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال أخبرنا الملائي وأبو داود الحفري قالوا حدثنا سفيان عن زياد بن علاقة أنه سمع المغيرة بن شعبة يقول قال رسول الله ﷺ: لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء.

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج ١ ص ١٨٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٣ ص ٢٢٠.

(٣) المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٢، ص ٢٨٩.

عن المغيرة بن شعبة فذكر عنده علي^(١) فقال: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل سمعت رسول الله ﷺ يقول أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف^(٢) ... ؟

أقول: انظر إلى قوله " فذكر عنده علي " فإنه ليس فيه ما يدل على السب والشتم، وكان الأولى أن يقول " فذكر عنده علي بسوء " - مثلاً - ، لكنه عمد إلى الأولى التي لا تتضمن شيئاً من السب والشتم واللعن، وهذا مبلغ أمانتهم في الثقل. ثم إن ههنا إشكالاً كبيراً يرد على الصحابي سعيد بن زيد، فإنه يعتقد أن الإمام علياً عليه السلام في الجنة ومع ذلك لا ينصره، لا في الجمل ولا في صفين ولا في النهروان!

وعن المغيرة بن الأخنس قال: دخلنا على المغيرة بن شعبة، وهو أمير على الكوفة وعنده سعيد بن زيد، فدخل غنيم بن علقمة فنال من علي، فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: سمعت رسول الله ﷺ يقول أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة وعلي في الجنة^(٣) ...

أقول: في هذه الرواية صرح باسم الرجل الذي نال من علي عليه السلام فمن هو غنيم بن علقمة؟

والذي لا شك فيه هو أن سب الإمام علي عليه السلام من طرف بني أمية وأتباعهم واضح تمام الوضوح، وموقف الإسلام الأصيل منه واضح تمام الوضوح، لكن هوى

(١) ما معنى ذكر عنده علي؟ فإن الرجل أياً كان إما أن يذكر بخير وإما أن يذكر بشر. فأياً الأمرين كان؟

(٢) المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٤، ص ٣٣٩.

(٣) المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٩، ص ١٨٥.

النفس بلغ في بعض البلدان وفي كثير من العصور أن صار إلهاً يعبد من دون الله ^(١). ومن أراد أن يتحقق من ذلك فلينظر بأمّ عينه وليسمع بأذنه حينما تتعرض شخصية من الشخصيات الحاكمة في عصرنا في البلدان الإسلامية إلى نقد ما، مبني على أدلة وشواهد، ما الذي يحدث؟ يتحوّل الناقد إلى عميل لجهات أجنبية، ومواطن غير صالح، يستحقّ أن تسحب منه الجنسية - وكأنّهم هم الذين أعطوه الجنسية لأنهم شركوا في خلقه و نفخ الروح فيه ! وكذلك الشّأن حينما تتعرض شخصية من شخصيات التاريخ الإسلامي إلى نقد أملاء الضمير الحيّ والسلوك التّزيه، فإنّ الناقد يتحوّل فجأةً إلى زنديق مارق من الدّين، مهدور الدم، مباح العرض والمال، ولا يصلّي عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين!! هذا هو الواقع المرّ؛ لكنّ عاقبته لا تتعدّى أصحابه، لأنّ سلوكهم هذا يبيّن أنّ شخصياتهم التاريخية - المعاصرة والقديمة - أهمّ لديهم من رسول الله ﷺ، فهم على دين شخصياتهم لا على دين رسول الله ﷺ؛ ولو كانوا على دين رسول الله ﷺ لأحبّوا من أحبّه رسول الله ﷺ، وأبغضوا من أبغضه رسول الله، والتزموا بما ألزموا به أنفسهم، وعملوا على أقلّ تقدير بحكم الأمثال الذي اتّفقت عليه كلّ الثقافات والملل. فحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد، والإخلال به ينسف العدل والإنصاف في حياة الإنسان، كما ينسف المناهج والأساليب في العلوم والمعارف! حكم الأمثال يقضي أن نعامل الأمثال معاملةً واحدةً، وألاًّ نحيف على أحد، ولا نضيف إلى أحد، ولا نحكمّ العواطف في مقابل الحقائق. لكنّ تراثنا زاخرٌ بموارد التّلاعب بهذه القاعدة كلّما عارضت مع هوى النفس، وهذا مثال حيّ يستعصي

(١) قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ الفرقان : ٤٣.

على التأويل. قال ابن حجر الهيثمي: قال القاضي عياض في سب الصحابة: قد اختلف العلماء فيه و مشهور مذهب مالك فيه الاجتهاد والأدب الموجه. قال مالك رحمه الله: من شتم النبي قُتل، وإن شتم الصحابة أدب. وقال أيضاً: من شتم أحداً من أصحاب النبي أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية !! أو عمرو بن العاص فإن قال كانوا على ضلال أو كفر قتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكلاً شديداً^(١).

أقول : يبقى أمر مالك - إن صحّت نسبة ذلك إليه - غامضاً، لأنه من جهة يعتقد بخلافة الراشدين الأربعة ورابعهم الإمام علي عليه السلام، لكنّه في مقام البيان قفز من عثمان إلى معاوية كأنّ علياً عليه السلام لم يولد ولم يُرزق، ولا أدري على وجه الدقّة ما هو الدافع لهذه القفزة، وإن كنت لا استبعد أن يكون تنبّه إلى أنّه إن ذكر من سبّ علياً ألزم نفسه بمؤاخذه من سبّوه وشتموه، ولعنوه على المنابر، واتّخذوا لعنه سنّة دامت ثمانين سنّة، وساعتها تغدو الصحاح والسّنن والمسانيد قاعاً صفصفاً، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً. ولست أدري أين يصنّف مثل هذا حين يصدر من مثل مالك بن أنس [والهيتمي الناقل]، فهو من جهة يورد أقوالاً تجعل من ينسب معاوية إلى الضلال أو الكفر يُقتل، ومن جهة أخرى يتغاضى تماماً عن سبّ علي عليه السلام، وهذا تلبيس مهما هذبنا العبارة والتمسنا المعاذير، لأنه على فرض المساواة بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية - ونعوذ بالله من ذلك - ينبغي على مالك وابن حجر والقاضي عياض وأمثالهم أن يلتزموا القواعد التي أقرّها العقلاء وتسالموا عليها، ومن بينها قاعدة "حكم الأمثال".

(١) الصّواعق المحرقة، ج ١ ص ١٤٠.

وقال يحيى بن معين - كما حكاه عنه ابن حجر - كل من شتم عثمان أو طلحة أو أحداً من أصحاب النبي ﷺ دَجَالٌ لا يكتب عنه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين^(١).

وما هو الموقف ممن شتم علي بن أبي طالب يا يحيى بن معين؟! أم أن علياً عليه السلام في نظرك ليس "أحداً من أصحاب النبي ﷺ"؟!

وخلاصة الكلام أن المحدثين والرجاليين تعاملوا مع قضية سب ولعن الإمام علي عليه السلام بطريقة لا تشرّفهم في الدنيا ولا تنجيهم في الآخرة، وليس المسلم الحرّ ملزماً بمتابعتهم والأخذ عنهم، بل الأمر على عكس ذلك تماماً، فإنه إن وافقهم صار شريكاً لهم في باطلهم؛ وإذا كانوا يؤمنون بعدالة جميع الصحابة، وتأخذهم الحميّة لهم، فما بالهم لا يعتقدون بعدالة الإمام علي عليه السلام؟! وإن كانوا يفعلون فلماذا لا يدافعون عنه كما يدافعون عن غيره؟ ولماذا يثنون على من سبه وشتمه ولعنه؟ وتبقى المسألة مطروحة للبحث.

(١) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج ١ ص ٥٠٩.

الفصل التاسع

أثر المغيرة

في

الحديث النبوي الشريف

روايات المغيرة

في مستدرك الحاكم: حدثنا إسرائيل عن عبد الملك بن عمير مولى المغيرة بن شعبة عن المغيرة قال: ذكر لسعد بن عباد رجل يأتي امرأة أبيه فقال: لو أدركته لضربته بالسيف، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: أنا أغير من سعد، والله أغير مني، وما من أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث المرسلين. وما أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك وعد الجنة. هذا حديث صحيح الإسناد، فإن أبا عوانة سمى مولى المغيرة هذا في روايته وأتى بالمتن على وجهه^(١).

أقول: موضوع القصة مهمٌ بالنسبة إلى المغيرة المتخصص في شؤون النساء. والقضية تتعلق برجل يأتي امرأة أبيه، أي يزني بامرأة أبيه، وهو يعيش في زمن النبي ﷺ، فلا يُدرى إن كان صحابياً أم لا، وقد اشتهرت قصته حتى تداولها الصحابة؛ وههنا كلام يجدر ذكره، فإن الناس قبل مجيء الإسلام كانوا لا يرون أن يرث الرجل أباه في كل شيء حتى في زوجته، فتصبح زوجة أبيه بعد هلاك أبيه زوجة له هو، ويجرّها إلى فراشه بلا نكير. وقد حرّم الإسلام هذا التقليد المقيت الذي كان يسمى زواج المقت^(٢).

(١) المستدرك على الصحيحين، ج ٤ ص ٣٩٨ الحديث رقم ٨٠٦٠.

(٢) في المعجم الوسيط، ج ٢ ص ٨٨٠ المقت: زواج المقت أن يتزوَّج الرجل امرأة أبيه بعده وكان يفعل في الجاهلية وحرمه الإسلام. وقال الشيخ سيّد سابق في فقه السنة: فقه السنة، ج ٢، ص ٧٣: يحرم على الابن التزوُّج بجليلة أبيه، بمجرد عقد الأب عليها، ولم يدخل بها. وكان هذا النوع من الزَّواج فاشياً في الجاهلية، وكانوا يسمونه زواج المقت وسمي الولد منها مقيتاً، أو مقيتاً، وقد نهى الله عنه وذمه ونقر منه. قال الإمام الرازي: مراتب القبح ثلاث: القبح العقلي، والقبح الشرعي، والقبح العادي. وقد وصف الله هذا النكاح بكل ذلك، فقوله سبحانه: ﴿فاحشة﴾ إشارة إلى مرتبة قبحه. وفي تفسير القرطبي، ج ٥ ص ١٠٤، قال أبو العباس سألت ابن الأعرابي عن نكاح المقت

فعلَّ الرجل المذكور كان لا يعلم بالتحريم، ولعلَّ القصَّة كانت قبل التحريم، لكنَّ الفعل في ذاته ممقوتٌ ولا يحتاج إلى إسلام، وإلى ذلك أشار الزُّمخشريُّ بقوله: "وكانوا ينكحون رواهم، وناسٌ منهم يفتونهم من ذوي مرواتهم ويسمونه نكاح المقت"^(١). فكثيرٌ من الأمم غير المسلمة في زماننا تمقت هذا الأمر مع أنَّها لا تسدين بشرع.

الرواية نفسها في شرح الزُّرقاني، مع اختلاف في القصَّة، وذلك أنَّها لا تتعلَّق بمن يأتي امرأة أبيه، بل بمن يجد مع امرأته رجلاً: عن أبي هريرة عبد الرَّحمن بن صخر أو عمرو بن عامر أنَّ سعد بن عبادة بضمَّ المهملة وفتح الموحدة سيّد الخزرج قال لرسول الله ﷺ: أ رأيت أي أخبرني إن وجدت مع امرأتى رجلاً، أمهلها بفتح الهمزة الثانية حتَّى آتي بأربعة شهداء؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم. زاد في رواية سليمان بن بلال قال أي سعد: كلاً والذي بعثك بالحق، إن كنت لأعاجله بالسَّيف قبل ذلك. قال ﷺ: اسمعوا إلى ما يقول سيّدكم، إنَّه لغيورٌ، وأنا أغير منه، والله أغير منِّي، زاد في حديث المغيرة بن شعبه: من أجل غيرة الله حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغير من الله، ولا شخص أحبَّ إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين، ولا شخص أحبَّ إليه المدحة من الله، من أجل ذلك وعد الله الجنة. رواه مسلم^(٢).

فقال هو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه إذا طلقها أو مات.

(١) الكشف، الزُّمخشري، ج ١ ص ٥٢٤.

(٢) شرح الزُّرقاني، ج ٤ ص ٢٠.

وفي المستدرک: عن مجاهد عن العقار بن المغيرة بن شعبة^(١) عن أبيه (رض) أن رسول الله ﷺ قال: لم يتوكل من استرقى أو اكتوى. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(٢).

أقول: وهذا الحديث الذي ينتهي إلى المغيرة بن شعبة تعارضه أحاديث صحيحة في الرقية والكي. قال الشوكاني: وما ورد من الأدلة الدالة على التهي عن الرقى وأنها من الشرك فهي محمولة على الرقية بما لا يجوز، كالتى تكون بأسماء الشياطين والطواغيت ونحو ذلك. وكذلك يحمل على هذا ما ورد في حديث المغيرة بن شعبة عن أحمد وابن ماجه وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم عن التبي^(٣) أنه قال من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل. وقد ورد في الصحيحين من حديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يأمرني أن أسترقى من العين؛ وأخرج أحمد والنسائي والترمذي وصححه من حديث أسماء بنت عميس أنها قالت: يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقى لهم؟ قال: نعم، فلو كان شيء سبق القدر لسبقته العين^(٤). وفي هذا الباب حديث يدع اللبيب حيران: فعن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة (رض) قالت: دخل أبو بكر (رض) عليها وعندها يهودية ترقيها فقال: ارقها بكتاب الله عز وجل - (وأخبرنا) أبو سعيد بن أبي عمرو ثنا أبو العباس الأصم أنبأ الربيع قال: سألت الشافعي عن الرقية فقال لا بأس أن يرقى الرجل بكتاب الله وما يعرف من

(١) العقار بن المغيرة بن شعبة الثقفي، وقد روى عن أبيه أيضا. الطبقات الكبرى، طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢٦٩ اسم المؤلف: محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، دار النشر: دار صادر - بيروت.

(٢) المستدرک على الصحيحين، ج ٤ ص ٤٦١ الحديث رقم ٨٢٧٩

(٣) الدراري المضية شرح الدرر البهية، ج ١، ص ٣٩٥: دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

ذكر الله، فقلت: أيرقى أهل الكتاب المسلمين؟ فقال نعم إذا رَقُوا بما يعرف من كتاب الله^(١)... ألم تجد عائشة زوج النبي ﷺ في المسلمات امرأةً واحدةً ترقِيها؟! وأي كتاب هذا الذي يتحدث عنه أبو بكر؟!

ثم إنَّ هناك حديثاً يتأذى منه كثيرٌ من المسلمين، لكن الذين يسمّون أنفسهم أهل الحديث يصرّون على أنَّه حديثٌ صحيحٌ لا يصحّ رَدُّه. الحديث مرويٌّ عن أبي وائل عن المغيرة أنَّ رسول الله ﷺ أتى سباطة بني فلان ففحج رجله وبال قائماً^(٢)!

وفي سنن البيهقي: عن عاصم قال سمعت أبا وائل يحدث عن المغيرة بن شعبة أنَّ رسول الله ﷺ أتى سباطة قوم فبال قائماً، فلقيت منصوراً فسألته فحدثني عن أبي وائل عن حذيفة أنَّ رسول الله ﷺ أتى سباطة قوم فبال قائماً. كذا رواه عاصم بن بهدلة وحماد بن أبي سليمان عن أبي وائل عن المغيرة. والصحيح ما روى منصور والأعمش عن أبي وائل عن حذيفة. كذا قاله أبو عيسى الترمذي وجماعة من الحفاظ. وقد روي في العلة في بوله قائماً حديث لا يثبت مثله^(٣).

وبما أنَّ عائشة زوج النبي ﷺ روت أنَّ النبي ﷺ لم يبيل قائماً قطّ منذ أنزل عليه القرآن، فقط تكلف ابن قتيبة أمراً عسيراً في محاولة الجمع بين حديثها وحديث لحذيفة في أنَّه ﷺ بال قائماً، وإليك ما قاله في كتابه (تأويل مختلف الحديث)؛ قال: ونحن نقول ليس هاهنا بحمد الله اختلافٌ، ولم يبيل قائماً قطّ في منزله والموضع الذي

(١) السنن الكبرى، البيهقي، ج ٩ صفحة ٣٤٩.

(٢) منتخب مسند عبد بن حميد، ص ١٥٢.

(٣) السنن الكبرى، البيهقي، ج ١ ص ١٠١، تحت رقم ٤٩١.

كانت تحضره فيه عائشة (رض)، وبال قائماً ! في المواطن التي لا يمكن أن يطمئن فيها
إمّا لزلق في الأرض و طين أو قدر، وكذلك الموضع الذي رأى فيه رسول الله ﷺ
حذيفة يبول قائماً كان مزبلة لقوم، فلم يمكنه القعود فيه، ولا الطمأنينة، وحكم
الضرورة خلاف حكم الاختيار^(١).

نعم، ولا ينبئك مثل خبير ! و يبقى تحلّ ابن قتيبة كبيت العنكبوت، لأن من نساء
النبي ﷺ وصحابته من لا يقبل ذلك. ففي مسند أحمد عن عائشة: من حدثك أن
رسول الله ﷺ بال قائماً فلا تصدّقه. ما بال رسول الله ﷺ قائماً منذ أنزل عليه
القرآن^(٢). ولا أدري إن كانت تقصد أنه كان يبول واقفاً قبل أن ينزل عليه القرآن،
وهي التي يفترض في حقها أنها ولدت بعد البعثة!

وهذا قول أحدهم - كما في مستدرک الحاكم - [..]^(٣): سمعت عائشة تقسم بالله ما
رأى أحد رسول الله ﷺ يبول قائماً منذ أنزل عليه الفرقان. و عقب الحاكم بقوله : هذا
حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والذي عندي أنهما لما اتفقا على
حديث منصور عن أبي وائل عن حذيفة أن رسول الله ﷺ أتى سباطة قوم فبال
قائماً، وجدا حديث المقدم عن أبيه عن عائشة (رض) معارضاً له فتركاه والله أعلم^(٤)!

وفي سنن ابن ماجه : عن عمر قال رأني رسول الله ﷺ أبول قائماً فقال: يا عمر

(١) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، ص ٨٧، ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) مسند أحمد، ج ٦ ص ٣٦ و ص ١٩٢ و ص ٢١٣.

(٣) هذه العلامة [..] إشارة إلى حذف الإسناد اختصاراً.

(٤) مستدرک الحاكم، ج ١ ص ١٨١ وفي ص ١٨٥.

لا تبُل قائماً. فما بُلت قائماً بعد^(١). وفيه أيضاً - نفس الصّفحة - عن جابر بن عبد الله: نهى رسول الله ﷺ أن يبول الرجل قائماً. وفي سنن الترمذي^(٢): قال أبو عيسى: حديث عائشة أحسن شيء في الباب وأصح. وفيه أيضاً: وقد روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: من الجفاء أن تبول وأنت قائم^(٣). أقول: وقد علم جميع أهل القبلة أن أبعاد الخلق من الجفاء رسول الله ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾.

وفي معجم الصحابة: "عن الحسن عن مهاجر بن قنفذ قال: أتيت النبي ﷺ وهو يبول، فسلمت عليه فلم يردّ حتّى فرغ فتوضأ وردّ عليّ^(٤)."

ولا يخفى أن هذا الحديث وأمثاله مما يفيد أن النبي ﷺ لم يكن يستتر من البول، فقد رآه - يزعمهم - أكثر من واحد وهو يبول.

وفي سنن البيهقي ما يلي: قال الإمام رحمه الله تعالى: وقد قيل كانت العرب تستشفي لوجع الصّلب بالبول قائماً، فلعله كان به إذ ذاك وجع الصّلب! وقد ذكره الشافعي - رحمه الله تعالى - بمعناه، وقيل إنّه فعل ذلك لأنّه لم يجد للقعود مكاناً أو موضعاً. والله أعلم^(٥).

ثمّ إنّه روى بعد ذلك بأسطر في نفس الصّفحة حديث عائشة: ما بال رسول الله ﷺ قائماً منذ أنزل عليه القرآن. وفي ص ١٠٢ عن سعيد بن عمرو بن سعيد قال: قال

(١) سنن ابن ماجه، ج ١ ص ١١٢.

(٢) سنن الترمذي، ج ١ ص ١٠.

(٣) نفس المصدر السابق، ج ١ ص ١١.

(٤) معجم الصحابة، ج ٣ ص ٥٩، ط المدينة المنورة ١٤١٣.

(٥) السنن الكبرى، البيهقي، ج ١، ص ١٠١.

عمر (رض): البول قائماً أحصن للدبر! وعن أبي حنيفة عن حماد عن أبي وائل عن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ بال في سباطة قوم قائماً^(١). وفي مسند أحمد بن حنبل عن أبي وائل عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ أتى على سباطة بني فلان فبال قائماً. قال حماد بن أبي سليمان ففحج رجله^(٢)!

وحتى يرسخوا ذلك في الأذهان فقد نسبوا نفس الشيء إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرووا عن الأعمش عن أبي ظبيان قال: رأيت علي بن أبي طالب بال الرحبة بال قائماً^(٣)، و الرحبة كما لا يخفى مكانٌ عموميٌّ، يجتمع فيه شيوخ العشائر والقرءاء والشعراء!

وقال النووي في المجموع: أمّا حكم المسألة فقال أصحابنا يكره البول قائماً بلا عذر كراهة تنزيه، ولا يكره للعذر، وهذا مذهبننا. وقال ابن المنذر: اختلفوا في البول قائماً، فثبت عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وابن عمر وسهل بن سعد أنهم بالوا قياماً^(٤).

و من روايات المغيرة ما في صحيح مسلم [..]: قال المغيرة: فأقبلت معه حتى نجد الناس قد قدموا عبد الرحمن بن عوف، فصلّى لهم، فأدرك رسول الله ﷺ إحدى الركعتين فصلّى مع الناس الركعة الآخرة، فلما سلّم عبد الرحمن بن عوف قام رسول الله ﷺ يتمّ صلاته فأفرغ ذلك المسلمين فأكثرُوا التّسبيح، فلما قضى النبي ﷺ صلاته أقبل عليهم ثمّ قال: أحسستم أو قال قد أصبتم، يغبطهم أن صلّوا الصّلاة لوقتها^(٥).

(١) مسند أبي حنيفة، ج ١ ص ٨٤.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج ٤ ص ٢٤٦ تحت رقم ١٨١٧٥.

(٣) السنن الكبرى، البيهقي ج ١ ص ٢٨٨.

(٤) المجموع، النووي، ج ٢ ص ٨٥.

(٥) صحيح مسلم، ج ١ ص ٣١٧.

أقول: هناك سؤال مهمّ وهو: هل كانت تلك أوّل مرّة صلى فيها أحدهم إماماً ورسول الله ﷺ خلفه مأموماً، أم هناك غيرها؟ فإن يكن هناك غيرها فما أكثر الذين أمّوا رسول الله ﷺ، وإن تكن الأولى فما أجراً عبد الرحمن بن عوف على الله وحرصه على الرئاسة! والعجب من عمر كيف لم يعترض عليه! بل الأعجب أنهم لم يقدموا أبا بكر صاحبه في الغار! وإذا كانوا يقدمون ورسول الله ﷺ وسلّم حيّ بين أظهرهم، فكيف يُتعبّ من تقديمهم بعد وفاته ﷺ؟

وفي الصحيح: عن عروة بن المغيرة بن شعبة أن المغيرة كان مع رسول الله ﷺ في سفر، وأنه ذهب لحاجة له، وأن مغيرة جعل يصبّ الماء عليه وهو يتوضّأ، فغسل وجهه ويديه ومسح رأسه ومسح على الخفّين^(١).

وقد تكرّرت روايات المغيرة التي ينسب فيها المسح على الخفّين إلى رسول الله ﷺ^(٢)، وفي بعضها المسح على أعلى الخف وأسفله^(٣)، وفي ذلك كلامٌ كثيرٌ. قال الشنقيطي: ..ما رواه أبو داود في سننه حدّثنا عثمان بن أبي شيبة عن وكيع عن سفيان الثوري عن أبي قيس الأوديّ هو عبد الرحمن بن ثروان عن هزيل بن شرحبيل عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ توضّأ ومسح الجوربين والسّعلين. قال أبو داود وكان عبد الرحمن بن مهديّ لا يحدث بهذا الحديث لأنّ المعروف عن المغيرة أن النبي ﷺ مسح على الخفّين. وروى هذا الحديث البيهقيّ ثمّ قال: قال أبو محمّد رأيت مسلم بن الحجاج ضعف هذا الخبر وقال: أبو قيس الأوديّ وهزيل بن

(١) صحيح البخاري، ج ١ ص ٥٣.

(٢) مسند أبي داود، ص ٩٥.

(٣) المنتقى، ابن الجارود، ج ١ ص ٣٢ تحت رقم ٨٤.

شرحبيلا لا يحرملان مع مخالفتها الأجلّة الذين رروا هذا الخبر عن المغيرة فقالوا مسح على الخفّين. وقال: لا نترك ظاهر القرآن بمثل أبي قيس وهزيل. فذكرت هذه الحكاية عن مسلم لأبي العباس محمد بن عبد الرحمن الدغوليّ فسمعتة يقول: عليّ بن شيبان يقول سمعت أبا قدامة السرخسيّ يقول قال عبد الرحمان بن مهديّ قلت لسفيان الثوريّ لو حدثني بحديث أبي قيس عن هزيل ما قبلته منك. فقال سفيان: الحديث ضعيفٌ أو واه أو كلمة نحوها^(١).

قال القرطبيّ في تفسيره: وفي كتاب أبي داود عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ توضأ ومسح على الجوربين والتعلين^(٢). فهي مرّة الخفّان، ومرّة التعلان، ومرّة الجوربان، ولا بأس بها جميعاً في فقه المغيرة.

وقد استدلّوا على ذلك بما لفظه في سنن أبي داود عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ مسح على الخفّين فقلت: يا رسول الله أنسيت؟ قال: بل أنت نسيت، بهذا أمرني ربّي عزّ وجلّ^(٣). وفي المصنّف للصنعانيّ: عن عثمان بن أبي سويد أنّه ذكر لعمر بن عبد العزيز المسح على القدمين فقال: لقد بلغني عن ثلاثة من أصحاب محمد ﷺ أدناهم ابن عمّك المغيرة بن شعبة أن النّبي ﷺ غسل قدميه^(٤). وعن عمرو بن وهب عن المغيرة بن شعبة قال: رأيت رسول الله ﷺ يمسح

(١) أضواء البيان، الشنقيطي، ج ١ ص ٣٤٢.

(٢) تفسير القرطبيّ، ج ٦ ص ١٠٢.

(٣) نفس المصدر السابق، ج ١ ص ٣٤٠.

(٤) المصنّف، الصنعاني، ج ١ ص ٢١.

على العمامة والجوربين والخفين^(١). وفيه أيضا (ص ٣٦٤) (الهامش) عن المغيرة بن شعبة أنه استأذن رجلًا على النبي ﷺ وهو بين مكة والمدينة؛ فقال: قد فاتني الليلة حزبي من القرآن، وإني لا أؤثر عليه شيئاً.

وفي الآحاد والمثاني،... عن قيس بن أبي حازم عن المغيرة بن شعبة قال: ما سألت أحدًا رسول الله ﷺ عن الدجال أكثر ما سألته عنه^(٢). وفيه أيضاً [ص ٢٠٠] أن رسول الله ﷺ انتهر المغيرة فشكا ذلك إلى عمر!

و روى ابن عساکر في تاريخ مدينة دمشق: ..عن ابن إسحاق عن عمران بن أبي كثير قال: قدمت الشام فإذا قبضة بن ذؤيب قد جاء برجل من أهل العراق فأدخله على عبد الملك بن مروان فحدثه عن أبيه عن المغيرة بن شعبة أنه سمع النبي ﷺ يقول إن الخليفة لا يُناشد. قال: فأعطي وكسي وحُبي؛ قال فحكّ في نفسي شيئاً، فقدمت المدينة، فلقيت سعيد بن المسيب فحدثته، فضرب يده بيدي ثم قال: قاتل الله قبضة كيف باع دينه بدنيا فانية! والله ما من امرأة من خزاعة قعيدة في بيتها إلا قد حفظت قول عمرو بن سالم الخزاعي لرسول الله ﷺ

اللهم إني ناشدُ محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلدا.

أفينا شد رسول الله ﷺ ولا يناشد الخليفة ؟

قاتل الله قبضة كيف باع دينه بدنيا فانية^(٣).

(١) طبقات المحدثين بأصبهان، ج ٤ ص ١٣.

(٢) الآحاد والمثاني، ابن عمرو الشيباني، ص ٥٤.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، ج ٤٣ ص ٥١٩.

أقول: كلام ابن المسيّب يدلّ على بطلان ما رواه العراقيّ، والعراقيّ يروي عن المغيرة بن شعبة، فإمّا أن يكون العراقي افترى الحديث ونسبه إلى المغيرة بن شعبة الذي كان أحد أعوان بني أميّة، وإمّا أن يكون المغيرة هو الذي افترى الحديث على رسول الله ﷺ ! وفي كلّ الأحوال فإنّ الأحاديث الموضوعة لا تعدّم لها أنصاراً ومشجعين من الخلفاء والأمراء وغيرهم. وبما أنّ الأحاديث الموضوعة غالباً ما يختلقها الانتهازيون، والمغيرة بن شعبة انتهازيٌّ حتّى التّخاع، فلا عجب من سلوك قبيصة، ولا من سلوك العراقيّ، فإنّ مجرد وجود اسم المغيرة في الإسناد كاف لإلقاء ظلال من الشّكوك حوله.

قال المغيرة بن شعبة: لما دُفن عمر أتيت عليّاً وأنا أحبُّ أن أسمع منه في عمر شيئاً! فخرج ينفذ رأسه ولحيته وقد اغتسل وهو ملتحفٌ بثوب، لا يشكُّ أنّ الأمر يصير إليه، فقال: يرحم الله ابن الخطّاب، لقد صدقت ابنة أبي خيثمة، لقد ذهب بخيرها ونجا من شرّها! أما والله ما قالت ولكن قولت^(١).

أقول: كيف تُقبل رواية المغيرة بخصوص عليّ عليه السلام وقد كان يلغنه على المنبر ويوظّف خطباء يسبّونه ويلعنونه؟!

وكانت ابنة أبي خيثمة - فيما زعموا - بكته فقالت: واعمراه، أقام الأود وأبرّ العهد، أمات الفتن وأحى السنن، خرج نقيّ الثّوب بريّاً من العيب. قال فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: والله لقد صدقت، ذهب بخيرها ونجا من شرّها،^(٢)! والرواية هنا أيضاً

(١) تاريخ الطّبريّ، ج ٢ ص ٥٧٥.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٧ ص ١٤٠.

عن المغيرة بن شعبة. هذا مع أن عمر بن الخطاب نفسه كان ينهى عن البكاء على الميت ويشدد التكير. ويضاف إلى ذلك أن في الإسناد ابن داب وهو ضعيفٌ تكلّموا فيه حتى قال شاعرهم:

خذوا عن مالك وعن ابن عون ولا ترووا أحاديثَ ابن داب^(١)

وفي المبدع: وما روي أنه عليه السلام مسح مقدّم رأسه فمحمولٌ على أن ذلك مع العمامة كما جاء مفسراً في حديث المغيرة بن شعبة؛ ونحن نقول به، وظاهره أنه يتعيّن استيعاب ظاهره كلّهُ، لكن استثنى في المترجم والمبهيغ اليسير للمشقة مع الأذنين أي يجب مسحهما مع الرأس في رواية اختارها جماعة لقوله عليه السلام الأذنان من الرأس^(٢).

و في المبدع أيضاً: وإن نسي التّشهُد الأوّل ونهض لزمه الرجوع ما لم ينتصب قائماً، كذا ذكره جماعة، منهم صاحب المحرّر والوجيز، لما روى المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا قام أحدكم من الركعتين فلم يستتمّ قائماً فليجلس، وإذا استتمّ قائماً فلا يجلس، ويسجد سجدتي السّهو. رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه من رواية جابر الجعفيّ وقد تكلّم فيه، ولأنّه أخلّ بواجب. وذكره قبل الشّروع في ركن فلزمه الإتيان به كما لو لم تفارق إلتياه الأرض، وظاهره أنّه يلزمه الرجوع، سواءً فارقت إلتياه الأرض أو كان إلى القيام أقرب؛ ويجب على مأوم اعتدل متابعته، وإن استتمّ قائماً ولم يقرأ لم يرجع، وإن رجع جاز. نصّ عليه

(١) التمهيد، ابن عبد البر، ج ١ ص ٢١٥ والبيت لابن منذر.

(٢) المبدع، ابن مفلح الحنبلي، ج ١ ص ١٢٧، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٠ هـ .

وهو معنى ما في المحرّر والمذهب والتلخيص^(١).

وفي الكافي: وإن ذكره بعد قيامه وقبل شروعه في القراءة لم يرجع أيضاً لذلك، ولما روى المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ أنه قال: إذا قام أحدكم في الركعتين فلم يستتمّ قائماً لم يجلس وسجد سجدي السهو. رواه أبو داود؛ وقال أصحابنا: وإن رجع في هذه الحال لم تفسد صلاته، ولا يرجع إلى غيره من الواجبات، لأنه لو رجع للركوع لأجل تسبيحة ل زاد ركوعاً في صلاته^(٢).

وفي كشف القناع: اللهم اجعله [أي السقط] ذخراً لوالديه وفرطاً وأجراً وشفيعاً مجاباً. اللهم ثقل به موازينهما وأعظم به أجورهما، وأحقه بصالح سلف المؤمنين واجعله في كفالة إبراهيم، وقه برحمتك عذاب الجحيم؛ لحديث المغيرة بن شعبة مرفوعاً "السقط يُصلّى عليه، ويدعى لوالديه بالمغفرة والرحمة". وفي لفظ بالعافية والرحمة. رواهما أحمد، وإنما لم يسنّ الاستغفار له لأنه مشفوع فيه، ولا جرى عليه قلم، فالعدول إلى الدعاء لوالديه أولى من الدعاء له^(٣).

أقول: اختلفت الروايات والآراء في صلاة النبي ﷺ على ولده إبراهيم، هل صلى عليه أم لا، مع أنه ولد حياً، وعاش سنة أو أكثر - على اختلاف الأقوال - بينما السقط هو الجنين الذي يخرج من بطن أمه وليس عليه ما يدل على الحياة؛ وإليك بعض ما قالوا:

(١) المبدع، ابن مفلح، ج ١ ص ٥٢١.

(٢) الكافي في فقه ابن حنبل، ابن قدامة المقدسي، ج ١ ص ١٦٧.

(٣) كشف القناع، ابن إدريس، ج ٢ ص ١١٥.

وكان من هديه ﷺ الصلاة على الطفل، فصَحَّ عنه أنه قال : [الطفل يُصَلَّى عليه].
وفي سنن ابن ماجه مرفوعا [صَلُّوا على أطفالكم فَإِنَّهُمْ من أفراطكم] قال أحمد بن
أبي عبدة: سألت أحمد : متى يجب أن يصَلَّى على السَّقَط ؟ قال: إذا أتى عليه أربعة
أشهر، لأنه ينفخ فيه الروح. قلت : فحديث المغيرة بن شعبة [الطفل يصَلَّى عليه] ؟
قال: صحيح مرفوعٌ. قلت: ليس في هذا بيان الأربعة أشهر ولا غيرها ؟ قال : قد قاله
سعيد بن المسيب. فإن قيل: فهل صَلَّى النبي ﷺ على ابنه إبراهيم يوم مات ؟ قيل :
قد اختلف في ذلك! فروى أبو داود في سننه عن عائشة (رض) قالت : مات إبراهيم
ابن النبي ﷺ وهو ابن ثمانية عشر شهراً، فلم يصلَّ عليه رسول الله ﷺ. قال الإمام
أحمد : حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم قال : حدَّثني أبي عن ابن إسحاق حدَّثني عبدالله بن
أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة عن عائشة فذكره؛ وقال أحمد في
رواية حنبل : هذا حديث منكرٌ جداً، وهو ابن إسحاق. وقال الخلال : وقرئ على
عبدالله: حدَّثني أبي حدَّثنا أسود بن عامر حدَّثنا إسرائيل قال : حدَّثنا جابر الجعفي
عن عامر عن البراء بن عازب قال : صلى رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم، ومات
وهو ابن ستة عشر شهراً. وذكر أبو داود عن البهي قال : لما مات إبراهيم بن
رسول الله ﷺ صَلَّى عليه رسول الله ﷺ في المقاعد، وهو مرسلٌ، والبهي اسمه عبدالله
بن يسار كوفيٌّ. وذكر عن عطاء بن أبي رباح أن النبي ﷺ صَلَّى على ابنه إبراهيم،
وهو ابن سبعين ليلةً وهذا مرسلٌ وهم فيه عطاء، فإنه قد كان تجاوز السنَّة. فاختلف
الناس في هذه الآثار فمنهم من أثبت الصلاة عليه ومنع صحَّة حديث عائشة، كما
قال الإمام أحمد وغيره : قالوا : وهذه المراسيل مع حديث البراء يشدُّ بعضها بعضاً.

ومنهم من ضعف حديث البراء بجابر الجعفيّ وضعف هذه المراسيل وقال: حديث ابن إسحاق أصحّ منها. ثمّ اختلف هؤلاء في السبب الذي لأجله لم يصلّ عليه فقالت طائفة: استغنى بنبوة رسول الله ﷺ عن قربة الصلاة التي هي شفاعته له كما استغنى الشهيد بشهادته عن الصلاة عليه. وقالت طائفة أخرى: إنّه مات يوم كسفت الشمس فاشتغل بصلاة الكسوف عن الصلاة عليه. وقالت طائفة: لا تعارض بين هذه الآثار فإنّه أمر بالصلاة عليه، فقليل صلّي عليه ولم يباشرها بنفسه لاشتغاله بصلاة الكسوف. وقيل: لم يصلّ عليه وقالت فرقة: رواية المثلث أولى لأنّ معه زيادة علم، وإذا تعارض التفي والإثبات قدّم الإثبات^(١).

والعجب كلّ العجب من قوله: " فإن قيل: فهل صلّي النبي ﷺ على ابنه إبراهيم يوم مات ؟ قيل : قد اختلف في ذلك " ! مع أن النبي ﷺ لم يكن له في المدينة سوى ولد واحد، وكان يوم موته يوماً مشهوداً، بكى فيه رسول الله ﷺ وبكت فيه فاطمة الزهراء (عليها السلام). ويقول الرجل: فاشتغل بصلاة الكسوف عن الصلاة عليه! وكان النبي ﷺ غير مهتمّ بوفاة ابنه إبراهيم (عليه السلام)!

و في المغني: روى المغيرة بن شعبة قال وضأت رسول الله ﷺ فمسح أعلى الخنف وأسفله؛ رواه ابن ماجه، ولأنه يحاذي محلّ الفرض فأشبهه ظاهره^(٢).

وفي الهداية: قال والمفروض في مسح الرأس مقدار الناصية، وهو ربع الرأس، لما

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ج ١ ص ٤٩٣. مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧، ١٩٨٦ تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط.

(٢) المغني، ابن قدامة المقدسي، ج ١ ص ١٨٣.

روى المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ أتى سباطة قوم فبال وتوضاً، ومسح على ناصيته وخفيه^(١).

وقال محمد بن الحسن الشيباني في بعض فتاياته^٢: فإن قالوا نعم، هذا حديث عبد الله بن بجنة وبه أخذنا، قيل لهم: فهل رويتم عن عبد الله بن بجنة أو روى عنه فقيه قطّ هذا الحديث؟ فإن قالوا: لا نعلم أنه قد جاء عنه هذا. قيل لهم: أفنقبل هذا بترك السنّة والآثار المعروفة بقول رجل لا يروى حديثاً واحداً، وقد روينا حديث رسول الله ﷺ هذا بعينه عن إمام كان من أئمّة المسلمين - يأمنه عمر بن الخطاب (رض) على الأمصار ويستعمله عليها - أعرف بالرواية وأعلم بها وأشهر بصحبة رسول الله ﷺ^(٣). وفي أضواء البيان: ولا شك أن إسلام جرير بعد ذلك، مع أن المغيرة بن شعبة روى المسح على الخفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وهي آخر مغازيه ﷺ^(٤).

وفي صحيح مسلم: عن قيس عن المغيرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون"^(٥). وهو في صحيح البخاري بهذا اللفظ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم

(١) الهداية، شرح بداية المبتدي، المرغياني، ج ١ ص ١٢.

(٢) المراد جمع فتيلة وهي قولك: فإن قلت قلت، كما أن البسملّة هي قولك بسم الله، والحمدلة قولك الحمد لله، والحوقة قولك لا حول ولا قوة إلا بالله، وهكذا...

(٣) كتاب الحجّة، محمد بن الحسن الشيباني، ج ١ ص ٢٢٦.

(٤) أضواء البيان، الشنقيطي، ج ١ ص ٣٣٦.

(٥) صحيح مسلم، ج ٣ ص ١٥٢٣ (تحت رقم ١٩٢١).

أمر الله وهم ظاهرون^(١).

أقول: لكن المغيرة كان مع الفئة الباغية طائعاً غير مكره، وهذه الرواية حجة عليه، لا له.

وللمغيرة أيضاً روايات في أسباب النزول:

أخرج ابن جرير عن المغيرة بن شعبة (رض) قال: نزلت هذه الآية في قتل عثمان (رض)^(٢). والآية ﴿لَا تَخُونُوا﴾ وذكر ابن عطية في تفسيره كلاماً في تصويب كلام المغيرة فقال: وحكى الطبري عن المغيرة بن شعبة أنه قال: أنزلت هذه الآية في قتل عثمان (رض). قال القاضي أبو محمد: يشبه أن تمثل بالآية في قتل عثمان - رحمه الله - فقد كانت خيانة لله وللرسول والأمانات، والخيانة التنقص للشيء باختفاء، وهي مستعملة في أن يفعل الإنسان خلاف ما ينبغي من حفظ أمر ما، مالا كان أو سراً أو غير ذلك^(٣).

أقول: بل مراده أن يتقرب من بني أمية ويضمن البقاء في منصبه كما هو شأن الانتهازيين. والمعلوم أن سبب النزول يكون مقارناً للنزول، وما سوى ذلك فجرئ وتطبيق؛ وبين نزول الآية وقتل عثمان خمس وعشرون سنة على أقل تقدير، أي حال كون الآية نزلت في أواخر حياة النبي ﷺ! ولذلك قال الشوكاني "ولعل

(١) صحيح البخاري، ج ٦ ص ٢٦٦٧ (الحديث رقم ٦٨٨١).

(٢) الدر المنثور، السيوطي، ج ٤ ص ٥٠. جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج ٩.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ج ٢، ص ٥١٧.

مراده أن من جملة ما يدخل تحت عمومها قتل عثمان^(١)؛ وقال أبو حيان: " وقال المغيرة بن شعبة في قتل عثمان. قال ابن عطية: ويشبه أن يتمثل بالآية في قتله فقد كان قتله خيانة لله ورسوله والأمانات"^(٢). لكن الطبري نفسه لا يسلم بما قاله المغيرة، بل يقول: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله نهى المؤمنين عن خيانتهم وخيانة رسولهم وخيانة أمانتهم، وجائز أن تكون نزلت في أبي لبابة، وجائز أن تكون نزلت في غيره، ولا خبر عندنا بأي ذلك كان يجب التسليم له بصحته. فمعنى الآية وتأويلها ما قدمنا ذكره، ونحن ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل"^(٣).

و عن سفيان عن السدي عن يعفور^(٤) بن المغيرة بن شعبة عن علي قال: إذا اشتكى أحدكم شيئاً فليسأل امرأته ثلاثة دراهم أو نحو ذلك، فليبتع عسلاً، ثم يأخذ ماء السماء فيجتمع هنئاً مريضاً شفاءً مباركاً^(٥)..

وهذه لطيفة، فالمغيرة يلعن الإمام علياً عليه السلام، وأبناء المغيرة يروون عن الإمام علي عليه السلام..

قال ابن كثير: ثبت في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ

(١) فتح القدير، الشوكاني، ج ٢ ص ٣٠٢.

(٢) في تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٤ ص ٤٨٠.

(٣) تفسير الطبري، ج ٦ ص ٢١٩.

(٤) وفي تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٥٢: ...عن السدي عن يعقوب بن المغيرة بن شعبة عن علي قال إذا اشتكى شيئاً فليسأل.. الحديث.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم، ج ٣ ص ٨٦٢.

كان ينهى عن قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال^(١).

وعن وراد مولى المغيرة بن شعبة قال: إن معاوية كتب إلى المغيرة بن شعبة أكتب لي بما سمعت من رسول الله ﷺ فدعاني المغيرة، فكتبت إليه: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا انصرف من الصلاة " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ". وسمعت ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، وعن وأد البنات، وعقوق الأمهات، ومنع وهات^(٢)..

ولا شك أن المغيرة سمع من رسول الله ﷺ كلاماً كثيراً بخصوص أهل البيت عليهم السلام، ومعظمه في فضائل الإمام علي عليه السلام لكن هل يملك الجرأة اللازمة لذكر شيء منه، وهو الذي يغلي صدره حقداً على أهل البيت ﷺ؟! وعن إسماعيل بن قيس: سمعت المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ قال لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون^(٣). وليس من هؤلاء الناس من سب علياً ولعنه وشتمه، لأن علياً عليه السلام مع الحق، والحق معه، يدور معه حيث دار، فمن لعنه فقد لعن الحق - والعياذ بالله تعالى -

عن قيس قال: قال لي المغيرة بن شعبة: ما سألت أحد النبي ﷺ عن الدجال ما سألت. قال لي: ما يضرك منه؟ قلت: لأتبعهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء!

(١) تفسير ابن كثير، ج ١ ص ١٥٣

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٤٧ صحيح ابن حبان، ابن حبان، ج ١٢، ص ٣٦٧.

(٣) صحيح البخاري، ج ٣ ص ١٣٣١ تحت رقم ٣٤٤١.

قال: هو أهون على الله من ذلك^(١).

يقول المغيرة: "إنهم يقولون"، فمن هم هؤلاء الذين يقولون؟ وقد خطأهم النبي ﷺ وهذا يعني أنه كان على عهد رسول الله ﷺ أخباراً تتعلق بالغيب ولا أساس لها من الصحة، فلا شك أنها كانت إسرائيليّات؛ فمن ذا الذي كان يروّج للإسرائيليّات بين المسلمين في حياة رسول الله ﷺ؟ وقد علّم أنّ عمر بن الخطاب كان يحضر مجالس اليهود يوم المدارس، وأنه اقترح على رسول الله ﷺ أن يسمع منه شيئاً من التّوراة، وغضب رسول الله ﷺ يومها غضباً شديداً!

والقول الذي يشير إليه المغيرة هو في مسند البزار^(٢) تحت رقم (٢٨٦٦) عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة (رض) قال: قال رسول الله ﷺ: الدّجال أعور العين اليسرى، جعدٌ، معه جَنَّةٌ و نارٌ، فَناره جَنَّةٌ وجَنَّتُه نارٌ! والحديث الذي يليه تحت رقم (٢٨٦٧) عن يحيى بن سعيد الأمويّ قال أخبرنا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن حذيفة بن اليمان (رض) قال: قال رسول الله ﷺ إنّ مع الدّجال جَنَّةٌ و نارٌ، وجبل خبز، ونهر ماء؛ فَناره جَنَّةٌ، وجَنَّتُه نارٌ، وهو جعد الرأس، ممسوح العين اليسرى.

عن عليّ بن ربيعة قال: أوّل من نيح عليه بالكوفة قرظة بن كعب، فقال المغيرة بن شعبة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من نيح عليه فإنّه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة^(٣).

و عن عبد الرحمن بن إسحاق القرشي عن النعمان بن سعد عن المغيرة بن شعبة

(١) صحيح البخاري، ج ٦ ص ٢٦٠٦ تحت رقم ٦٧٠٥.

(٢) مسند البزار، ج ٧ ص ٢٨٠.

(٣) صحيح مسلم، ج ٢ ص ٦٤٣ تحت رقم ٩٣٣.

قال: قال رسول الله ﷺ شعار المسلمين على الصراط يوم القيامة اللهم سلم سلم. هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه^(١).

أقول: نعم، لكن من سبَّ علياً في الحياة الدُّنيا، وخرج منها مصرّاً على ذلك، لم ينفعه يومها شعارٌ.

أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا الملائي وأبو داود الحفري قالا: حدّثنا سفيان عن زياد بن علاقة أنّه سمع المغيرة بن شعبة يقول: قال رسول الله ﷺ "لا تسبّوا الأموات فتؤذوا الأحياء"^(٢).

أقول: هذا الصّنف من الروايات كاشفٌ عن استخفاف المغيرة بشخص النبي الكريم ﷺ، لأنّه إذا كان يعلم أنّ النبي ﷺ نهى عن سبّ الأموات، فما باله هو يسبّ أحبّ الخلق إلى رسول الله ﷺ ويستمرّ على ذلك، وهو يعلم أنّ الإمام علياً عليه السلام قد انتقل من هذه الدُّنيا شهيداً؟! وما أقيح أن يخالف القولُ الفعل، وما أحرّاه بالملت من قبل الله تعالى، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾؛ يروي المغيرة هذه الروايات ثمّ يعمد إلى سبّ من يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله! ثمّ يأتي أقوامٌ لا حيّاء لهم من الله تعالى ويقولون إنّ الله قد غفر للصّحابة ما وقع بينهم. وبعبارة بسيطة إنّ الله قد تنازل عن شريعته وعدله إرضاءً لجماعة السّقيفة ومن سار في طريقهم، ونسوا قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾. ومن أكبر الفجور تعمّد

(١) المستدرک علی الصحیحین، المحاکم، ج ٢ ص ٤٠٧ تحت رقم ٣٤٢٢. والحديث - أيضا - في موارد الظمان، ج ١ ص ٤٨٧.

(٢) صحيح ابن حبان، ج ٧ ص ٢٩٢ تحت رقم ٣٠٢٢.

سب من يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

وعن عمر بن بيان التُّغَلِي عن عروة بن المغيرة بن شعبة، عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ من باع الخمر فليشقص الخنازير^(١).

أقول: كان أولى بالمغيرة أن يروي هذا الحديث لسُمرّة بن جندب حليفه في معادة الإمام علي عليه السلام.

عن ميمون بن أبي شبيب عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ مَنْ حَدَّثَ عَنِي بِحَدِيثٍ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ^(٢).

ولا حرج، مع أن المغيرة الذي يروي هذا الحديث يكذب على رسول الله؛ قال ابن أبي الحديد: "ذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي رحمه الله تعالى - وكان من المتحققين بموالاته علي عليه السلام، والمبالغين في تفضيله، وإن كان القول بالتفضيل عاماً شائعاً في البغداديين من أصحابنا كافة، إلا أن أبا جعفر أشدهم في ذلك قولاً، وأخلصهم فيه اعتقاداً - أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلفوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير"^(٣). فأبو جعفر يقول: "فاختلفوا ما أرضاه". واختلاق الأحاديث ونسبتها

(١) سنن أبي داود، ج ٣ ص ٢٨٠ تحت رقم ٣٤٨٩.

(٢) سنن ابن ماجه، ج ١ ص ١٥ تحت رقم ٤١.

(٣) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ج ٤ ص ٦٣.

إلى رسول الله ﷺ كذب على رسول الله ﷺ.

وعن الشَّعْبِيِّ عن المغيرة بن شعبة أنَّ رسول الله ﷺ توضَّأ ومسح على خفيه قال فقال رجل عند المغيرة بن شعبة: يا مغيرة ومن أين كان للنبي ﷺ خفَّان؟ قال فقال المغيرة: أهداهما إليه التَّجاشي. قال الشَّيْخ: والشَّعْبِيُّ إمَّا روي حديث المسح عن عروة بن المغيرة عن أبيه، وهذا شاهدٌ لحديث دهم بن صالح، والله أعلم^(١).

لكنَّ المغيرة ناقض نفسه مرَّةً أخرى؛ فعن الشَّعْبِيِّ قال: قال المغيرة بن شعبة أهدى دحية الكلبيَّ لرسول الله ﷺ خفَّين فلبسهما. قال أبو عيسى: وقال إسرائيل عن جابر عن عامر وجبَّة فلبسهما حتى تحرقا، لا يدري النَّبِيُّ ﷺ أذكيُّهما أم لا. وهذا حديث حسن غريب. أبو إسحاق اسمه سليمان والحسن بن عياش هو أخو أبي بكر بن عياش^(٢).

فمرَّة يقول المغيرة أهداهما إليه التَّجاشي، ومرَّة يقول أهداهما دحية الكلبي، ولا يدري أذكيُّهما أم لا. ولقد قالوا "المغيرة للمبادهة"، فهو مستعدٌّ لإعطاء أيِّ جواب في طرفة عين، لكن، لم يثبت بطريق صحيح أنَّ التَّجاشي أهدى خفَّين للنبي ﷺ، وأهل هجرة الحبشة أولى بمعرفة ذلك من المغيرة، وليست هذه أوَّل كذبة يكذبها المغيرة.

وللعلم فإنَّ هناك حديثاً يشعر أنَّ المغيرة كان عنده خفَّان قبل الهدية المزعومة؛ ففي المطالب العالية: قال أبو داود الطيالسي: حدثنا الحسن بن واصل عن معاوية بن قرة عن عبد الله بن مغفل المزني قال: أوَّل من رأيت عليه خفَّين في الإسلام المغيرة بن شعبة (رض). أتانا ونحن عند رسول الله ﷺ وعليه خفَّان أسودان فجعل ينظر إليهما

(١) سنن البيهقي الكبرى، ج ١ ص ٢٨٣ تحت رقم ١٢٥٧.

(٢) سنن الترمذي، ج ٤ ص ٢٣٩ تحت رقم ١٧٦٩.

ويعجب منهما، فقال رسول الله: أما أنه ستكثر لكم - أي الخفاف - قالوا: يا رسول الله فكيف نصنع؟ قال تمسحون عليهما وتصلّون^(١). فالحديث يفيد أن أول من رُئي عليه حُفّان في الإسلام المغيرة، والجمع بين الحديثين من الصّوبة بمكان!

و عن أشعث عن الحسن عن المغيرة بن شعبة قال: رأيت رسول الله ﷺ بال ثم جاء حتى توضأ، ثم مسح على خفيه، ووضع يده اليمنى على خفه الأيمن ويده اليسرى على خفه الأيسر، ثم مسح أعلاهما مسحةً واحدةً حتّى كأني أنظر إلى أصابع رسول الله ﷺ على الخفين^(٢).

فالمغيرة في الرواية رأى النبي ﷺ يبول - والعياذ بالله - هذا خلق النبي ﷺ في نظر المغيرة بن شعبة؛ يبول على مرأى من الناس.

حدثنا أبو بكر قال حدثنا وكيع قال حدثنا شعبة عن عبد الملك بن عمير عن عفان عن المغيرة بن شعبة قال: سئل ابن عمر عن بيع الكرم فقال: زبّوه ثم يبعوه^(٣).

أقول: المعلوم أن ابن عمر لم يحسن طلاق امرأته فكيف صار فقيهاً يفتي؟!.

عن الثّعمان بن سعد عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ يخرج قومٌ من التّار فيسمون في الجنّة الجهنّميون [كذا] فيدعون الله أن يحولّ عنهم ذلك الاسم، فيمحو الله عنهم، فإذا خرجوا من التّار نبتوا كما ينبت الرّيش^(٤).

(١) المطالب العالقة، ابن حجر العسقلاني، ج ٢ ص ٣٣٥ تحت رقم ١١٠.

(٢) سنن البيهقي الكبرى، ج ١ ص ٢٩٢ تحت رقم ١٢٩١.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٤ ص ٤٦١، تحت رقم ٢٢١٢٩.

(٤) المعجم الأوسط، ج ٥ ص ٣٤٦، تحت رقم ٥٥٠٧.

عن المغيرة بن شعبة عن سعيد بن زيد أنه كان عاشراً عشرة مع رسول الله ﷺ على حراء، فتحرك حراء، فقال رسول الله ﷺ: أثبت حراء، فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد. قال سعيد: وسمعت رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، فقال المغيرة لسعيد: اذكر لنا من التاسع قال: دعني! ولم يزل حتى قال لنا: أنا التاسع.

أقول: بغض النظر عن مدى صحة الحديث أو بطلانه، فإن من الواضح أن المغيرة بن شعبة في هذه القصة يسخر من سعيد بن زيد ويتهم به، وإلا فإنه في نفس المجلس لعن الإمام علياً عليه السلام وشجع الخوارج على سبه وشتمه ولعنه عليه السلام. إذاً فقد كان المغيرة يعلم - وفق الحديث - أن الإمام علياً عليه السلام في الجنة، ومع ذلك بقي يلعنه على المنبر مصراً على ذلك إلى أن خرج من الدنيا!

وحديث العشرة المبشرين بما افترى على رسول الله ﷺ ظلماً وبهتاناً، وليس فيه أنصاري واحد، هذا مع أن الأنصار خدموا الإسلام أكثر من المهاجرين باستثناء أهل البيت عليه السلام، وقد تقاتل العشرة المبشرون وكذب بعضهم بعضاً، وطعن بعضهم في بعض، ومات عبد الرحمن بن عوف بعد أن هجر عثمان وأوصى ألا يصلي عليه! وحارب طلحة والزبير الإمام علياً عليه السلام وقتلا وهما يجاريانه^(١).

عن قيس بن أبي حازم عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا سها

(١) اعتزل الزبير القتال بعد أن ذكره الإمام علي عليه السلام حديث رسول الله ﷺ، لكنه لم ينحز إلى طائفة الحق، وليس بين الحق والباطل وسط «فماذا بعد الحق إلا الضلال».

الإمام فاستتم قائماً فعليه سجدة السهو، وإذا لم يستتم قائماً فلا سهو عليه^(١).

أقول: لكن المغيرة روى أيضاً أن النبي ﷺ نفسه سها في صلاته، وهناك فرق بين أن يقول النبي ﷺ هذا الكلام وبين أن يسهو - هو - في صلاته. وإذا كان النبي ﷺ قد قال - كما يروي المغيرة نفسه - "جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ"^(٢) فكيف يروي المغيرة قصة سهوه؟ وكيف يسهو الإنسان عن قرّة عينه وهو مستغرق في حبّها؟

وعن عليّ بن ربيعة قال: سمعت المغيرة بن شعبة يقول على المنبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول إن كذباً عليّ ليس ككذب على غيري؛ وسمعتة يقول من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.^(٣)

لكن الحديث في مسند أبي يعلى كالتالي: كنّا عند المغيرة بن شعبة وهو في المسجد وعنده أهل الكوفة، فجاء سعيد بن زيد فأوسع له المغيرة فقال: ها هنا فاجلس، فأجلسه معه على السرير، فقال سعيد بن زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد، من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"^(٤). وإذا، فمن الذي سمع رسول الله ﷺ؟ المغيرة أم سعيد بن زيد؟ أم كلاهما؟!

و عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ ما من أحد إلا جعل معه قرين من الجن قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن الله

(١) المعجم الكبير، ج ٢٠ ص ٣٩٩٩٤٧.

(٢) المعجم الكبير، ج ٢٠ ص ٤٢٠ تحت رقم ١٠١٢.

(٣) المسند المستخرج على صحيح مسلم، ج ١ ص ٩٤ تحت رقم ٦٦.

(٤) مسند أبي يعلى، ج ٢ ص ٢٥٧ تحت رقم ٩٦٦.

أعاني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير^(١)!

أقول: هذا الحديث وأمثاله مما يقدح في الأنبياء والرسل. أليس القرآن الكريم يقول: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾؟! أليس القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾؟! وهل كان لعيسى بن مريم قرين من الجن؟ هل كان لموسى قرين من الجن؟ هل كان لإبراهيم قرين من الجن؟

عن محمد بن كعب القرظي عن المغيرة بن شعبة أنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا بما يكون في أمته إلى يوم القيامة، وعاه من وعاه ونسيه من نسيه^(٢).

أقول: من أيّ الفريقين كان المغيرة؟ ممن وعاه أم ممن نسيه، وهو الداهية الكبير؟ إن كان ممن وعاه فلماذا كتبه عن المسلمين وخرج من الدنيا دون أن يبلغه؟! وإن كان كتبه فإن من كتبه علماً أجمه الله بلجام من نار يوم القيامة. ثم أين هذه الخطبة؟ بل أين نصفها، ثلثها، عُشرها!!

عن مسلمة بن نوفل الثقفي عن المغيرة بن شعبة قال: نهى النبي ﷺ عن المثلة^(٣).

أقول: فقد كان خليفه معاوية وصاحبه زياد يمثّلان باتباع علي عليه السلام فلم لم يوجه إليهما المغيرة هذا الكلام؟! وقد ثبت أن زياداً دفن عبد الرحمن العنزي حياً بأمر من معاوية، وهذا شرٌّ مما يتصور من المثلة.

عن الأوزاعي قال: حدثني محمد بن عبد الملك عن المغيرة بن شعبة أنه سمع

(١) المعجم الكبير، ج ٢٠ ص ٤٢١ تحت رقم ١٠١٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٥٤ تحت رقم ١٨٢٤٩.

(٣) التاريخ الكبير، البخاري، ج ٧ ص ٣١٦.

عثمان بن عفان يقول: سمعت النبي ﷺ يقول يلحد بمكة رجلٌ من قريش عليه نصف عذاب العالم. يقال - عن أبي مسهر - إنه ابن عبد الملك بن مروان قُتل بنهر أبي فطرس.

أقول : السياق يحتمل معنيين، أوْهُما أن تكون جملة "يقال.." لبيان ومعرفة محمد بن عبد الملك لتمييزه عن غيره ممن يشاركه الاسم. والثاني أن يكون المقصود به الرجل الذي يلحد بمكة، وفي هذه الحال يطرح السؤال التالي : أيّ إلحاد هذا الذي ألحده ابن عبد الملك الذي قُتل بنهر أبي فطرس، ولماذا لم يسمع به أحدٌ؟! بل الذي ألحد في الحرم هو عبد الله بن الزبير الذي عرّض الكعبة للرمي بالمنجنيق وهو يحلم بالخلافة على طريقة أبيه. فلا هو نال الدنيا، ولا هو أدرك الآخرة!

عن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه عن جدّه مرفوعاً: لم يمِت نبيٌّ حتّى يؤمّه رجلٌ من قومه^(١).

لا تعليق!

والأحاديث التي تنتهي إلى المغيرة كثيرة، لكنها لا تسلم من الطعن.

...عن عبد الله بن أحمد: سألت أبي عن عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي فقال هذا يقال له أبو شيبه وهو واسطي^٢ كان يروي عنه ابن إدريس وأبو معاوية وابن فضيل وهو الذي يحدث عن التّعمان بن سعد عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ أحاديث مناكير، ليس هو في الحديث بذلك، والمدنيّ أعجب إليّ من هذا الواسطي^(٢).

(١) لسان الميزان، ج ٣ ص ٢٦٠.

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال، ج ٤ ص ٣٠٤.

وعن المغيرة بن شعبة (رض) قال : كنت مع النَّبِيِّ ﷺ فمشى حتى توارى عني في سواد الليل ثم جاء فصبت عليه من الإداوة^(١).
أقول: ههنا يقول المغيرة "توارى عني في سواد الليل"، وهناك يقول "رأيتَه قام على سباطة قوم فبال"! كيف يتوارى مع وجود ظلام الليل ثم يقوم أمام الناظرين على سباطة قوم فيبول قائماً في وضح النهار؟! اللهم إلا أن يقال إن النَّبِيَّ ﷺ لا يبول إلا بحضور المغيرة بن شعبة!

عن المغيرة بن شعبة قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرعون بابه بالأظافر^(٢).
أقول: في قرعهم الباب بالأظافر استئذان، ولم يكونوا يفعلون ذلك من البداية، وإلا فكيف نفسر قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا^(٣)». وإذا كان المغيرة ممن يعتقدون بالاستئذان فلماذا اقتحم باب فاطمة مع المقتحمين؟!^(٤)

(١) الكافي في فقه ابن حنبل، ابن قدامة المقدسي، ج ١ ص ٥٥.

(٢) معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري، ج ١ ص ٥٩. دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية،

١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م. تحقيق : السيد معظم حسين.

(٣) الأحزاب ٥٣.

(٤) حديث المجهوم على بيت فاطمة عليها السلام تفننوا في التلاعب بألفاظه لتمريره بسلام، لكن لا سبيل

قال ابن وهب أخبرني ابن لهيعة ونافع بن يزيد عن عمارة بن غزية عن سعيد بن عمرو بن شرحبيل أنه وجد في كتاب آبائه هذا ما ذكره عمرو بن حزم والمغيرة بن شعبة قالوا: بينا نحن عند رسول الله ﷺ دخل رجلان يختصمان مع أحدهما شاهد له على حقه، فجعل رسول الله ﷺ صاحب الحق مع شاهده فاقطع بذلك حقه.

أقول: لكن ورد في فصول الجصاص قوله: "قال الزهري وهو من أقفه أهل المدينة في عصره: القضاء بالشاهد واليمين بدعة، وإن أول من قضى به معاوية" (١).
فعلل المغيرة روى ذلك ليصحح فعل حليفه معاوية!

ثم أما كان المغيرة و معاوية جميعاً حاضرين يوم الغدير حيث رسول الله ﷺ ينادي أمام الألوف المؤلفة من المسلمين: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ فما بالهما قد تصافقا على لعنه على المنابر، ووظفاً لذلك من لا حريجة له في الدين؟

عن عمرو بن وهب الثقفي عن المغيرة بن شعبة قال: رأيت رسول الله ﷺ مسح على العمامة والخفين (٢). و عن ابن شهاب قال: أخبرني عباد بن زياد أن عروة بن المغيرة بن شعبة أخبره أنه سمع أباه يقول: عدل رسول الله ﷺ وأنا معه في غزوة تبوك قبل الفجر فعدلتُ معه، فأناخ رسول الله ﷺ فبرز ثم جاءني، فسكبتُ على يديه من الإداوة (٣)..
إلى رده وإنكاره، وقد رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح، وليس هذا محل مناقشته.

(١) كتاب الفصول في الأصول، الجصاص، ج ١ ص ١٩٢.

(٢) مسند أبي داود الطيالسي، ص ٩٥.

(٣) صحيح ابن حبان، ج ٥، ص ٦٠٢ - ٦٠٣.

أقول: يقول المغيرة " عدل رسول الله ﷺ وأنا معه في غزوة تبوك قبل الفجر فعدلتُ معه"، وليس فيه ما يشير إلى أن النبي ﷺ أمره بالعدول معه. وفي رواية عن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه المغيرة بن شعبة عن رسول الله ﷺ أنه خرج لحاجته وتبعه المغيرة بالإداوة فيها ماءً فصبَّ عليه حتى فرغ من حاجته، فتوضَّأ ومسح على الخُفَّين^(١).

وفي رواية عن عباد بن زياد أن عروة بن المغيرة بن شعبة أخبره أن المغيرة بن شعبة أخبره أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك، قال المغيرة فبرز رسول الله ﷺ قِبَلِ الغائط، فحملت معي إداوةً قبل صلاة الفجر ..^(٢)

فالمغيرة يقول "فحملت معي إداوةً" يعني أنه تطوَّع بذلك، وليس فيه ما يشعر أن النبي ﷺ أمره بذلك، خلافاً لما في الرواية اللاحقة. وعن حمزة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سفر، فقال: تخلف يا مغيرة! وامضوا أيها الناس! قال: ثم ذهب ففقد حاجته، ثم اتبعته بإداوة من ماء، فلما فرغ سكبت عليه منها، فغسل وجهه^(٣) ..

فالنبي ﷺ - حسب رواية المغيرة - لا يكتفي أن يقول للمغيرة تخلف، وإنما يخاطب الجيش كله ليعلم كل فرد منهم أن المغيرة هو الشخص الذي اختاره ﷺ لوضوئه! مع أنه في وسع النبي ﷺ أن يأخذ الإداوة من المغيرة وتنتهي القضية،

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٠، ص ٣٧٥.

(٢) السنن الكبرى، النسائي، ج ١، ص ١٠١.

(٣) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ١، ص ١٩٣.

لأنه ﷺ محتاجٌ إلى الماء، لا إلى المغيرة، وهذا على فرض أن النبي ﷺ لم يكن لديه إداوته الخاصة وهو في سفر بعيد الشقة (غزوة تبوك) لكن المغيرة يريد كعادته أن يفتخر بخصوصية لم تكن في تناول كل الصحابة، وهي هذه المرة وضوء النبي ﷺ !

يذكر المغيرة بن شعبة أنه تبع رسول الله ﷺ بإداوة، ولم يقل إن ذلك كان بأمر من النبي ﷺ. ومن حق المرء أن يتساءل إن كان من عادة النبي ﷺ أن يؤخر شخصاً معه إداوة ليصب عليه الماء، أم أنها المرة الوحيدة التي فعل فيها ذلك، لأن القضية تتعلق بالمغيرة بن شعبة فينبغي أن يتميز عن غيره من الصحابة بشيء ما ! ولم يذكر غير المغيرة بن شعبة موقفاً مشابهاً مع النبي ﷺ ؛ ثم لماذا لا يكون للنبي ﷺ إداوة كما هو شأن مراقبيه؟! لقد كان في ثقافة كل العرب أن يكون مع الرجل في سفره أشياء من بينها الماء، بل هو أهمها جميعاً، لا يستغني عنه المسافر بحال من الأحوال، فكيف تخلّى النبي ﷺ عن إداوته؟!

وبما أن المغيرة بن شعبة لا يتورّع عن الكذب والبهتان، وبما أنه لا يتورّع أن يتجحّ أنه أول من رشا في الإسلام، وبما أنه كان يلعن الإمام علياً عليه السلام بعد أن سمع بأذنيه رسول الله ﷺ يقول في حق علي عليه السلام يوم خيبر "يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله" فلا بأس بردّ كلام المغيرة ولا كرامة، ولا بأس أن يضرب به عرض الحائط.

ولطالما تحبّط المغيرة في هذه القصة؛ فعن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن المغيرة بن شعبة قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر فقال: يا مغيرة خذ الإداوة!، فانطلق رسول الله ﷺ حتى توارى عني فقضى حاجته وعليه جبة شاميّة من صوف،

فذهب يخرج يده من كمها فضاقت^(١)...

فالمغيرة يذكر أن النبي ﷺ قال له " يا مغيرة خذ الإداوة "، وإنما يقابل الأخذ العطاء، فإذا قال لك شخص خذ كذا، فلا بد أن يعطيك ذلك الشيء الذي قال لك خذه، وإلا كان كلامه بلا معنى. والإداوة هنا بالألف واللام، ومنه نفهم أن النبي ﷺ أعطى المغيرة إداوة، وأخذها المغيرة، بدليل قوله " فأخذتها "؛ وقد يكون يقصد إداوة المغيرة، وهذا أيضاً ليس ببعيد، وعلى كل حال لماذا يفعل النبي ﷺ هذا دون جميع من كان معه، وهل كان النبي ﷺ يفعل ذلك في جميع أسفاره وغزواته؟!

ومرة يقول المغيرة في خطبته - " أيها الناس، إني كنت مع النبي ﷺ في ركب فنزل فقضى حاجته فأتيته بماء فتوضأ ومسح على خفيه^(٢)."

ومرة يقول: تخلف وتخلفت معه بالإداوة، فتبرّز ثم أتاني فسكبت على يديه وذلك عند صلاة الصبح، فلما غسل وجهه وأراد غسل ذراعيه ضاق كُماً جبته^(٣) ..

وكلامه يوهم أن النبي ﷺ تبرّز ولم يستعمل الماء مع وجود الماء، وهذا الحديث موجود في كتب كثيرة، ولا أحد ينكر على المغيرة!

(١) السنن الكبرى، النسائي، ج ٥، ص ٤٨١ تحت رقم ٩٦٦٤.

(٢) المصنف، ابن أبي شيبة، ج ١، ص ٢٠٦. والحديث بتمامه: حدثنا جرير بن عبد الحميد عن عبد العزيز بن رفيع عن علي بن ربيعة قال خطبنا المغيرة بن شعبة فقال: أيها الناس إني كنت مع النبي ﷺ في ركب فنزل فقضى حاجته فأتيته بماء فتوضأ ومسح على خفيه.

(٣) منتخب مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد، ص ١٥٢ تحت رقم ٣٩٧.

ومرة يقول: رأيت النبي ﷺ بال وهو قائم، ثم صببت عليه فتوضاً ومسح على خفيه^(١) ..

وهذا يعني أن النبي ﷺ لم يستعمل الماء للطهارة من البول مع وجود الماء! فإن كان المقصود أن المغيرة صب الماء على النبي ﷺ ليغسل محل البول، فإننا لله وإننا إليه راجعون! وإن كان يقصد أن النبي ﷺ لم يغسل محل البول مع وجود الماء وأنه صب عليه ليتوضاً دون غسل محل البول، فألف "إننا لله وإننا إليه راجعون".

وعن بكر بن عبد الله المزني عن الحسن عن ابن المغيرة بن شعبة عن المغيرة أن رسول الله ﷺ توضاً فمسح ناصيته وعمامته وعلى الخفين^(٢).

أقول: هذه الرواية تمسك بها القائلون بمجواز الاكتفاء بالمسح على العمامة، علماً أن المغيرة بن شعبة قال: "فمسح ناصيته وعمامته وعلى الخفين"، والثناصية ليست جزءاً من العمامة! وفي المستدرک حديث^(٣) عن أبي معقل عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يتوضاً وعليه عمامة قطريّة، فأدخل يده من تحت العمامة فمسح مقدّم رأسه ولم ينقض العمامة^(٤). وفيه تصريح أنه مسح مقدّم رأسه لا مقدّم عمامته، لأنه أدخل يده من تحت عمامته، فلم يبق بين يده ورأسه حائل.

وتأمل ما يقوله الفقيه في صحيح ابن حبان: توضاً ومسح على الخفين

(١) منتخب مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد، ص ١٥٢.

(٢) السنن الكبرى، النسائي، ج ١، ص ٨٧.

(٣) المستدرک، الحاكم النيسابوري، ج ١، ص ١٦٩.

(٤) قال الحاكم بخصوص هذا الحديث: هذا الحديث وإن لم يكن إسناده من شرط الكتاب... الخ.

والعمامة. قال [في ذكر خبر أوهم عالماً من الناس أن المسح على العمامة غير جائز]: أخبرنا أبو خليفة [...] عن الحسن عن ابن المغيرة بن شعبة عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ توضأ ومسح بناصيته وفوق العمامة. قال بكر وسمعت من ابن المغيرة. قال أبو حاتم: وهذه اللفظة ومسح بناصيته وفوق العمامة قد تُوهم من لم يُحكم صناعة العلم أن المسح على العمامة دون الناصية غير جائز، ويجعل خبر عمرو بن أمية مُجماً وخبر مغيرة الذي ذكرناه مفسراً له .. وليس بحمد الله منه كذلك، بل مسح النبي ﷺ على رأسه في وضوئه، ومسح على عمامته دون الناصية، ومسح على ناصيته وعمامته، ثلاث مرار في ثلاثة مواضع مختلفة، فكل سنة يستعمل من غير أن يكون استعمال أحدهما حتماً واستعمال الآخر مكروهاً^(١). والمسألة فيها خلاف كبير بين مذاهب الجمهور لم يخل من تخبط، ولا خلاف بين علماء مدرسة أهل البيت ﷺ في عدم جواز المسح على العمامة. وهذه بعض أقوال المانعين من مدرسة الخلفاء:

قال الزيعلي : ولا يجوز المسح على العمامة والقلنسوة والبرقع والقفازين ؛ لأنه لا حرج في نزع هذه الأشياء، والرخصة لدفع الحرج^(٢).

وقال التتويي : وأما إذا اقتصر على مسح العمامة ولم يمسح شيئاً من رأسه فلا يجزيه بلا خلاف عندنا، وهو مذهب أكثر العلماء؛ كذا حكاه الخطابي والماوردي عن أكثر العلماء، وحكاها ابن المنذر عن عروة بن الزبير والشَّعبي والتَّخفي والقاسم^(٣) ..

(١) صحيح ابن حبان، ج ٤ ص ١٧٦

(٢) نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، ج ١ ص ٣٩٨.

(٣) المجموع، محي الدين النووي، ج ١، ص ٤٠٧.

وفي الموطأ (٣٨) وحدثني يحيى عن مالك، أنه بلغه أن جابر بن عبد الله الأنصاري، سئل عن المسح على العمامة، فقال : لا، حتى يمسح الشعر بالماء. (٣٩) وحدثني عن مالك، عن هشام بن عروة، أن أباه عروة بن الزبير كان ينزع العمامة، ويمسح رأسه بالماء. وحدثني عن مالك، عن نافع، أنه رأى صفية بنت أبي عبيد، امرأة عبد الله بن عمر، تنزع خمارها، وتمسح على رأسها بالماء. ونافع يومئذ صغيرٌ وسئل مالك عن المسح على العمامة والخمار. فقال: لا ينبغي أن يمسح الرجل ولا المرأة على عمامة ولا خمار^(١).

وفي المبسوط قال: (ولا يجوز المسح على العمامة والقلنسوة) ومن العلماء من جوزه لحديث بلال (رض) قال: رأيت رسول الله ﷺ مسح على عمامته وجاء في الحديث أن النبي ﷺ بعث سرية فأمرهم بأن يمسحوا على المشاوذ والتساخين فالمشاوذ العمام والتساخين الخفاف. (ولنا) حديث جابر (رض) قال رأيت رسول الله ﷺ حسر العمامة عن رأسه ومسح على ناصيته وكأن بلالا (رض) كان بعيداً^(٢).

وانظر إلى ابن قدامة كيف يكيل بمكيالين إذ يقول: ومن قال بجواز المسح على العمامة أبو بكر الصديق، وبه قال عمر بن الخطاب وأنس وأبو أمامة، ورؤي عن سعد بن مالك وأبي الدرداء (رض) وهو قول عمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة وابن المنذر وغيرهم؛ وقال عروة والتخعي والشعبي والقاسم ومالك والشافعي وأصحاب الرأي لا يمسح عليها لقول الله تعالى ﴿وامسحوا برءوسكم﴾ ولأنه لا

(١) كتاب الموطأ، الإمام مالك، ج ١، ص ٣٥.

(٢) المبسوط، السرخسي، ج ١، ص ١٠١.

تلحقه المشقة بزعمها، أشبهت الكُمَيْن، ولنا ما روى المغيرة بن شعبة قال توضع
رسول الله ﷺ^(١) ..

فهو حين تكلم عما يتبناه جاء بأبي بكر وعمر وأنس وأبي أمامة وأبي الدرداء
وسعد بن مالك، أما حين أورد قول المانعين فإنه لم يأت بصحابي واحد، وركّز على
عبارة "أصحاب الرأي" لشدة حساسيتها وقوة وقعها لدى القارئ والمستمع! وعلى
رأس المانعين من الصحابة الذين تجاهلهم ابن قدامة علي بن أبي طالب عليه السلام وجابر
بن عبد الله الأنصاري. قال الترمذي: وقال غير واحد من أصحاب النبي ﷺ: لا
يمسح على العمامة إلا أن يمسح برأسه مع العمامة، وهو قول سفيان الثوري ومالك بن
أنس وابن المبارك والشافعي، وإليه ذهب أيضا أبو حنيفة^(٢). وفي سنن البيهقي الكبرى
عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا مسح رأسه رفع
القلنسوة ومسح مقدّم رأسه^(٣).

عن أبي صخرة عن المغيرة بن عبد الله عن المغيرة بن شعبة: قال بتّ عند
رسول الله ﷺ وكان يجزّ لي من جنب حتى أذن بلال فطرح السكّين فقال: ما له
تربت يداه^(٤).

أقول: ما يرمي إليه المغيرة في هذه الرواية وما يشبهها هو أنه كان غالبا ما يكون مع
رسول الله ﷺ وليس معه غيره، حتى حينما يريد النبي ﷺ قضاء حاجته فإنه يقول

(١) الشرح الكبير، عبد الرحمن بن قدامة، ج ١، ص ١٥٠

(٢) نيل الأوطار، الشوكاني، ج ١، ص ٢٠٦.

(٣) سنن البيهقي الكبرى، السنن الكبرى، البيهقي، ج ١، ص ٦١.

(٤) السنن الكبرى، ج ٤، ص ١٥٣.

للمغيرة دون غيره "تخلف"! ولم يرو قصة قضاء النبي حاجته في غزوة تبوك غير المغيرة، ولطالما كذب المغيرة على رسول الله ﷺ! ثم هل يريد المغيرة بن شعبة أن يقول إن النبي ﷺ تدمر من بلال حين آذنه بالصلاة وقد كانت قرّة عينه في الصلاة؟

عن عمرو بن وهب قال: كنّا عند المغيرة بن شعبة فُسئل هل أمّ النبي ﷺ أحدٌ من هذه الأمة غير أبي بكر؟ قال: نعم، كنّا مع النبي ﷺ في سفر، فذكر الحديث بطوله، وقال: ثمّ ركبنا فأدركنا الناس وقد تقدّم عبد الرحمن بن عوف^(١)..

أقول: لكنّ عبد الرحمن بن عوف لم يذكر هذا الأمر، ولم يفتخر به يوماً من الأيام، ولا فخر به أولاده من بعده، وليس هذا ممّا يتجاهل الناس ذكره، خصوصاً في تلك الأيام. وماداموا قد قدّموا عبد الرحمن بن عوف يومها ليصلي بهم، فلماذا لم يقدّموه أيام مرض النبي ﷺ الذي توفي فيه^(٢)!

قال ابن حبان في كتاب الحظر والإباحة [ذكر الإخبار عن تحريم الله جلّ وعلا خصلاً معلومةً على المسلمين]: أخبرنا عبد الله بن محمد الأزديّ قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدّثنا جرير عن منصور عن الشعبيّ عن وراذ مولى المغيرة عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ قال: إنّ الله حرّم عليكم عقوق الأمّهات، ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال^(٣).

والذي يروي هذا الحديث هو المغيرة بن شعبة الذي أضاع مال المسلمين في

(١) صحيح ابن خزيمة، ج ٢ ص ١٣٥.

(٢) صحيح ابن خزيمة، ج ٢، ص ١٣٥.

(٣) صحيح ابن حبان، ج ١٢، ص ٣٦٦ تحت رقم ٥٥٥٣.

زواجه المتكررة [ثلاثمائة امرأة] بحثاً عن المزيد من الشهوة!

وعن زيد عن عاصم بن بهدلة عن شقيق بن سلمة عن المغيرة بن شعبة قال: قام رسول الله ﷺ إلى سباطة قوم فبال، فجثته بماء فصبته عليه، فتوضأ ومسح برأسه ومسح على خفيه، ثم قام فصلّى^(١). هكذا يقول المغيرة: "قام رسول الله ﷺ إلى سباطة قوم فبال"، وهو ينظر إليه!

عن السريّ بن يحيى عن ثابت جليس للحسن عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ ساقى القوم آخرهم^(٢).

أقول: هذه الرواية يدرك مضمونها المغيرة بن شعبة أكثر من أي شخص آخر تبلغه، فهو كان ساقى القوم قبل أن يقتلهم جميعاً وهم نيام.

عن زياد بن علاقة عن عمه قطبة بن مالك عن المغيرة بن شعبة قال: رأيت رسول الله ﷺ يقوم فما يفتل من صلاته حتى ترم قدماه، فقيل: أتجهد نفسك؟ فما هذا الجهد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً^(٣).

وعن منصور عن الشَّعْبِيِّ عن وراذ كاتب المغيرة بن شعبة عن المغيرة قال: قال رسول الله ﷺ ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم أنبيائهم واختلافهم على أنبيائهم، فما أمرتكم به من شيء فاتوا منه ما

(١) المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٢، ص ٢٧.

(٢) المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٢، ص ٤٠.

(٣) المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٢، ص ٣٣٦.

استطعتم وما نهيتكم فانتهاوا^(١).

أقول: ما دام النبي ﷺ يقول: "فما أمرتكم به من شيء فأتوا منه ما استطعتم" فإنه ﷺ قد أمر المغيرة بمحبة وموالاة الإمام علي عليه السلام، لكنه أبي إلا أن يعاديه ويسبهه ويلعنه، ومن حقه أن يدافع عن نفسه هناك، في عالم ليس للدُّهاة فيه امتياز.

عن إسماعيل بن رافع عن محمد بن سعيد بن عبد الملك عن المغيرة بن شعبة قال: قال عثمان بن أبي العاص - وكان شاباً - : وفدنا على النبي ﷺ فوجدني أفضلهم أخذاً للقرآن، وقد فضلهم بسورة البقرة، فقال النبي ﷺ : قد أمرتك على أصحابك وأنت أصغرهم^(٢)..

أقول: هذه الرواية تنسف ما برّر به جماعة السقيفة عملهم حين ادّعوا أن علي بن أبي طالب عليه السلام أصغر من أن يتولّى منصب القيادة، وبما أن قول وفعل وتقرير النبي ﷺ حجة، فإنهم يكونون قد خالفوا سنة النبي ﷺ ، ودون الدّفاع عنهم في مثل هذا المقام خرط القتاد.

عن عبد الله بن الأسود بن أبي عاصم الثقفي عن أبيه عن المغيرة بن شعبة قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين وقف على رجل من ثقيف مقتول فقال: "أبعدك الله فإنك كنت تبغض قريشاً"^(٣).

(١) المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٦ ص ١٣٥.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٩، ص ٤٤.

(٣) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٠، ص ٣٨٢.

أقول: الرَّجُلُ المَقْتُولُ من ثَقِيف، والمَغِيرَةُ بن شَعْبَةَ من ثَقِيف، فلماذا لم يذكره باسمه؟

وأما تقوله على النَّبِيِّ ﷺ "أبعدك الله فأئك كنت تبغض قريشاً" فمحلّ تأمل، لأنَّ أبا جهل وأبا لهب وأمّية بن خلف والوليد بن المغيرة وعقبة بن أبي معيط وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة - هؤلاء كلّهم - من قريش، وبغضهم واجب، وهناك عدد هائل من قريش ممن ماتوا على الشُّرك...

وروي عن النبي عليه السَّلام من حديث المغيرة بن شعبه أنّه كان إذا تبرّز تباعد وبعضهم يقول فيه: إذا ذهب أبعد في المذهب، وفي حديث جابر حتى لا يراه أحد^(١)؛ وفيه ردٌّ على ادّعاء المغيرة رؤية النَّبِيِّ ﷺ يقول قائماً.

روى شريك بن عبد الله التَّخَعِي^(٢)، عن محمد بن عمرو بن مرّة عن أبيه عن عبد الله بن سلمة، عن أبي موسى الأشعريّ، قال: حججت مع عمر، فلما نزلنا وعظم

(١) الاستذكار، ابن عبد البر، ج ١، ص ٣٦١.

(٢) هو شريك بن عبد الله بن أبي شريك التَّخَعِيّ أبو عبد الله الكوفي، قال ابن معين: شريك صدوق ثقة إلا أنه إذا خالف فغيره أحب إلينا منه. وقال ابن المبارك: شريك اعلم بحديث الكوفيين من الثوري. وقال الجوزجاني شريك سيء الحفظ مضطرب الحديث مائل [عبارة مائل يرددها الجوزجاني، في حق كل من لا يكون مبغضاً لعلّي وأولاده عليهم السلام]. قال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ٧، ص ٢٨١: "قرأت على أبي الفتح نصر الله بن محمد الفقيه عن سهل بن بشر الإسفراييني أنا أبو الحسن علي بن بقا الوراق بمصر أنا عبد الغني بن سعيد الحافظ بمصر قال سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد الرعيني يقول سمعت عبد الله بن أحمد بن عديس يقول كنا عند إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني فالتمس من يذبح له دجاجة فتعذر عليه فقال: يا قوم تعذر عليّ ذبح دجاجة وعليّ بن أبي طالب قتل سبعين ألف في وقت واحد، أو كما قال". مات الجوزجاني سنة ١٧٧. تهذيب التهذيب ٤: ٣٣٥.

الثاس خرجت من رحلي أريده، فلقيني المغيرة بن شعبة، فرافقني ثم قال: أين تريد؟ فقلت: أمير المؤمنين، فهل لك؟ قال: نعم. فانطلقنا نريد رحل عمر، فإذا لفي طريقنا إذ ذكرنا تولي عمر وقيامه بما هو فيه، وحياطته على الإسلام، ونهوضه بما قبله من ذلك، ثم خرجنا إلى ذكر لابن أبي بكر، فقلت للمغيرة: يا لك الخير! لقد كان أبو بكر مسددًا في عمر، لكأنه ينظر إلى قيامه من بعده، وجده واجتهاده وغناؤه في الإسلام؛ فقال المغيرة: لقد كان ذلك، وإن كان قوم كرهوا ولاية عمر ليزووها عنه، وما كان لهم في ذلك من حظ، فقلت له: لا أبا لك! ومن القوم الذين كرهوا ذلك لعمر؟ فقال المغيرة: لله أنت! كأنك لا تعرف هذا الحي من قريش وما خُصّوا به من الحسد! فوالله لو كان هذا الحسد يدرك بحساب لكان لقريش تسعة أعشاره، وللناس كلهم عشر، فقلت: مه يا مغيرة، فإن قريشاً بانت بفضلها على الثاس. فلم نزل في مثل ذلك حتى انتهينا إلى رحل عمر فلم نجد، فسألنا عنه فقيل: قد خرج آفأ، فمضينا نقفو أثره، حتى دخلنا المسجد، فإذا عمر يطوف بالبيت، فطُفنا معه، فلما فرغ دخل بيني وبين المغيرة، فتوكلًا على المغيرة وقال: من أين جئتما؟ فقلنا: خرجنا نريدك يا أمير المؤمنين، فأتيننا رحلك فقيل لنا: خرج إلى المسجد، فاتبعناك. فقال: اتبعكما الخير، ثم نظر المغيرة إليّ وتبسّم، فرمقه عمر، فقال: مم تبسّمت أيها العبد^(١)! فقال من حديث كنت أنا وأبو موسى فيه آفأ في طريقنا إليك، قال: وما ذاك الحديث؟ فقصصنا عليه الخبر حتى بلغنا ذكر حسد قريش، وذكر من أراد صرف أبي بكر عن استخلاف عمر، فتنفّس الصّعاء ثم قال: ثكلتك أمك يا مغيرة! وما تسعة أعشار الحسد! بل

(١) لاحظ أن عمر يقول للمغيرة أيها العبد!

وتسعة أعشار العشر، وفي الناس كلهم عشر العشر، بل وقريش شركاؤهم أيضاً فيه! وسكت ملياً وهو يتهادى بيننا، ثم قال : ألا أخبركما بأحسد قریش كلّها ؟ قلنا : بلى يا أمير المؤمنين، قال: وعليكما ثيابكما؟ قلنا: نعم، قال : وكيف بذلك وأنتما ملبسان ثيابكما؟ قلنا يا أمير المؤمنين، وما بال الثياب؟ قال: خوف الإذاعة منها، قلنا له: أتخاف الإذاعة من الثياب أنت، وأنت من هلبس الثياب أخوف ! وما الثياب أردت ! قال : هو ذاك، ثم انطلق وانطلقنا معه حتى انتهينا إلى رحله، فخلى أيدينا من يده، ثم قال: لا تريما، ودخل فقلت للمغيرة : لا أبا لك ! لقد أثّرنا بكلامنا معه، وما كنا فيه وما نراه حبسنا إلا ليزاكرنا إيّاها، قال، فإنّا لكذلك إذ أخرج آذنه إلينا، فقال : ادخلّا، فدخلنا فوجدناه مستلقياً على بردعة برحل، فلما رأنا تمثّل بقول كعب بن زهير:

لا تفش سرّك إلاّ عند ذى ثقة أولى وأفضل ما استودعت أسراراً

صدراً رحيباً وقلباً واسعاً قمناً ألاّ تخاف متى أودعت إظهاراً

فعلما أنّه يريد أن نضمن له كتمان حديثه، فقلتُ - أنا - له : يا أمير المؤمنين، ألزمتنا وخصّنا وصلنا، قال : بما ذا يا أخا الأشعرين ؟ فقلت: بإفشاء سرّك، وإن تشركنا في همّتك فنعم المستشاران نحن لك. قال : إنكما كذلك، فأسألا عمّا بدا لكما، ثمّ قام إلى الباب ليغلقه، فإذا الآذن الذي أذن لنا عليه في الحجرة فقال: امض عتّا لا أمّ لك : فخرج وأغلق الباب خلفه، ثمّ أقبل علينا، فجلس معنا، وقال : سلا تخبراً، قلنا نريد أن يخبرنا أمير المؤمنين بأحسد قریش : الذي لم يأمن ثيابنا على ذكره لنا، فقال : سألتما عن معضلة، وسأخبركما فليكن عندكما في ذمّة منيعة وحرز ما بقيت، فإذا متّ فشأنكما وما شئتما من إظهار أو كتمان. قلنا : فإنّ لك عندنا ذلك، قال أبو

موسى: وأنا أقول في نفسي ما يريد إلا الذين كرهوا استخلاف أبي بكر له كطلحة وغيره، فإنهم قالوا لأبي بكر: أتستخلف علينا فظاً غليظاً؛ وإذا هو يذهب إلى غير ما في نفسي، فعاد إلى التنفّس، ثم قال: من تريانه؟ قلنا: والله ما ندري إلا ظناً! قال: وما تظنان؟ قلنا: عساك تريد القوم الذين أرادوا أبا بكر على صرف هذا الأمر عنك، قال: كلا والله! بل كان أبو بكر أعق، وهو الذي سألتما عنه، كان والله أحسد قریش كلّها؛ ثم أطرق طويلاً فنظر المغيرة إلى ونظرت إليه، وأطرقنا ملياً لإطراقه، وطال السكوت منا ومنه، حتى ظننا أنه قد ندم على ما بدا منه، ثم قال: والهفاه على ضئيل بنى تيم بن مرة! لقد تقدّمني ظالماً، وخرج إليّ منها آثماً، فقال المغيرة: أما تقدّمه عليك يا أمير المؤمنين ظالماً فقد عرفناه، كيف خرج إليك منها آثماً؟ قال: ذاك لأنه لم يخرج إليّ منها إلا بعد يأس منها، أما والله لو كنت أطعت زيد بن الخطاب وأصحابه لم يتلمّظ من حلاوتها بشيء أبداً، ولكّني قدّمت وأخّرت، وصعدت وصوبت، ونقضت وأبرمت، فلم أجد إلا الإغضاء على ما نشب به منها، والتلهّف على نفسي، وأملت إنايته ورجوعه، فوالله ما فعل حتى نغر بها بشماً. قال المغيرة: فما منعك منها يا أمير المؤمنين، وقد عرضك لها يوم السقيفة بدعائك إليها، ثم أنت الآن تنقم وتتأسّف؟ قال: ثكلتك أمّك يا مغيرة! إني كنت لأعدّك من دهاة العرب، كأنك كنت غائباً عمّا هناك! إن الرجل ما كرنى فماكركه، وألفاني أحذر من قطاة، إنّه لما رأى شغف الناس به، وإقبالهم بوجوههم عليه، أيقن أنّهم لا يريدون به بدلاً، فأحبّ لما رأى من حرص الناس عليه، وميلهم إليه، أن يعلم ما عندي، وهل تنازعني نفسي إليها! وأحب أن يبلوّنِي بإطماعي فيها، والتّعريض لي بها، وقد علم

وعلمت لو قبلت ما عرضه عليّ، لم يجب الناس إلى ذلك، فألفاني قائماً على أخصي مستوفزاً حذراً، ولو أجبته إلى قبولها لم يسلم الناس إليّ ذلك، واختباها ضغناً عليّ في قلبه، ولم آمن غائلته ولو بعد حين، مع ما بدا لي من كراهة الناس لي، أما سمعت نداءهم من كل ناحية عند عرضها عليّ: لا نريد سواك يا أبا بكر، أنت لها ! فرددتها إليه عند ذلك، فلقد رأيته التمع وجهه لذلك سروراً. ولقد عاتبني مرة على كلام بلغه عني، وذلك لما قدم عليه بالأشعث أسيراً، فمنّ عليه وأطلقه، وزوجه أخته أم فروة، فقلت للأشعث وهو قاعدٌ بين يديه : يا عدو الله أكفرت بعد إسلامك، وارتددت ناكصاً على عقبيك ! فنظر إليّ نظراً علمت أنه يريد أن يكلمني بكلام في نفسه، ثم لقيني بعد ذلك في سكك المدينة، فقال لي : أنت صاحب الكلام يا ابن الخطّاب ؟ فقلت : نعم يا عدو الله، ولك عندي شرٌّ من ذلك، فقال : بسّ الجزاء هذا لي منك ! قلت : وعلام تريد منّي حسن الجزاء ؟ قال: لأثقي لك من اتباع هذا الرجل، والله ما جرّأني على الخلاف عليه إلا تقدّمه عليك، وتخلّفك عنها، ولو كنت صاحبها لما رأيت مني خلافاً عليك. قلت : لقد كان ذلك، فما تأمر الآن ؟ قال : إنه ليس بوقت أمر بل وقت صبر، ومضى ومضيت. ولقي الأشعث الزبرقان بن بدر فذكر له ما جرى بيني وبينه، فنقل ذلك إلى ابن لأبي بكر، فأرسل إليّ بعتاب مؤلم فأرسلت إليه : أمّا والله لنكفّن أو لأقولن كلمة بالغة بي وبك في الناس، تحملها الركبان حيث ساروا، وإن شئت استمدنا ما نحن فيه عفواً، فقال: بل نستديمه، وإنها لصائرة إليك بعد أيام، فظننت أنه لا يأتي عليه جمعة حتى يردّها عليّ، فتغافل والله ما ذكرني بعد ذلك حرفاً حتى هلك. ولقد مدّ في أمدها عاضاً على نواجذه حتّى حضره الموت، وأيس منها

فكان منه ما رأيتم، فاكتما ما قلت لكما عن الناس كافةً وعن بني هاشم خاصة،
وليكن منكما بحيث أمرتكما، قوما إذا شئتما على بركة الله. فقمنا ونحن نعجب من
قوله، فوالله ما أفسيناه سرّه حتى هلك^(١).

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٣٠.

الفصل العاشر

عقائد المغيرة

- ١- عقيدة المغيرة في النبي ﷺ
- ٢- موقف المغيرة من السنة
- ٣- دور المغيرة في استلحاق زياد
- ٤- المغيرة الفقيه
- ٥- من أقوال المغيرة

عقائد المغيرة

في اعتبار المغيرة بن شعبة ومعاوية وعمرو بن العاص وأشباههم أصحاب عقائد تسامحٌ عريضٌ، لأنَّ الإنسان إمَّا يصبح مسلماً حين يتشهد الشَّهادتين، ولكلِّ واحدةٍ منهما لوازمٌ إذا انتقضت انتقض الإيمان. ومن نواقض الشَّهادة بالتَّبَوُّة الاستخفاف بشخص النَّبي الكريم ﷺ، وقد ثبت ذلك من طرف معاوية والمغيرة بشكل لا يحتمل التَّأويل؛ ولهما في ذلك شركاء، كلُّ يعمل على شاكلته، وإمَّا يهْمُنَا في هذا الكتاب ما يتعلَّق بالمغيرة بن شعبة.

بعد أن قتل المغيرة بن شعبة رفقائه في السَّفر غيلةً، التحق بالمسلمين في المدينة المنورة وأعلن إسلامه، لكن لا ينبغي الغفلة عن الظروف التي أسلم فيها؛ فهل كان له حلٌّ آخرٌ غير الإسلام ومع ذلك اختار الإسلام وهو الذي كان يقول "فأراني لو رأيت قومنا أسلموا ما تبعتهم"؟ لم يكن هناك حلٌّ آخرٌ حتَّى يمكن أن يقال إنَّ المغيرة بن شعبة اختار الإسلام طائعاً غير مكره، بل الحقُّ أن يقال إنَّ المغيرة اضطرَّ إلى إظهار الإسلام كيما يفلت من انتقام المالكين الذين قتل أبناءهم، وقد تمَّ له ذلك وأصبح في حماية الإسلام معدوداً من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، وإمَّا يختلف عنهم بأنَّه صاحب اغتيال!

ثمَّ كانت الحُدَيْبية، وفتحُ خيبر، وفتحُ مكَّة، وغزوة حُنين، وغزوة تبوك، وفي كلِّها^(١) شاهد المغيرة معاملة رسول الله ﷺ للإمام علي عليه السلام والتَّنويه به كلِّما سنحت

(١) لم يكن الإمام علي عليه السلام في جيش تبوك لأنَّ النَّبي ﷺ استخلفه على المدينة وقال له: إنَّه لا ينبغي أن

الفرصة، وختم ذلك بيوم الغدير حيث قال ﷺ صراحةً وبعبارة بسيطة: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ".

ما هو موقف المسلم حيال أقوال وأفعال وقريرات النبي ﷺ التي توفي وهو مواظبٌ عليها؟

إمّا أن يكون الإنسان ملزماً بطاعة النبي ﷺ بعد وفاته، كما كان ملزماً بطاعته في حياته ﷺ، وإمّا أن يكون الإنسان مخيراً بين طاعة النبي ومخالفته بعد وفاته ﷺ؟ لا شك أن وفاة النبي ﷺ لا تغيّر شيئاً فيما يخصّ وجوب طاعته، لأن الأمر بذلك في القرآن الكريم ورد مطلقاً غير مقيد، إذ لم يقل القرآن الكريم ما يكون مضمونه "أطيعوا الرسول ما دام فيكم فإذا مات فأتّهم أحراراً في أن تطيعوا أو لا تطيعوا"؛ لم يرد شيء من هذا القبيل، بل ورد عكسه تماماً في قوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(١). وعليه فقد كان على المغيرة أن يتصرّف بعد وفاة رسول الله ﷺ تماماً كما ينبغي له أن يتصرّف في حياته، وقد جرى غير ذلك، جرى العكس تماماً، واختار المغيرة الدنيا على الآخرة، وفضل أعداء الله تعالى على أوليائه، وبقي مصرّاً على ذلك حتّى خرج من الدنيا. أي خرج مصرّاً على مخالفة رسول الله ﷺ.

أذهب إلّا وأنت خليفتي، ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟

(١) آل عمران: ١٤٤.

لم يكن معاصرو المغيرة يشكّون في كونه من أهل الدّنيا، بل كانوا يواجهونه بين الحين والحين بما لا يواجهه به صاحب مروءة، ويكفي لبيان ذلك ما واجهه به عمر بن الخطّاب حينما قال له: "أنت رجلٌ فاسقٌ"، وأقرّ المغيرة بذلك وقال له: "وما عليك ممّي، كفايتي ورُجولتي لك، وفسقي على نفسي"^(١)، ولا يتوقّع من الفاسقِ المقرّ على نفسه بالفسق أن يكون صاحبَ عقيدة صحيحة، لأنّ العقيدة الصحيحة تحول دون الاستغراق في الفسق والفجور. ولو أنّ المغيرة كان صاحبَ عقيدة صحيحة لما بقي ساكناً حين تلفّظ معاويةُ أمامه بذلك الكلام المشثوم "وإنّ ابن أبي كبشة ليُصاح به كلّ يوم خمس مرّات أشهد أنّ محمّداً رسول الله، فأبيّ عمل يبقى وأيُّ ذكرٍ يدوم بعد هذا لا أباً لك، لا والله إلّا دفناً دفناً"^(٢).

لكنّ المغيرة بن شعبة يعلم أنّ معاوية بن أبي سفيان لم يكن يعتبره مسلماً حقيقياً، وإنّما يعتبره شريكاً في الحكم غير الشرعيّ الذي وصل إليه بطرق الحيل والخداع، وأكثر العرب في ذلك الزّمان متفقون على أنّ معاوية والمغيرة وعمر بن العاص وزباد بن أبيه هم دهاة زمانهم؛ فالعلاقة بين المغيرة ومعاوية تدور مدار مصالح الدّهاة لا أكثر! وحينما يريد معاوية أن يستخفّ بالمغيرة ويستهزئ به يكتب إليه أن: "اكتب إليّ بما سمعت من رسول الله ﷺ" ويجيب المغيرة: "إني سمعته ينهى عن كثرة السّؤال وإضاعة المال وعن قيل وقال"^(٣). هذا مع أنّ معاوية يدّعي أنّه كان ملازماً لرسول الله ﷺ! وقد كان في وسع المغيرة أن يجيب: إني سمعته يقول: "الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجّنة"، وسمعته

(١) تاريخ يعقوبي، ج ٢ ص ١٥٥

(٢) النّصائح الكافية، محمّد بن عقيل الشّافعي، ص ١٢٣.

(٣) الأدب المفرد، البخاري، ص ١٥ رقم ١٦.

يقول لعلي عليه السلام: "أنت متي بمنزلة هارون من موسى"، وسمعتة يقول: "تركت فيكم ما إن تمسكتكم بهما لن تضلّوا بعدى أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي"، وسمعتة يقول: "فاطمة سيّدة نساء العالمين"، وسمعتة، وسمعتة... لكن هل يستطيع المغيرة أن يقول شيئا من هذا وإن كان قد سمعه؟..

من بين استخفافات المغيرة بكلام النبي ﷺ وفعله وتقديره كلماته هو وأفعاله بشأن علي بن أبي طالب عليه السلام فقد كان المغيرة حاقداً على الإمام علي عليه السلام بشكل لا ينبغي أن ينطوي عليه صدر مسلم، لأنّ المسلم المتدينّ مهما حقد، فإنّ حقه ينتهي أو على الأقل يخفّ بخروج المحقود عليه من الدنّيا، إذ سبب تجدد الحقد واشتداده هو وجود المحقود عليه وتحركه وترقيّه إن كان من أهل المواهب؛ أمّا بعد الوفاة فإنّه لا داعي لاستمرار الحقد إلّا عند النفوس المريضة. والمفروض أنّ الحاقد ضعيف في تدبّنه، لأنّ الحقد عبارة عن امتلاء القلب بالكراهية، وتجدد هذه الكراهية على مرور الأيام، ولو كان القلب المذكور مليئاً بالإيمان لما وجدت الكراهية لها فيه مكاناً. وإذا كان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، فما ظنك بالحقد؟! خصوصاً إذا كان المحقود عليه محبوباً عند الله تعالى، فإنّ الحاقد في هذه الحال يدخل في حرب مع الله جلّ وعلا، وهذا ما يشير إليه الحديث القدسيّ "من عادى لي ولياً آذنته بحرب"، فالحاقد على وليّ من أولياء الله تعالى في حرب مع الله تعالى وإن كان لا يشعر. والمغيرة بن شعبة كان مؤذياً لوليّ من أولياء الله تعالى، وبما أنّ أذى عليّ يؤذي رسول الله ﷺ، فإنّ المغيرة بن شعبة كان يؤذي رسول الله ﷺ ومات مصراً على ذلك لم يتب منه؛ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة قال: غزوت مع

عليّ إلى اليمن فرأيت منه جفوةً، فلما قدمت على رسول الله ذكرت عليّاً فتنقصته، فرأيت وجه رسول الله يتغيّر، فقال: يا بُريدة، ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله؛ فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه^(١). وأيضاً عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه بُريدة قال: بعث رسول الله بعثين إلى اليمن، على أحدهما عليّ بن أبي طالب، وعلى الآخر خالد بن الوليد؛ فقال: "إذا التقيتما فعليّ على الناس، وإن افرقتكما فكلُّ واحد منكما على جُنْده". قال: فلقينا بني زيد من أهل اليمن، فاقتلنا، فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية، فاصطفى عليّ امرأةً من السبي لنفسه، قال بُريدة: فكتب - يعني خالد بن الوليد - إلى رسول الله يخبره بذلك. فلما أتيت النبي ﷺ دفعت الكتاب فقرأ عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول الله، فقلت: يا رسول الله، هذا مكان العائد، بعثني مع رجل وأمرتني أن أطيعه، قد بلغت ما أرسلت به. فقال رسول الله ﷺ: لا تقع في عليّ فإنه منّي، وأنا منه، وهو وليكم بعدي^(٢).

هذا ما قاله النبي ﷺ للصحابي بُريدة، "لا تقع في عليّ فإنه منّي وأنا منه، وهو وليكم بعدي"^(٣). وسواء كانت البعديّة رتبة أم زمينة فإنّ عليّاً عليه السلام يأتي بعد رسول الله ﷺ بلا فاصل، والوقوع فيه يؤذي رسول الله ﷺ، فما هو موقف المغيرة من الولي؟

إذا كان النبي ﷺ يحبُّ الإمام عليّاً عليه السلام فإنّ المغيرة كان على خلاف ذلك تماماً

(١) فضائل الصحابة، ج ٢ ص ٥٨٤.

(٢) فضائل الصحابة، ج ٢ ص ٦٨٨.

(٣) فضائل الصحابة، ج ٢ ص ٦٨٨.

يبغض الإمام علياً عليه السلام بلا أدنى شك^(١). وإذا كان النبي ﷺ يرى الغضب في وجهه إذا ذكر علياً بسوء فإن المغيرة بن شعبه يوظف الخطباء للنيل من الإمام علي عليه السلام. وإذا كان النبي ﷺ يقول "الولد للفراش وللعاهر الحجر" فإن المغيرة يقول: "زياد للعاهر أبي سفيان وللفراس الحجر"، ويسعى لتحقيق ذلك بكل ما أوتي من جهد. وإذا كان أحب الخلق إلى رسول الله ﷺ أصحاب الكساء فإن أبغض الخلق إلى المغيرة أصحاب الكساء!

فمنهج رسول الله ﷺ ومنهج المغيرة بن شعبه خطان متوازيان لا يلتقيان أبداً! إضافة إلى ذلك فإن المغيرة ينفرد بعقائد لا تصلح إلا له.

فعن مجالد قال أخبرنا عامر قال: قال رجل عند المغيرة بن شعبه: "صلى الله على محمد خاتم الأنبياء لا نبي بعده". قال المغيرة: حسبك إذا قلت خاتم الأنبياء، فإننا كنا نحدث أن عيسى خارج، فإن هو خرج فقد كان قبله وبعده^(٢).

أقول: الآية المحكمة من سورة الأحزاب تقول: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، فلم يبق كلام، لكن المغيرة له رأيه الخاص المخالف للقرآن الكريم. نعم، لا نبي بعد رسول الله ﷺ أي لا نبوة ولا رسالة، لأن نبوة محمد ﷺ ختمت النبوات وشريعته ختمت الشرائع، ولا يخرج عيسى بن مريم عليه السلام نبوة جديدة، وإنما يكون عوناً للمهدي عليه السلام عند خروجه. وكيف يكون خاتم النبيين إذا كان هناك نبي بعده؟

(١) حب رسول الله ﷺ لعلي من المسلمات، وفي الصحيحين "يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله".

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٥ ص ٣٣٧ تحت رقم ٢٦٦٥٤، و، ج ٦، ص ٢٥٩ والمعجم الكبير للطبراني، ج ٢٠ ص ٤١٤ تحت رقم ٩٩٤٩.

و عن سويد بن سرحان عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ أكل طعاماً فأقيمت الصلاة، فقام وقد كان توضأً قبل ذلك، فأتيته بماء يتوضأً فانتهرني، فسأني ذلك والله؛ فشكوتُ إلى عمر! فقال: يا رسول الله، إنَّ المغيرة بن شعبة قد شقَّ عليه انتهارك إياه وخشي أن يكون في نفسك عليه شيء، فقال: رسول الله ﷺ ليس في نفسي عليه شيء إلاَّ خيرٌ، ولكنه أتاني بماء لأتوضأً وإِما أكلت طعاماً، ولو فعلتُ فعل النَّاسُ بعدي^(١).

أقول: إذا كان المغيرة قد قرأ قوله تعالى ﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ﴾، فلماذا لم يتهم نفسه بدل أن يستاء من تعامل النَّبي ﷺ معه؟ ولماذا شكَا إلى عمر؟ وماذا يتوقع من وراء هذه الشكوى؟! فالمغيرة مَن يشكُّون رسول الله ﷺ!

قال الزُّمخشري: وعن المغيرة بن شعبة قال: قال لي أبو جهل بن هشام: والله إني أعلم أن ما يقول محمدٌ حقٌّ، ولكن قالت بنو قصي: فينا الحجابة! قلنا: نعم. ثم قالوا: فينا اللِّواء! قلنا: نعم. ثم قالوا: فينا الدِّوة! قلنا: نعم. ثم قالوا: فينا السَّقاية! قلنا: نعم. ثم أطعموا وأطعمنا، حتَّى إذا تحاكَّت الرُّكَب قالوا: متَّانبيُّ؛ والله لا أفعل^(٢).

هذه القصَّة التي يرويها المغيرة بن شعبة نفسه تفيد أنَّه كان على علم بصدق رسالة النَّبي ﷺ من البداية، أيَّام كان رسول الله ﷺ يدعو أبا جهل إلى الإسلام، وقد أقسم أبو جهل للمغيرة أن ما يقوله النَّبي ﷺ حقٌّ، وإِما ينعيه من أتباعه ما كان

(١) المعجم الكبير، ج ٢٠ ص ٤١٩، تحت رقم ١٠٠٨ والآحاد والمثاني، ج ٣ ص ١٩٩ تحت رقم ١٥٤٥.

(٢) الفائق في غريب الحديث، الزُّمخشري، ج ١ ص ٣٠١.

بينهم وبين بني قصيٍّ من التنافس، فلماذا لم يرتب المغيرة على كلام أبي جهل أثراً؟! وهل كان بين المغيرة وبين بني قصيٍّ أيضاً تنافسٍ يمنعه؟!

وفي تفسير الطبري: حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع عن سفيان ومسر عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: يقولون القيامة، القيامة! وإنما قيامة أحدهم موته ^(١). نعم، هناك قيامة خاصة على مستوى الأفراد، وهناك قيامة عامة معها حشر ﴿وحشرناهم فلم تغادر منهم أحداً﴾، فإذا كان المغيرة يُنكر الثانية كما هو ظاهر كلامه فما أبعدَه عن الحقّ. وقول المغيرة "إنّما" يفيد الحصر، فكأنّه يريد أن القيامة هي موت الشّخص، وهذا غير صحيح، لأنّ الموت مقدّمة القيامة، فكثير من النّاس قد ماتوا، لكن لا أحد يقول أنّهم شهدوا القيامة الكبرى، وإنّما يقولون إنّهم في البرزخ، والنّاس حينما يذكرون القيامة إنّما يقصدون القيامة الكبرى.

وقد ورد ذكر القيامة في القرآن الكريم سبعين مرّة، لم يرد في واحدة منها المعنى الذي ذهب إليه المغيرة. نعم، يقولون عن الموت إنّّه القيامة الصغرى لما يعاين فيه الميّت من أهوال البرزخ، ولأنّ الأسباب بينه وبين الحياة الدّنيا تنقطع فلا ينفعه إلّا ما قدّم. وقد تكون أهوال البرزخ تمحيصاً لمن يريد الله لهم الحسنّى عند الحساب. أمّا القيامة التي تحدّث عنها القرآن الكريم فإنّ فيها محاسبة وخصومات وشهوداً وإراءات ونشر كتب وغير ذلك، ولا شيء من هذا يكون في القبر.

والمغيرة يروي أنّ أبا طالب (رض) مات على غير الإسلام، والشّيء من مأثاه لا يُستغرب، فالمغيرة يبغض الإمام عليّاً عليه السلام، ويبغض الحسن والحسين ابني علي عليه السلام.

(١) تفسير الطبري، ج ٢٩ ص ١٧٤ وتفسير البغوي، ج ٤ ص ٤٢١..

فكيف لا يبغض أبا طالب (رض)؟ وكيف لا يروي في كفره تقريباً وتزلفاً إلى بني أمية عامة، وتلقاً لمعاوية خاصة.

والاعتقاد بكفر أبي طالب - والعياذ بالله - مردود في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وقد جاء بخصوصه تحذيرٌ ووعيدٌ. روى ابن بابويه أن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني المدفون بالرِّيِّ كان مريضاً، فكتب إلى علي بن موسى الرضا (ع) : عرفني يا ابن رسول الله عن الخبر المروي " أن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه ". فكتب إليه الرضا (ع) " بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد فإني إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار والسلام ". وأهل البيت عليهم السلام حجة على كل مسلم، وعليه يكون مصير المغيرة بن شعبة إلى النار، وهو لم يكتف بالاعتقاد بكفر أبي طالب - والعياذ بالله - بل كان يروج لذلك بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام. وقد كانت بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية مكاتباتٌ شهد فيها الإمام علي عليه السلام أن أبا طالب أفضل من أبي سفيان ؛ فلو كان أبو طالب مات على الكفر لما قال الإمام عليه السلام ذلك القول؛ وليس معاوية بالرجل الذي تفوته مثل هذه! فلو أن أبا طالب كان قد مات على الكفر لأجابه معاوية وقال له: إن أبا طالب مات على الكفر فكيف تفضله على من أسلم ولو بلسانه؟!

قال السيّد فخار بن معد بخصوص روايات تكفير أبي طالب:

والذي يلفت النظر أن رواة هذه الأحاديث جميعاً " بين كذاب مشهود عليه وبين نكرة غير معروف، أو مدلس مشهور، أو وضاع أثيم أو مجهول لا يؤخذ بحديثه، وعلى سبيل المثال : نذكر رواية واحدة بأسنادها لنقف على جليّة أمرهم بعد عرضهم

على محكة الجرح والتعديل، وسيكون بعد ذلك المقصود واضحاً من وضع هذه الأحاديث. هذه الرواية نقلها مسلم عن ابن أبي عمير، حدثنا سفيان الثوري، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الله بن الحارث قال : سمعت العباس يقول: قلت يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك ؟ قال : نعم وجدته في غمرات النار، فأخرجته إلى ضحضاح. (صحيح مسلم، ج ١ ص ٧٧. ط بولاق). وإذا انتقلنا إلى سلسلة رواة هذا الحديث فأول ما نصطدم بـابن أبي عمير وهذا مجهول لا يُعرف له ظلٌّ، ثمَّ تنتقل إلى سفيان الثوري، فقد عرفه الذهبي في (ميزان الاعتدال، ج ٢ ص ١٦٩) أنه يدلس، ويكتب عن الكذابين. ثمَّ نحن بإزاء عبد الملك بن عمير الذي طال عمره، وساء حفظه، قال أبو حاتم: "ليس بحافظ تغيّر حفظه"، وقال الإمام أحمد: "ضعيف يغلط"، وقال ابن معين: "مخلّط". وقال ابن خراش: "كان شعبة لا يرضاه"، وذكر الكوسج عن أحمد أنه "ضعيف جداً" وقال ابن حبان: "كان مدلساً". راجع: (ميزان الاعتدال للذهبي، ج ٢٢ ص ٦٩٠)، و(دلائل الصدق، ج ١ ص ٤٥). ولننظر إلى عبد الله بن الحارث: فهو لا يختلف عن سابقه كما صرّحت المصادر في ذلك. وعلى هذه الوتيرة لو فتشنا عن سلسلة رواة هذه الأحاديث على اختلافها لرأينا أنهم من نمط واحد لا يختلفون. ولقد بحث شيخنا الحجة الأميني هذا الحديث وفنّده^(١).

(١) قال الأميني: إلى هنا انتهى كل ما للقوم من نبل تقله كنانة الأحقاد، أو ذخيرة في علبة الضغائن رموا بها أبا طالب، وقد أتينا عليها فجعلناها هباء منثوراً، ولم يبق لهم إلا رواية الضحضاح، وما لأعداء أبي طالب حولها من مكاء وتصدية، وهي على ما يلي : أخرج البخاري ومسلم من طريق سفيان الثوري عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الحارث قال : حدثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال : قلت للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : " هو " في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل. وفي لفظ آخر : قلت : يا رسول الله ! إن أبا طالب كان يحفظك وينصرك فهل نفعه ذلك ؟ قال: نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح. ومن حديث الليث حدثني ابن الهادي عن

عبدالله بن خباب عن أبي سعيد إنه سمع النبي ﷺ ذكر أبو طالب عنده فقال : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه. وفي صحيح البخاري من طريق عبد العزيز بن محمد الداراء وردى عن يزيد بن الهاد نحوه غير أن فيه تغلي منه أم دماغه. راجع صحيح البخاري في أبواب المناقب (باب قصة أبي طالب) ج ٦ : ٣٣ ، ٣٤ ، وفي كتاب الأدب باب كنية المشرك ج ٩ : ٩٢ ، صحيح مسلم كتاب الإيمان ، طبقات ابن سعد ١ : ١٠٦ ط مصر ، مسند أحمد ١ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، عيون الأثر ١ : ١٣٢ ، تاريخ ابن كثير ٣ : ١٢٥ . قال الأميني : نحن لا نروقنا المناقشة في الأسانيد لمكان سفيان الثوري وبما مر فيه ص ٤ من إنه كان يدلّس عن الضعفاء ويكتب عن الكذابين. ولا لمكان عبد الملك بن عمير اللخمي الكوفي الذي طال عمره وساء حفظه ، قال أبو حاتم : ليس بحافظ تغير > ، ص ٢٤ > حفظه ، وقال أحمد : ضعيف يغلط ، وقال ابن معين مخطئ ، وقال ابن خراش : كان شعبة لا يرضاه ، وذكر الكوسج عن أحمد : إنه ضعفه جدا (١) . ولا لمكان عبد العزيز الدراوردي ، قال أحمد بن حنبل : إذا حدث من حفظه بهم ليس هو بشيء ، وإذا حدث من كتابه فنعم ، وإذا حدث جاء ببواطيل ، وقال أبو حاتم : لا يحتج به ، وقال أبو زرعة : سيء الحفظ (٢) . كما أنا لا تناقش بتضارب متون الرواية بأن قوله : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة يعطي أن الضحضاح مأجل له إلى يوم القيامة بنحو من الرجاء المدلول عليه لقوله : لعله . وإن قوله : وجدته في غمرات النار فأخرجته إلى ضحضاح . هو واضح في تعجيل الضحضاح له وثبوت الشفاعة قبل صدور الكلام. لكن لنا هنا كلمة واحدة وهي أن رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عم ! قل لا إله إلا الله كلمة استحل لك بها وفاته بالشهادة بكلمة الإخلاص بقوله صلى الله عليه وآله عليه وآله أناط بها في مطلق الشفاعة ، وجاء ذلك في أخبار الشفاعة يوم القيامة (٣) كما إنه صلى الله عليه وآله أناطها بها في مطلق الشفاعة ، وجاء ذلك في أخبار كثيرة جمع جملة منها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١٥٠ ، ١٥٨ منها في حديث عن عبدالله بن عمر مرفوعا : قيل لي : سل فإن كل نبي قد سأل فأخرت مسألتني إلى يوم القيامة فهي لكم لمن شهد أن لا إله إلا الله . فقال : رواه أحمد بإسناد صحيح . ومنها : عن أبي ذر الغفاري مرفوعا في حديث : أعطيت الشفاعة وهي نائلة من أمتي من لا يشرك بالله شيئا . فقال : رواه البزار وإسناده جيد إلا أن فيه انقطاعا . ومنها : عن عوف بن مالك الأشجعي في حديث : إن شفاعتي لكل مسلم . فقال : رواه الطبري بأسانيد أحدها جيد ، وابن حبان في صحيحه وفي لفظه : الشفاعة لمن مات لا يشرك بالله شيئا ومنها : عن أنس في حديث : أوحى الله إلى جبريل عليه السلام أن اذهب إلى محمد فقل له : ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع " إلى قوله " : أدخل من أمتك من خلق الله من شهد أن لا إله إلا الله يوما واحدا مخلصا ومات على ذلك . فقال المنذري : رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح . ومنها : عن أبي هريرة مرفوعا في حديث : شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا ، وأن محمدا رسول الله ، يصدق لسانه قلبه وقلبه لسانه . رواه أحمد وابن حبان في صحيحه . ومنها : ما مر في ص ١٣ من طريق أبي هريرة وابن عباس من أنه صلى الله عليه وآله دعا ربه واستأذنه أن يستغفر لأمه ويأذن له في شفاعتها يوم القيامة فأبى أن يأذن . وقال

السهيلي في الروض الأنف ١ : ١١٣ : وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وآله قال : استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي. وفي مسند الزار من حديث بريدة إنه ﷺ حين أراد أن يستغفر لأمه ضرب جبريل عليه السلام في صدره وقال له : لا تستغفر لمن كان مشركا فرجع وهو حزين (١) فالمتنفي في صورة انتفاء الشهادة جنس الشفاعة بمعنى عدمها كلية لعدم أهلية الكافر لها حتى في بعض مراتب العذاب، فالشفاعة للتخفيف في العذاب من مراتبها المنفية كما إنها نفيت كذلك في كتاب الله العزيز بقوله تعالى : ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نحزى كل كفور. ﴾ فاطر ٣٦. ويقول تعالى : ﴿ وإذا رأي الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون. ﴾ النحل ٨٥. ويقول تعالى : ﴿ خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون. ﴾ البقرة ١٦٢، آل عمران ٨٨. ويقول تعالى : ﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنم : ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب، قالوا : أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات. قالوا : بلى. قالوا : فادعوا، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال. ﴾ غافر ٤٩، ٥٠. ويقول تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون. ﴾ البقرة ٨٦. ويقول تعالى : ﴿ وذو الذين اتخذوا دينهم لعبا وهوا فغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون. ﴾ الأنعام : ٧٠. ويقول تعالى : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر ﴾ إلى قوله تعالى " ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين. ﴾ المدثر ٣٨ ، ٤٨. ويقول تعالى : ﴿ وأنذرهم يوم الأزقة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين، ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع. ﴾ غافر ١٨. ويقول تعالى : ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا. ﴾ مريم ٨٧. الاستثناء في الآية الشريفة منقطع، والعهد: شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها. أي لا يشفع إلا للمؤمن. راجع تفسير القرطبي ١١ : ١٥٤، تفسير البيضاوي ٢ : ٤٨، تفسير ابن كثير ٣ : ١٣٨، تفسير الخازن ٣ : ٢٤٣. فرواية الضحاح على تقدير أن أبا طالب عليه السلام مات مشركا، العياذ بالله، وما فيها من الشفاعة لتخفيف العذاب عنه يجعله في الضحاح منافية لكل ما ذكرناه من الآيات والأحاديث، فحديث يخالف الكتاب والسنة الثابتة يضرب به عرض الحائط وقد جاء في الصحيح مرفوعا : تكثر لكم الأحاديث من بعدي فإذا روي لكم حديث فأعرضوه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله فاقبلوه وما خالفه فردوه (١) ولا يغرنك إخراج البخاري لها فإن كتابه المعبر عنه بالصحيح هو عليه السفاسف وعيبة السقطات، وسنوقفك على جليلة الحال في البحث عنه إن شاء الله تعالى. نختتم البحث هاهنا عن إيمان سيدنا أبي طالب سلام الله عليه بقصيدة شيخ الفقه والفلسفة والأخلاق أحد كبار علماء الشيعة وهو الشيخ محمد الحسين الأصبهاني النجفي (١) قال:

نور الهدى في قلب عم المصطفى
 في سره حقيقة الإيمان
 إيمانه يمثل الواجب في
 إيمانه المكنون سام اسمه
 إيمانه بالغيب غيب ذاته
 آياته عند أولى الأبصار
 وهو كفيل خاتم النبوة
 ناصره الوحيد في زمانه
 عميد أهله زعيم أسرته
 حجاب العزیز عن أعدائه
 فما أجل شرفا وجاها
 قام بنصرة النبي السامي
 جاهد عنه أعظم الجهاد
 حماه عن أذى قريش الكفرة
 صابر كل محنة وكربة
 أكرم به من ناصر وحامي
 كفاه فخرا شرف الكفالة
 لسانه البليغ في ثنائيه
 له من المنظوم والمنثور
 ينبئ عن إيمانه بقلبه
 وأشرقت أم القرى بنوره
 وكيف لا؟ وهو أبو الأنوار
 مبدأ كل نير وشارق
 بل هو يضاء سماء المجد
 له السمو كبرا عن كابر
 أركى فروج دوحة الخليل
 بل شرف الأشراف من عدنان
 له من السمو ما يسمو على
 وكيف لا؟ وهو كفيل المصطفى

في غاية الظهور في عين الخفا
 سر تعالى شاءه عن شان
 مقام غيب الذات والكفر الخفي
 إلا المطهرون لا يمسسه
 له التجلي التام في آيته
 أجلى من الشمس ضحى النهار
 وعنه قد حامى بكل قوة
 وركنه الشديد في أوانه
 وكهفه الحصين يوم عسرتة
 وحرزه الحريز في ضرائه
 من حرز ياسين وكهف طاهي
 حتى استوت قواعد الاسلام
 حتى علا أمر النبي الهادي
 بصولة ذلت لها الجبابة
 والشعب من تلك الكروب شعبه
 وكافل لسيد الأنعام
 لصاحب الدعوة والرسالة
 أمضى من السيف على أعدائه
 ما جعل العالم ملاء النور
 وإنه على هدى من ربه
 وكل نور هو نور طوره
 ومطلع الشمس والأقمار
 وكيف وهو مشرق المشارق؟
 مليك عرشه أباً عن جد
 فهو ترائيه من الأكابر
 فياله من شرف أصيل
 ملاذهما في نوب الزمان
 ذرى الصراح والسموات العلى
 أبو الميامين الهداة الخلفا

راجع: (الغدير، ج ٨ ص ٢٣ - ٢٧) ^(١).

المغيرة الفقيه

عن هشام بن عروة عن أبيه عن المسور بن مخرمة قال : استشار عمر بن الخطاب في إملاص المرأة فقال المغيرة بن شعبة : شهدت النبي ﷺ قضى فيه بغرة عبد أو أمة، قال : فقال عمر : ائني بمن يشهد معك، فشهد له محمد بن مسلمة ^(٢).

ووالد الوصي والطيار	وهو لعمرى منتهى الفخار
بضوئه أضاءت البطحاء	لا بل به أضاءت السماء
والنير الأعظم في سائه	مثل السهى في النور من سيمائه
كيف ؟ ومن غرته تجلى	لأهله نور العلى الأعلى
ساد السورى بمكة المكرمه	فحاز بالسودد كل مكرمه
بل هو فخر البلد الحرام	بل شرف المشاعر العظام
وقبله الآمال والأمانى	بل مستجار كعبة الإيمان
وفي حمى سؤدده وهيبته	تم لداع الحق أمر دعوته
ما تمت الدعوة للمختار	لولاه فهو أصل دين الباري
كيف ؟ وظل الله في الأنام	في ظله دعى إلى الاسلام...

- (١) ميزان الاعتدال ٢: ١٥١. (٢) ميزان الاعتدال ٢: ١٢٨. (٣) مستدرک الحاكم ٢: ٣٣٦ صححه هو والذهبي في التلخيص، تاريخ أبي الفداء، ج ١: ١٢٠، المواهب اللدنية ١: ٧١، كشف الغمة للشعراني ٢: ١٤٤، كنز العمال ٧: ١٢٨، شرح المواهب للزرقاني ١: ٢٩١. «هامش ص ٢٥» (١) نحن لا نقيم لمثل هذه الرواية وزناً ولا كرامة، غير أن خضوع القوم لها يلجأنا إلى الحجاج بها. «هامش ص ٢٦» (١) أخرجه البخاري في صحيحه. «هامش ص ٢٧» (١) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر تأقي ترجمته إن شاء الله تعالى.
- (١) الحجّة على الزاهب إلى تكفير أبي طالب، السيّد فخار بن معد (من علماء الشيعة)، ص ٧٨ - ٧٩.
- (٢) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٦، ص ٣٣٨.

أقول: هذا قول المغيرة بن شعبة: "شهدت رسول الله "وقد شهد المغيرة رسول الله ﷺ يوم خيبر يقول في حقّ عليّ عليه السلام " يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله"، وشهده يوم غدير خمّ يقول " من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله"، ومع ذلك لم يتورّع أن يسبّه ويلعنه على المنبر، ويوظّف لذلك الخطباء من الخوارج وأبناء الخوارج؛ فهو إذاً يستخفّ بشخص رسول الله ﷺ فيأخذ من حديثه ما لا يعارض موقفه من الصّالحين، ويترك منه ما يوجب عليه الالتزام بالشريعة واحترام من أمر الله تعالى بولايته ومودّته ومحبّته، كلّ ذلك محاولةً منه للانتقام والتشفّي من عليّ عليه السلام الذي فضحه في أكثر من موطن، والذي كان يصرّح "لئن أمكنني الله من المغيرة لأتبعنه أحجاره"^(١)، وهذه شهادة صريحة من عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن المغيرة زان وإن درأ عنه عمر بن الخطّاب الحدّ، ولو كان لسلوك عمر مع المغيرة في قصّة الزنا وجه شرعيّ يحتمل التّأويل لما صرّح عليّ عليه السلام بهذه العبارة، وهو أعلم النّاس بجرمة أعراض المسلمين. ثمّ إنّ من المؤسف أن تصبح الأحكام الشرعية قضيّة استشارة والقرآن الكريم يهتف: ﴿فاسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون﴾.

وعن عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزّهري قال: قال المغيرة بن شعبة: قال رسول الله ﷺ: المرأة تعقل عنها عصبتها ويرثها بنوها^(٢).

وعن الهزيل بن شرحبيل الأودي عن المغيرة بن شعبة أن النّبي ﷺ بال قائماً ثمّ

(١) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧، ص ٢٥٦ تحت رقم ٤٩: حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن أبي جعفر أن علياً بلغه عن المغيرة بن شعبة شيء فقال: لئن أخذته لا تبعته أحجاره.

(٢) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٦، ص ٣٥٦.

توضاً ومسح على نعليه^(١)

أقول: هذا مبلغ علم المغيرة، أن يردّد في المحافل أن رسول الله ﷺ بال قائماً والناس يتفرّجون، ويروي الرواة ذلك بهرود، ويشرحه الشراح بهرود، مسلمين بذلك كأما نزل به جبريل؛ وهم مع ذلك يتلون قول الله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. بل أكثر من هذا، تراهم يشنعون على كل من أنكر هذه الرواية واستبشع المشهد الذي تضمّنته، ولو سألت أحد شيوخ النفط وعَاظ السلاطين "كم مرّة في حياتك بليت قائماً أمام الناس؟" لأفنف من ذلك، واعتبره إساءة لشخصه، ولا تبرى تلاميذه يرمونك بكل ما أوتوا! أمّا أن يتعلّق الأمر برسول الله ﷺ فلا بأس! هذا ظنّ القوم بنبيهم.

من أقوال المغيرة

كلام المرء كاشف عن معتقده مهما حاول إخفاءه؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢). وقال الإمام علي عليه السلام: ما أضمر أحدُ شيئاً إلاّ ظهر في فلتات لسانه، وصفحات وجهه^(٣).

في المستطرف^(٤): قال المغيرة بن شعبة اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك، فإنّه لا بقاء للنعم إذا كفرت، ولا زوال لها إذا شكرت!

(١) المصنف ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٨، ص ٤٠٩.

(٢) آل عمران: ١١٨.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٨، ص ١٣٧.

(٤) المستطرف في كل فن مستظرف، الأبهسي، ج ١ ص ٥٠٤.

و قد كان المغيرة من خيرة الشاكرين، وهو الأعرابي الذي قتل رفقاءه في السَّفر غدرًا، ثم انضمَّ إلى جيش رسول الله حقناً لدمه، ثم أصبح فيما بعد أميراً على الكوفة وفيها من فيها من الصَّحابة والقراء... فكان من شكره الله على ذلك أن وظَّف خطباء يلعنون عليَّ بن أبي طالب عليه السلام!

كان [المغيرة] يقول: تارك الإخوان متروكٌ. وكان يقول: العيش في إلقاء الحشمة: وكان يقول الزيادة في كل شيء سرفٌ إلا في المعروف ^(١).

ما معنى إلقاء الحشمة الذي يراه المغيرة أفضل العيش؟!

عن حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه قال: قيل للمغيرة بن شعبة ما بقي من لذتك؟ قال: الإفضال على الإخوان. قيل: فمن أحسن الناس عيشاً؟ قال من عاش بعيشة غيره. قيل فمن أسوأ الناس عيشاً؟ قال من لا يعيش بعيشة أحد ^(٢).

أقول : أين هذا من قوله تعالى ﴿لنحييَّه حياة طيبة﴾ والمغيرة كان يلعن أولياء الله تعالى تقريباً وتزلفاً إلى بني أمية الملعونين على لسان النبي الكريم. وفي قول المغيرة "من عاش بعيشة غيره" إشارةٌ خفيةٌ إلى نفسه ومن هو على شاكلته، فإنَّه عاش بعيشة بني أمية، ومات على ملَّة بني أمية.

كان المغيرة بن شعبة يقول : إنَّ أنكأ لعدوك ألا تعلمه أنك اتخذته عدواً ^(٣).

(١) أبو منصور الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ٦٢.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ج ٦٠ ص ٥٢.

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس، ج ١ ص ١٤٨.

أقول: وبهذا المنطق كان المغيرة يتعامل مع الصادقين من أصحاب رسول الله ﷺ. وقد سبق في فصل "المغيرة والنساء" كلام كثير للمغيرة بن شعبة بخصوص النساء، وله أيضاً كلام موزعٌ في كتب الأدب والتاريخ، وإنما اقتصرْتُ على القدر الذي يفي باستعراض ما يكشف عن بعض جوانب شخصيته التي تجاهلها المحدثون وكتّاب التراجم.

دور المغيرة في استلحاق زياد

قضية استلحاق زياد فيها مخالفةٌ صريحةٌ للقرآن والسنة، واستخفافٌ بالشريعة الإسلامية، والذين قاموا بذلك الفعل لم يكونوا يجهلون موقف الشرع منه ولا عواقبه، وهذا معناه أنهم لم يكونوا يقيمون للشريعة وزناً. والذي تولى تهوين المسألة والتقليل من شأنها عند زياد ومعاوية على حد سواء هو المغيرة بن شعبة. وقد مات الثلاثة [المغيرة ومعاوية وزياد] جميعاً مصرين على ما أقدموا عليه، متكبرين للشريعة الإسلامية، مستخفين بأوامر النبي ﷺ ونواهيها. ولم يكن زياد في البداية موافقاً على الاستلحاق، لكن المغيرة ما فتى يزين له ويُغريه حتى انصاع وقبل، ووافق على ما لا يوافق عليه من لديه ذرةٌ من كرامة النفس وأدنى احترام لأبويه، فإن الكريم لا يقبل أن يُنسب هو إلى الزنا، ويُنسب أبوه إلى الديانة. قال ابن خلدون: ثم استعمل عليّ زياداً على فارس فضبها، وكتب إليه معاوية يتهدده ويعرض له بولادة أبي سفيان إياه، فقام في الناس فقال: عجباً لمعاوية يخوفني دين ابن عم الرسول في المهاجرين والأنصار! وكتب إليه عليّ إني وليتك وأنا أراك أهلاً، وقد كان من أبي سفيان فلتةٌ من آمال الباطل وكذب النفس لا توجب ميراثاً ولا نسباً، ومعاوية يأتي الإنسان من

بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فاحذر ثم احذر والسلام^(١).

وموقف الإسلام من الدَّعوة^(٢) واضح. فقد قال النبي ﷺ بعبارة صريحة: "الولد للفراش وللعاهر الحجر". وما من شك في أن سورة الأحزاب أبطلت التبني إلى غير رجعة، فكيف بفعلة معاوية وزباد! ووردت بخصوص ذلك أحاديث كثيرة لا تحتمل التأويل. فمن ذلك ما في سنن ابن ماجه: عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ "من انتسب إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"^(٣). وفيه أيضاً عن عمرو بن خارجة: خطبهم النبي ﷺ وهو على راحلته، وإن راحلته لتقصع مجرَّتْها وإن لغامها ليسيل بين كتفي، قال "إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، فلا يجوز لو ارث وصية. الولد للفراش وللعاهر الحجر. ومن ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل منه صرف ولا عدل" (أو قال: عدل ولا صرف)^(٤).

ولا يخفى أن ذيل هذا الحديث ينطبق على زياد بن أبيه، وإثما حمله على ذلك معاوية والمغيرة، أحدهما بالتزيين والثاني بالتهديد، فهما شريكاه في اللعن. ولو كان المحدثون وكتاب التراجم والسير يحترمون رسول الله ﷺ احترامهم معاوية والمغيرة لرُتّبوا على هذه القضية الأثر اللازم، ولكنهم أطاعوا ساداتهم وكبراءهم فأضلّوهم السبيل. وفي سنن أبي داود عن إبراهيم التيمي، عن أبيه عن علي (رض) قال: ما كتبنا عن النبي ﷺ إلا القرآن، وما في هذه الصحيفة، قال: قال

(١) تاريخ ابن خلدون، ج ٣ ص ٧.

(٢) الدَّعوة: أن يدعى الرجل إلى غير أبيه.

(٣) سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ٨٧٠ الحديث رقم ٢٦٠٩.

(٤) سنن ابن ماجه، ج ٢ ص ٩٠٥ الحديث رقم ٢٧١٢.

رسول الله ﷺ: " المدينة حرمٌ ما بين عائر إلى ثور، فمن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه عدلٌ ولا صرفٌ، وذمة المسلمين واحدةٌ يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه عدلٌ ولا صرفٌ، ومن والى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه عدلٌ ولا صرفٌ" ^(١).

وفي سنن أبي داود عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله المتابعة إلى يوم القيامة ^(٢).

وفي سنن الترمذي: خطبنا عليّ فقال: من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات فقد كذب، وقال: فيها قال رسول الله ﷺ: المدينة حرمٌ ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ، وذمة المسلمين واحدةٌ يسعى بها أدناهم ^(٣).

فالأحاديث السابقة كلها تقول: "فعليه لعنة الله المتابعة إلى يوم القيامة" وعليه، فاستحقاق اللعن لمن ادعى لغير أبيه - والعمل بموجب الحديث واجبٌ - لا مفر منه، لكن ثقافة الكرسي وضعت قيوداً للعمل بالحديث تتحدّى صاحب الشريعة نفسه، وتتكلم بكل من تسول له نفسه التمسك بالحق ورفض الباطل، وهكذا غدا مستحقو

(١) سنن أبي داود السجستاني، ج ١ ص ٤٥١ و ٤٥٢.

(٢) سنن أبي داود، ج ٢ ص ٥٠٢.

(٣) سنن الترمذي، ج ٣ ص ٢٩٧.

اللَّعْنِ مرضياً عنهم، وصار من حقهم أن يلعنوا أحبَّاء الله تعالى على المنابر!

على أن هذه القضية وجدت لها معارضين حتى داخل التكتل الأموي نفسه، وجلبت للحاكمين مشاكل لم يخرجوا منها ومن تبعاتها إلى اليوم. وكان من المعارضين عبد الله بن عامر بن كريز. قال ابن خلدون: وكان عبد الله بن عامر يبغض زياداً وقال يوماً لبعض أصحابه من عبد القيس: ابن سمية يقبح آثاري ويعترض عُمالي، لقد هممت بقسامة من قریش أن أبا سفيان لم يرَ سمية؛ فأخبر زياد بذلك فأخبر به معاوية، فأمر حاجبه أن يرده من أقصى الأبواب. وشكا ذلك إلى يزيد فركب معه فأدخله على معاوية، فلما رآه قام من مجلسه ودخل إلى بيته. فقال يزيد: تقعد في انتظاره. فلم يزل حتى عذر ابن عامر فيما كان منه من القول وقال: إني لا أتكثر بزياد من قلّة، ولا أتعزّز به من ذلّة، ولكن عرفت حقّ الله فوضعت موضعه! فخرج ابن عامر وترضى زياداً ورضي له معاوية^(١)!!

يقول معاوية: "عرفت حقّ الله فوضعت موضعه" سبحانك هذا بهتان عظيم؛ ولم يعلّق ابن خلدون بشيء على هذا الافتراء على الله ورسوله، غير عابئ بما وراء ذلك من انتهاك حرمة الشريعة واستخفاف بمبلغها الذي لعن من ادّعى لغير أبيه. على أن عبد الله بن عامر ليس أوّل من ساء زياداً في نسبه المفتري، فإنّ يزيد بن معاوية نفسه كان يخطّ من شأنه ويذكره شؤمه بمحضر أبيه؛ ذكر الزّخشيّ في ربيع الأبرار أن زياداً قدم على معاوية بهدايا فيها سقط جوهر، فأعجب به معاوية، فقال زياد: دوّخت لك العراق، جبيت لك برّها، ووجّهت إليك بحرّها؛ فقال يزيد: "إنّ تفعل ذلك يا زياد فإنّا نقلنك من تقيف إلى قریش، ومن القلم إلى المنابر، ومن عبید إلى حرب بن أمية.

(١) تاريخ ابن خلدون، ج ٣ ص ٨.

فقال معاوية: حسبك فداك أبوك".

أقول : وهذا جزاء من ادعى إلى غير أبيه، بل هذا أول آثار اللعن، وإن الحرّ الأبيّ شريف النفس ليفضّل الموت على أن يسمع مثل ما سمع زياد من يزيد بمحضر معاوية. وما قيمة حرب بن أمية حتى يفخر به يزيد وأبوه؟ إن هو إلاّ أحد فروع الشجرة الملعونة في القرآن، لو كان زياد ممّن يفقه في الدين أو ألقى السمع وهو شهيد.

والذي تولّى الإشراف على قضية استلحاق زياد هو المغيرة بن شعبة. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك فيما سبق.^(١)

عودة إلى أقوال المغيرة

وعن أبي إسحاق عن المغيرة بن شعبة، قال رجل: أصلح الله الأمير إن آذنتك يعرف رجالاً فيؤثرهم بإذن؛ قال: عذره الله، إن المعرفة لتنفع عند الكلب العقور وعند الجمل الصّئول.^(٢)

هذا موقف المغيرة من سنّة النبي ﷺ، فقد قضى عمره الشريف في تعليم الناس كيف يعدلون في القسمة والسلوك، بين أولادهم ونسائهم وأبناء مجتمعاتهم، واجتهد في إفهام الناس معنى قوله تعالى ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، وقوله تعالى ﴿وَلَا تُبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾.

إنّ المغيرة لا يكتفي بتصويب فعل آذنه، بل يضرب لذلك الأمثال، مع ما في ذلك من التشويش على أفكار الناس، باعتباره رجلاً رأى رسول الله ﷺ وسمع منه. فالذين

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، ج ١٩ ص ١٣٠.

(٢) الأدب المفرد، البخاري، ص ٢٧٦.

شكوا إليه سلوك الآذن لو كانوا يعلمون أن جوابه لن يعدو موافقته لما فعلوا، والمفروض من باب الأدب أن يظهر اشمئزاه من ذلك، ولكن للمغيرة سوابق مشابهة مع آذن عمر (يرفأ) الذي قبل رشوته وجعل يقدمه على الناس كلما حضر، ولا يبعد أن يكون يُطلعه على أمور من أمور عمر مع المسلمين. والوجدان يشهد بعكس ما ذهب إليه المغيرة حتى في البلدان التي لا يدين أهلها بدين سماوي. ففضية الصف (التوبة والدور) في الصيدليات والعيادات الطبية والمكاتب الإدارية في عصرنا متفق عليها على الرغم من تباين الثقافات واللغات، وهو ما يفسر أن مسألة السبق مرتكزة في العقول السليمة.

عن حبيب بن أبي ثابت أن عمر بن الخطاب قال: ما تقولون في تولية ضعيف مسلم أو قوي فاجر؟ فقال له المغيرة: المسلم الضعيف إسلامه له وضعفه عليك وعلى رعيتك، وأما القوي الفاجر ففجوره عليه وقوته لك ولرعيتك! فقال له عمر: فأنت، وأنا باعثك يا مغيرة^(١)..

وهذا معناه أن عمر يعتبر المغيرة فاجراً. مرة يقول له إنما أنت امرؤ فاسق، ومرة يقول له أنت القوي الفاجر!

والمغيرة يفرح بفتح فتنة طويلة الأمد على المسلمين كما هو الشأن في التمهيد لخلافة يزيد بن معاوية، مقابل أن يبقى في منصبه؛ وقد قال رسول الله ﷺ: "من لم يهتم بشؤون المسلمين فليس منهم"، والمغيرة لم يكتف بألا يهتم بشؤون المسلمين، بل أعان على تخريب شؤونهم.

وعن الشعبي عن المغيرة بن شعبة قال: قلت لعلي: إن هذا الرجل مقتول، وإنه إن

(١) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ج ٦٠، ص ٣٩.

قتل وأنت بالمدينة اتخذوا فيك، فاخرج فكن بمكان كذا وكذا فأئك إن فعلت وكنت في غار باليمن طلبك الناس، فأبي. وحُصر عثمان اثنين وعشرين يوماً^(١).

هذا كلام المغيرة، ومع ذلك يدعي أن الإمام علياً عليه السلام شارك في دم عثمان. قالوا: ثم تكلم المغيرة بن شعبة فستم علياً وقال: والله ما أعيبه في قضية يخون ولا في حكم يميل، ولكنه قتل عثمان^(٢).

وقال المغيرة بن شعبة: من دخل في حاجة رجل فقد ضمنها^(٣). أقول: هذا إذا كانت الحاجة المذكورة من الحلال المباح، أما إذا كانت من المحرمات فإنه لا ضمان ولا وفاء؛ وقد دخل المغيرة في كبرى الكبائر حين دخل في قضية استلحاق زياد، وأصرّ على ذلك عناداً لله ورسوله.

قال المغيرة: وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات ونرى ذلك طعامنا^(٤).

أقول: لعلّ تلك الأطباق الشهية كانت في ثقيف، أما بنو هاشم فهم أكرم على الله تعالى من أن يبتليهم بها، وقد أغناهم برحلة الشتاء والصيف، وحباهم بالطيب وصانهم عن الخبيث، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، ورزقهم من الثمرات. ولعلّ ذلك الغذاء الذي ذكره المغيرة هو الذي أثر في أخلاقه وسلوكه.

عن سفيان بن عيينة قال: عرض المغيرة بن شعبة الجند بالكوفة فوجدهم أربعة

(١) تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٦٧٦.

(٢) جمهرة خطب العرب، ج ٢ ص ٢٢.

(٣) البيان والتبيين، ج ١ ص ٤٩٢.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٧ ص ٤٢.

آلاف، فمرَّ به شابٌّ من الجند فقال: يا غلام، زد هذا في عطائه كذا وكذا. قال فقام شابٌّ كان إلى جانبه فقال: أصلحك الله، هذا ابنُ عمِّي ليس له عليَّ فضيلةٌ في نسب ولا نجدة، فألحقني به. قال: لا! قال فمرَّ من يحطُّ من عطائي ليظنَّ من حضر أن بك مَوْجدة! قال: لا! إنَّ أبا هذا كان بيني وبينه مودةٌ وكان لي صديقاً، وإنَّ المعرفة لتتفع عند الجمل الصَّوول والكلب العقور، فكيف بالرجل ذي المروءة والحسب^(١).

أقول: هذا كلامٌ باطلٌ، لأنَّ المقام لا يحتمل ما تضمَّنه، فالمغيرة هنا مسئولٌ عن رعيَّته، ورعيَّته هنا الجند، والجند إمَّا يتفاضلون بالأعمال واللياقة والاستعداد، فإذا كان المغيرة يريد إكرام ابن أحد أصدقائه فليكرمه في قضاياها الخاصة وما يملك، وهذا فيما بينه وبين الشابِّ ولا يبخس النَّاس أشياءهم، أمَّا أن يفضله على غيره لمجرّد أنّه ابن شخص كان بينه وبينه مودةٌ، فهذه هي المحسوبيَّة التي نخرت جسم الأُمَّة الإسلاميَّة من ذلك العهد إلى يومنا هذا!

وعن جرير عن مغيرة قال: قال المغيرة بن شعبة لعلِّي: ابعث إلى معاوية عهده ثم بعد ذلك اخلعه؛ فلم يفعل، فاعتزله المغيرة بالطائف. فلما اشتغل عليٌّ ومعاوية فلم يبعثوا إلى الموسم أحداً جاء المغيرة فصلَّى بالنَّاس ودعا لمعاوية^(٢).

أقول: لكنَّ القول المحفوظ هو أنّه أفسد على النَّاس حجَّهم واقتعل كتاباً؛ وهذا يعني أنّه يستحلُّ إفساد الحجِّ على النَّاس، ويمارس التَّزوير مبتدئاً لا مكرهاً ولا مضطراً؛ وإذا كان يفعل الكتب في مسألة كقضيَّة الحجِّ فما الذي يمنعه من افتعال الأحاديث؟!

(١) تاريخ دمشق، ابن عساکر، ج ٦٠ ص ٥٣.

(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ٤ ص ١٢٢.

وروى بعضهم أنَّ المغيرة بن شعبة قال له: يا أمير المؤمنين! انفذ طلحة إلى اليمن، والزبير إلى البحرين، واكتب بعهد معاوية على الشام، فإذا استقامت الأمور، فشأنك وما تريده فيهم! فأجابه في ذلك بجواب، فقال المغيرة: والله ما نصحت له قبلها، ولا أنصح له بعدها^(١).

أقول: متى احتاج الإمام علي عليه السلام إلى نصائح المغيرة وأمثاله؟ ألم يقل فيه النبي ﷺ: "عليٌّ مع الحق، والحق مع عليٍّ، يدور معه حيث دار"؟

تكلم المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنا معشر العرب كنا أذلةً يطئوننا ولا نطأهم، ونأكل الكلاب والجيفة وإن الله ابتعث منا نبياً في شرف منا، أو سطنا حسباً وأصدقنا حديثاً^(٢)...

أقول: هذا اعتراف من المغيرة أنه كان يأكل الكلاب. ولا يحق له أن يتكلم باسم غيره من العرب، وقد قال شاعرهم:

إذا وَقَعَ الذَّبَابُ على طعام رفعتُ يدي ونفسي تشتهيهِ
وتجتنبُ الأسودُ ورودَ ماء إذا كان الكلابُ ولَعَنَ فيه

نعم، هناك أمزجةٌ شخصيةٌ لا يصحَّ تعميمُها، فهناك من يقول: "ضبُّ أحبُّ إليَّ من دجاجةٍ"، وهناك من يقول: "نأكل الكلاب والجيفة".

(١) تاريخ يعقوبي، ج ٢ ص ١٨٠.

(٢) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٨ ص ٢٣.

الفصل الحادي عشر

وفاة المغيرة

وفاة المغيرة

وأخيرا انقطعت لذات المغيرة بن شعبة، وهلك عنه سلطانه، وصرمت أيامه، وجاءت سكرة الموت بالحق، فأقبل على الآخرة بصحيفة عنوانها لعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وبغض أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، والحال أن كل مسلم مسئول عن مودة قري النبي ﷺ.

سبب وفاة المغيرة

قال الطبري: قيل في هذه السنة [٤٩ هـ] وقع الطّاعون بالكوفة فهرب المغيرة بن شعبة من الطّاعون، فلما ارتفع الطّاعون قيل له: لو رجعت إلى الكوفة! فقدمها فطعن فمات. وقد قيل مات المغيرة سنة خمسين^(١). وفي شرح النووي: وكان بالكوفة طاعون، وهو الذي مات فيه المغيرة بن شعبة سنة خمسين، هذا ما ذكره المدائني^(٢). وفي الأذكار: عن أبي الحسن المدائني: وكان بالكوفة طاعون سنة خمسين وفيه توفي المغيرة بن شعبة^(٣). وفي البدء والتاريخ: وقع الطّاعون بالكوفة فهرب المغيرة بن شعبة، ثمّ لما سكن عاد، فطعن فمات، فقال أعرابي :

(١) تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٢٠٦.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ج ١ ص ١٠٦.

(٣) الأذكار، النووي، ج ١ ص ٣٥٤.

أرسم ديار بالمغيرة تغرف عليه زواني^(١) الجنّ والآس تغرف
فإن كنت قد لقيت هامان بغدنا وفرعون فاعلم أن ذا العرش يُصَف^(٢)
وقال ابن خلدون: توفي المغيرة وهو عامل على الكوفة سنة خمسين بالطّاعون،
وقيل سنة تسع وأربعين وقيل سنة إحدى وخمسين^(٣).

قال الحاكم النيسابوري: (فحدثني) الزبير بن عبد الله البغدادي [...] عن عبد
الرحمن بن سعيد الكندي قال شهدنا جنازة المغيرة بن شعبة، فلما دلى في حفرة وقف
عليها رجلٌ فقال: مَنْ هذا المرموس^(٥)؟ فقلنا: أمير الكوفة المغيرة بن شعبة؛ فوالله ما
لبث أن قال:

أرسم ديار بالمغيرة تغرف عليه روابي الجنّ والآس تغرف
فإن كنت قد أبقيت هامان بغدنا وفرعون فاعلم أن ذا العرش يُصَف
قال فاقبلوا عليه يشتمونه، فوالله ما أدرى أيّ طريق أخذ. وكانت ولاية المغيرة
بن شعبة الكوفة سبع سنين^(٦).

فعلى رواية الحاكم يكون المقصود من فرعون وهامان معاويةً ورجلاً من حاشيته،

(١) الزواني جمع زانية، وفيه تعريض بالمغيرة. والأبيات في كتاب أنساب الأشراف للبلاذري، ج ١٣ ص ٣٥٠.

دار الفكر - بيروت - لبنان. تحقيق الدكتور سهلي زكار والدكتور رياض زركلي.

(٢) البدء والتاريخ، المقدسي، ج ٦ ص ٣، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

(٣) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٢.

(٤) [...] إشارة إلى حذف الإسناد لطوله.

(٥) المرموس اسم مفعول من الرمس، والرمس القبر.

(٦) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ج ٣ ص ٤٤٩، ٤٥٠.

وعلى رواية المقدسيّ (البدء والتاريخ) يكون المقصود من فرعون وهامان الطّاغيين الذين ورد ذكرهما في القرآن الكريم، ويكون محلّ ملاقاته المغيرة إيّاهما أوضح من نار على علم.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: توفّي سنة تسع وأربعين بالكوفة وهو أميرها. وقال الواقدي عن محمّد بن أبي موسى التّقفي عن أبيه: مات بالكوفة في شعبان سنة خمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وهو ابن سبعين سنة. وقال علي بن عبد الله التميمي والهيثم بن عديّ ومحمّد بن سعد وأبو حسان الزياتي في آخرين: مات سنة خمسين. وقال المحافظ أبو بكر الخطيب: مات سنة خمسين، أجمع العلماء على ذلك. وقال أبو عمر بن عبد البر: مات سنة إحدى وخمسين، وقال بعضهم مات سنة ست وثلاثين، وقال بعضهم سنة ثمان وخمسين، وكلاهما خطأ، والله أعلم^(١).

قال إبراهيم الحربي: وتوفي المغيرة بن شعبة في شعبان سنة خمسين وهو ابن سبعين سنة^(٢). وعن زياد بن علاقة قال: سمعت جرير بن عبد الله حين مات المغيرة بن شعبة واستعمل، فرأيت جريراً يخطب فقال: "أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وأن تستمعوا وتطيعوا حتّى يأتىكم أمير، قال ثمّ ذكر المغيرة فقال: استغفروا له عفا الله عنه، فإنه كان يحبّ العافية"^(٣).

أقول: و من شدة حبه للعافية كان يحبّ سبّ الإمام علي عليه السلام والتّيل منه أيضاً،

(١) تهذيب الكمال، المزي، ج ٢٨ ص ٣٧٤.

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ١ ص ١٩٣.

(٣) مسند أبي يعلى، ج ١٣ ص ٤٩٨.

وهو يعلم أن رسول الله ﷺ قال من سبّ علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله تعالى. و عن زياد بن علاقة قال: سمعت جريراً يحدث حين مات المغيرة بن شعبة، خطب الناس فقال أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له والسكينة والوقار، فإني بايعت رسول الله ﷺ بيدي هذه على الإسلام، واشترط عليّ التصح لكل مسلم، فورب الكعبة إني لكم ناصح أجمعين واستغفر ونزل^(١). وقال سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير رأيت زياداً واقفاً على قبر المغيرة بن شعبة وهو يقول:

إن تحت الأحجار حزماً وعزماً وخصيماً ألدّ ذا معلاق
حيّة في الوجار أربداً لا ين فع منه السليم نفت الرائي

وقال غيره عن عبد الملك بن عمير: شهدت جنازة المغيرة بن شعبة فإذا امرأة أدماء حنوء مشرفة على النساء وهي تنديه وهي تقول :

الخلّ يحمله التفر قرماً كريم المعتصر
أبكي وأنشد صاحباً لا عين منه ولا أثر
قد كنت أخشى بعده أني أساء ولا أسر
أو أن أسام بخطّتي خسف فأخذ أو أذر
لله درك قد عييت وأنت باقعة البشر
حلماً إذا طاش الحليم وتارة أفعى ذكر

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج ٤ ص ٣٥٧ تحت رقم ١٩١٧٥ ومسند أبي عوانة، ج ١ ص ٤٥ تحت رقم ١٠٦، و مسند الطيالسي، ج ١ ص ٩١ تحت رقم ٦٦٠.

قال: قلت من هذه؟ قالوا: امرأته أمّ كثير بنت قطن الحارثي^(١).

قبر المغيرة

وقال ابن حبان: دفن المغيرة بن شعبة بالكوفة بموضع يقال له الثوية، وهناك دُفن أبو موسى الأشعريّ في سنة خمسين^(٢). والثوية موضع قريب من الكوفة؛ وفي الحديث ذكر الثوية هي بضمّ التاء وفتح الواو وتشديد الياء، ويقال بفتح التاء وكسر الواو، موضع بالكوفة به قبر أبي موسى الأشعري والمغيرة بن شعبة^(٣).

لكن قال البكري: الثوية بفتح أوله، وكسر ثانيه، وتشديد الياء أخت الواو موضع من وراء الحيرة، قريب من الكوفة، وفيه مات زياد بن أبي سفيان، وكان سجنًا بناه تبع، فكان إذا حبس فيه إنسانا ثوى فيه؛ قال عديّ بن زيد:

وبتن لذي الثوية ملجمات وصبحن العباد وهنّ شيب^(٤).

هكذا يقول البكري: " وفيه مات زياد بن أبي سفيان "!

وعن أبي حسان الزيّادي، قال: سنة خمسين فيها مات المغيرة بن شعبة في شعبان، ودفن بالكوفة بموضع قال له الثوية^(١). وقال ابن الأثير: الثوية بضمّ التاء المثلثة وفتح الواو والياء تحتها نقطتان موضع فيه مقبرة^(٢). وقال ابن خلكان - وهو متخصص في الوفيات - : والثوية بفتح التاء المثلثة وكسر الواو وتشديد الياء المثناة من تحتها وتُصغّر

(١) تهذيب الكمال، المزيّ، ج ٢٨ ص ٣٧٥.

(٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٢ ص ٨٧.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ص ١٤ ص ١٢٥.

(٤) معجم ما استعجم، البكري الأندلسي، ج ١، ص ٣٥٠.

أيضاً فيقال لها التَّوَيَّة اسم موضع بظاهر الكوفة فيه قبور جماعة من الصحابة وغيرهم (رض)^(٣). وفي النهاية: [التَّوَيَّة] هي بضمّ التَّاء وفتح الواو وتشديد الياء ويقال بفتح التَّاء وكسر الواو : موضع بالكوفة به قبر أبي موسى الأشعريّ والمغيرة بن شعبة (رض)^(١).

ومع ذلك فإنَّ بعض من لا يتحمّلون أن يروا أو يسمعوا للإمام عليّ عليه السلام فضيلةً - أنكروا - أن يكون قبر الإمام هو هذا الذي يُزار في التَّجفّ الأشرف، وزعموا أنّه قبر المغيرة.

ففي تاريخ بغداد: حكى أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ قال سمعت أبا بكر الطلحيّ يذكر أنّ أبا جعفر الحضرميّ مطينا كان يُنكر أن يكون القبر المزور بظاهر الكوفة قبرَ عليّ بن أبي طالب، وكان يقول: لو علمت الرافضة قبر مَنْ هذا لرجمته بالحجارة. هذا قبر المغيرة بن شعبة! وقال مطين: لو كان هذا قبرَ عليّ بن أبي طالب لجعلت منزلي ومقبلي عنده أبداً^(٢).

أقول: مطين هذا توفي سنة ٢٩٧ فيما ذكره السمعاني في الأنساب، والصفدي في الوافي بالوفيات، وغيرهما^(٣)، فبينه وبين شهادة الإمام علي أكثر من ٢٥٠ سنة، وهو لم يذكر إسنادا يستند إليه في زعمه، فكيف علم بما يدّعي؟

أيعقل أن يكون مَطِينُ أعلمَ بِقبرِ عليّ عليه السلام من ذريّته وشيعته؟! وقد كانت زيارته

(١) النهاية في غريب الأثر، ابن الأثير، ج ١ ص ٦٥٥.

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ١ ص ١٣٨.

(٣) الأنساب، السمعاني، ج ٤ ص ١٤١ والوافي بالوفيات، الصفدي، ج ٣ ص ٢٧٦.

على مرأى من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أيام الدولة العباسية، ولم ينكروا ذلك على أحد من شيعتهم ومحبيهم، ولو كان الأمر كما يدعى مطين لنهزم عنه، لأن المغيرة مات مصرّاً على سبّ ولعن علي (عليه السلام) نعم، دُفن الإمام علي (عليه السلام) سرّاً حتى لا يعثر أعداؤه من بني أمية والخوارج على الجسد الشريف فيمثّلوا به حقداً على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى أحبّ الخلق إليه.

ثمّ هو - مطين هذا - يزعم أنّه لو كان ذلك قبر علي بن أبي طالب لجعل منزله ومقيله عنده أبداً، ولا يستنكف أن يتكلّم بلسان ناصيٍّ محض فيسمّي أتباع عليّ عليه السلام "الرافضة". قد بدت البغضاء من فيه وما يخفي صدره أكبر. وبخصوص هذه القضية قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: "سألت بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبو بكر في تاريخه^(١) أن قوماً يقولون: إنّ هذا القبر الذي تزوره الشيعة إلى جانب الغريّ هو قبر المغيرة بن شعبة؟ فقال: غلطوا في ذلك، قبر المغيرة وقبر زياد بالثوية من أرض الكوفة، ونحن نعرفهما ونقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا؛ وأنشدني قول الشاعر يرثي زياداً وقد ذكره أبو تمام في الحماسة:

صلّى الإله على قبر وطهره	عند الثوية يسفي فوقه المور
زفّت إليه قريشٌ نعش سيدها	فالحلم والجود فيه اليوم مقبور
أبا المغيرة والدنيا مفجعة	وإنّ من غرّت الدنيا لمغرور..

(١) ذكره الخطيب أبو بكر في تاريخه، ج ١ ص ١٣٨.

وسألت قطب الدين نقيب الطالبين أبا عبد الله الحسين بن الأقساسي رحمه الله تعالى عن ذلك فقال : صدق من أخبرك، نحن وأهلها كافة نعرف مقابر ثقيف إلى الثَّوَيَّة، وهي إلى اليوم معروفة وقبر المغيرة فيها، إلاَّ أنَّها لا تُعرف، قد ابتلعها السبخ وزيد الأرض وفورانها فطمست، واختلط بعضها ببعض؛ ثم قال: إن شئت أن تتحقَّق أنَّ قبر المغيرة في مقابر ثقيف فانظر إلى كتاب "الأغاني" لأبي الفرج علي بن الحسين، والمَحْ ما قاله في ترجمة المغيرة وأنه مدفونٌ في مقابر ثقيف، ويكفيك قول أبي الفرج فإنَّه التَّادِق البصير والطَّيِّب الخبير؛ فتصفَّحت ترجمة المغيرة في الكتاب المذكور فوجدت الأمر كما قاله النقيب^(١).

أقول: و مقابر ثقيف في الكوفة، والقصة الآتية تؤكد أنَّ المغيرة دفن في مقابر ثقيف. عن زاجر بن عبد الله الثقفي، مولى الحجاج بن يوسف، قال: كان بين المغيرة بن شعبة وبين مصقلة بن هيرة الشَّيباني تنازعٌ، فضرع له المغيرة، وتواضع في كلامه، حتَّى طمع فيه مصقلة. واستعلى عليه، فشتمه. فقدمه المغيرة إلى شريح، وهو القاضي يومئذ، فأقام عليه البينة، فضربه الحدَّ. فألَى مصقلة ألاَّ يقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حيًّا، وخرج إلى بني شيان، فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة. ثمَّ دخل الكوفة، فتلقَّاه قومه، وسلَّموا عليه. فما فرغ من التَّسليم حتَّى سأله عن مقابر ثقيف، فأرشدوه إليها. فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة، فقال: ما هذا؟ قالوا: ظننا أنَّك تريد أن ترجُم قبره. فقال: ألْقُوا ما في أيديكم. فألقوه، وانطلق حتَّى وقف على قبره، ثم قال: والله لقد كنتَ ما علمتُ نافعاً لصديقك، ضائراً لعدوك، ما مثلك إلاَّ كما

(١) شرح "نهج البلاغة"، ج ٢ ص ٤٥.

قال مهلهل في أخيه كليب:

إن تحت الأحجار حزماً وعزماً وخصيماً ألدّ ذا معلاق
حيّة في الوجار أربد لا ين فع منه السّليم نفث الرّاقى

وأخبرني بهذا الخبر محمّد بن خلف بن المرزبان، عن أحمد بن القاسم، عن العمريّ، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشّعبى: أنّ مصقلة قال له: والله إني لأعرف شهبى في عروة ابنك. فأشهد عليه بذلك، وجلده الحدّ. وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله ^(١).

ورغم أن المغيرة لا يقبل أن يكون النّبي ﷺ قد أوصى إلى عليّ عليه السلام إلاّ أنّه لم يتردّد في استنابة ابنه حين حضره الموت. قال ابن حجر: "واستناب عند موته ابنه عروة، وقيل استناب جريراً المذكور، ولهذا خطب الخطبة المذكورة؛ حكى ذلك العلائي في أخبار زياد" ^(٢).

قالوا: لما قُتل عليّ، وصالح معاويةُ الحسنَ ودخل الكوفة ولاه^٣ عليها، فلم يزل أميرها حتّى مات في هذه السنة على المشهور، قاله محمّد بن سعد وغيره. وقال الخطيب: أجمع الناس على ذلك وذلك في رمضان منها عن سبعين سنة. وقال أبو عبيد: مات سنة تسع وأربعين. وقال ابن عبد البر سنة إحدى وخمسين، وقيل سنة

(١) الأغاني، الأصفهاني، ج ٤ ص ٢٧٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج ١ ص ١٣٩ تحت رقم ٥٨.

(٣) المقصود المغيرة بن شعبة فإنه هو الذي ولاه معاوية الكوفة.

ثمان وخمسين وقيل سنة ست وثلاثين وهو غلط^(١).

عن شعبة عن زياد بن علاقة قال : شهدت جرير بن عبد الله البجلي لما هلك المغيرة بن شعبة، فسمعت جريرا يخطب فقال: اشفعوا لأمركم فإنه كان يحب العافية، واسمعوا وأطيعوا حتى يأتاكم أمير، أما بعد فأني بايعت رسول الله ﷺ على الإسلام واشترط عليّ التّصح لكلّ مسلم، ورب هذا المسجد^(٢)..

يقول جرير: اشترط عليّ رسول الله ﷺ التّصح للمسلمين، فهل وفي جرير بما اشترطه عليه رسول الله ﷺ؟! هل هو من التّصح للمسلمين أن ينضمّ إلى الفئة الباغية ويفارق الفئة المهدية؟ هل هو من التّصح للمسلمين أن يبقى جرير ساكناً وعليّ بن أبي طالب عليه السلام يُلغن على منابر الكوفة وما حولها وسائر منابر الدولة الإسلامية يومها؟!

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨ ص ٤٨.

(٢) مسند أبي داود الطيالسي، ص ٩١.

قبل الختام

مسألة ينبغي التعرّض لها وبسط القول فيها، و - بالضبط - لأنها قلّما نوشت،
وحين تُناقش إنما تناقش باستحياء، والله لا يستحي من الحقّ. يتعلّق الأمر بموقف
الرجاليين والمحدثين من سلوك وقول رسول الله ﷺ، والمفروض أنّ قوله وفعله
وتقريره ﷺ حجة! والذي يتتبع أقوالهم ومواقفهم بخصوص كثير من الصحابة
والتابعين يكتشف بما لا غموض فيه أنّ هؤلاء المحدثين والرجاليين لا يحترمون
رسول الله ﷺ ولا يقيمون لقوله وفعله وزناً! وأكبر من ذلك أنّهم ينسبون إلى الله
تعالى أنّه سمح لهم بتكذيب رسول الله ﷺ، وتكذيبه هو أيضاً جلّ وعلا!

هذا كلام يصدم من يسمعه لأوّل مرة، ولا يلام المرء في ذلك، ولا يلام أن يرى
فيه جرأةً وتسوراً على مقام الصحابة والتابعين، لأنّ المسلم الذي قضى عمراً وهو
يسمع الثناء والمديح للصحابة والتابعين، ولا يسمع لهم تقدماً، تنطبع في ذهنه - لا شك -
صورةٌ محوطةٌ بالإجلال والتّقدّيس هؤلاء الذين لا يعرف عنهم إلّا الخير؛ أمّا من
اطّلع على حقيقة ما جرى في حياة النّبي ﷺ وبعد وفاته، وكان نزهاً مع نفسه
صادقاً مع ربّه، فإنّه لا يسعه إلّا أن يسمّي الأمور بأسمائها ولا يبخس النّاس
أشياءهم، وأن يقول عن الظّالم إنّهُ ظالمٌ وعن المظلوم إنّهُ مظلومٌ، وهو أمرٌ في غاية
الصّعوبة إذا لم يتجرّد الإنسان من الهوى.

نعم، كذّب المتخصصون في علم الرجال والمحدثون والمفسّرون - كذّبوا -
الله ورسوله في مواطن كثيرة تقتصر على بعض منها، باعتبار أنّ الكتاب خاصٌ بحياة

المغيرة بن شعبة، ويبقى استشفاف التفصيل لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(١). ولم يستثن جل شأنه أحداً، لا من جيل الصحابة ولا من بعدهم، وقال المحدثون وعلماء الرجال: إذا كان القاتل صحابياً فلا بأس، وهو من أهل الجنة، لأن الصحابي لا يقتل إلا وهو مجتهد، والمجتهد مأجور أصاب أم أخطأ؛ ولذلك قال ابن حزم بخصوص عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي عليه السلام: "ولا خلاف بين أحد من الأمة^(٢) في أن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل علياً رضي الله عنه إلا متأولاً مجتهداً مقدراً أنه على صواب، وفي ذلك يقول عمران بن حطان شاعر الصفرية:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليلغ من ذى العرش رضوانا
إني لأذكره حيناً فأحسبه أو في البرية عند الله ميزانا^(٣)

لكن ابن حزم لا يثبت عل قوله حين يتعلق الأمر بقتل عثمان بن عفان، فقاتل عثمان ليس بمجتهد متأول مقدّر أنه على صواب، وإما هو فاسق مرق من الدّين ولا حظ له في الإسلام؛ مع أنه على فرض أن يكون قتل الإمام علي عليه السلام اجتهاداً - والعياذ بالله - ينبغي أن يكون قتل عثمان أيضاً كذلك، لأن حكم الأمثال لا يتخلف،

(١) النساء: ٩٣.

(٢) هكذا قال: "لا خلاف بين أحد من الأمة"، فهو لا يحسب أئمة أهل البيت عليهم السلام من الأمة، لأن أئمة أهل البيت عليهم السلام يخالفون غيرهم في هذا، ويرون أن عبد الرحمن بن ملجم هو أشقى الآخرين لأن رسول الله ﷺ سمّاه كذلك؛ فابن حزم وحزبه في واد ورسول الله ﷺ وأتباعه في واد.

(٣) المحلى، ابن حزم، ج ١٠ ص ٤٨٤.

لكن هل يقبل ابن حزم وأبناء مدرسته ذلك؟!

وقال الله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مِّنَ الْمُسْلِمَاتِ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾^(١).

لكن مضمون الآية لم يرق للمحدثين وعلماء الرجال، فقرروا أن يعلنوا موقفاً مخالفاً له وحملوا التأس عليه، وزعموا أن من شكك فيما ذهبوا إليه يكون مكابراً معانداً يخشى عليه الضلال والخسران. فالآية الشريفة واضحة، وهي تشير إلى أن في المجتمع أيام النبي ﷺ نساء مؤمنات مسلمات قانتات هن أفضل من نساء النبي ﷺ وتعتبر الآية بعبارة "خيراً منكناً" التي تعني "أفضل منكناً"، وهي العبارة نفسها التي اختارها إبليس في جوابه حين قال: "أنا خير منه"، وبرر بذلك امتناعه من السجود؛ فالتأثر بالنسبة إليه أفضل من الطين، فلا ينبغي - في نظره - لمن هو من نار أن يسجد لمن هو من طين. معنى الآية واضح لا يحتاج إلى شرح طويل، لكنه لم يرق للمحدثين وعلماء الرجال، فقرروا مخالفته وقالوا: "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الأطعمة"! وهذا يعني أنهم لا يقبلون ما تضمنته الآية الشريفة من سورة التحريم، خصوصاً وأن السورة بأسرها نزلت في شأن اثنتين من أزواج النبي ﷺ هما عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر. وقد أمر الله تعالى نساء النبي ﷺ جميعاً - دون استثناء - بالبقاء في بيوتهن، لكن عائشة بنت أبي بكر لم تلتفت إلى ذلك وخرجت من بيتها، وباليتهى خرجت إلى سوق أو بادية؛ خرجت إلى الحرب! نعم، خرجت لتخوض حرباً ضد المسلمين باسم الإسلام. واستعظم المحدثون وعلماء

الرجال أن ينتقدوا سلوكها ولم يستعظموا أن يخالفوا الله تعالى! فقالوا: إنها خرجت للإصلاح! وكأن الله تعالى لم يكن يعلم حاجة المسلمين إلى امرأة تخرج للإصلاح حين أنزل آية القرار في البيوت! وكانت نتيجة الخروج للإصلاح قتل (١٧٠٠٠) سبعة عشر ألف مسلم! وأصرّوا على أنها مجتهدة، وأنها هي ومن معها من رؤوس الفتنة في الجنة، وبقية الأتباع في النار! ولا زالوا يصرون على ذلك. هكذا يطبق العدل الإلهي! مسبب الفتنة في الجنة والضحايا في النار!

ولعلم الله سبحانه وتعالى أن هؤلاء المحدثين وعلماء الرجال سوف يتمسكون بالزوجية ليدافعوا عن عائشة بنت أبي بكر فإنه جلّ ذكره أنزل قرآنا يقطع به عليهم كل طريق: ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾^(١)، ومع ذلك، ومع وضوح القضية، ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

وكذب الصحابي أنس بن مالك على رسول الله ﷺ في بيت رسول الله ﷺ في حياة رسول الله ﷺ، ولم ير المحدثون وعلماء الرجال بذلك بأسا، بل زعموا أن النبي ﷺ عذره في كذبه، وعظموا شأن أنس بن مالك، ورووا عنه روايات كثيرة. عن يحيى بن سعيد عن أنس بن مالك قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ فقدموا له فرخا مشويا فقال رسول الله ﷺ: اللهم ائني بأحب الخلق إليك وإليّ يأكل معي من هذا الفرخ، فجاء عليّ فدقّ الباب، فقال أنس: من هذا؟ قال: عليّ. فقلت:

(١) التحريم: ١٠.

(٢) يونس: ١٠١.

التي ﷺ على حاجة! فانصرف. ثم تنحى رسول الله ﷺ وأكل ثم قال: اللهم ائتني بأحب الخلق إليك وإليّ يأكل معي من هذا الفرخ؛ فجاء عليّ فدق الباب دقاً فسمع رسول الله ﷺ فقال: يا أنس من هذا؟ قلت: عليّ، قال: أدخله، فدخل فقال رسول الله ﷺ: لقد سألت الله ثلاثاً بأن يأتيني بأحب الخلق إليه وإليّ يأكل معي من هذا الفرخ؛ فقال عليّ: وأنا يا رسول الله لقد جئت ثلاثاً كلّ ذلك يردني أنس! فقال رسول الله ﷺ: يا أنس، ما حملك على ما صنعت؟ قلت: أحببت أن تدرك الدعوة رجلاً من قومي! فقال رسول الله ﷺ: لا يلام الرجل على حبّ قومه^(١). والقصة مشهورة مروية بطرق عديدة^(٢).

(١) المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٦، ص ٣٣٦.

(٢) المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٢، ص ٢٠٧، السنن الكبرى، النسائي، ج ٥، ص ١٠٧، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، النسائي، ص ٥١، مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، ج ٧، ص ١٠٥، المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٦، ص ٩٠، المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٧، ص ٢٦٧، المعجم الكبير، الطبراني، ج ١، ص ٢٥٣، المعجم الكبير، الطبراني، ج ٧، ص ٨٢، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٢٦٤، نظم درر السمطين، الزرندي الحنفي، ص ١٠١، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ٣، ص ٣٩٠، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ٨، ص ٣٧٨، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ٩، ص ٣٧٦، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، ج ٣٧، ص ٤٠٦، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، ج ٤٢، ص ٢٤٥، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، ج ٤٢، ص ٢٤٦، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، ج ٤٢، ص ٢٥١ و ٢٥٠، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، ج ٤٢، ص ٢٤٨، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، ج ٤٢، ص ٢٥٣ و ٢٥٤، ص ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٤٣٢، أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٤، ص ٣٠، مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، وما نزل من القرآن في علي عليه السلام، ابن مردويه الأصفهاني، ص ٦٣، و ١٢٨ و ١٣١ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١، و ١٤٢، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله، البري، ص ٦٣ و تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ٣، ص ٦٣٣، و إمتاع الأسماع، المقرئ، ج ٧، ص ٢٩٨.

قال ابن الأثير: وقد روى من غير وجه عن أنس ورواه غير أنس من الصحابة ^(١). وقال الذهبي: "وله طرق كثيرة عن أنس متكلم فيها، وبعضها على شرط السنن، ومن أجودها حديث قطن بن نسير شيخ مسلم، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا عبد الله بن المثني، عن عبد الله بن أنس بن مالك، عن أنس قال: أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه... ^(٢)، ومع ذلك فقد تصدى له كثير من الحاقدين على الإمام علي عليه السلام من القدماء والمعاصرين وفتحوا التار على الرواة من كل جانب، ولو أن الحديث كان في فضل شيخ من شيوخ السقيفة أو ملك من ملوك بني أمية لتقوى الضعيف وصح الباطل وبرئ الأكمه والأبرص!

ومن الأمثلة أيضا ما جرى للصحابي مالك بن نويرة الذي اتهمه خالد بن الوليد بالردة ليقطله ويأخذ زوجته [أرملته بعد قتله] وتبيت بين أحضانه في نفس الليلة التي قتله فيها. ومع أن عمر بن الخطاب كان معارضا لخالد بن الوليد ويرجو أن يرجمه بأحجاره، ومع أن أبا بكر بن أبي قحافة اعترف بخطأ خالد ودفع دية مالك بن نويرة ورد السبي، إلا أن المحدثين وعلماء الرجال تمادوا في ضلالتهم واستمروا يقولون: "ارتد مالك". وكان رسول الله ﷺ عين مالك بن نويرة على صدقات قومه.

تلكم كانت بعض الأمثلة التي تثبت مخالفة المحدثين وعلماء الرجال لله والرسول طائعين غير مكرهين، ومعاندين غير جاهلين؛ وقد أرادوا - بزعمهم - أن يدافعوا عن الصحابة لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ، لكنهم مع بالغ الأسف ظلموا كثيرا من

(١) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٤، ص ٣٠.

(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ٣، ص ٦٣٣.

الصَّحابة، ونسوا أو تناسوا أَنَّ الصَّحبة وحدها لا تعني شيئاً إذا لم تكن مقرونة بالإيمان الصحيح والعمل الصَّالح، والعمل الصَّالح هنا مفقودٌ، لأنَّ الكذب على رسول الله ﷺ في بيته لم يكن يوماً من الأيام عملاً صالحاً، ولأنَّ قتل الأبرياء لم يكن يوماً من الأيام عملاً صالحاً، وهذا أمرٌ واضحٌ لا يحتاج إلى مزيد بيان.

في أيَّامنا أيَّام التَّكنولوجيا والتَّقنيات العالية، تطلع علينا القنوات التَّلفزيونية ببرامج ومسلسلات تضليلية تدَّعي من ورائها التعريف بتاريخ الإسلام والمسلمين، وما هو بتاريخ الإسلام ولا المسلمين! تفرض القنوات المذكورة سير الظُّلمة والجبايرة والطواغيت على أساس أنَّها سيرُ عظماء هذه الأُمَّة، وتسخرُ لذلك أقلاماً وأقواماً وسياسات، وتستغلُّ شهر رمضان الكريم وغيره من المناسبات الدِّينية للقيام بخيانة الأجيال. وأوضح مثال لخيانة الأجيال بخصوص تاريخنا ما قام به المخرج السينمائي مصطفى العقَّاد ومن معه، حيث أخفوا - في فيلم الرسالة - اليهود دفعةً واحدةً، وغيبوهم نهائياً عن أعين المشاهدين، فلا أثر لبني قريظة، ولا أثر لبني قينقاع، ولا أثر لبني التَّضير، ولا أثر لمرحب، ولا أثر لكعب بن الأشرف، ولا أثر لحبي بن أخطب، مع أنَّهم - أي اليهود - عاهدوا رسول الله ﷺ ثمَّ نقضوا العهد كعادة أسلافهم وغدروا بالمسلمين، فأذاقهم الله وبال أمرهم، ونزل في ذلك قرآنٌ يُتلى. هل اعترض الأزهر على ما جرى؟! هل اعترض من يسمُّون أنفسهم الدَّعاة المعتدلين على ما جرى؟!

هذا التَّحريف والتَّزوير في أيَّامنا فما ظنُّك بما جرى في القرون الخالية؟!

لماذا لا يتحلَّى مثقفونا "الإسلاميون" بشيء من الشَّجاعة ليسمُّوا الأمور بأسمائها، فيسمُّوا القطَّ قطعاً كما يقول المثل الفرنسي؟ لماذا لا يصفون إلى أصوات ضمائرهم

ويحاولون أن ينظروا إلى تاريخ أسلافهم بشيء من الموضوعية والإنصاف؟ لماذا ينتظرون دائماً حتى تأتي التحليلات والانتقادات من غير المسلمين؟ لماذا يتجاهلون كل من يخالفهم ويصفونه بالأوصاف التي لم يعد يستعملها غيرهم؟ لماذا ولماذا؟
عسى أن نعرف السبب يوماً من الأيام!

خاتمة

حينما تبدأ حملة الانتخابات في بلد من البلدان الغربية - وقد أصبحت شعوبنا مفتونة بالبلدان الغربية - يبحث الإعلام في تفاصيل حياة المرشحين، لأنه يعتقد أنه من حق المواطنين أن يعرفوا كل شيء عمن سيحكمهم! فتراهم لذلك يبحثون في حياته الدراسية والمهنية والعائلية، ولا يهملون أية جزئية. أما في بلداننا فإن الإعلام يدقّ الطبول للمرشح الوحيد الذي حكم ويحكم وسيحكم إلى أن ينتقل من كرسيه إلى قبره! فالحاكم عندنا غير الحاكم عندهم. الحاكم عندهم شخص يمكن أن يكون قد اقترف يوماً ما في ماضيه جريمة ما، لا يستحقّ بموجبها أن يحكم من لم يرتكبوا تلك الجريمة؛ وبعبارة أخرى لا يستحقّ أن يحكم من هم أفضل منه. فهم يحبّون أن يحكمهم من هو خيرٌ منهم أو على الأقلّ من هو مثلهم. وأما نحن - في بلداننا الإسلامية - فقد حسمنا المسألة وتيقّنا أن حاكمنا العتيق هو أفضل أبناء مجتمعه، وكلُّ خير قد يحصل في البلد فهو نتيجة رعايته واهتماماته، حتى حينما يفوز رياضيّونا بميدالية أو يتأهّلون إلى مراحل متقدّمة فإنّ الفضل يرجع أولاً إلى الحاكم، مع أنّه لم ينزل إلى الميدان ولم يشارك بشيء. فالحاكم شريك في كل فوز، لكنّه لا يشاركنا أية خسارة. نظرنا إلى الحاكم تحتلف عن نظرهم تماماً، ولعلّ أسباب الاختلاف كثيرة، لكنّ الواضحة منها هي أنّ مثقفيهم لا يبالون أن يخالفوا الحاكم ويصرخوا في وجهه، وينزلوا إلى الشّارع هاتفين بسقوطه، ويذكّروه دائماً أنّه واحدٌ منهم؛ بينما يتبارى كثيرٌ من مثقفينا في التّزلف إلى الحاكم متخلّين عن كرامتهم، يكيلون له مديحاً بأوصاف

تتبرأ منه، وينعتون معارضييه ومخالفيه بنعوت هم أعلم الناس بخلوهم منها! ولو دققنا النظر لرأينا هذه السيرة في المثقفين قديمة راسخة! إنها تعود إلى قرون متطاولة حكم فيها العباسيون والأمويون ومن قبلهم. حكموا باسم الإسلام دون أن يحترموا الإسلام، وما المغيرة بن شعبة إلا نتاجٌ من نتاجات تلك الحِقَب. رجلٌ لم يكن يهتم إلا شهوة فرجه وسبِّ الصالحين، تجده يتقلب في المناصب ويتعالى على البدرين الذين زعم المحدثون أن الله تعالى قال لهم: "اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم!" إذا كان للبدرين منزلة عند الله تعالى فلماذا لا يحترمهم المغيرة بن شعبة؟ ولماذا لا يحترمهم المحدثون أنفسهم؟ لماذا يسمحون بسبِّهم وشتيمهم من طرف المغيرة بن شعبة؟

إنَّ الملتزم بمبادئ الإسلام إذا طالع سيرة المغيرة بن شعبة لا يسعه إلا أن يأخذ الموقف الذي يأخذه الإسلام، وأن يعامل المغيرة بما تعامله به مبادئ الإسلام، وبكفي لبيان ذلك أن المغيرة يتبجح بأنه "أول من رشا في الإسلام"، أي أنه يفتخر بالرشوة، وصاحب الرشوة ملعون! فأين الحرج في أن يقول مسلم: إنَّ المغيرة بن شعبة يفتخر بالفعل الذي يجعل صاحبه ملعوناً؟!

أين الحرج في أن يقول المسلم: إنَّ المغيرة بن شعبة كان يؤدي رسول الله ﷺ يوماً حينما كان يلعن الإمام علياً عليه السلام ويوظف للغة الخطباء؟

وإذا كان الخليفة عمر بن الخطاب يقول للمغيرة بن شعبة وجهاً لوجه "إنما أنت امرؤ فاسق"، فأين الحرج في أن يقول المسلم — وخصوصاً من يقتدي بعمر بن الخطاب —: إنَّ المغيرة بن شعبة امرؤ فاسق؟

هذه الأسئلة وأمثالها موجهة إلى الذين يطالعون بحريّة، ويفكرون بحريّة، ويحققون

بحريّة، لا إلى أولئك الذين سجنهم الماضي في ألفاظ يلوكونها، وحنّظهم في مصطلحات يردّدونها، وعزلهم عن الحاضر وآيسهم من المستقبل. أولئك لن يفهموا لغة الحرّيّة ما داموا قد اختاروا أن يكونوا سُجناء، ولا يغيّر الله ما يقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم. ومرةً أخرى أذكر أن أمام الباحثين طريقاً طويلاً شائكاً ومضنياً، ليس يثبت على السّير فيه سوى من علت همهم وترسّخ يقينهم وصفت سرائرهم، لأنّ التّحقيق في ما جرى في تاريخ المسلمين يصطدم بصنميّة متصلّبة تترعّمها فئةٌ من أعراب نجد ترى الشّرك في كل شيء، وترفض أن يتنفس التّاس من الهواء زيادةً على المقدار الذي سمح به شيوخ السّلف الذين لا يزالون يرسلون الأوامر من قبورهم.

هذه الفئة لن تسمح بالتّحقيق في التاريخ بنزاهة وموضوعيّة ومحاولة بيان الأمور كما جرت؛ لن تسمح بذلك مهما حصل، وهي ستوظف الملايين من دولارات التّقط، وتستعين بكلّ الموهوبين الذين يحسنون التّمثيل والحديث أمام الكاميرا والتّبكي على الماضي وكأنّ ربّ الماضي غير ربّ الحاضر! سوف يزداد عدد القنوات الفضائيّة التي تمجّد طواغيت الماضي وتتملّق طواغيت الحاضر، وتلقي باللائمة دائماً على الشّعوب لأنّ الله تعالى - في زعمها - قد اختار الحاكمين وجعلهم ظلّه في أرضه.

سوف تتصدّى هذه الفئة إلى كلّ من يقول كلمة الحقّ لتستخّمقه وتستنهجه، وترى فيما يقول وما يكتب جرأةً على مقام الماضي وتشويهاً للدّين، ومحاولة للطّعن في الأخيار، و..و..

هذه الفئة نفسها لا تبالى أن ترى حكامها يقرعون كؤوس الخمر مع كبار مجرمي العصر، ويسكتون حينما ينبغي الصراخ، ويصرخون حينما ينبغي السكوت، ويشمتون

بالقريب الصديق ويتسابقون إلى خدمة العدو.

هذه الفئة تعدّ أبطال الجنوب وحماس مغامرين لا يجوز دعمهم ونصرتهم ولا حتى الدّعاء لهم!

هذه الفئة تحاكم الأبرياء دفاعاً عن المجرمين، وتأسف أنها لم تحضر الجمل وصفين والتّهران لتشفّي غيظها من رسول الله ﷺ وأهل بيته ﷺ!

هذه الفئة ترى في المغيرة بن شعبة - رغم كلّ جرائمه - رمزاً من رموز الإسلام، وتسمّي باسمه المساجد والمدارس، وترى في مجرد انتقاده - اعتماداً على محكمات القرآن الكريم - مساساً بتاريخ الإسلام ومقدسات الإسلام! ولو كان المغيرة بن شعبة موالياً لمحمّد وآل محمد ﷺ وتلبّس بما تلبّس به من الجرائم التي لا مفرّ لهم من الاعتراف بها، لتبارى كبارهم في التّهمك به والسّخرية منه، ولا تأخذه مبرراً للتّهمج على شيعة أهل البيت ﷺ، ولحاولوا أن يجعلوا منه مثلاً للشّيعة في كل زمان ومكان! لكنّ المغيرة منهم، ولا يعدّوهم إلى غيرهم، والطّيور على أشكالها تقع، فليدافعوا عنه ما شاءوا، لكن رجاء، ليتوقفوا عن الدّفاع عنه باسم الإسلام، لأنّ إسلام المغيرة، والدين الذي جاء به رسول الله ﷺ خطّان متوازيان لا يلتقيان أبداً.

١٤ جمادي الأولى ١٤٣٠ هـ

مصادر الكتاب

١. أبجد العلوم / القنوجي / دار الكتب العلمية / بيروت ١٩٧٨ / اسم المحقق عبد الجبار زكار.
٢. الآحاد والمثاني / ابن أبي عاصم / دار الدراية ١٤١١ هـ.
٣. الآحاد والمثاني / الشيباني / دار الراية / الرياض ١٤١١ هـ - ١٩٩١.
٤. أحسن التقاسيم / محمد المقدسي / وزارة الثقافة والإرشاد القومي / دمشق ١٩٨٠.
٥. أخبار مكة / الفاكهي / دار خضر / بيروت / ١٤١٤.
٦. اختلاف الحديث / الإمام الشافعي / مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٤٠٥ هـ.
٧. أسد الغابة / ابن الأثير / انتشارات إسماعيليان طهران.
٨. الإصابة في تمييز الصحابة / ابن حجر العسقلاني / دار الجيل بيروت ١٤١٢ ط ١.
٩. الإصابة / ابن حجر العسقلاني / دار الكتب العلمية / دار الجيل / بيروت، ١٩٩٢ م.
١٠. الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة / الطائي الجباني / دار الجيل / بيروت ١٤١١ ط ١.
١١. أنساب الأشراف / البلاذري / دار الفكر بيروت لبنان ١٩٩٦ م.
١٢. الأوائل / سليمان بن أحمد الطبراني / مؤسسة الرسالة، دار الفرقان بيروت ١٤٠٣ ط ١.

٤٧٠.....المغيرة بن شعبة

١٣. الأوائل/ابن أبي عاصم/دارالخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت/ تحقيق محمد العجمي.

١٤. البداية والنهاية / ابن كثير/ مكتبة المعارف، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨/م.

١٥. تاج العروس / الزبيدي / منشورات مكتبة الحياة ، بيروت.

١٦. تاريخ الإسلام /الذهبي، د٩٩ الكتاب العربي/بيروت - ١٩٨٧م/ تحقيق: د. تدمري.

١٧. تاريخ الأمم والملوك / الطبري/دار الكتب العلمية/ بيروت/١٤٠٧ الطبعة الأولى.

١٨. تاريخ الخلفاء / السيوطي / مطبعة السعادة / مصر ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

١٩. تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي / دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠. تاريخ خليفة بن خياط /العصفري/دار القلم، مؤسسة الرسالة/دمشق، بيروت ١٣٩٧هـ

٢١. تأويل مختلف الحديث/ ابن قتيبة / دار الكتب العلمية /دار الجيل بيروت ١٣٩٣.

٢٢. التعريفات / الجرجاني / دار الكتاب العربي / بيروت ١٤٠٥ الطبعة : الأولى.

٢٣. التمهيد والبيان /المالقي الأندلسي/دار الثقافة /الدوحة - قطر ١٤٠٥ هـ الطبعة الأولى.

٢٤. تهذيب التهذيب/ابن حجر / دار الفكر بيروت ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤.

٢٥. تهذيب الكمال / المزي / مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٦ هـ
٢٦. التوقيف على مهمات التعاريف / المناوي / دار الفكر المعاصر / دار الفكر بيروت / دمشق ١٤١٠.
٢٧. الجهاد / عبد الله بن المبارك / دار المطبوعات الحديثة / الدار التونسية تونس ١٩٧٢.
٢٨. الحدود الأنيفة / محمد بن زكريا الأنصاري / دار الفكر المعاصر / بيروت ١٤١١.
٢٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / أبو نعيم الأصبهاني / دار الكتاب العربي / بيروت ١٤٠٥.
٣٠. الدرر الكامنة / ابن حجر / مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية / حيدرآباد / الهند ١٩٧٢.
٣١. ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق / الذهبي / مكتبة المنار - الزرقاء.
٣٢. الرياض النضرة / محب الدين الطبري / دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٦ م.
٣٣. سر السلسلة العلوية / أبو نصر البخاري / انتشارات الشريف الرضي ١٤١٣ هـ.
٣٤. السنن الكبرى / أحمد بن شعيب النسائي / دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١ هـ.
٣٥. السنن الكبرى / البيهقي / دار الفكر بيروت / مكتبة دار الباز مكة ١٤١٤ هـ.
٣٦. سير أعلام النبلاء / الذهبي / مؤسسة الرسالة / بيروت ١٤١٣ هـ.
٣٧. السيرة النبوية / ابن هشام / مكتبة محمد علي صبيح و أولاده ١٣٨٣ هـ.
٣٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب / عبد الحي دمشقي / دار الكتب العلمية بيروت

٤٧٢.....المغيرة بن شعبة

٣٩. شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد / دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٨ هـ ،
١٩٥٩ م.

٤٠. صحيح ابن حبان / محمد بن حبان / مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٤ هـ

٤١. صحيح ابن خزيمة / محمد بن إسحاق بن خزيمة / المكتب الإسلامي بيروت
١٩٧٠.

٤٢. صحيح البخاري / البخاري / دار الفكر، بيروت / دار ابن كثير، اليمامة بيروت
١٤٠٧ هـ

٤٣. صفة الصفوة / ابن الجوزي / دار المعرفة - بيروت ١٣٩٩ هـ

٤٤. صفة المنافق / الفريابي / دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت - ١٤٠٥.

٤٥. الصواعق المحرقة / ابن حجر الهيتمي / دار الكتب العلمية / مؤسسة الرسالة /
بيروت ١٩٩٧

٤٦. تاريخ مدينة دمشق / ابن عساكر / دار الفكر / بيروت ١٤١٥ هـ

٤٧. الطبقات / النسائي / دار الوعي حلب ١٣٦٩ - الطبعة الأولى.

٤٨. طبقات الحفاظ / السيوطي / دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ

٤٩. طبقات الشافعية / ابن قاضي شهبة / عالم الكتب / بيروت ١٤٠٧ هـ

٥٠. طبقات ابن سعد (القسم المتتم) / ، مكتبة العلوم والحكم / المدينة المنورة ١٤٠٨

٥١. طبقات المفسرين / الأدنروي / مكتبة العلوم والحكم / المدينة المنورة ١٩٩٧.

٥٢. طبقات خليفة / خليفة بن خياط العصري / دار طيبة / الرياض ١٤٠٢ —

١٩٨٢ م.

٥٣. العبر في خبر من غير / الذهبي / مطبعة حكومة الكويت / الكويت ١٩٤٨
٥٤. العواصم من القواصم / المعافري المالكي / دار الجيل بيروت ١٤٠٧ ط ٢.
٥٥. عيون الأنبياء في طبقات الأطباء / موفق الدين السعدي / دار مكتبة الحياة / بيروت.
٥٦. غريب الحديث / ابن قتيبة / دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨ هـ.
٥٧. الفائق في غريب الحديث / الزمخشري / دار المعرفة لبنان / الطبعة الثانية.
٥٨. الفائق في غريب الحديث / جار الله الزمخشري / دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧ هـ.
٥٩. فتح الباري / ابن حجر العسقلاني / دار المعرفة بيروت ١٣٧٩ هـ.
٦٠. الفتنة ووقعة الجمل / سيف بن عمر الأسدي / دار النفائس بيروت، ١٣٩١ هـ.
٦١. فتوح البلدان / البلاذري / دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٠٣ هـ.
٦٢. فتوح الشام / الواقدي / دار الجيل / بيروت .
٦٣. فضائل الصحابة / أحمد بن حنبل / مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٣ هـ الطبعة الأولى .
٦٤. فضائل الصحابة / النسائي / دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٠٥ هـ الطبعة الأولى.
٦٥. فضائل الصحابة أحمد بن حنبل / دار الكتب العلمية / مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣ هـ.
٦٦. فضائل المدينة / المفضل الجندي / دار الفكر - دمشق ١٤٠٧ هـ الطبعة الأولى.

٤٧٤.....المغيرة بن شعبة

٦٧. فضائل بيت المقدس / المقدسي / دار الفكر - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م الطبعة الأولى.

٦٨. الفهرست / ابن النديم / دار المعرفة بيروت ١٣٩٨ هـ.

٦٩. الكامل في التاريخ / محمد بن محمد الشيباني / دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥ هـ

٧٠. كتاب الأوائل / ابن أبي عاصم / دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت.

٧١. كتاب الفتن / نعيم بن حماد / مكتبة التوحيد القاهرة ١٤١٢ / دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ

٧٢. كشف الظنون / مصطفى الرومي الحنفي / دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٣هـ

٧٣. لسان العرب / ابن منظور / دار صادر - بيروت ، الطبعة الأولى.

٧٤. مختار الصحاح / الرازي / مكتبة لبنان ناشرون / بيروت ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م طبعة جديدة

٧٥. مسند أحمد / الإمام أحمد بن حنبل / دار صادر / بيروت / مؤسسة قرطبة / مصر

٧٦. مشاهير علماء الأمصار / ابن حبان / دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٥٩م.

٧٧. المصنف / عبد الرزاق الصنعاني / المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٣ هـ

٧٨. معجم البلدان / ياقوت الحموي / دار الفكر / دار إحياء التراث العربي ١٣٩٩هـ

٧٩. معجم البلدان / ياقوت الحموي / دار الفكر / دار إحياء التراث العربي / بيروت، ١٩٧٩م.

٨٠. معجم الصحابة/ابن قانع/مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة ١٤١٨ هـ.
٨١. معجم ما استعجم / البكري الأندلسي /عالم الكتب - بيروت ١٤٠٣ هـ الطبعة الثالثة.
٨٢. معرفة القراء الكبار / الذهبي / مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٤ هـ الطبعة الأولى.
٨٣. مقاتل الطالبين / أبو الفرج الأصفهاني / مؤسسة دار الكتاب .
٨٤. المقدمة / ابن خلدون / دار القلم - بيروت ١٩٨٤ الطبعة الخامسة.
٨٥. المناقب / الموفق الخوارزمي /مؤسسة النشر الإسلامي قم إيران ١٤١١ هـ.
٨٦. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم / ابن الجوزي / دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٢ هـ.
٨٧. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم / ابن الجوزي / دار صادر بيروت ١٣٥٨ هـ.
٨٨. النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير /مؤسسة إسماعيليان - إيران ١٣٦٤ هـ.
٨٩. وفيات الأعيان / ابن خلكان / دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٨.
٩٠. مختار الصحاح / الرازي /مكتبة لبنان ناشرون/ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥ هـ.

محتويات الكتاب

كلمة المركز.....	٥
كلمة العلامة المحقق والمدقق الشيخ اليوسفي الغروي.....	١٣
كلمة العلامة المحقق والمدقق السيد علي الحسيني الميلاني.....	١٥
كلمة العلامة المحقق والمدقق الشيخ علي الكوراني العاملي.....	١٧
مقدمة المؤلف.....	١٩
حديث المؤاخذة بعمل الجاهلية.....	٣١

الفصل الأول / (ثقيف) قبيلة المغيرة بن شعبة

ثقيف.....	٤١
ثقيف في القرآن الكريم.....	٥٢

الفصل الثاني / المغيرة (نسبه وبعض صفاته)

من هو المغيرة بن شعبة.....	٦٥
قالوا في المغيرة بن شعبة.....	٦٥
كنية المغيرة المغيرة.....	٦٧
صفة المغيرة.....	٧٠
تربية المغيرة.....	٨١

الفصل الثالث / إسلام المغيرة بن شعبة

قصة إسلام المغيرة بن شعبة.....	٨٨
--------------------------------	----

٤٧٨.....المغيرة بن شعبة

ثمّ كان اللقاء..... ١٠٢
رواية للشريد بخصوص عمر..... ١٠٦

الفصل الرابع / أخبار المغيرة بن شعبة

- ١- مع النبي صلى الله عليه وآله..... ١١٩
- ٢- مع أبي بكر:..... ١٢١
- ٣- مع عمر بن الخطاب..... ١٢٦
- ٤- مع عثمان..... ١٢٨
- ٥- مع علي عليه السلام..... ١٣٢
- ٦- مع معاوية..... ١٣٤
- ٧- مع عبد الرحمن بن عوف..... ١٤٣
- الأمير البخيل..... ١٤٤
- أول من رشا في الإسلام!..... ١٤٦
- المغيرة يتملق عمر..... ١٤٨
- منزلة المغيرة عند الخلفاء..... ١٩٣
- في دولة أبي بكر..... ١٩٥
- في دولة عمر..... ١٩٨
- تقلّب المغيرة في المناصب على عهد عمر..... ٢٠٤
- في دولة عثمان..... ٢٠٥
- في دولة علي بن أبي طالب عليه السلام..... ٢٠٨
- في دولة معاوية..... ٢١٣
- دور المغيرة في بيعته يزيد..... ٢١٧

٤٧٩.....محتويات الكتاب

٢١٩.....المغيرة والرياء

الفصل الخامس / أعمال المغيرة المنافية للإسلام

٢٤١.....سبّ علي عليه السلام

٢٦٠.....المغيرة و الرشوة

الفصل السادس / المغيرة والنساء

٢٨٥.....الزنا في الجاهلية

٢٨٨.....قصة زنا المغيرة

٢٩٦.....الشهود

٣٠٥.....جزاء الإحسان

٣٢٠.....سلح العقاب

الفصل السابع / أقوال في المغيرة بن شعبة

٣٢٥.....أقوال في المغيرة بن شعبة

٣٣٠.....رأي الإمام علي عليه السلام في المغيرة

٣٣١.....رأي عمر بن الخطاب في المغيرة

٣٣٣.....مواقف من المغيرة

الفصل الثامن / الحقد على الإمام علي عليه السلام

٣٤٣.....الحقد على الإمام علي عليه السلام

٤٨٠.....المغيرة بن شعبة

الفصل التاسع / أثر المغيرة في الحديث النبوى

روايات المغيرة..... ٣٧١

الفصل العاشر / عقائد المغيرة

عقائد المغيرة..... ٤١٩

المغيرة الفقيه..... ٤٣٢

من أقوال المغيرة..... ٤٣٤

دور المغيرة في استلحاق زياد..... ٤٣٦

عودة إلى أقوال المغيرة..... ٤٤٠

الفصل الحادى عشر / وفاة المغيرة

سبب وفاة المغيرة..... ٤٤٧

قبر المغيرة..... ٤٥١

قبل الختام..... ٤٥٧

خاتمة..... ٤٦٥

مصادر الكتاب..... ٤٦٩

محتويات الكتاب..... ٤٧٧

المغيرة بن شعبة

عبدالباقي قرنه الجزائري

ناشر: روشنائي مهر، ۱۳۸۹، تهران؛ العدد: ۲۰۰۰ نسخة

۴۸۰ ص؛ المطبعة: سازمان چاپ و انتشارات

الطبعة الأولى / ۱۴۳۱ هـ - ۲۰۱۰ م / ۱۳۸۹ ش

شابك: ۸-۷-۹۰۳۴۱-۶۰۰-۹۷۸

فهرست نویسی براساس اطلاعات فیبا

یادداشت: عربي؛ کتابنامه: ص ۴۳۱-۴۳۶؛ همچنین به صورت زیرنویس

موضوع: مغيرة بن شعبه، ۲۰ قبل از هجرت - ۵۰ ق

رده‌بندی کنگره: ۱۳۸۸-۴ ج ۶۶ م / ۵ / ۳۴ - BP

رده‌بندی دیویی: ۹۴۲ / ۲۹۷؛ شماره کتابشناسی ملی ۱۸۸۰۲۷۷

قیمت: ۶۵۰۰ تومان مرکز بخش: ۲۱۲۲۹۲۱۱۵۵